

تفسير القرآن الكريم

المستخرج
من آثار الإمام الخميني



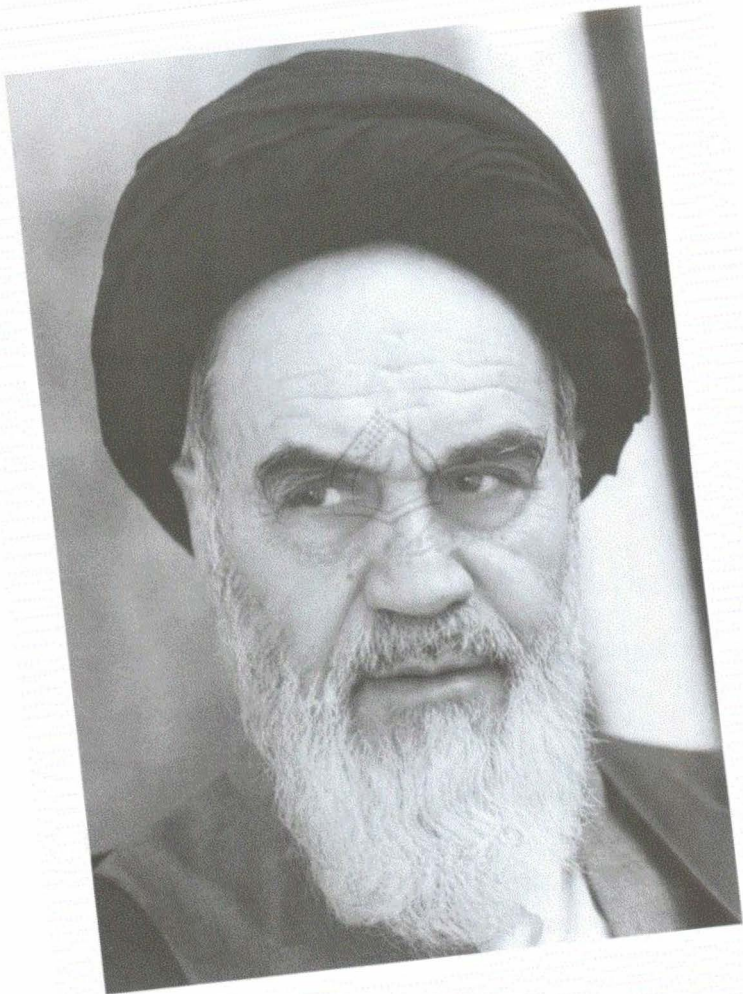
المجلد الخامس

من تفسير سورة الزمر - إلى تفسير سورة الناس

المقدمة، والتحقيق والتعليق: السيد محمد علي ايازي

السلامة







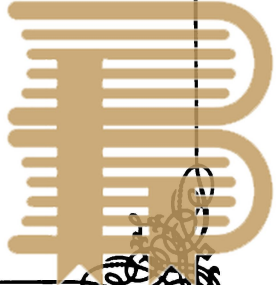
تفسير القرآن الكريم
المستخرج
من آثار الإمام الخميني

المجلد الخامس

من تفسير سورة الزمر - إلى تفسير سورة الناس

المقدمة، والتحقيق والتعليق
السيد محمد علي ايازي

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

سرشناسه	: امازی، محمدعلی، ۱۳۴۴-.
عنوان قراردادی	: تفسیر قرآن مجید برگرفته از آثار امام خمینی (س). عربی.
عنوان ونام پدیدآور	: تفسیر القرآن الکریم المستخرج من آثار الامام الخميني (ج ۵) / تأليف وترجمه محمدعلی امازی.
مشخصات نشر	: تهران: مؤسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی (س)، مؤسسه چاپ و نشر عروج، ۱۳۹۲.
مشخصات ظاهری	: ج ۵: (ج ۵: ۶۲۹ ص).
شاهک	: (دوره) 7 - 324 - 212 - 964 - 978 (ج ۵) 2 - 329 - 212 - 964 - 978
وضعیت فهرست‌نویسی	: فیبا
یادداشت	: عربی. کتابنامه: ص ۵۹۲ - ۶۰۴: همچنین به صورت زیرنویس
مندرجات	: ج ۱: مقدمه درباره تفسیر و مفسر. ج ۲: تفسیر سوره حمد - سوره نساء. ج ۳: تفسیر سوره نساء (آیه ۵۶) - سوره رعد. ج ۴: تفسیر سوره ابراهیم - سوره ص. ج ۵: تفسیر سوره زمر - سوره ناس.
موضوع	: خمینی، روح‌الله، رهبر انقلاب و بنیانگذار جمهوری اسلامی ایران، ۱۲۷۹-۱۳۶۸ -- نظریه درباره قرآن/ تفسیر شعه -- قرن ۱۴ / تفسیر عرفانی -- قرن ۱۴ / تائیل. مؤسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی (س)، معاونت بین‌الملل، مؤسسه چاپ و نشر عروج.
شناسه افزوده	
رده‌بندی کنگره	: ۷۰۴۳ ت ۴ ق / ۵ / DSR ۱۵۷۴
رده‌بندی دیوبند	: ۹۵۵ / ۰۸۲۲۰۹۲
شماره کتابشناسی ملی	: ۲۲۶۲۲۰۹

کد / م ۲۸۶۵



مؤسسه چاپ و نشر عروج

تفسیر القرآن الکریم المستخرج من آثار الإمام الخميني (المجلد الخامس)

- ✓ الناشر: مؤسسة العروج (التابعة لمؤسسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخميني (س))
- ✓ تأليف وترجمة: محمدعلی امازی
- ✓ الطبعة الأولى: ۱۴۳۵ هـ / ۲۰۱۴ م
- ✓ عدد النسخ: ۱۰۰۰ نسخه
- ✓ السعر الدورة: ۱۳۰۰۰۰۰ ریال
- ✓ العنوان: الجمهورية الإسلامية الإيرانية - طهران - شارع الشهيد باهنر - شارع ياسر - زقاق سوده - رقم ۵، الرمز البريدي: ۱۹۷۷۶، صندوق البريد: ۶۱۴ - ۱۹۵۷۵
- ✓ الهاتف: ۰۰۹۸۲۱) ۲۲۲۸۳۱۳۸ ، ۲۲۲۹۰۱۹۱-۵
- ✓ الفاكس: ۲۲۲۹۰۴۷۸ ، ۲۲۲۸۳۴۰۷۲ (۰۰۹۸۲۱)
- ✓ البريد الإلكتروني: international-dept@imam-khomeini.ir

(کتاب "تفسیر قرآن مجید/ ج ۵" به زبان عربی)



١١.....	سورة الزمر.....
٣٨.....	سورة غافر.....
٤٨.....	سورة فصلت.....
٥٧.....	سورة الشورى.....
٦٦.....	سورة الزخرف.....
٧٣.....	سورة الدخان.....
٧٧.....	سورة الجاثية.....
٨١.....	سورة الاحقاف.....
٨٣.....	سورة محمد.....
٩٨.....	سورة الفتح.....
١٢٢.....	سورة الحجرات.....
١٥٨.....	سورة ق.....
١٦٢.....	سورة الذاريات.....

١٦٦.....	سورة النجم.....
١٨٧.....	سورة القمر.....
١٩٢.....	سورة الرحمن.....
٢٠٤.....	سورة الواقعة.....
٢١٩.....	سورة الحديد.....
٢٦٦.....	سورة الحشر.....
٢٩٣.....	سورة الصف.....
٢٩٧.....	سورة الجمعة.....
٣٠٩.....	سورة المنافقون.....
٣١٠.....	سورة الطلاق.....
٣٢٨.....	سورة التحريم.....
٣٣٢.....	سورة الملك.....
٣٤٦.....	سورة القلم.....
٣٥٢.....	سورة المعارج.....
٣٥٧.....	سورة نوح.....
٣٥٩.....	سورة الجن.....
٣٦٣.....	سورة المزمل.....
٣٦٥.....	سورة المدثر.....
٣٧٣.....	سورة القيامة.....
٣٧٥.....	سورة الإنسان.....
٣٨٢.....	سورة النبأ.....
٣٨٥.....	سورة عبس.....

سورة التكوير ٣٨٨

سورة الانفطار ٣٩١

سورة المطففين ٣٩٣

سورة البروج ٣٩٨

سورة الطارق ٤٠٠

سورة الأعلى ٤٠٣

سورة الفاشية ٤٠٥

سورة الفجر ٤١٣

سورة الشمس ٤٢٩

سورة الضحى ٤٣١

سورة الانشراح ٤٣٣

سورة التين ٤٣٥

سورة العلق ٤٤٤

سورة القدر ٤٥٨

سورة البينة ٥٠٨

سورة الزلزلة ٥١٠

سورة القارعة ٥١٨

سورة النكاثر ٥٢١

سورة العصر ٥٢٤

سورة الهمة ٥٣٢

سورة الماعون ٥٤٢

سورة الكوثر ٥٤٦

٥٤٨..... سورة النصر

٥٥٢..... سورة الاخلاص

٥٨٤..... سورة الفلق

٥٨٥..... سورة الناس



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿أَلَا لِلّٰهِ الدِّیْنُ الْخَالِصُ وَالدِّیْنِ أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِی مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِی مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ ٣

[حَقِیْقَةُ الْاِخْلَاصِ]

أدب «الإخلاص» وحقیقته: تنقیة العمل من كل ما يشوبه مما هو لغير الله، وتصفیة السر من رؤية غیر الحق تعالی في جمیع الاعمال الصوریة واللیبة والظاهرية والباطنية. وكمالہ: ترك الغير مطلقاً ونكران الإنیة والأناية والغير والغيرية تماماً. قال تعالی: ﴿أَلَا لِلّٰهِ الدِّیْنُ الْخَالِصُ﴾، فقد اختار الله تعالی الدين الخالص لنفسه، وما ينطوي من الدين على سهم من النفسانية والشیطانية فلن يكون خالصاً لله، وهو ما لا يريدہ الحق تعالی. فما خالطته شائبة من الغيرية والنفسانية، خارج عن حدود الدين الحق.^١

[درجة من الخلوص، الخلوص من خوف العتاب]

...الدرجة الثانية: هي الخوف من العتاب فأولئك خائفون من أن يبعدوا عن ساحة المولى المقدسة فيكونوا موضعاً للعتاب وعدم اللطف. هؤلاء ابتعدوا عن التوجه إلى اللذات الحيوانية والشهوات الطبيعية، ولكن اللذات المعنوية موجودة في ذائقة روحهم إذ يطلبون قرب المتزلة والمقام. ومادام هذا الطلب موجوداً فنفسه ليست خالصة من الصبغة النفسانية ولا خالية من الصبغة الشيطانية. ولو حصلت العبادات والطاعات بهذا المقصد والمقصود فليست دين الله الذي يجب أن يكون خالصاً من الشوائب: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^١.



[مصاديق الاخلاص]

ان الإخلاص عبارة عن تصفية العمل من مطلق ما يشوب غير الحق وهو في عبادة العامة التصفية من الشرك الجلبي والخفي من قبيل الرياء والعجب والفخر ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^٢. وفي عبادة الخواص تصفيتها مما يشوب الطمع والخوف فإنه شرك في مسلكتهم وفي عبادة أصحاب القلوب عبارة عن التصفية من شوب الأنانية والأثنية فإنه في مسلك أهل المعرفة الشرك الأعظم والكفر

١ . سورة الزمر: ٣.

٢ . شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣٢٧.

٣ . الزمر (٣٩): ٣.

الأكبر.^١ وفي عبادة الكَمَل عبارة عن تصفيتها من شوائب رؤية العبودية والعبادة بل رؤية الكون كما قال الإمام عليه السلام في القلب السليم: «من لقي ربه وليس فيه شيء سوى الله»^٢ فالسالك إلى الله إذا وضع حظوظه بل نفسه والعالم تحت قدميه وأخلص نفسه عن رؤية الغير والغيرية ولم يسكن في قلبه سوى الحق، وأفرغ بيت الله من الأصنام بيد الولاية وأخلاه من تصرف الشيطان، يكون دينه وعمله وباطنه وظاهره خالصاً للحق والحق تعالى قد اختار ديناً بهذه الصفة لنفسه...^٣

[معنى الاخلاص من رؤية العرفاء]

إعلم أنهم ذكروا تعاريف مختلفة «للإخلاص» ونحن نذكر بعضها وهو المتداول لدى أهل السلوك والعرفان، بصورة مختصرة.
قال العارف الحكيم السالك خواجه عبد الله الأنصاري (قدس سره):
«الإخلاص تصفية العمل من كل شوب»^٤ وهذا أعم من أن يشوب العمل برضا نفسه، أو رضا غيره من المخلوقات الأخرى.
ونقل عن الشيخ البهائي أن أرباب القلوب - العرفاء - ذكروا تعاريف عديدة للإخلاص: «قيل: هو تنزيه العمل أن يكون لغير الله فيه نصيب» وهذا أيضاً قريب

١ . بالفارسية: مَادَر بَتَهَا بَت نَفْسِ شَمَاسْت زَانِكِه آن بَت مَار وَايِن بَت اَزْدَهَاسْت

المتنوي المعنوي، ج الأول، ص ٣٨، هرمس.

٢ . اصول الكافي، ج ٢، ص ١٦، كتاب الايمان والكفر، باب الاخلاص، ح ٥؛ بحار الأنوار، ج ٦٧،

ص ٢٣٩، كتاب الايمان والكفر، الباب ٥٤، ح ٧.

٣ . سر الصلاة، ص ٧٥.

٤ . منازل السائرين، ص ٣١ قسم المعاملات، باب الاخلاص.

إلى التعريف المذكور.

«وقيل: هو أن لا يريد عامله عوضاً في الدارين»^١. ونقل عن صاحب غرائب البيان^٢: أن المخلصين هم الذين يعبدون الله، ولا يرون أنفسهم ولا العالم ولا أهله في العبودية، ولا يتجاوزون حدود العبودية في مشاهدة الربوبية. وعندما تتساقط من العبد حظوظه بدءاً من التراب وانتهاء بالعرش فقد سلك الدين، وهو طريق العبودية الخالصة من رؤية الحوادث - غير الله - نتيجة شهود الروح لجمال الرب المتعالي^٣. وهذا هو الدين الذي إصطفاه الحق المتعالي لنفسه، وأخلصه من غير الحق قائلاً: ﴿أَلَا اللَّهُ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ والدين الخالص هو نور القِدَم، بعد اضمحلال الحدوث في قياض نور عظمتة ووحدانيته. فكأن الله قد دعا عباده على سبيل التنبيه والإشارة نحو تخلص سرّه في الغير لدى توجههم إليه.

ونقل عن الشيخ المحقق محي الدين العربي أنه قال: ﴿أَلَا اللَّهُ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ عَنْ شُوبِ الْغَيْرِيَّةِ وَالْأُنَانِيَّةِ، لِأَنَّكَ لِفَنَائِكَ فِيهِ بِالْكَلِيَّةِ فَلَا ذَاتَ لَكَ وَلَا صِفَةَ وَلَا فِعْلَ وَلَا دِينَ وَلَا لِمَا خَلَّصَ الدِّينُ بِالْحَقِيقَةِ فَلَا يَكُونُ اللَّهُ^٤. فمادامت العبودية والغيرية والأنانية باقية والعابد والمعبود والعبادة والإخلاص والدين حاضراً، يكون -

١. الأربعين، ص ١٥٩، ح ٣٧.

٢. جاء هذا المطلب في تفسير عرائس البيان لأبي محمد روزبهان البقلي الشيرازي (م ٦٠٦). ولا يوجد تفسير تحت عنوان غرائب البيان. ويبدو ان هناك خطأ وقع في الاستساخ.

٣. حقي البروسوي، روح البيان، ج ٨، ص ٦٩.

٤. لم نثر على هذا النص في كتاب الفتوحات ولا في الفصوص، ولكن جاء ما هو قريب من هذا المضمون في: الفتوحات المكية، ج ٤، ص ٥٧، ورحمة الرحمن في اشارات القرآن، ج ٣،

العمل - مشوباً بالغيرية والأناية وهذا شرك لدى أرباب القلوب.

إن عبادة أرباب الإخلاص هي رسم تجليات المحبوب، ولا يوجد في قلوبهم سوى الحق المتعالي الواحد. ومع أن أفق الإمكان قد اتصل بالوجوب، وإن التدلّي الذاتي، والدنو المطلق الحقيقي قد حصل لهم، وإن رسم الغيرية قد ارتفع بالكلية عنهم، فهم يقومون بكافة وظائف العبودية. ولا تكون عبادتهم بالروية والتفكير. بل تكون عبادتهم بالتجلي. كما أشير إلى هذا المعنى في صلاة ليلة معراج رسول الله (صلى الله عليه وآله).^١

[تحقق الشرك بالاعتقاد بتأثير الافراد إلى جانب الله]

ان الطائشين يقلبون احدى آيات القرآن الكريم عن جهل او عن علم ولكن بهدف التفرير بالعامّة من الناس، ويتجججون بها على اهل الدين محاولين عن طريق ذلك ترقيع اكاذيبهم.^١ وهناك نأتي نحن بأول الآية وآخرها لفت عضد الخائنين ولكي يتضح ان هذه أيضاً تنمة لما سبقها من ابطال آراء عبدة الاوثان والنصارى.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ * لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * خَلَقَ

١. الاربعون حديثاً، ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

٢. الذين يريدون الاستدلال بهذه الآيات لوصف التوسل بالأئمة المعصومين وزياتهم، على انه شرك. وهو هنا يستنكر عليهم ذلك.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْفَقَارُ * خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ لِي ظَلَمَاتٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَلَىٰ تُصْرَفُونَ ﴿١٠﴾

وبعد الآيتين اللتين تحدثان عن خلق السماوات والارض: ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَلَىٰ تُصْرَفُونَ﴾ وهذه الآيات تستعرض ما كان عليه العرب في الجاهلية من عبادة هذه الآلهة لكي تقربهم الى الله الكبير، وكذلك آراء النصارى الذين كانوا يعتبرون عيسى المسيح ابن الله تارة وهو الله تارة اخرى. وعند اجالة النظر في الآيات السابقة واللاحقة يتضح ان هذه الآيات جاءت تمة لما سبقها من الآيات التي انكرت على المشركين ما كانوا يعبدون من الآلهة، وكذلك النصارى الذين جعلوا لله ولداً.

وها قد تبين هنا ما الذي كان يحاربه القرآن من المعتقدات والتصورات، كذلك كان موقفه من القائلين بتعدد الآلهة وعبدة الاوثان وعبدة النجوم وغيرهم من ذوي التصورات الباطلة.^٢

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ١٠

١ . جاءت في نسخة عبارة «عبادة الله»، ولكن يبدو من خلال القران والعبارات الاخرى ان العبارة ينبغي ان تكون «عبادة الاصنام»؛ أي انهم كانوا يعبدونها لكي تقربهم الى الله العظيم، مثلما تفصح الآية المذكورة عن هذا المعنى .

[اجر الصابرين على طاعة الله]

في الكافي^١ عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه فيقال لهم من أنتم؟ فيقولون نحن أهل الصبر. فيقال لهم على ما صبرتم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله. فيقول الله عز وجل: صدقوا أدخلوهم الجنة وهو يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^٢».

﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذَكَرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ٢٢ ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ٢٣



[معنى القسوة]

اعلم أن القساوة عبارة عن غلظة القلب وشدته وصلابته. يقال قسا قلبه قساوة وقسوة وقساء غلظ وصلب، وحجر قاس أي صلب.^٤ وفي مقابله اللين والرقه كما في السورة المباركة «الزمر» يقول الله تعالى:

﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ

١. اصول الكافي، ج ٢، باب الطاعة والتقوى، ح ٤.

٢. سورة الزمر: ١٠.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٤٢١ - ٤٢٢.

٤. صحاح اللغة، ج ٦، ص ٢٤٦٢.

الله أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ^١ فجعل في مقابل شرح الصدر وهو ملزوم قبول الحق قساوة القلب وهي ملزوم عدم قبول الحق، وبعد هذه الآية ذكر تبارك وتعالى اللين ورقة القلب مقابلاً حقيقياً للقساوة كما يقول تعالى بعد ذلك:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْخَلْقِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^٢

واعلم أن بين القساوة والغضب فرق بين، لأن القساوة ما ذكرناه، وأما الغضب فهو حركة وحالة نفسانية يحدث بواسطتها في القلب غليان الدم للانتقام، فإذا اشتدت هذه الحركة تشتعل نار الغضب وتمتلئ الشرايين والدماغ من دخان مظلم مضطرب ينحرف بسببه العقل، ويتوقف عن الإدراك والرؤية، وإن الموعدة والنصيحة في هذا الحال لا تنفعان الغاضب، بل تشعلان أكثر نار الغضب فيه.^٣

﴿اللَّهُ يَتَوَلَّى الْإِنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^{٤٢}.



[الحياة الروحية بعد موت البدن]

مع أن بقاء الروح بعد الموت هي من الأمور المسلم بها لدى جميع المتدينين والعقلاء والفلاسفة، بل وحتى المؤمنين منهم بالتناسخ، لكننا مع ذلك نورد هنا

١ . سورة الزمر: ٢٢.

٢ . سورة الزمر: ٢٣.

٣ . شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

شواهد على ذلك من القرآن حتى لا يبقى أثر من الشبهة حول ذلك لدى أحد.

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا

الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^١

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ

كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾^٢

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾^٣

{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ } . ٤

{ وَحَاقَ بِالْفِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ

السَّاعَةِ أَدْخَلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } . ٥

﴿قَدْ يَنسَوْنَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَنسَى الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾^٦

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^٧

١ . الزمر (٣٩) : ٤٢ .

٢ . المؤمنون (٢٣) : ٩٩ - ١٠٠ .

٣ . البقرة (٢) : ١٥٤ .

٤ . آل عمران (٣) : ١٦٩ .

٥ . المؤمنون (٢٣) : ٤٥ - ٤٦ .

٦ . الممتحنة (٦٠) : ١٣ .

٧ . كشف الاسرار، ص ٣٨ - ٣٩ .

[كل مخلوق موضع رحمة الله]

أكمل حسن ظنك بالله وثق بفضله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ فالله يفرق الجميع في بحر جوده وكرمه، والله لا يخلف «وعده»، وإن كان الخلف في «الوعيد» ممكن، وكثيراً ما يقع فعلاً. فليستبشر قلبك برحمته التامة. ولولا شمولك برحمته الواسعة لما كنت قد خلقت، فكل مخلوق مرحوم: ﴿وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ﴾^١.



[رجاء رحمة الله مع كثرة الذنوب]

غداً تعرض علي صحيفة أعمالني السوداء، وأحاسب على إضاعة عمري هباءً، حينها لا أملك جواباً سوى انتظار رحمة الله حيث: ﴿وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ﴾^٢، وقال تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^٣.

١. اقتباس من الآية الشريفة: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْنَا قَالَ غَدَائِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ...﴾ (الأعراف (٧): ١٥٦)؛ بحار الأنوار، ج ٩١ ص ٣٩٦.

٢. الاربعون حديثاً، ص ٢٢٧.

٣. اقتباس من الآية الشريفة: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْنَا... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ...﴾؛ بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٣٩٦، وكذلك الآية الشريفة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً﴾ غافر (٤٠): ٧.

٤. اقتباس من الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء (٢١): ١٠٧).

٥. صحيفة الامام، ج ٢٠، ص ١٦٤، من كتاب بتاريخ ٨ / ١٣٦٥ وكذلك باده عشق، ص ٩.

[عدم تنافى مغفرة الله مع عدله]

يقول: ان ديننا اليوم يقول ان الاصل الثاني من اصول الدين هو العدل. ولكن هذا العمل كمن يريك حنطة ويبيعك شعيراً. فالإله الذي يصورونه لنا ظالم وافعاله صبيانية؛ وذلك لأننا نلاحظ ان هذه الإله يستبدل جبلاً بقشّة وقشة بجبل. وهذا الإله لا يبادل شيئاً بشئ، بل يهبه بمختلف الذرائع^١ إن هؤلاء الأغبياء لم يتلوا القرآن، أو تلوه وتجاهلوا ما فيه، ولم يهتموا بما أصابهم من فضيحة... وها نحن نورد فيما يلي آيات القرآن التي وصفوها بأنها أقوال صبيانية:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^٢

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾^٣

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^٤

كل من تلا القرآن يعرف أن الله في كل صفحة أو في كل صفحة أو في كل عدة صفحات من القرآن يُعذّبُ عبده الضعفاء بالرحمة والمغفرة، وأنه لم يغلّق أبواب الرحمة والغفران في وجوههم لخطيئة قاموا بها.^٥

١. إشارة الى النقد الذي كتبه حكيمى زاده في كتابه «افسانه هاى هزار ساله = اساطير ألف سنة».

وقد كتب سماحة الامام الخميني كتاب كشف الاسرار، ردأ على هذا الكتاب.

٢. الزمر (٣٩): ٥٣.

٣. النساء (٤): ٤٨.

٤. آل عمران (٣): ١٢٩.

٥. وفي ضوء ذلك يفهم من مجموع الآيات ان الله تبارك وتعالى يغفر ذنوب العباد وان كثرت، وهذا

[بسط بساط رحمة الله في عالم الكرامة وموضع الرحمة]

لقد جاء في الأحاديث، أن الحق تعالى يبسط يوم القيامة بساط رحمته بصورة يطمع حتى الشيطان بالمغفرة منه^٢ وأن الحق سبحانه لم ينظر إلى هذا العالم منذ تكوينه وخلقه، نظرة لطف كما ورد في الرواية وأنه سبحانه وتعالى لم يبعث إلى هذا العالم رحمته^٣ إلا بمقدار ذرة بالنسبة إلى العوالم الأخرى، هذه الذرة قد بعثت على إحاطة النعم الإلهية، وألطافه ورحمته وغفرانه، بالجميع من جميع جوانبهم، وأن الظاهر من النعم والباطن منها تعتبر مائدة نعم الله تبارك وتعالى وعطاياه التي لا يقدر العالم برمته على الإحاطة بجزء منها، فكيف إذا بنعمه

المعنى لا يتعارض مع عدل الله، وأما هو من فضله ولطفه . ولكن لو كان في هذه المغفرة اجحافاً بحق أحد فهو لا ينسجم مع عدل الله، واما من يأتي بالحسنة فيلقى عشرة امثاله (الانعام: ١٦٠)، ومن يذنب ولا يكون في ذنبه تعدياً على حقوق الآخرين، واما على حق الله، وكان هذا الشخص يرتجي رحمة الله ويسير على الصراط المستقيم، ولكنه اقترب زكّة فان كرم الله ورحمته يقتضيان ان يغفر له . وهذه الآيات كلّها دالة على هذا المعنى . وهذا كلّه بشمه ولايتي من غير ثمن . والتمن هو الايمان والعمل الصالح حتى وان كان جانبه خطأ أحياناً.

١ . كشف الاسرار، ص ٨١ - ٨٣ .

٢ . اشارة الى الحديث المروي عن الإمام الصادق(ع): «إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى رحمته حتى يطمع أبلّيس في رحمته». بحار الأنوار، ج ٧ ص ٢٨٧، كتاب العدل والمعاد، الباب ١٤، ح ١.

٣ . كما ورد في الرواية عن أمير المؤمنين(ع)، فما لها عند الله عزوجل قَدَرٌ ولا وزن ولا حَقٌّ فيما بَلَّغنا خلقاً أبغض إليه منها ولا ننظر إليها مُذ خلقها . بحار الأنوار، ج ٧٠ ص ١١٠، كتاب الإيمان والكفر، الباب ١٢٢، ح ١٠٩.

سبحانه في عالم هو عالم كرامته، ودار ضيافته، وموضع رحمته، حيث يبسط رحميته ورحمانيته؟ فيحق للشيطان أن يطمع في نيل رحمة الله، ويرجو عطيته! إذاً فأكمل حسن ظنك بالله وثق بفضلته: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ فالله يفرق الجميع في بحر جوده وكرمه، والله لا يخلف «وعده»، وإن كان الخلف في «الوعيد» ممكن، وكثيراً ما يقع فعلاً. فليستبشر قلبك برحمته التامة. ولولا شمولك برحمته الواسعة لما كنت قد خلقت، فكل مخلوق مرحوم: ﴿وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ﴾^١.

إِغْفَارُ الذُّنُوبِ مَعَ حِفْظِ الدِّينِ وَالتَّدِينِ

...عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) كَثِيرًا مَا يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ دِينَكُمْ دِينَكُمْ، فَإِنَّ السَّيِّئَةَ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْحَسَنَةِ فِي غَيْرِهِ، وَالسَّيِّئَةَ فِيهِ تُغْفَرُ وَالْحَسَنَةَ فِي غَيْرِهِ لَا تُقْبَلُ»^٢.

ويدل هذا الحديث الشريف وأمثاله من الأخبار التي ترغّب على ملازمة الديانة الحقّة، على أن خطايا المؤمنين وذي الدين الحق، تؤول إلى المغفرة كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾. ولهذا نستطيع أن نقول بأن سيئات المؤمنين أفضل من حسنات الآخرين التي لا تقبل أبداً، بل لعل الحسنات التي لا تحتوي على شرائط القبول مثل الإيمان والولاية، تنطوي على ظلمات أكثر من

١ . الاربعون حديثاً، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ . جاء هذا البحث في تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣،

ص ٢٣٦ - ٢٤٨ . وفي ذيل الآية ٢٩ سورة الأنعام.

٢ . أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٦٤، كتاب الإيمان والكفر، باب أن الإيمان لا يضر معه سيئة،

الأحاديث ٢، ٦.

الظلمات الموجودة في سيئات المؤمنين الذين يعيشون في حال الخوف والرجاء نتيجة نور الإيمان المشع في قلوبهم. وعلى أي حال لا يدل هذا الحديث على أن أهل الإيمان لا يحاسبون على سيئاتهم كما هو ظاهر^١.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ

السَّٰخِرِينَ﴾ ٥٦

[خصائص حسرات عالم الآخرة]

وفي ذلك اليوم هل سيكون نصيبنا سوى الحسرة والندامة والتعاسة والشقاء والخزي والخجل؟ وإنما لعمرى حسرة وندامة لا نظير لها في هذا العالم، وخزي وخجل لا يمكننا تصوُّر شبيه لهما. فحسرات هذا العالم مهما بلغت فهي ممزوجة بآلاف الأشكال من الآمال، وهي بعدُ سريعة الزوال خلافاً لما هو حالها يوم الحسرة والندامة. لذا يقول تعالى ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ...﴾^٢ فقد قُضِيَ الأمر ولن يمكن جبرانه، وضاع العمر، ولن يمكن إرجاعه ﴿يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾.

إيها عزيزي! اليوم هو يوم الإمهال والعمل، وقد بُعث الأنبياء بالكتب السماوية وصدحوا بدعواتهم وبذلوا ما في وسعهم وتحملوا كل ذلك الأذى والمشقة من أجل إيقاظنا من نوم الغفلة، وتنبهنا من سُكر الطبيعة، وإيصالنا إلى عالم النور والبهجة والسرور.^٣

١. الاربعون حديثاً، ص ٥٧٣.

٢. مريم (١٩): ٣٩.

٣. آداب الصلاة، ص ٣٤ - ٣٥.

[التوجه إلى كيفية الحسرة في القيامة]

أنظر إلى قوله تعالى: ﴿...يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّٰخِرِينَ﴾.

فأية حسرة هذه التي يذكرها الله تعالى بتلك العظمة وبهذا التعبير؟^١

[مثال من حالات إيجاد الحسرة وسببها]

إن الإكتفاء بصورة الصلاة وظاهرها، والحرمان من بركاتها وكمالاتها الباطنية التي توجب السعادة الأبدية، بل التي تؤدي إلى بلوغ جوار رب العزة وتكون مرعاة العروج إلى مقام الوصول لوصل المحبوب المطلق - وذلك غاية آمال الأولياء، ومنتهى طموح أصحاب المعرفة وأهل القلوب، بل قررة عين سيد الرسل (صلى الله عليه وآله)^٢ - يعدُّ أشد مراتب الخسران والضرر المفضي - بعد مغادرة هذا العالم ومواجهة الحساب الإلهي - إلى اشكال الحسرات التي يعجز عقلنا عن إدراكها، فنحن لن نستطيع إدراك ما في ذلك العالم، وما دمننا في حجاب عالم المُلْك وخدر الطبيعة فكلُّ ما نستطيعه هو أن نمدَّ أيدينا إلى دفء النار من بعيد.

وأياً أمر أشدُّ حسرةً وندامةً وخسراناً من أن تصبح وسيلة كمال سعادة الانسان وبلسم علل نقائصه القلبية - وفي الحقيقة الصورة الكمالية للانسان - بعد أربعين أو خمسين سنةً من العناء وبذل الجهد فيها، غير مفضية إلى تحقيق أية

١ . الاربعون حديثاً، ص ٢٢.

٢ . اشارة إلى بعض الروايات؛ ومنها قول رسول الله (ص): «جعل قررة عيني في الصلاة». فروع

الكافي، ج ٥، ص ٣٢١، كتاب النكاح، باب حب النساء، ح ٧.

فائدة روحية على الاطلاق؟.

أهو أمر يسير أن تصير هذه الوسيلة سبباً في الكدورة القلبية والحجب الظلمانية، وتكون - وهي قرة عين الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) - سبباً لضعف بصيرتنا؟ ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ لِي جَنبِ اللَّهِ﴾.

إذن، شدّ حزام العزم يا عزيزي ومدّ يد الطلب، واسع في إصلاح حالك مهما كلفك ذلك من تعب ومشقة، وجدّ في تحقيق الشرائط الروحية لصلاة أهل المعرفة، وانتفع بهذا الدواء الإلهي الناجع الذي أعده بالكشف المحمدي التام (صلى الله عليه وآله) ليعالج أمراض النفوس وعيوبها.

[معنى الحسرة في الآخرة وسعيرها]

ان الحسرة التي تصيب الإنسان تفوق في ألمها وعذابها كل الآلام الاخرى. فلو ان الانسان دُعي الى مأدبة وفاته حضورها فهو يتحسّر عليها طبعاً، فما بالك إذا فتح عينه ثم وجد ان نعماً كثيرة قد ذهبت من يده؛ لأنه يرى من جهة ان النعم الدنيوية الضئيلة والتافهة تُسلب منه، وان ما جمعه بالتحايل والسرقة وبالظلم والعدوان والزيغ والخداع قد انتزعت منه آخرون وهم يأكلون منه ويتمتعون به، فيكون في حسرة وألم دائم عليه. ويرى من جانب أنه لا يستطيع نيل شيء من النعم الإلهية الدائمة، ويرى من جانب آخر انه وقع في العذاب الإلهي الأليم، وكل الموجودات تظهر عداها له ولا ناصر له، ويأتيه اللعن من الله ورسوله. اذاً فهو يواجه غربة تامّة. فما مدى وما أشد ألم الحسرة على قلب الانسان في مثل

هذه الحالة؟! ﴿يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾^١ وان الحسرة المحرقة لتخرج من احشائه.

ان هذه الحسرة تأتي من قوة التخيل طبعاً، وان لم تكن لديه قوة تخيلية فأن مثل هذه الامور لا تفيض من ناحية المبادئ العليا، كما ان قوة التخيل عند الانسان تكون في الدماغ وتلاشى عند الموت وتحلل وتذهب أدراج الريح. وتذهب في اثرها القوة المفكرة أيضاً. اذاً بالنتيجة لا يحصل التعذب.^٢

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٦٧



[عدم امكانية تقديم وصف وتعظيم يليق بالله]

بالسند المتصل إلى الشيخ الجليل أفضل المحدثين محمد بن يعقوب الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن ربعي، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سمعته يقول:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يُوصَفُ، وَكَيْفَ يُوصَفُ وَقَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ فَلَا يُوصَفُ بِقَدَرٍ إِلَّا كَانَ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ...»^٣.

الشرح: قوله (عليه السلام): «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ» يقول الجوهري: «القدر كون

١. الزمر (٣٩): ٥٦.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٢٢٣.

٣. أصول الكافي، ج ٢ ص ١٨٢، كتاب الإيمان والكفر، باب المصافحة، ح ١٦.

الشيء مساوياً لغيره بلازيادة ولاانقصان وإن «قَدَر» بفتح الدال وسكونها مصدر ومعناها واحد. يقول الله سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي ما عظموا الله حق تعظيمه^١. انتهى.

يقول الكاتب الظاهر أن القدر بمعنى كون الشيء مساوياً لغيره، وهو كناية عن عدم القدرة على توصيف الله وتعظيمه كما يجدر به سبحانه، و(قدره) وإن كان وصفاً ولكنه موصوف في صياغة الوصف، وسنشير إلى أن هذا التعبير من غير الحق المتعالي فبالنسبة إلى ذاته المقدسة غير ميسور ولاجائز...

إعلم أن ما ورد في هذا الحديث الشريف: «إن الله عز وجل لا يوصف» إشارة إلى أوصاف وصف بها، بعض أهل الجهل والجدل من المتكلمين، الحق المتعال. واستدعت هذه الأوصاف التحديد والتشبيه، بل التعطيل كما أشير إلى ذلك في الحديث بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

وفي باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى من كتاب «الكافي» المبارك روايات تدل على ذلك:

ياسناده عن عبد الرحيم بن عتيك القصير قال: «كُتِبَ عَلَى يَدَيَّ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): إِنَّ قَوْمًا بِالْعِرَاقِ يَصِفُونَ اللَّهَ بِالصُّورَةِ وَبِالتَّخْطِيطِ» ﴿بِالتَّخْطِيطِ — خ ل﴾ فَإِنْ رَأَيْتَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ بِالْمَذْهَبِ الصَّحِيحِ فِي التَّوْحِيدِ. فَكُتِبَ إِلَيَّ: سَأَلْتُ إِلَيَّ رَجِمَكَ اللَّهُ عَنِ التَّوْحِيدِ

١ . جاء هذا المقطع من سورة الانعام: ٩١ . وفي مفردات الراغب، ص ٦٦٠، لم يرد بمعنى التعظيم بل بمعنى معرفة كنه الله، أي: ما عرفوا كنهه . ولكن جاء في صحاح اللغة للجوهري (ج ٢، ص ٧٨٦) ذلك المعنى الذي جاء في النص، وكان المصدر الذي اعتمده هو هذا الكتاب. ويبدو ظاهراً أن معنى الحديث يشير الى معرفة الله؛ أي ما عرفوا الله حق معرفته.

وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِكَ، فَتَعَالَى اللَّهُ الَّذِي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾،
تَعَالَى عَمَّا وَصَفَهُ الْوَاصِفُونَ الْمُشْبِهُونَ اللَّهُ بِخَلْقِهِ الْمُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ.
فَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ فِي التَّوْحِيدِ مَا نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ
صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَانْفَ عَنِ اللَّهِ الْبَطْلَانَ وَالتَّشْبِيهَ، فَلَاتَفِي وَلَاتَشْبِهَ، هُوَ اللَّهُ الثَّابِتُ
الْمَوْجُودُ، تَعَالَى عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ، وَلَا تَعْدُوا الْقُرْآنَ فَتَضَلُّوا بَعْدَ الْبَيَانِ
﴿التَّيْبَانِ خ ل﴾!

وبعد التدبر في صدر هذا الحديث الشريف وذيله، يفهم بأنه ليس المقصود
من نفي توصيف الحق سبحانه عدم التفكر في صفات الحق المتعالي، وعدم
توصيفه بصورة مطلقة، كما قال به بعض المحدثين الأجلاء^١، إذ ورد في هذا
الحديث وفي غيره من الروايات الأخرى الأمر بنفي التعطيل والتشبيه عنه
سبحانه، وهذا النفي لا يكون إلا بعد الوقوف على الصفات واستيعابها، بل
المقصود لدى أبي عبد الله (عليه السلام)، هو عدم توصيفه بما لا يليق بذاته
المقدسة الحق المتعالي، مثل إثبات الصورة والتخطيط وغيرها من صفات
المخلوقين، التي تلازم الإمكان والنقص. تعالی الله عنه.

وأما توصيف الحق المتعالي، بما يليق ويجدر بذاته المقدسة، والذي أقيمت
عليه البراهين الصحيحة في العلوم العالية الفلسفية، فهو أمر مطلوب، فإن كتاب
الله سبحانه وسنة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وأحاديث أهل البيت (عليهم
السلام) مشحونة من ذلك. كما أن الإمام الصادق (عليه السلام) لَمَّحَ في هذا

١. أصول الكافي، ج ١ ص ١٠٠، كتاب التوحيد، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالی،

ح ١.

٢. التوحيد، للشيخ الصدوق، ص ٣١ وما بعدها، الباب ٢، بالخصوص ح ٣٧؛ بحار الأنوار، ج ٣ ص

٢٥٧ وما بعدها، كتاب التوحيد، الباب ٩، ح ١٣.

الحديث الشريف إلى أن المقياس - في إثبات الأوصاف للحق سبحانه - هو البرهان الصحيح...

وما أمر به الإمام الصادق (عليه السلام) في توصيف الحق سبحانه، من لزوم عدم الخروج عما في القرآن الكريم بقوله: «إِنَّ الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ فِي التَّوْحِيدِ مَا نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ»، توجه لمن لا يستوعبون المقياس من صفات الله سبحانه، وليس بمنع توصيف الله سبحانه بصفات لم تذكر في كتاب الله، ولهذا نرى بأن الإمام صلوات الله عليه الذي أمر عبد الله بن علي بعدم توصيفه بوصف غير مذكور في كتاب الله، هذا الإمام بنفسه ينعت الحق بصفتين لم يعهد بهما في القرآن الكريم وهما «الثابت» و«الموجود».

نعم إذا أراد شخص أن يصف الحق المتعالي بوصف من وحي عقله القاصر المشوب بالأوهام، من دون أن يستنير بنور المعرفة والسداد الغيبي، فيسقط إما في ضلال التعطيل والبطلان، وإما في هلاك التشبيه. فعلى أمثالنا الذين أسدلت على قلوبهم ستائر وحجب غليظة من الجهل والأنانية والعادات البشعة والخلق الغليظ اللفظ، أن لاتنطرق إلى عالم الغيب، ولانعت إلهاً على ضوء إدراكنا، لأن ما يخطر ببالنا لا يكون إلا مخلوقاً لنا.^١

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ٦٨

[معاني مختلفة للدهشة قبل نفخ الصور]

فالسالك مادام في مبادئ السير، فهو خاضع للتربية التدريجية لـ «رب

العالمين»، فهو نفسه من العالمين، وسلوكه خاضع لتصرف الزمان والتدرج. فإذا انسلخ - بواسطة السلوك - من عالم الطبيعة المتصرّم تجلّت في قلبه مرتبة «الاسماء المحيطة» التي لا تتعلق بالعالم الذي تغلب عليه جنبه السوء فقط. ولما كان للإسم الشريف «الرحمن» مزيد من الاختصاص من بين «الاسماء المحيطة» فقد ورد ذكره.

ولما كان «الرحمن» هو ظهور الرحمة ومرتبة البسط المطلق، لذا تقدم ذكره على «الرحيم» الذي هو اقرب الى افق البطون.

اذن، ففي السلوك العرفاني تتجلى أولاً الاسماء الظاهرة ثم تليها الاسماء الباطنة - لأن سير السالك هو من الكثرة الى الوحدة - وهكذا حتى ينتهي الى الاسماء الباطنة المحضة - ومنها اسم «المالك» - وعندها تضمحلُّ - في التجلي بالمالكية - كثرات عالم الغيب والشهادة ويحصل الفناء الكلي والحضور المطلق. فإذا تخلّص من حجب الكثرة ووصل الى الوحدة والسلطنة الإلهية وفاز بمشاهد الحضور، عندها يقوم بالمخاطبة الحضورية فيقول «إياك نعبد».

إذن فتمام دائرة سر السائرين مذكورة في هذه السورة الشريفة، بدءاً بآخر حجب عالم الطبيعة وانتهاءً برفع كافة الحجب الظلمانية والنورانية وحصول الحضور المطلق، الذي يمثل القيامة الكبرى للسالك وقيام ساعته.

ولعلّ المقصود من الذين استنتهم الآية الكريمة: ﴿لَفَصَحِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، هم أفراد هذا النوع من اهل السلوك؛ لأن الصعق والمحو قد حصل لهم قبل النفخ في الصور.

ولعلّ هذا المعنى هو أحد الاحتمالات المرادة من الحديث المأثور عن

الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) عندما قال: «أنا والساعة كهاتين» وجمع بين سبائته^١.



[تجلّي الله بلا حجاب وبنور الربوبية]

و اعلم أنّ هذه الخلافة أيضا خلافة في الظهور. فإنّ الأوّل، جلّ مجده، لمّا أراد أن يظهر في الأكوان، لرؤية نفسه وكمالات ذاته في مرآة كاملة جامعة، تجلّى باسمه الأعظم الأتمّ الذي له مقام أحديّة الجمع. فأشرقت من ذلك التجلّي سماوات الأرواح و أراضي الأشباح. فكلّ المراتب الوجودية و الحقائق النزوليّة و الصعوديّة من تعيّن تجلّيه الذاتي الحاصل بالاسم الأعظم. فمقام الخلافة مقام استجماع كلّ الحقائق الإلهيّة و الأسماء المكنونة المخزونة. فحيث لا حجاب في الوجود من ناحية الربّ الودود، فإنّ الحجاب من التعيّنات و الحدود، و إذ لا تعيّن من ناحية عالم القدس، فلا حجاب، فكان ذاته بذاته ظهرت في الأشياء، و على حدّ إطلاقه أشرقت الأرض و السماء: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ الذي هو الحقيقة الإطلاقيّة الجامعة لكلّ الحقائق و التعيّنات المشهودة و المعلومة في العالمين، من ناحية عالم الكثرة و الجنبه الخلقية: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾^٢ فمن عرف حقيقة استهلاك الوجود المنبسط و الإحاطة القويمية للذات الواجبة و عدم النسبة، أيّة نسبة، بينها و بين الخلق و تنزّها عن كلّ التعيّنات،

١ . كتاب الاشقيات، ص ٢١٢، باب ما يوجب الصبر؛ بحار الانوار، ج ٢، ص ٣٩.

٢ . تفسير آية البسملّة، ص ٥٧ - ٥٨.

٣ . النساء (٤): ٧٩.

يمكن له معرفة هذا الظهور الذاتي و التجلّي الأسمائي و الصفاتي. فمع كون التجلّي بالأسماء و في هياكل الممكنات، كان التجلّي ذاتياً؛ بلا ملابسة بأقدار التعينات الخلقية و مناسبة لسكان عالم من العوالم.^١

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ٦٩

[نور الربوبية على يمين الاشياء]

ولعل أمر الحق تعالى وعز وجلّ بعدم الالتفات إلى اليسار^٢ إشارة إلى عدم التوجّه إلى جنبه «يلي الخلق» والجهات الباطلة المظلمة للأشياء ويلزم للسالك أن يكون له التوجّه التام إلى الجهات اليمنى للأشياء التي هي نورية ربيّة ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾^٣.

[الاصناف الكاملة لله]

فلا مناص إذن من مبادرة السالك الى الله لتبديل الخبيث من الصفات والسّي من الخصال بالحميد الكامل منها، والمسارة الى الفناء في البحر المتلاطم اللامتناهي من الاوصاف الكمالية للحق تعالى، وتبديل الارض الشيطانية المظلمة

١. مصباح الهداية، ص ٥١.

٢. اشارة الى الحديث القدسي الذي نقله الشيخ الصدوق في علل الشرايع (ص ٣١٢، الباب ١، ح ١، حديث المعراج) وجاء فيه: «أمرني ربي العزيز الجبار أن لا ألتفت يساراً». (كناية عن الظلمات والضلال).

٣. الزمر (٣٩): ٦٩.

٤. سر الصلاة، ص ١٠٩.

بالارض البيضاء المشرقة، ليلمس في أرجاء نفسه كيف ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ ويقيم في أركان مملكة وجوده مقام اسماء الجمال والجلال للذات المقدسة، فينضوي عندها تحت ستر الجمال والجلال ويتحقق عنده التخلُّق باخلاق الله، وتُسدل الاستار على قبائح التعينات النفسية وظلمات الوهم بصورة كاملة.

وإذا تحقق السالك بهذا المقام شملته اللطاف الإلهية الخاصة للحق جلّ جلاله، فيعينه بلطفه الخفي، ويستره بستر كبريائه، وبشكل يصبح معه السالك غير معروف لسواه تعالى، ولا يعرف سواه تعالى: «إن أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري»^١.

والإشارات - التي يدركها اهلها - كثيرة في الكتاب الإلهي المقدس، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^٢، فأهل المعرفة واصحاب السابقة الحسنى يعلمون بأن جميع التعينات الخلقية والكثرات العينية، إنما هي ظلمات، وإن النور المطلق لا يتحقق إلا بإزالة الإضافات وتحطيم التعينات التي تمثّل الأوثان في طريق السالك، فإذا زالت ظلمات الكثرات الأفعالية والأوصافية وتلاشت في عين الجمع، تكون العورات عندئذ، قد سُتّرت، وتحقق الحضور المطلق والوصول التام.^٣



١. احياء علوم الدين، ج ٤، ص ٢٥٦، وقد ورد الحديث القدسي فيه تارة بلفظة (قبائي) واخرى

(قبائي).

٢. البقرة (٢): ٢٥٧.

٣. آداب الصلاة، ص ٩٧ - ٩٨.

[تفسير ارض الظلمة بالنفس الإنسانية]

نعم، من كان المتولي والمتصرف في باطنه وظاهره هو الحق تعالى، ولا يتصرف في مملكة وجوده غير الحق تعالى، فتبدل أرضه الظلمانية بالنور الإلهي: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾^١ ويتخلص من جميع أنواع الظلمات والكدورات ويصل إلى النور المطلق المساوي للوحدة المطلقة. ولعله لهذه الجهة ذكر سبحانه النور مفرداً والظلمات بصيغة الجمع.

وإذا واجهت مرآة النفس الصافية عالم الكدورة والظلمة ودار الطبيعة التي هي أسفل السافلين، فسبب مخالفته لجوهر ذاته الذي هو من عالم الأنوار، تؤثر كدورة الطبيعة تدريجياً فيه وتجعله ظلمانياً وكدرأً، ويغلب على وجه المرآة ﴿مرآة ذاته﴾ الغبار وريث الطبيعة فتعمى عن فهم الروحانيات، وعن إدراك المعارف الإلهية وتحجب عنها وتحرم من فهم الآيات الربانية، ويزيد هذا الاحتجاب والحمق يوماً إلى أن تصير النفس سجيية ومن جنس سجين: ﴿لِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾^٢ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾^٣ ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَلِي أذَانِهِمْ وَقُرْآنًا﴾^٤ قد أشير في الآيات القرآنية الشريفة إلى هذين المقامين كثيراً. وكانا موضع عناية ذات الحق المقدسة، لأن المقصد الأصلي من جميع الشرائع الإلهية هو نشر المعارف، وهو لا يحصل إلا بعلاج النفوس وطردها عن ظلمة الطبيعة وخلاصها

١. سورة الزمر: ٦٩.

٢. سورة البقرة: ١٠.

٣. سورة البقرة: ٢٥٧.

إلى عالم النورانية.^١

[تأويل الارض بقلب الإنسان وانارته]

إيهاً عزيزي، شمر عن سواعد الهمة وتمنطق بالعزيمة، مادامت الفرصة سانحة، وما دام العمر - ثروتك الغالية - أمامك وطريق السلوك ممهدة لك وأبواب رحمة الحق مشرعة بوجهك، والأعضاء سالمة والقوى موفورة، ومزرعة عالم الملك لم يثن جني محصولها بعد، ولتعرف قدر هذه النعم الإلهية ولتستفد منها، واسعاً لتحصيل الكمالات الروحية والسعادات الأزلية الأبدية، ولتنتفع من كل تلك المعارف التي قدّمها لك القرآن السماوي المجيد واهل بيت العصمة (عليهم السلام) على بساط ارض الطبيعة المظلمة فأناروا العالم بالانوار الإلهية الساطعة.

فلتشرق ارض طبيعتك المظلمة انت ايضاً بالنور الإلهي، وليتنور بصرك وسمعك ولسانك وسائر قواك الظاهرة والباطنة بنور الحق تعالى، ولتستبدل هذه الارض الظلمانية بـ «الأرض النورانية» بل بالسماء العقلانية، واعلم ان هناك ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾^٢، ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾، فإذا لم تبدل ارضك في ذلك اليوم بـ «غير هذه الارض» ولم تشرق بنور ربها، فإن أمامك ظلمات وشدائد وأشكالاً من الخوف والضغط والذلة والعذاب.

إن قوانا الظاهرة والباطنة الآن مظلمة بالظلمات الشيطانية، والخوف - لو بقينا

١. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

٢. ابراهيم (١٤): ٤٨.

على هذه الحال - أن تتحول الأرض الهولانية المنورة بنور الفطرة تدريجياً الى أرض «سجينية» مظلمة وخالية من نور الفطرة، محجوبة عن جميع احكام الفطرة الإلهية وهو شقاء لا سعادة بعده، وظلمة لا نور يجليها، وهلع لا اطمئنان معه، وعذاب مقيم لا تتلوه راحة ف ﴿مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^١. اعوذ بالله تعالى من أشكال الغرور الشيطاني والنفس الأتارة بالسوء.

إن مقصد الأنبياء العظام اساساً، والمراد من تشريع الشرائع وسنّ الاحكام ونزول الكتب السماوية - خصوصاً القرآن المجيد، الكتاب الجامع الذي قُوِّض وكوشف به النور المطهر للرسول الخاتم(صلى الله عليه وآله) - انما هو نشرُ التوحيد والمعارف الإلهية واستئصال جذور الكفر والشرك والازدواجية في النظرة والعبادة. فالسرُّ الساري والجاري في جميع العبادات القلبية والقالبية، انما هو التوحيد والتجريد، بل «إن هذه العبادات هو جعل التوحيد جارياً من باطن القلب الى ملك البدن بأسره» كما يقول الشيخ العارف الكامل الشاه آبادي (روحي فداه).^٢

١. النور(٢٤): ٤٠.

٢. آداب الصلاة، ص ١٥٢ - ١٥٣.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم﴾ ١

[تأويل الحروف المقطعة حم بالكواكب]

لقد تخيلوا ثمان واربعين صورة في كل السماء، واحد وعشرون منها الى جهة الشمال من منطقة البروج، وخمسة عشر منها في جهة الجنوب، واثننا عشر منها كالحمل وغيره تقع على دائرة المنطقة نفسها.

يقول الحاج السيزواري: ربما يكون لفظ ﴿حَم﴾ في القرآن الكريم ^١ قَسَمَ بها، مثلما ان الزبر وبيئاته قَسَمَ بالأسماء التسعة والتسعين التي يدخل الجنة كل من أحصاها. ^٢

إن زبر كل حرف عبارة عن الحرف الأول الملفوظ وحرفه المكتوب والبيئات غير ذلك. مثلاً الحرف «س» يُرسم في الكتابة على النحو الذي ذكر،

١. غافر (٤٠): ١.

٢. راجع: توحيد الصدوق، ص ١٩٤، ح ٨.

ولكن في التَّفْظ يُقرأ «سين» الذي يتألف من ثلاثة احرف مكتوبة وهي «س» و «ي» و «ن». وهذا يعني أن زبره حرف السين وَيَنَاتِه «ي» و «ن».

وعلى العموم: مثلما ان أعداد «حم» إشارة الى تلك الثمانية والاربعين صورة، كذلك حروف الهجاء إشارة الى المنازل الثمانية والعشرين، التي اسم أحدها باسم شَرْطَيْن، والآخر باسم بُطَيْن، وسُمِّي كل واحد منها باسم أحد الكواكب التي فيها. وهناك طبعاً منزلان ليس فيهما كوكب أصلاً.

كما ان كلمة «توحيد» في حساب الجمل تُشير الى البروج الاثني عشر^١ وادراج كل هذه الآيات في الفلك دلالة على تعظيمه^٢.

﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ اللَّهُ الْوَاحِدِ

الْقَهَّارِ﴾ ١٦

السؤال في محضر الله في عالم الاتصال يتعارض مع عالم الغيب والشهادة

فإذا بلغ السالك الحضرة الإلهية، و رأى بعين البصيرة الحضرة الواحدية، و تجلى له ربه بالتجليات الأسمائية والصفاتية^٣، و توجه الى محيطية بعض الصفات و الأسماء و محاطية بعضها، و فضل بعضها و افضلية الاخرى^٤، يسأل

١ . في هذا المجال راجع: شرح منظومة السبزواري، باب الحكمة، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

٢ . تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٥٦٤ - ٥٦٥ .

٣ . التجلي، يعني الظهور والانكشاف، والتجلي الأسمائي والصفاتي، يعني ماينكشف للقلوب من أنوار الأسماء والصفات (التعريفات للجرجاني).

٤ . الاسم العام محيط، والاسم الخاص والمندرج تحته مُحاط، مثلاً القادر اسم عام ومحيط، بينما الرازق اسم خاص ومحاط به . وكلما كان مدى الاحاطة اكثر وعموميتها أشمل كان فضلها اكبر.

ربه باللسان المناسب لنشأته، و يدعوه بالدعاء اللائق بحضرته...

و السؤال في الحضرة الالهية بطور يخالف طور السؤال في حضرة الغيب المقيد^١، و هو يخالف السؤال في الشهادة، و مسئولاتها ايضاً متفاوتة بمناسبة النشآت...

هذا، و اذا تجاوز الحضرة الالهية الى الحضرة الاحدية الجمعية، المستهلكة فيها الحضرات، الفانية فيها التعينات و التكررات، و تجلى له بالمالكية المطلقة، كما قال: ﴿لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾، و حيث لم يكن في هذا اليوم خلق و امر، و لا اسم و رسم، و رد ان لا يجيبه الانفسه، فقال:

﴿يَلَهُ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، ففي هذا المقام لم يكن سؤال و لا مسئول و لا سائل.^٢

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ١٩

[معنى علم الله]

الكلام الذي يقول: "ان العلم بالتجلي"، و بغض النظر عن مصدره، معناه ان الله في مرتبة الذات، لديه علم اجمالي و كذلك علم تفصيلي، مع انه كان لديه في مرتبة الذات علم بهذه الموجودات على نحو الكثرة: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^٣ فهو يعلم بكل ما يقع من حركة جناح ذبابة من الأزل إلى آخر الأبد

١ . وهو الغيب المقيد الذي يُسمى أيضاً بالغيب المضاف، وهو على قسمين: أحدهما الغيب المطلق، ويعني ان الذات الالهية قريبة و يُسمى عالمها عالم العقول والنفوس؛ والآخر الشهادة ويعني ان عالم الملك قريب و يُسمى عالمها عالم المثال.

٢ . شرح دعاء السحر، ص ١٦.

٣ . غافر (٤٠): ١٩.

لا يعزب عنه شيء؛^١ أي لديه علم تفصيلي بهذه الموجودات من الأول إلى الآخر ومن الأزل إلى الأبد. ومع ذلك فإنّ هذا لا يضر بمقام بساطته. وفي ذات الوقت الذي يكون لديه علم تفصيلي بهذه الموجودات المتكثّرة، يكون لديه في مقام الذات علم اجمالي بذاته المقدّسة، بحيث لا يكون هناك أي تعارض أبداً بين هذا العلم التفصيلي وذلك العلم الاجمالي.^٢



[الدليل على سعة واطلاق علم الباري تعالى]

علمه سبحانه يتعلق بأصل الوجود المتحقق والمتحصل ولا يزيغ فيه. وقد سبق أن قلنا في إحدى المقدمات بأن أصل الوجود ومحصل نظام الوجود يجب ان يكون في مرتبة ذات الباري تعالى الذي هو صرف الوجود، بما انه موجود لا بما انه مخلوط ومحدود.

وإن كانت الذات غير واجدة لكمالات الأشياء، فهي غير صرفة وإنما محدودة. ولا ينبغي طبعاً ان تكون ذات الباري خالية من ذرة من الكمال الوجودي وغير حائزة له.^٣ وبما اننا قلنا بأن الله تبارك وتعالى عالم بذاته وذاته صرف الوجود، اذاً فهو عالم بكل الموجودات وبكل ذرات الوجود، وليست

١. اشارة إلى الآية الشريفة: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ سبأ (٣٤): ٣.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٢٨٥.

٣. تُطرح مسألة ان الله بسيط ضمن قاعدة بسيط الحقيقة كل الأشياء؛ وذلك انه لو كان مركباً لكان محدوداً، والمحدودية على خلاف الكمال الوجودي؛ ولهذا فان ذاته صرف الوجود، وليست هناك ذرة في الوجود خافية عليه أو تقع خارج دائرة علمه.

هناك ذرة وجودية من جهة كَوْنِها وجوداً وأصلاً خافية عليه وغائبة عن دائرة علمه الواسع والمحيط بكل شيء. ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^١ وكل ذرات الوجود من ذروة العقل الأول، والصادر الأول والى آخر درجة ومرتبة أخيرة من الوجود التي هي حاشية وقاعدة نور مخروط الوجود مكشوفة لدى الحق عز وجل بالتفصيل وبكامل العيان. ومعيار الكشف هنا الحضور في مرتبة الذات التي هي بلا حجاب ظلماني.^٢



إهلاك جميع الموجودات يوم تجلّي الله وعدم جواب اي شخص إلا
[هو]

قد انكشف لسر قلبك وبصيرة عقلك أن الموجودات بجملتها، من سماوات عوالم العقول والأرواح وارضى سكنة الأجساد والأشباح: من حضرة الرحموت التي وسعت كل شيء، وأضاءت بظلمتها ظلمات عالم الماهيات، وانارت بيسط نورها غواسق هياكل القابلات. ولا طاقة لواحد من عوالم العقول المجردة والأنوار الأسفهدية والمثل النورية والطبيعة السافلة ان يشاهد نور العظمة والجلال، وان ينظر الى حضرة الكبرياء المتعالية. فلو تجلّى القهار لها بنور العظمة والهيبة، لا ندكت إتيات الكل في نور عظمته وقهره، جل وعلا، و تزلزلت اركان السماوات العلى، و خرت الموجودات لعظمته صعقاً. و

١. غافر (٤٠): ١٩.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

يوم تجلى نور العظمة يهلك الكل في سطوع نور عظمته. وذلك يوم الرجوع التام و بروز الأحدية و المالكية المطلقة؛ فيقول: ﴿لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾ فلم يكن من مجيب يجيبه، لسطوع نور الجلال و ظهور السلطنة المطلقة، فيجيب نفسه بقوله: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾. و التوصيف بالواحدية و القهارية دون الرحمانية و الرحيمية، لان ذلك اليوم يوم حكومتها و سلطنتها، فيوم الرحمة يوم بسط الوجود و افاضته. و لهذا وصف الله نفسه عند افتتاح الباب و فاتحة الكتاب بالرحمن الرحيم. و يوم العظمة و القهارية يوم قبضه و نزعه فوصفها بالوحدانية و القهارية؛ و بالمالكية في خاتمة الدفتر فقال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

و لا بد من يوم يتجلى الرب بالعظمة و المالكية و تبلغان دولتهما. فإن لكل اسم دولة لا بد من ظهورها. و ظهور دولة المعيد و المالك و امثالهما من الأسماء يوم الرجوع التام و النزاع المطلق.^١ و لا يختص هذا بالعوالم النازلة، بل جار في عوالم المجردات من العقول المقدسة و الملائكة المقربين. و لهذا ورد ان عزرائيل يصير بعد قبض ارواح جميع الموجودات مقبوضاً بيده تعالى. و قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾^٢، و قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾^٣، و قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^٤، الى غير ذلك.^٥

١. أي يوم الرجوع الحقيقي والانسلاخ عن عالم الطبيعة ومفارقة كل التعلقات.

٢. الأنبياء (٢١): ١٠٤.

٣. الفجر (٨٩): ٢٧-٢٨.

٤. الأعراف (٧): ٢٩.

٥. شرح دعاء السحر، ص ٣١-٣٢؛ وأيضاً، راجع: المصدر السابق، ص ٩٥-٩٦.

[يوم التسلط التام اثناء الرجوع من قبل الإنسان الكامل]

و لله تعالى السلطنة المطلقة في حضرة الغيب بالفيض الاقدس^١، على الاسماء و الصفات الالهية و صور الاسماء اي: الاعيان الثابتة^٢؛ و في حضرة الشهادة بالفيض المقدس^٣، على الماهيات الكلية و الهويات الجزئية؛ الا ان بروز السلطنة التامة عند رجوع الكل اليه بتوسط الإنسان الكامل و الولي المطلق في القيامة الكبرى: ﴿لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾. و الأشياء الممكنة بما هي منتسبة الى أنفسها لا سلطان لها: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾؛ و باعتبار الانتساب اليه تُعدّ من مراتب سلطنته^٤.

[سير الدرجات الوجودية وكشف الحقائق للموجودات]

ان نور الوجود وشمس الحقيقة مادامت في سير تنزلي من مكامن الغيب باتجاه عالم الشهادة، فهو متوجه نحو الاحتجاب و الغيبة. وعبارة اخرى، ففي كل تنزل تعين، و في كل تعين و تقيد حجاب. ولما كان الانسان مجمع التعينات

١. الفيض الأقدس هو التجلي الذاتي ويؤدي الى ان توجد الاعيان الثابتة واستعداداتها في عالم العلم.

٢. الاعيان الثابتة عبارة عن حقائق الممكنات الموجودة في الحضرة العلمية وعالم العلم الالهي، ولا يكون لها وجود خارجي ابدأ (وانما توجد تنزلاتها في الخارج) (التعريفات، الجرجاني).

٣. الفيض المقدس هو التجلي الأسماني ويؤدي الى ايجاد الاعيان في عالم الخارج طبقاً لما لديها من استعدادات.

٤. النجم (٥٣): ٢٣.

٥. شرح دعاء السحر، ص ١٣٧؛ وأيضاً راجع: المصدر السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.

والتقيّدات، فهو محتجب بجميع الحجب الظلمانية السبعة^١ والحجب النورية السبعة^٢، والتي تؤوّل بالأرضين السبع والسموات السبع. ولعلّ الردّ الى «أسفل السافلين»^٣ هو الاحتجاب بجميع انواع الحجب، ويمكن التعبير عن هذا الاحتجاب لشمس الوجود والنور الصرف في أفق التعينات بـ «الليل» وبـ «ليلة القدر».

وما دام الانسان محتجباً في هذه الحجب، فهو محجوبٌ عن مشاهدة جمال الأزل ومعاينة النور الأول، ولكن لما كانت جميع الموجودات في سير صعودي من منازل عالم الطبيعة السفلية من خلال الحركات الطبيعية المودعة في جبلتها والناجمة عن نور جاذبة الفطرة الالهية وفقاً لتقدير «الفيض الاقدس» في «الحضرة العلمية»، فهي ترجع الى الوطن الاصلي والميعاد الحقيقي^٤.

وهذا ما أشارت اليه الآيات الكريمة بكثرة، وعندها ستخلص مرّةً اخرى من الحجب النورانية والظلمانية، فتجلى مالكية وقاهرية الحق تعالى، ويتجلى الحقُّ بالوحدة والقهارية^٥.

وإذا تحقّق - في تلك المرحلة - رجوع الآخر الى الاول واتصل الظاهر

١ . الحجب الظلمانية؛ هي الحجب الجسمانية التي تأوّل بالأرضين السبع.

٢ . الحجب النورانية؛ هي الحجب النفسانية التي تأوّل بالسموات السبع.

٣ . التين (٩٥): ٥.

٤ . الوطن الأصلي للموجودات هو ذلك العالم الذي تنزّلت منه . والموجودات في سيرها الصعودي

تعود الى ذلك العالم؛ ولهذا يُسمّى ذلك الموضع بالميعاد الحقيقي.

٥ . أي ان هذين الاسمين يظهران؛ ولهذا فان الباري عز وجل حين يصوّر هذا الحال يذكر هذين

الاسمين؛ أي انه يجب من يسأل: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ بقوله: ﴿لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

بالباطن، وسقط حكم الظاهر، وظهرت حكومة الباطن^١، يأتي الخطاب عندئذ من حضرة المالك على الاطلاق - ولا مخاطب هناك سوى الذات المقدسة^٢ - ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، ولما لم يكن من مجيب سوى الحق تعالى، فإنه يجيب: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^٣.

[تقرير تأويلي عن نهاية تلقي السالك]

من مباحث التأويل العرفاني الصعبة والمعقدة لسماحة الامام الخميني، هو ما طرحه في تبين عالم القيامة وظهور الموجودات في كل ابعاده. ويمكن توصيف هذا البحث من جانبيين:

أحدهما: من وجهة نظر السالك العارف الذي طوى مراحل السلوك وبلغ مقاماً أزاح فيه كل الحجب وشاهد الوجدانية بعين البصيرة، حيث ظهرت كل التجليات الأسمائية والصفاتية واتضح لديه وادرك فوارق كل اسم من أسماء الله، وكيف ان كل واحد من هذه الاسماء يحيط بالاسم الآخر ويهيمن عليه. وفي هذا المقام حيث تجاوز العارف كل التعينات ولم يعد يرى شيئاً سواه، يطرح هذا السؤال ولكنه ليس سؤالاً لفظياً وانما وجودياً، وهو إن كانت كل التعينات والتكررات فانية، اذا فلمن الملك المطلق؟ ومن الذي يتحكم بكل الوجود؟ وهنا يقول العارف الذي لا يرى في هذا المقام خلقاً ولا امراً ولا اسم ولا رسم، يقول

١. عندما يتجلى حكم الظاهر، تنبثق الكثرات عن الواحد وتظهر، وحين يزول حكم الظاهر ويتجلى

حكم الباطن تجتمع الكثرات في الوحدة وتختفي، ويظهر الواحد .

٢. لأن بساط الكثرات التي كانت تستطيع ان تكون مخاطبة يُجمع، ولا يبقى موجود غيره هو.

٣. آداب الصلاة، ص ٢٧١ - ٢٧٢.

مجيباً عن هذا السؤال انه: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

وأما الجانب الآخر فهو: ما يقدمه من وصف لعالم القيامة وهو العالم الذي تزول فيه كل عتمة وكدورة ولا يبقى فيه موضع للاجساد والاشباح، وليس هناك الا هو ونور عظمته وجلاله والنظر الى كبريائه. ذلك اليوم هو يوم الرجوع التام لكل الموجودات إليه، وبروز الأحدية والملكية المطلقة. وهناك لا يبقى ثمة مُدْعٍ، وانما الكل مستسلمون وفي دهشة. وهو الذي يسأل: ﴿لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟﴾ وهنا في مثل هذا الوضوح لا يبقى ثمة مجيب، ولهذا فهو يجيب: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾. النقطة التأويلية الاخرى هي الاتيان بوصف الوحدانية والقهارية وليس الرحمانية. والسبب في ذلك هو ان ذلك اليوم يكون المجال فيه لظهور هذين الاسمين، وليس موضع بسط وجود الرحمانية والرحيمية.

والمقطع الآخر هو ان بروز هذه الأسماء يوم القيامة يأتي على يد الانسان الكامل والولي المطلق؛ وذلك لكونه مظهراً لكل الأسماء وهو الذي يظهر حاكمية الحق. هذه المباحث الوصفية معرفة لمكانة الله تبارك وتعالى في المراحل النهائية لحركة السالك وتلقاً للقيامة. وبالوصول الى ذروة قمة السلوك والوصول الى الغاية، يلقي نظرة شاملة على الموجودات، ولا يرى بعدها الموجودات تحت قدميه وكل ما يراه من قدرته القاهرة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَ
أُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ٣٠

[استقامة بوجود الإيمان ممكنة]

ان علماء الدين حتى هذه اللحظة من تاريخ حياتهم المضيئة، كانوا في خدمة الاسلام والمسلمين، وناضلوا وجاهدوا في طريق الدفاع عن دين الله وحقوق الشعوب، وعملوا في الاوقات الحرجة على توعية الجماهير بالاطار التي استهدفت الاسلام واستقلال الدول الاسلامية، ولم يتراجعوا امام الضغوط والتهديدات التي يمارسها الظلمة وحكام الجور، ولن يرتضوا الصمت ويرونه غير جائز، ولم يتخلوا عن واجباتهم بسبب الإرهاب والتهديد، ولم يستسلموا للجباية.

فمن غير الممكن ارهاب علماء الدين بالتهديد والوعيد في مقابل تسلط

الظلمة وتحكم الظالمين، فعلماء الدين لا يخشون حراب الجبايرة والجناة، ولن يتخلوا عن واجباتهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَلَا تُبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾. إذن لماذا نخاف؟ ولأي شيء نحزن؟ فهؤلاء ليس بالآدميين، حتى نخشاهم، بماذا يهددنا هؤلاء؟
﴿وَأِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجِلٌ مِنْ حَكِيمٍ

حَمِيدٍ﴾ ٤٢



[خلود احكام الإسلام]

في القرآن شواهد على أن أحكام الإسلام وجدت لتبقى إلى الأبد، ولتكون للجميع، ونورد البعض منها فيما يلي:

١- ﴿وَأِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجِلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ...﴾. وكيف لا يكون كذلك وهو منزل من الله، فهل تريدون أن تحل القوانين الأوربية وقوانين المجلس محل قوانين الإله؛ التي يقول الله بأنه لا يوجد ثمة ما يجعلها باطلة...؟ أفليس هذا نكران للإله؟^١

١. صحيفة الامام، ج ١، ص ١٥٨، من كلمة ألقاها في حشد من العلماء وطلبة العلوم الدينية وأهالي قم؛ وأيضاً راجع: المصدر السابق، ص ١٦٢ - ١٦٣.

٢. المقصود من اقرار القوانين في مجلس الشورى الاسلامي، هي تلك القوانين التي تتعارض مع احكام القرآن الأبدية، المسلم وليس القوانين التي توضع وتُقرّ للحالات التي تُسمى بمنطقة الفراغ، او حالات تفصيل وتمييز الخصوصيات، وذكر مصاديق الاحكام الالهية وتنفيذها وتطبيقها.

٢- الآيات من ٤٨ - ٥٠ من سورة المائدة التي أوردناها خلال طرح السؤال الخامس، وقد جاء فيها أنه لا يحق لأحد إصدار أحكام غير أحكام الله. فلو كانت القوانين الموضوعية هي من هذا القبيل، فذلك شيء جيد، وإلا فإن واضعها يعتبر - بموجب هذه الآيات - كافراً وفسقاً وظالماً.

٣- ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^١.

ولو جاء دين غير الإسلام لما نزلت هذه الآية.

٤- ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَخْوِيلًا﴾^٢. وهذا خير دليل على خلود سنة الله

وتعاليم السماء.

٥- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^٣.

٦- ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^٤.

في هذه الآيات وسواها يصف الله ورسوله بأنه بشير ونذير للعالمين، وبأن القرآن تذكرة للعالمين، ولا شك في أن البشر أينما وجد، وفي أي وقت وجد؛ إذاً وبموجب هذه الآيات فإن هناك رسولا لجميع القوانين، وإن الإسلام هو قانون للعالمين، أينما كانوا، وفي أي عصر عاشوا. وإذا ما كان القانون لعهد معين ولفتة معينة فإن نقضه من قبل الآخرين لا خوف فيه.

٧- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^٥.

١ . آل عمران (٣): ٨٥

٢ . فاطر (٣٥): ٤٣.

٣ . الفرقان (٢٥): ١.

٤ . الأنعام (٦): ٩٠.

٥ . الأنبياء (٢١): ١٠٧.

إن الله يعلن ان محمداً هو خاتم الأنبياء، وانه لن يأتي من بعده قوانين سماوية وإلهية أخرى. وقد أثبتنا من قبل بأن أي قانون سوى قانون الإله لا يعد شرعياً، وأن تقبل القوانين البشرية أمر خارج عن الحكمة، ومناقض لتعاليم القرآن. إذاً؛ فقانون الإسلام الذي هو آخر القوانين السماوية موجود - بحكم هذه الآيات - عبر الأزمنة ولجميع البشر، وقوانين أوروبا المطبقة اليوم في بلدنا ليست سوى حبر على ورق، ولا

ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار.^{٢١}

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ٤٤



١ . المقصود هو بعض القوانين الاوربية التي تتعارض صراحة مع احكام القرآن، والافى الحالات التي سكتت عنها احكام الاسلام او ما يُسمى بمنطقة الفراغ، او لا تتعارض معها، او التي توضع توخياً للمصلحة ويقرّها اهل الاختصاص من الملتزمين باحكام الاسلام، لا تدخل في اطار هذا البحث.

[القرآن هدىً وشفاء]

في أيام العمر، كم قرأنا القرآن الشريف وهو أكبر المعجزات الإلهية وكم سمعناه من الآخرين لكن نور الإيمان لم ينبعث في قلوبنا، ولم تحملنا تلك الآيات على التذكر والتنبيه. والآن تفكر جيداً، وانظر صدر هذه الآية الشريفة وذيلها وهي الآية ٤٤ من السورة المباركة فصلت حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فأين تلك الهداية وشفاء الأمراض الباطنية للذنان يحملان للمؤمنين من آيات القرآن الشريف؟ ما لنا لا تؤثر فينا ولا تدخل في آذاننا وأسماعنا، لا بل تكون لنا حجاباً فوق الحجاب؟ فهذا إذاً ليس إلا لأن نور الإيمان لم يصل إلى قلبنا، وبقيت علومنا ضمن حدها العلمي ولم يرد على لوح القلب.

وهناك آيات كثيرة، في القرآن الشريف، من هذا القبيل، إذ توضح لنا حقيقة حالنا،

ومن خلال تطبيقها على صفاتنا^٢.

﴿سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّهُمُ اللَّهُ الْحَقِّقَ﴾ ٥٣

١. راجع الآيات: ٢- ٤ سورة الأنفال؛ ١- ١١ سورة المؤمنون؛ ١٦٥ سورة البقرة؛ ٣٦- ٤٣ سورة

الشورى وغيرها من الآيات التي وردت في وصف أهل الإيمان.

٢. إشارة إلى تطبيق المعاني والمضامين العرفانية للقرآن على الحالات والظروف النفسية للإنسان.

والمقصود هو تطبيق ما وقع تاريخياً واجتماعياً على النفس. من ذلك على سبيل المثال أن القرآن

قد سرد أحوال الأنبياء السابقين وامنهم، ويأتي العارف ويطبق هذه الوقائع المعنوية على نفسه.

وقد ورد ذكر هذه المباحث بالتفصيل في الفصل السادس من الجزء الأول من هذا الكتاب.

٣. شرح حديث العقل والجهد، ص ٩٤- ٩٣.

[كتاب التكوين والتدوين الإلهي]

إن كل موجود حتى الجماد والنبات كتاب الهي، يقرء السالك الى الله و
 المجاهد في سبيله منه الأسماء والصفات الإلهية بمقدار الوعاء الوجودي له:
 وفي كل شيء له آيةٌ تدل على انه واحد
 بل عند استهلاكه في غيب الهوية^١ و حضرة الجمع الاحدية^٢ يكون كوناً
 جامعاً لجميع مراتب الاسماء والصفات، و عالماً مستقلاً في كل الاشياء. و في
 الآثار عن الرضا، عليه السلام: «قد علم اولو الالباب كل ما هناك لا يعلم الا بما
 هاهنا»^٣

ثم اعلم ان الإنسان الكامل لكونه كوناً جامعاً و خليفة الله في الأرضين و آية
 الله في العالمين كان اكرم آيات الله و اكبر حججه؛ كما عن مولانا و سيدنا امير
 المؤمنين، او عن سيدنا الصادق، عليهما الصلاة و السلام:
 «ان الصورة الانسانية اكبر حجج الله على خلقه؛ و هي الكتاب الذي كتبه

١. من أشعار أبي العتاهية. راجع: ديوان أبي العتاهية، ص ١٠٤.

٢. المقصود من غيب الهوية الذي يُسمى أيضاً بالغيب المطلق ذات الباري تعالى من حيث لا اعتبار
 لما سواه وبفض النظر عن غيره.

٣. المقام الذي يعود فيه السالك عن الالتفات عما سواه ويكون توجهه نحو كلياً نحو الله وبعبارة
 اخرى يفنى فيه.

٤. حين يصل الانسان الى مقام الفناء يسمى بالكون الجامع (اي الجامع لكل الاسماء والصفات)
 والحضرة الجامعة (اي الجامع لحضرة الغيب المطلق وحضرتي الغيب المضاف وحضرة
 الشهادة).

٥. و قد علم أولو الأبواب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما هي هنا . توحيد الصدوق، ص

بيده؛ و هي مجموع صورة العالمين، الى آخر الكلام.^١ على قائله الصلاة و السلام. فهو بوحدته واجد لجميع مراتب الغيب و الشهادة؛ و ببساطة ذاته جامع لكل الكتب الالهية؛ كما في الآثار العلوية، صلوات الله عليه:

أتزعم أنك جرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبر^٢

و قال الشيخ الكبير محيي الدين ابن عربي الاندلسي:

أنا القرآن و السَّبْعُ المشاني و روحُ الروح لا روحُ الأداني^٣

و انتبه يا اخا الحقيقة من نوم الغفلة، و افتح عين قلبك، و بصر فؤادك، و اقرأ كتاب نفسك كفى بها شهيداً. قال تعالى: ﴿سَتْرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ اللَّهُ الْحَقَّقَ﴾^٤. و قيل:

ليس من الله بمستكّر ان يجمع العالم في واحد^٥

و ما دام تكون في غشوة عالم الطبع و سُكر خمر الهيولى^٦ لا يمكنك شهود نفسك و نفسيتك، و قراءة كتاب ذاتك و زبور حقيقة وجودك.

١ . لم تُنقل هذه الرواية في المصادر الحديثية المعتبرة، و حتى لم ترد في كتب عرفانية مثل

الفتوحات المكية و فصوص الحكم.

٢ . هذه الأشعار مستقاة من ديوان علي بن أبي طالب المنسوب الى الامام امير المؤمنين. راجع:

الديوان المنسوب إليه، ص ١٣٤ . وكذلك في ما يخص اصل الديوان و صحة نسبه اليه، راجع:

دانسانامه امام علي (مسوسوعة الامام علي)، ج ١٢، مقالة الشيخ مهدي المهريزي، ص ٢٢٠.

٣ . الفتوحات المكية، ج ١، ص ٧٠.

٤ . فُصِّلَتْ (٤١): ٥٣.

٥ . من أبيات لأبي نؤاس أنشدها في مدح يحيى البرمكي. الديوان، تحقيق احمد عبد المجيد

الغزالي، ص ٤٥٤، دار الكتاب العربي، بيروت.

٦ . المقصود كونه في اغلال عالم الطبيعة و المادة، و حرمانه من وصال عالم التجرد.

فاخرج من هذه القرية الظالمة المظلمة و الدار الموحشة المستوحشة و النشأة الكدرة الضيقة و اقرأ و ارق.^١

و اخرق حجاب الطبع و الطبيعة؛ فإنك من عالم القدس و الطهارة و دار النور و الكرامة^٢؛ كما قال العارف الشيرازي، قدس سره:

فاذا خرقت الحجب الظلمانية رأيتَ ظهور الحق في كل الأشياء، و احاطته عليها، و انها آياته و بيناته الدالة بكمالاتها على كمال منشئها و بارئها.^٣

[افضل البراهين في نفس الوجود الإنساني]

الإنسان في غفلة عمّا هو برهان عليه، و عن الحقائق المعبرة عن ذلك، و كلّ البراهين على المعاد و النبوة و التوحيد و العقائد الإسلامية الاثني عشرية الحقّة موجودة بكلّ وضوح في النفس الانسانية، بل كلّ ذرة منها تعبير عن سرّ هو في

١ . هذه الجملة «اقرأ و ارق» جاءت تمة لرواية و ردت في فضل القرآن، و الرواية هي: عليكم بتلاوة القرآن، فان درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فاذا كان يوم القيامة، قيل لقاري القرآن اقرأ و ارق، فكلّما قرأ آية يرقى درجة. (وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٨٤٢، نقلاً عن المجالس).

٢ . عبارة الشعر بالفارسية:

تورا ز كنگره عرش می زنند صغیر ندانمت که در این دامگه چه افتاده است
الخواجة حافظ الشيرازي، ديوان، ص ١٩، تحقيق السيد ابو القاسم انجوي.

٣ . المقصود هو العارف الشيرازي حافظ الشيرازي، الذي يقول:

چاك خواهم زدن اين دلّو ربايي چه كنم روح را صحبت ناچنس عذابى است الميم
المصدر السابق، ص ١٩٢.

٤ . شرح دعاء السحر، ص ١٤٦ - ١٤٨.

غاية الجلاء ولكننا نظنه في غاية الستر والخفاء ﴿سَتْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي
أَنْفُسِهِمْ﴾^١

كل نبات ينبت من الأرض يقول وحده لا شريك له^٢

١ . اشارة الى انه يوجد في نفس الانسان وفي حقيقته الوجودية برهان على اصول العقائد، كالتوحيد والنبوة والمعاد . فان كان في عالم التكوين الكبير برهان، فهذه الآية موجودة في ذات الانسان بتلك النسبة نفسها، وهي تدلنا على هذه الاصول.

٢ . قرارات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٣٠ .



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿وَ كَذٰلِكَ اَوْحٰنَا اِلَيْكَ قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ اُمَّ الْقُرٰى وَمَنْ حَوْلَهَا وَ تُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ

لَا رَيْبَ فِيْهِ فَرِیْقٌ فِی الْجَنَّةِ وَ فَرِیْقٌ فِی السَّعِیْرِ ﴿٧

[الْقِيَامَةُ يَوْمَ سَقُوطِ الْحَجَبِ]

وذلك اليوم المطلق - وهو يوم خروج شمس الحقيقة من حجاب أفق التعينات - هو - بأحد المعاني - «يوم الدين» لأن كل موجود من الموجودات

يفنى في ظلّ الاسم المناسب له في الحق تعالى.

فإذا انطلقت «نفخة الصور»، ظهر من هذا الاسم واقترن بتوابع ذلك الاسم^١
﴿فَرِيقٌ لِّمِ الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ لِّمِ السَّمِيرِ﴾^٢.

﴿فَلِلَّذِلكِ فَادَعُ وَ اسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتِ وَ لا تَتَّبِعِ أَهْواءَهُمْ وَ قُلْ آمَنْتُ بِما أُنزِلَ اللهُ مِنْ كِتابٍ وَ أَمَرْتِ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنا وَ رَبُّكُمُ اللهُ لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمُ أَعْمالُكُمُ لا حُجَّةَ بَيْننا وَ بَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْننا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ١٥

[الاستقامة من لوازم عمل الأنبياء]

لما بدأ الانبياء دعوتهم كانوا وحيدين. فموسى كان وحيداً، والرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما أمر بالدعوة كان وحيداً ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ أي انهض وادع الناس، لقد بدأ الدعوة من نفسه. عندما أعلن نبوته آمن به امرأة واحدة وصبي، لكن الاستقامة - وهي من ضروريات قيادة الأنبياء الكرام - كانت متجسدة وبشكلها الكامل في الرسول الأكرم: ﴿اسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتِ﴾^٣ انهض واستقم.

إن هذين الأمرين كان لهما دور كبير في نجاح نبي الإسلام بتحقيق أهدافه الكبيرة: النهوض والاستقامة... فقد كان سر انتصار جيش الإسلام في صدر

١ . كل موجود مظهر لاسم من اسماء الله، وفي الختام يفنى في الله عن طريق هذا الاسم المناسب له،

وعندما تقوم القيامة يظهر بذلك الاسم أيضاً.

٢ . آداب الصلاة، ص ٢٧٢.

٣ . الشورى (٤٢): ١٥.

الإسلام رغم عدم امتلاكهم للعدة الحربية يكمن في القيام لله، فالنهوض لله والإيمان بالله هو الذي جعل النبي الأكرم ينتصر. إن عدم اليأس والاستقامة في سبيل الله كانتا وراء انتصار النبي^١.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ﴾ ﴿لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ٢٣



[عودة معطيات مودة نوي القريبى علينا]

إن عالم الملك هذا مع كل ماله من عظمة، أضيّق من أن يحتوي على واحدة من خلل الجنة، وإن أعيننا لاتطبق رؤية شعرة واحدة من شعر حور العين، وتكون كل هذه المنوبات صوراً ملكوتية لتلك العقائد والأعمال والتي أدركها الأنبياء العظام، خصوصاً صاحب الكشف الكلبي والكتاب الجامع خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله)، أدركوها بالوحي الإلهي ورأوها وسمعوها ودعونا إليها، ونحن المساكين كالأطفال، المتمردين على حكم العقلاء بل المخطفين لهم، قد واجهناهم دائماً بالعناد والمحاربة والانفصال، ولكن تلك النفوس الزكية والأرواح الطيبة الطاهرة - الأنبياء - بما يكون لديهم من الرأفة والرحمة بعباد الله، لم يقصروا أبداً في دعوتهم، على الرغم من جهلنا وعنادنا، وساقونا نحو الجنة والسعادة بكل ما يملكون من القوة وأساليب الدعوة دون أن يريدوا منا جزاءً

ولا شكوراً.

وحتى عندما يحدد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) أجره بـ ﴿الْمَوْدَّةِ فِي الْقُرْبَى﴾^١ فإن صورة هذه المودة في العالم الآخر قد تكون بالنسبة إلينا أعظم الصور نوراً ووعظاً. وهذا هو أيضاً من أجلنا نحن ومن أجل وصولنا إلى السعادة والرحمة، إذ؛ فأجر الرسالة عائد إلينا أيضاً، ونحن الذين ننتفع به^٢.

﴿وَمَنْ يَتَّزِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ٢٣

[سير الآداب والسلوك]

إذن، فأدب الحضور المطلوب منا التحلي به، هو اعتبار محضر الحق ابتداءً كمحضر سلطان عظيم، مما يدرك القلب عظمته، إذ إننا لم نرتق بعد من مرتبة الحسن والظاهر، ولا نبصر سوى العظمة والجلال الدنويين، ونجهل أشكال

١. تمام الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. ولا بد من التنبيه الى انه قد وردت عن طريق السنة وعن طريق الشيعة أحاديث كثيرة تبين ان المراد من المودة في القربى (ذوي القربى) هم أهل بيت النبي، أي علي وفاطمة والحسن والحسين. في هذا المجال، راجع: الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ٢، ص ١٣٠، ح ٨٢٢ - ٨٢٨ مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٧٢؛ تفسير الكشاف، ج ٣، ص ٤٠٢. وفي المصادر الشيعية، بحار الانوار، ج ٢٢، ص ٣٢١، ح ١١ و١٢.

٢. هذه المودة والمحبة تنعكس معطياتها لنا في العالم الآخر وبها تكون السعادة. وتكمن فائدة هذه المودة في سبيلهم والاهتداء بهديهم. ولهذا يعني ان المودة في القربى تعود علينا بالخير.

٣. الاربعون حديثاً، ص ٤٣ - ٤٤.

العظمة الغيبية الإلهية.

بعدها علينا إفهام قلوبنا بأن جميع أشكال العظمة والجلال والكبرياء هي مظهر لعالم «الملكوت»، الذي تنزل في هذا العالم؛ ولما كان عالم الملكوت ليس له قدرٌ محسوس مقارنة بالعوالم الغيبية، فعلى أن نفهم قلوبنا بأن العالم هو محضر الحق المقدس، فالحق تعالى حاضرٌ في كل مكان وحيز، سيّما في الصلاة التي تعدُّ بمنزلة الإذن الخاص بالحضور والموعد المخصوص للملاقاة والمرادة للحضرة الأحدية.

ثم إذا استشعر القلب هذه العظمة والحضور - وإن كان ذلك في البداية تكلفاً - فإنه سيأنس بالصلاة تدريجياً، ويتحول ذلك الاستشعار المجازي الى حقيقة ثابتة.

ونحن اذا تحلينا بالآداب الصورية للتعامل مع مالك الملوك وسلطان السلاطين وحرصنا على الالتزام بآداب الحضور الظاهرية، فإن ذلك سيبترك تأثيره على القلب، فيستشعر القلب العظمة، ويصل الانسان بذلك الى النتائج المتوخاة تدريجياً.

وهذا يصدق على حالة استثارة الحب والعشق، فذلك مما يحصل بالمواظبة والرياضة ايضاً.

فاذا عرفنا القلب - بادئ ذي بدء - بأشكال الرحمة الصورية والالطاف الحسية للحق تعالى، وأوصلنا اليه مقام الرحمانية والرحيمية والمنعمية، فإن القلب سيأنس تدريجياً، وينتقل التأثير من الظاهر الى الباطن، فتشرق مملكة الباطن نتيجة تأثير الجمال فيها وتحقق الآثار المطلوبة ايضاً.^١

١ . اشارة الى التأثير المعنوي والروحي للصلاة في ازالة الحجب وهو ما سنشير اليه لاحقاً في كتاب

إن الانسان اذا قام بأداء الأوامر وجاهد في سبيل الله، فإن الحق تعالى سيأخذ بيده ويعينه^١ ويخرجه من ظلمات عالم الطبيعة بسبب غيبي، وينير أرض قلبه المظلمة بنور جماله، ويدلها الى سماوات روحية: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^٢.

﴿وَلَمَنْ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ٤١
 ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٤٢

[سبب استثناء تظلم المظلوم من حرمة الغيبة]

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ٤١
 ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وهو أوضح دلالة وأشمل مفاداً من الآية المتقدمة^٣، سواء كان المراد من الانتصار طلب النصر كما هو أحد معانيه؛ يقال: انتصر على خصمه إذا استظهر،

آداب الصلاة، ص ١٩٥.

١. اضافة الى الاستناد الى الآية المشار اليها وهي: ﴿ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنة﴾ وان الصلاة لها مثل هذا التأثير، يشير الى الآية الشريفة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت (٢٩): ٦٩).

٢. آداب الصلاة، ص ١٢٤ - ١٢٥.

٣. اشارة الى الآية ﴿لَا يُجِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ (النساء (٤): ١٤٨) في جواز تظلم المظلوم.

أو الانتقام من الظالم^١.

أما على الأول فلأن مقتضى إطلاقه جواز الاستنصار وطلب النصر من كل من يرجو منه ذلك، والياً كان أو غيره. ولازمه جواز ذكر مساءة الظالم وغيته عند من يرجو منه النصر، كان الظالم متجاهراً أم لا، والسامع عالماً بمساءته أم لا.

وأما على الثاني فلأن جواز الانتقام من الظالم مستلزم لجواز الانتصار من الغير، وإلا فقلماً يكون المظلوم بنفسه يمكنه الانتقام من ظالمه، والانتصار ملازم لذكر مساءة الظالم كما مر، ولا أقل من أن إطلاق الانتصار يقتضي جواز انتقامه بمعاونة الغير كعشيرته وقبيلته إذا لم يمكنه بنفسه وهو ملازم للغبية.

ثم إن مقتضى ظاهر الآية جواز إعانة الغير إذا استعان المظلوم لدفع ظلامته والانتقام من الظالم، فإذا جاز للمظلوم الانتقام من الظالم وتوقف نوعاً على الاستعانة بغيره كعشيرته وأحبته وغيرهما جاز لهم نصره بظاهر الآية ولو بملازمة عرفية.

نعم، لا يجوز لهم التعرض للظالم بأغراضهم لالكونهم آلة ووسيلة للانتقام للمظلوم. هذا على المعنى الثاني، وأما على المعنى الأول فالأمر أوضح.

وربما يقال: أن لا إطلاق في الآية من جهة كيفية الانتصار، بل هي بصدد بيان أن لكل مظلوم يجوز الانتصار^٢، والمتيقن منه جواز الاستنصار من الوالي والقاضي. وفيه: أن الآية سقت لبيان جواز الانتصار بعد الظلم مقابل الظلم الابتدائي، فلا إشكال في إطلاقها من هذه الحيثية. إلا أن يقال: إنها بصدد بيان عدم السبيل للمظلوم دون الظالم، وبيان صرف مقابلهما، فلا إطلاق فيها من جهة

١. المنجد، ص ٨١٢.

٢. راجع: حاشية المكاسب للفاضل الإيرواني، ص ٣٦، في حرمة الغيبة.

كيفية الانتصار^١. لكنّه أيضاً غير وجيه، لأن الظاهر منها أنها بصدد بيان الجملة الأولى كما تشهد به الآيات المتقدّمة عليها وإنّما ذكرت الجملة الثانية تطفلاً^٢.

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ
الْأُمُورُ﴾ ٥٣

[رجوع الجميع إليه]

ومعنى الربوبية في ذلك المقام المقدس، التجلي بمقام الألوهية فتتعيّن جميع الأسماء بذلك التجليّ والعين الثابتة للإنسان الكامل تتعيّن أولاً وتتعيّن سائر الأعيان في ظلّه^٣. والرحمانية والرحيمية إظهار تلك الأعيان عن غيب الهداية إلى أفق الشهادة المطلقة^٤ وإيداع فطرة العشق وحب الكمال المطلق في خميرتهم ليصلوا بتلك الفطرة العشقية السائقة والجذبة القهرية المالكية التي أخذت بناصيتهم إلى مقام الجزاء المطلق وهو الاستغراق في بحر كمال الواحدية ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾^٥. فهذه الطريقة غاية الآمال ونهاية الحركات ومنتهى

١. راجع: حاشية المكاسب للفاضل الإيرواني، ص ٣٦، في حرمة الغيبة.

٢. المكاسب المحرمة، ج ١، ص ٤٢٩ - ٤٣١.

٣. تنزّل وتتعيّن من تجلي الذات الاسماء والصفات، ومن تجلي الاسماء، الأعيان الثابتة (عين الثابت الإنسان الكامل أولاً والأعيان الأخرى ثانياً وفي ظلّه) من مقام الاجمال حيث مقام لا إسم ولا رسم.

٤. يبدأ نزول وظهور الأعيان من الحضرة الالهية، ومن بعد اجتياز مرتبة الأرواح المجردة ومرتبة النفوس العاملة التي هي عالم المثال، تنتهي الى مرتبة الشهادة المطلقة وهي عالم الملك والمادة.

٥. الشورى (٤٢): ٥٣.

الاشتياقات ومرجع الموجودات ومعشوق الكائنات ومحجوب العشاق ومطلوب
المجذوبين الذات المقدسة. وإن كانوا محجوبين عن هذا المطلوب ويرون

أنفسهم عابداً وعاشقاً وطالِباً ومجذوباً للأمور الأخرى.^١



١ . تحليل عرفاني لعودة جميع الموجودات الى الذات الالهية المقدسة ورجوع جميع الافعال
والحركات والاشتياقات إليه، سواء شامت أم أبت ذلك، وسواء كان ذلك عن وعي منها أم من
غير وعي. وهذا المعنى يُستفاد من عموم مضمون الآية.

سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ
وَآتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٧١

[عدم استبعاد تفضل الجواد المطلق في القيامة]

إن جميع العلوم الأخروية لاتخرج عن إطار الحالات الثلاثة أما من قبيل العلم بالله والمعارف الإلهية، أو من قبيل علم تهذيب النفس والسلوك إلى الله أو من قبيل علم الآداب وسنن العبودية. ونقول هنا بأن تعبير نشأة الآخرة يرتبط بهذه الأمور الثلاثة. وعليه تكون الجنة أيضاً منقسمة إلى جنات ثلاث:

أحداها: جنة الذات وهي التي تكون غاية العلم بالله والمعارف الإلهية.

وثانيها: جنة الصفات وهي نتيجة تهذيب النفس وترويض الروح.

وثالثها: جنة الأعمال وهي صورة أداء العبودية وآثارها، وهذه الجنات

لا تكون معمورة ومشيدة. وكما أن أرض «جنة الأعمال» قاع^١ - مسطحة ومستوية - فكذا أراضي النفس في بدء الأمر مستوية ولا شيء فيها. ويكون عمرانها تابعاً لعمران النفس.

وإذا لم يُعمر مقام الغيب للنفس بالمعارف الإلهية، والجذبات الغيبية الذاتية، لم تحصل للإنسان «جَنَّةُ الذَاتِ وَاللِّقَاءِ». وإن لم يهذب الباطن^٢، ولم يتحلَّ الداخل، ولم تقوَ الإرادة والعزم ولم يكن القلب محل تجلِّ للأسماء والصفات، لم تكن «جَنَّةُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ»^٣ التي هي الجَنَّةُ المتوسطة، للإنسان، وإن لم ينهض الإنسان بالعبودية، ولم تتطابق أعماله وأفعاله وحركاته وسكناته مع أحكام الشريعة، لم يحصل على «جَنَّةِ الْأَعْمَالِ» التي ﴿لِيَهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾^٤.

[بناء الله على التفضل وبسط الرحمة]

إن ذلك العالم قائم على التفضل وبسط رحمة الحق اللامتناهية، ومن المعلوم أنه لاحدود لتفضل الحق المتعالي، وأنه لمن منتهى الجهل إستبعاد تفضل ذي الجود المطلق، وذي الرحمة اللامحدودة.

١ . إشارة للحديث النبوي الشريف: الجنة قيعان وإن غراسها سبحان الله وبحمده. . علم اليقين، ج ٢ ص ١٠٦٠.

٢ . قال البعض ان السرّ يعني النفس الانسانية الناطقة، وقال آخرون انه يعني مخفّفها (أي بمرتبة أو مرتبتين).

٣ . يعني إن لم يكن في السير والسلوك تهذيب وتطهير، لا يستطيع القلب أن يكون موضع ظهور وبروز الأسماء والصفات الإلهية، وان تتحقق عينية تلك الأسماء.

٤ . الاربعون حديثاً، ص ٤١٢ - ٤١٣.

إن النعم التي منحها سبحانه لعباده والتي تحير وتعجز العقول عن إحصاء مفرداتها بل هي عاجزة عن إحصاء كلياتها، هذه النعم كانت من دون طلب واستحقاق، فما هو المانع، أن يتلطف الحق سبحانه على عباده، انطلاقاً من تفضله البحت ومن دون أي سبب، أضعافاً مضاعفة من الأجر والثوبة؟ وهل نستطيع أن نستبعد المكافأة العالية والكثيرة في عالم قد قيل فيه: ﴿لِيَهَا مَّا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ موضوع تحت تصرف إرادة الإنسان رغم عدم وجود حدٍّ محدود لمشتريات الإنسان؟ إن الله سبحانه قد خلق عالم الآخرة وخلق إرادة الإنسان بصورة لو أراد الإنسان شيئاً لتحقيق ذلك الشيء بنفس إرادته...

عزيزي! إذا فرضنا بأننا إذا كنا طيلة حياتنا التي نعيشها خمسين أو ستين عاماً، من الملتزمين لكل الوظائف الشرعية، ارتحلنا من هذه الدنيا مع إيمان صحيح وعمل صالح وتوبة مقبولة فماذا نستحق من الجزاء لهذا القدر من الإيمان والعمل؟ مع أن هذا الإنسان حسب القرآن الكريم والسنة النبوية واتفاق جميع الأمم، تشمله رحمة الحق سبحانه، ويدخل الجنة الموعودة، هذه الجنة التي يخلد الإنسان في نعمها ورفاهها، ويعيش إلى الأبد في الرحمة والروح والريحان، ولا مجال لإنكار ذلك أبداً، مع أنه إذا أردنا أن نقارن الجزاء بالعمل - على فرض أن يكون لعملنا مكافأة^٢ - لما استحق هذا القدر من الجزاء الذي يعجز العقل عن

١. أي تتفق جميع الأديان الالهية بأن ينال ثوابه وما يستحقه من الأجر. راجع: علم اليقين، ج ٢، ص ١٠٨٠؛ والأسفار الأربعة، ج ٩، ص ٢٩٤.

٢. المقصود هو ان ما يعطيه الله في مقابل أعمالنا تفضل منه، وليس استحقاقاً او اداء لدين لنا. اذ نكون اصحاب استحقاق فيما لو كُنَّا نعمل بالاضافة الى ما يرد النعم الالهية الممنوحة، في حين ان أعمالنا مهما كانت فانها لا تضاهي ولا حتى نعمة واحدة من نعمه. في هذا المجال، راجع: بحار الانوار، ج ٥، ص ٣٣٥ و ج ٧، ص ٢٨٦.

تصور كميته وكيفيته.

فيظهر أن القضية لا ترتبط بمقارنة المكافأة مع العمل، بل تكون منوطة بشيء آخر - الرحمة الواسعة الإلهية - وعليه لا يبقى مجال لاستبعاد هذه المكافأة العظيمة على عمل صغير، ورفضها.^١



[كيفية قدرة الإنسان على ايجاد الجنة]

في النشأة الاخرى تستطيع النفس ايجاد موجودات وأجرام ومقادير جرمية وتكون قادرة على ايجاد جنة عرضها من المشرق الى المغرب، وتكون أيضاً قادرة على ايجاد اشجار وأنهار وكل ما تشتهي؛ ﴿وَلِيَهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾^١. والشاهد على ذلك طبعاً الاحاديث التي نقلها كل الاصناف من طوائف المليين، كالحديث الذي يقول: لا يقول أحد من أهل الجنة لشيء كُن إلا ويكون.^٢ وهذا لا يتنافى مع وجود جنة تُبذل لكل مؤمن، وان تكون تلك الجنة ونعمها من غير معاليل النفس، التي تكون ثواباً ونتيجة لأعمالهم وتُعطى لهم. كما تدل على هذا المعنى ضرورة المليين وصريح الآيات والأحاديث.

وعلى أية حال فان المسألة الجديرة بالتأكيد في هذا الأصل هي ان بدن النفس غير معلول لها في نشأة الآخرة وغير مخلوق بفعاليتها، بل ان ذلك البدن

١. الاربعون حديثاً، ص ٤٨٥ - ٤٨٦.

٢. الزخرف (٤٣): ٧١.

٣. علم اليقين، ج ٢، ص ١٠٦١.

هو النفس التي هي ذات هذا البدن، ويكون ايجادها واعدامها مساوق لاعدام أو ايجاد ذاته. ومن غير الممكن ان يوجد الشيء بفعالية ذاته؛ لأن هذا يستلزم الدور الباطل صراحة^١.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ ٨٤

[مراتب و درجات الوصول بالحق]

و أنت بما تلونا عليك من البيان و رفعنا الحجب عن بصيرتك بالعيان تقدر، بحمد الله القادر المنان، على توفيق كلمات أصحاب الكشف و المعرفة الذوقية، و أرباب الحكمة و الطريق البرهاني. ألا، و إنها غير متخالف الحقيقة، و إن كان القائل بها متفاوت الطريقة. فإن السلوك إلى الله بعدد أنفاس الخلائق^٢، و إن كان المقصد هو الله الخالق. حيث قال الطائفة الأولى في ذلك المقام إنه، تعالى قدسه، ظهر في مرثي التعينات و ملابس المخلوقات، و مجلى الحقائق و مهبط الرقائق^٣؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ ٨٤ و عن النبي، صلى الله عليه و آله و سلم: «لو دكيتم بحبل إلى الأرض السفلى، لهبطتم

١ . تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥٨٤ - ٥٨٥.

٢ . اشارة الى الحديث النبوي: «الطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق» ولم ترد هذه الرواية في المصادر الحديثية، وانما وردت في الكتب العرفانية. راجع: الأملي، المحيط الأعظم، ج ١، ص ٢٣٦ وكذلك مقدمة شرح القيصري، الفصل ١٢؛ شرح گلشن راز، ص ١٥٣.

٣ . بتجليات الحقيقة الأعلى تظهر الى الوجود رقائق تمثل كل واحدة منها مرتبة من المراتب المرققة لتلك الحقيقة. و كل واحد من المخلوقات مهبط رقيقة من تلك الرقائق؛ وهذا ما يجعلها كلها مبنية لتلك الحقيقة.

على الله^١، وورد إشارة إلى ذلك أن معراج يونس، على نبينا وآله و عليه السلام، كان في بطن حوت^٢؛ كما أن معراج رسول الله (ص) بعروجه إلى فوق الجبروت. وقال الطائفة الأخرى إن سلسلة الموجودات من عالمي «الأمر» و «الخلق» مراتب فعله و مدارج خلقه و أمره^٣؛ و أنه، تعالى قدسه، منزّه عن العالمين و مقدّس عن النزول في محفل السافلين: و أين التراب و ربّ الأرباب!^٤



[حضور و سريان و انتشار الحق]

و قد ثبت عند ارباب التحقيق و اصحاب التدقيق ان المصداق الذاتي للشيء ما لا يكون لانتزاع مفهومه عنه محتاجاً إلى دخل حيثية تعليلية او تقييدية؛ بل مع عزل النظر عن كل شيء و حيثية ينتزع منه؛ و إلا لم يكن المصداق مصداقاً

١. الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، ج ٥، ص ٤٠٤، ذيل السورة ٥٨، ح ٣٢٩٨؛ وكذلك

علم اليقين، ج ١، ص ٧٨ (باختلاف ضئيل)؛ مقدمة القيصري، الفصل ١.

٢. لم نشر على رواية في ما يخص معراج يونس في بطن الحوت، الا أن الفيض الكاشاني أشار الى

هذه المسألة: علم اليقين، ج ١، ص ٧١٥، الباب ١٠ من مقصد الثالث.

٣. ان عالم الأمر الذي يُسمّى عالم القضاء هو عالم المجردات. وعالم الخلق الذي يُسمّى أيضاً عالم

الملك والناسوت، هو عالم الكائنات والموجودات الجسمانية.

٤. ذكر عز الدين الكاشاني ان موسى ﷺ عندما سأل ربه أن ينظر إليه جاءه النداء من السماء: «ما

للتراب و ربّ الأرباب؟!» مصباح الهداية الكاشاني، ص ٢١٠؛ وأيضاً، راجع: مرصاد العباد، ص

٢٨؛ الكلمات المكنونة، ص ١٢؛ شرح گلشن راز، ص ٧٤٦ - ٧٥٩؛ الإسرار الحكم، ص ٢٣.

٥. مصباح الهداية، ص ٤٧ - ٤٨.

بالذات. و الفيض المنبسط

على الأشياء المجامع كل شيء ظل الوجود اللا بشرط لا بشرط لا. ^١ فليتدبر في قوله [تعالى] ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^٢، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^٣، ﴿أَلَا إِلَهَ إِلَّا سُبْحٰنُ مَحِيطٌ﴾^٤، ^٥، ^٦



١ . الفيض المنبسط هو الفيض المقدس ويسمى أيضاً بالوجود المنبسط والنفس الرحمانية، هو الفيض الذي حصل به عين تحقيق الاعيان الثابتة في العالم . وهذا الفيض هو ظل الوجود الالهي. والوجود الالهي كما يعتقد العارف وجود لا بشرط (اي انه متحرر من كل قيد حتى قيد الاطلاق)، وليس وجود بشرط لا (اي مقيد بالخلو من جميع الحدود) كما يعتقد الفلاسفة المشاءون.

٢ . الحديد (٥٧): ٤.

٣ . الحديد (٥٧): ٣.

٤ . فَصَّلَتْ (٤١): ٥٤.

٥ . شرح في ذيل الآية ٣ و ٤ من سورة الحديد وُفصِّلَتْ: ٥٤، كيف ان الله حاضر في كل مكان ومحيط بكل شيء.

٦ . شرح دعاء السحر، ص ١١٦؛ وأيضاً راجع: المصدر السابق، ص ٨٢ - ٩٩؛ آداب الصلاة، ص ٢٤٥.

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ﴾ ٨٤

[استدلال القائلين بالتناسخ بين التعذيب والحياة الدنيوية]

ومن الشبهات التي يذهب إليها أهل التناسخ قولهم: لا بد ان يُعاقب الجاحدون ومنكرو الحق وأهل المعصية والطاغوت على الله ويروا نتائج اعمالهم، وهذا ما تقتضيه ضرورات الشرائع وطبقاً للعقل وآيات القرآن والأخبار، ولا بد طبعاً ان يكون العذاب في عالم يتناسب مع التعذيب، وهذا هو عالم الدنيا الذي هو اكر

العالم وأظلمها. إذا فهم سيُعَذَّبون هنا ويحترقون في نار الطبيعة هذه. وطبقاً لمفاد الآيات الشريفة فانهم سيدوقون عناء الموت هنا، وسوف تسكن أرواحهم في اقفاص وأجسام حيوانات دنيئة ﴿كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾^١ وإذا خرجت أرواحهم من جسم حيوان بسبب موته وتحلله وتفسخ مكونات جسمه، بعدما تلقى فيه ما تلقى من العنت والعذاب والقيود، تدخل في بدن حيوان آخر، وبهذا فهي تموت عدة مرّات على هذا النحو: ﴿كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^٢ كما تدلّ الآية على تعدد موت الفساق. وطبعاً لا يكون تعدد الموت الا بالنحو الذي ذكرناه من التناسخ. ومع أن الآية تتحدث منطوقاً عن أحوال أهل السعادة، إلا انها مفهوم دالة على ما قلناه، والآية هي: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^٣ فأهل السعادة إذا خرجت أرواحهم من هذا البدن لا يحصل لها تناسخ في أبدان اخرى، وبالنتيجة لا يحصل لهم تعدد الموت، وإنما يموتون الموتة الأولى التي بها يكون تجردهم، ثم تكون استراحتهم وهم في غاية السعادة.

وعلى العموم فان كلمة جهنم مشتقة لغة من الجهنام وهو قعر البشر والحفرة المظلمة.^٤ وعالم الامكان بثر وعلى رأس ذلك البشر العقل الأول وفي قعر هذا البئر العميق تقع الدنيا. وطبعاً تلك العوالم العليا أطف وأصفى من الدنيا، والدنيا أكدر وأظلم منها. والعذاب يتناسب مع العالم الكدر والمظلم لا مع العالم

١ . السجدة (٣٢): ٢٠.

٢ . النساء (٤): ٥٦.

٣ . الدخان (٤٤): ٥٦.

٤ . لسان العرب، ج ٢، ص ٤٠٤.

الألطف والأصفي. ولعل مثل هذا الكلام - وان لم يكن يدخل في باب التناسخ - قيل من قبل أولئك الذين يعتبرون الدار الدنيا دار الجنة ودار النار. فالذين سقطوا في هاوية الدهر ويتعذبون في الرذائل والملكات الأخلاقية السيئة والعادات القبيحة، وكل ما يقع من وقائع في هذا العالم تزيدهم كرباً وهمماً، هؤلاء يحترقون بنار القبيح من اخلاقهم وصفاتهم ومجاداتهم، وهم طبعاً على خلاف الذين يتصفون بأخلاق حسنة، ولديهم ثقة تامة بربهم وعليه يتكلمون، ويكتسبون الكمالات ويحصلون على نصيبهم من الاحداث والوقائع التي تقع في هذا العالم ويلتذون بها بفضل حسن سيرتهم واعتدال اخلاقهم.

[تفنيد استدلال القائلين بالتناسخ]

وجواب آراء أهل التناسخ وغيرهم هو أن القرآن والاحبار الشريفة فيها الكثير من الأوصاف التي تتحدث عن أهوال الآخرة، تحكي شيئاً غير هذا، بل أنها لا تتناسب أصلاً مع عالم الدنيا. وكون العالم أصفى وألطف تأكيد للعذاب وتأكيد للعقاب وليس مؤشراً على عدم التناسب معه. فالصفاء ليس دليلاً على عدم التناسب. كما ان الكدورة والظلمة ليست دليلاً على التناسب؛ وذلك لأن هناك عدة أمور تؤدي الى جعل العذاب أشد وأوكد، وإذا انعدمت هذه الامور يضمحل العذاب ويتقلص الألم. وهذه كلها تتعلق بعالم فوق هذا العالم. والعذاب في هذا العالم ضعيف وشدة العذاب غير ممكنة فيه، خاصة وان الانسان يتعذب بالتناسخ في أبدان الحيوانات. فلو صار حماراً مثلاً، هل يلقي عذاباً سوى نقل الأحمال؟ وبالإضافة الى التخلص من الهموم والآلام والغصص، فانه يتخلص أيضاً من هموم التبن والشعير والحضيرة التي تقع برمتها على عاتق صاحبه وهو الإنسان. ولو صار قطة مثلاً، فما هو العذاب الذي يدوقه؟

غاية ما يكون في هذا الباب انه لا يعرف "الترتب" وهذا بحد ذاته تحرر من العذاب. وهذا طبعاً ليس من العذاب. والذي يتمرّد على طاعة الله أو يجحده وينكر وجوده، أيستحق هذا العذاب فحسب؟ كلّاً طبعاً بل يستحق أكثر من هذا.





بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عِثَابًا لِّمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٢٣

{تعقيد وتنوع الاهواء النفسية}

لابد أن نعرف أن أهواء النفس متعددة ومتنوعة من حيث المراتب والمتعلقات، وقد تكون أحياناً من الدقة بحيث أن الإنسان نفسه يغفل عن ملاحظة أنها من مكائد الشيطان ومن أهواء النفس، ما لم يُنبّه على ذلك، ويوظف من غفلته. إلا أنها جميعها تشترك في كونها تمنع الحق وتصدّ عن طريقه، رغم اختلاف مراتبها ودرجاتها، فإن أصحاب الأهواء الباطلة من الذين يتخذون الآلهة من الذهب وغيرهم - كما يخبر الله سبحانه عنهم في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ وغيرها من الآيات الشريفة ينقطعون عن الله، بصورة معينة، وإن أتباع الأهواء النفسية والأباطيل الشيطانية في عقائدهم الباطلة وأخلاقهم الفاسدة يحتجبون عنه سبحانه بصورة أخرى، وإن أصحاب المعاصي الكبيرة والصغيرة

والموبيقات والمهلكات كل حسب درجة المعصية ومرتبها يتعدون عن سبيل الحق بصورة ثالثة.

وإن أهل الأهواء في الرغبات النفسية المباحة مع الانشغال والانهماك فيها يتخلفون عن سبيل الحق بصورة رابعة. وإن أهل المناسك والطاعات الظاهرية الذين يعبدون من أجل عمران الآخرة وتلبية الشهوات النفسية ومن أجل البلوغ إلى الدرجات العلى أو الخشية من العذاب الأليم والنجاة من الدركات السفلى يحتجبون عن الحق وسبيله بصورة خامسة، وإن أصحاب تهذيب النفس وترويضها، لإظهار قدرتها والوصول إلى جنة الصفات، فيفصلون عن الحق ولقائه بشكل آخر، وإن أهل العرفان والسلوك والانجذاب ومقامات العارفين الذين لا يهتمهم سوى لقاء الحق والوصول إلى مقام القرب، يحتجبون عن الحق وتجلياته الخاصة بنوع سابع لأن التلون وآثار وجوده الخاص لا يزال عندهم موجوداً...

فإن على أصحاب هذه المراتب أن يراقبوا بدقة حالهم، وأن يطهروا أنفسهم من الأهواء لئلا يتخلفوا عن طريق الله ولا يضلوا عن مسالك الحقيقة، حتى تظل أبواب الرحمة مفتوحة عليهم، مهما تكن مقاماتهم ومنازلهم. والله وليُّ الهداية.

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ٢٤



[عقائد الدهريين]

لما كان معظم الإيرانيين والعرب والهنود، من عبدة الأصنام، وكان الدهريون والطبيعيون قلة، فإن الآيات القرآنية ضد الدهريين كانت قليلة أيضاً، ومعظمها تدور حول عبدة الأوثان، ومع ذلك فقد وردت آيات في الرد على هؤلاء، نكتفي بإيراد نماذج منها فحسب:

﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّفْنُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾^٢

وقد نزلت هذه الآية في الرد على طائفة من عرب الجاهلية، ممن كانوا يؤمنون بذلك، ويمكن الرجوع الى آراء هذه الفئة التي كانت تدعو الناس إلى العودة الى الفطرة وإلى التأمل في ذلك.

في القرآن آيات كثيرة في الرد على المشركين من المؤمنين بوجود إلهين أو أكثر، ومن ذلك حيث ينص القرآن الكريم على ما يلي:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾^٣

ثم يقول: ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾^٤

كما أن سورة التوحيد والآيات الأخيرة لسورة الحشر وسواها من الآيات

١ . يقر سماحة الامام بكلامه هذا ان الاجواء الجغرافية والثقافية لعصر الرسالة أوجدت نوعاً من الأرضية لأبحاث خاصة؛ اذ هناك تأكيد على ان سبب الدعوة الى محاربة عبادة الأصنام والمشركين كان وجود هذه الجماعات، وإلا لكان يُفترض محاربة الدهريين أيضاً.

٢ . الجاثية (٤٥): ٢٣.

٣ . الأنبياء (٢١): ٢٢.

٤ . الأنبياء (٢١): ٢٤.

الأخرى... قد جاءت بنفس المضمون، وفي تقديس رب العالمين والرد على الثنوية والمزدكية، ويمكن الرجوع الى آراء هؤلاء، وكذلك إلى الآيات الأخرى في دحض المشركين.^١



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ لَهَا أُذُنٌ مُّسْمِعَةٌ لِّمَنِ اتَّبَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تَجْزُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ ٢٠

[احد معاني اذهاب الطيبات فقدان نور الفطرة]

هذا ليس إلا بسبب اشتغال الإنسان بعالم الطبيعة وخضوعه لسلطة الوهم والشيطة ففقد نورانية الفطرة، وانقطعت علاقته بالحقائق، كما قال الله تعالى في سورة (الاحقاف) الآية ٢٠: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ لَهَا أُذُنٌ مُّسْمِعَةٌ لِّمَنِ اتَّبَعْتُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تَجْزُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾. ولعل إحدى الطيبات الطاهرة التي أذهبها الكفار في حياتهم الدنيا، فتمتعوا بالدنيا، واستغرقوا في الشهوات، هي نور فطرة

الله التي نزلت من حضرة القدس بالطهارة والنظافة، وكان هذا النور من موائد
الإنسان السماوية، وقد افتقده بسبب التوجه إلى الدنيا والتمتع بها.^١

١ . شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١١٧.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ٧

[توقف النصر على مبادرة الناس]

الآية المباركة التي تلاها السيد الآن^١ ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ تدل على أننا إن نصرنا الله - بنصرنا لأحكامه، ونصرنا لقرآنه، ونصرنا لجمهوريته الإسلامية - فإن الله سيشملنا بعنايته ونصره.

وهذه مسألة قد عاينتموها بأنفسكم، فقد رأيتم كيف نصركم الله عندما نهضتم لنصرة الإسلام وأحكامه، ولنصرة الثورة الإسلامية وجمهوريتها. إذ لولا نصر الله لكم، كيف كان بمقدوركم وأنتم المجردون من السلاح، والمفتقرون

١. ألقى سماحة الامام هذا الخطاب بتاريخ ١٢ مهر ماه ١٣٥٨ ويركز فيه على الظروف الاجتماعية من بعد انتخابات المجالس المحلية واقامة نظام الجمهورية الاسلامية وترسيخ مؤسسات الدولة.

للتنظيم وأبسط المعدات الحربية، أن تغلبوا على أولئك المدججين بمختلف أنواع الاسلحة والمزودين بكل شيء، والمدعومين من قبل قوى الاستكبار العالمي وشياطينه، ولكن الله كان معكم ونصركم. أولئك الغافلون عن هذا المعنى، وعن إرادة الله العليا التي يخضع لها كل شيء في هذا العالم، ليس بوسعهم إدراك هذه الحقيقة: كيف يتسنى لشعب لا يملك شيئاً ولا أية تجهيزات حربية أو حتى تنظيم، هزيمة قوى كبرى مجهزة بكل شيء. انهم غافلون عن أن هناك ارادة فوق كل الارادات، وأن الله تبارك وتعالى وعد الناس جميعاً بأن ينصرهم ان هم نصرروه، فالذين لا يؤمنون بالغيب وبما هو وراء الطبيعة، لا يستوعبون مثل هذه الأمور. لكن بالنسبة لنا نحن الذين نؤمن بوجود هذه القدرة وهكذا إرادة - والتي برهننا على وجودها بالدليل القاطع - نعتبر ذلك من المسلمات.. لقد نصركم الله، وحسبكم هذه النصرة.

فلولا نصر الله وعنايته، كيف يتسنى لهذا الشعب على اختلاف فئاته وشرائحه واختلاف التوجهات والتطلعات، أن يتحد وتجتمع كلمته على أمر واحد. لولا نصر الله، كيف كان لهذا الشعب الذي كان يخاف من شرطي أو حتى ذكر اسم مخفر الشرطة أو الأمن، أن ينقلب دفعة واحدة ليتحول إلى شعب ثائر، يخرج إلى الشوارع ويهتف بأعلى صوته، لا للشاه، لا للنظام الشاهنشاهي، الذي هيمن على البلاد ألفين وخمسمئة سنة. انها النصرة الالهية، والتي ربما تغفلون أنتم عنها أحياناً.

لولا نصر الله، كيف كان لهؤلاء على ما هم عليه من القوة أن ينصرفوا عن فكرة المواجهة مع هذا الشعب الاعزل، ولو أنهم اختاروا طريق المواجهة لتحولت ايران إلى أفغانستان أخرى، ولكن الله ألقى في قلوبهم الرعب، وجعلهم يتخلون عن أصل المواجهة، والاقترار في حال وقوعها على مواجهات غير

جدية. هكذا صرفهم الله عن غيهم وقذف في قلوبهم الرعب والخوف. أي أن تلك القوى الكبرى الشيطانية أصابها الرعب من مواجهة هذا الشعب الأعزل، كل هذا من النصر والمدد الإلهي. ان الذي يتأمل في هذه القضايا سيدرك بوضوح أن ذلك من النصر والمدد الالهي وان كل ما حققناه من تقدم كان بفضل الله تعالى.

المفهوم الآخر: ﴿وَيُثِبْتُ أقدامَكُمْ﴾. فحتى الآن كانت الآية تتحدث عن انكم ان اقبلتم على نصرة الله بايمان راسخ، فان الله سينزل عليكم نصره وعنايته. ولكن بعد ﴿إِنْ تَصُرُوا الله﴾ ثمة أمر آخر وهو ان الله: ﴿وَيُثِبْتُ أقدامَكُمْ﴾، فمادتم تنصرون الله، فان الله سيديم عليكم نصره ويعززه. واذا ما غفلتم عن ذلك ونسيتموه بأن ظنتم ان النصر قد تحقق، وانتهى الامر، وعلينا الآن التفرغ إلى اعمالنا ومشاغلتنا ومصالحنا الشخصية، وغفلتم عن نصر الله بنصر الإسلام واحكامه، وتركتم ذلك وقطعتم نصركم لله، فان الله سيقطع نصره عنكم ولن يثبت اقدامكم. فان كنتم تريدون ان تبقوا ثابتي القدم، فلا بد من مواصلة المسير على نفس الخط والنهج الذي مشيتم فيه حتى الآن.. لذا لا بد لنا من مواصلة المسير لأننا لا نزال في وسط الطريق.^١



[ضرورة استمرار العمل]

حافظوا على هذه الحالة، وهي حالة إلهية، فانكم منتصرون طالما حافظتم

١. صحيفة الامام، ج ١٠، ص ٢١٦ - ٢١٨؛ من كلمة ألقاها على أعضاء مجلس الخبراء؛ صحيفة

عليها، وانا اعدكم بان تنتصروا، وقد وعدكم الله تبارك وتعالى بالنصر: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾. ثبتوا أقدامكم وحافظوا على قبضاتكم المشدودة وهي قبضات إلهية، ولا تهابوا أية قوة عظيمة، ولا ترهبوا أية دعايات داخلية أو خارجية إطلاقاً. اننا نسلك دربنا وهو درب الله.^١

[نصر الله يتوقف على تحرك الناس]

انتم لو نصرتم الله تعالى، فانه ينصركم: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾. وتعني نصره الله نصرته دينه وعباده والمظلومين.^٢

[نصر الله يعقب نصره الناس]

ولكن شرط ذلك هو: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾، فلقد علق الله تبارك وتعالى ذلك النصر بنصرنا له. فنحن اذا نصرنا الله وعملنا لدين الله....^٣

[استمرار النصر بالارتباط بالله]

لتنصرف قلوبكم إلى الله تعالى والله ينصركم: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾

-
١. صحيفة الامام، ج ١٢، ص ٣٨١، من كلمة ألقاها في حشد من المشاركين في المؤتمر الدولي لبحث التدخل الامريكي في الشؤون الايرانية؛ صحيفة النور، ج ١٢، ص ١٤٠.
 ٢. صحيفة الامام، ج ١٦، ص ٣٨، من كلمة ألقاها في حشد من أسر شهداء لبنان والضيوف الاجانب وحفاظ وقراء القرآن؛ صحيفة النور، ج ١٦، ص ٣٩.
 ٣. صحيفة الامام، ج ١٦، ص ٢٨٨، من كلمة ألقاها في حشد من أسر شهداء مدينة بهشهر، وساري، وقائم شهر، وطهران، وقادة الحرس الثوري؛ صحيفة النور، ج ١٦، ص ١٧٤.

وَيَبِّتْ أَلْقَامَكُمْ ﴿١﴾

[المراد بنصر الناس واستغناء الله عن نصرتهم]

نحن عبيد ضعفاء، ونحن ننصر عباد الله والله بألطفه الكثيرة يعتبر هذا نصراً له، ومع أنه غني عن العالمين، فإنه يعتبر نصرة الضعفاء والمظلومين نصرة له حيث يقول: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾. وإلا فما معنى نصرة الله، ما نحن حتى ننصر الله؟ وما العالم؟ الموجودات كلها لا شئ تجاه الله، فالنصرة التي نقوم بها تجاه دين الله وتجاه عباد الله يعتبرها بألطفه وعناياته نصرة له حيث قال: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ﴾ إنا نعلم أن الله غير محتاج إلى نصرتنا لكن نصرتنا لعباده هي نصرة له حيث يقول: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾. فإن نصرناه نحن الضعفاء لنصرنا هذا أمر عقلي.^٢

[بداية تحقق نصر الله من الذات]

علينا أن نفكر في أن ننصر الله: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ فلا حرب ولا انزواء ولا تقدم ولا اندحار، فالنصر هو أن يتحقق المعنى في داخل الإنسان،

١. صحيفة الامام، ج ١٩، ص ٩٥، من كلمة ألقاها في حشد من الحضور ومنهم وزير الخارجية، ومعاونوه والسفراء والقائمين بالاعمال الايرانيين في قارة اوروبا وامريكا؛ صحيفة النور، ج ١٩، ص ٧٤.

٢. صحيفة الامام، ج ١٩، ص ٢٠٧-٢٠٨، من كلمة ألقاها في حشد من الحضور ومنهم رئيس الجمهورية، ورئيس مجلس الشورى، ورئيس الوزراء؛ صحيفة النور، ج ١٩، ص ١٣٣.

فلو أننا انتصرنا في الجبهات كلها ولكن ليس بعنوان النصره لله، بل بعنوان انتصارنا نحن لنحتل مكانة، فإننا لم نصر الله والله سبحانه وتعالى لن ينجز وعده، فلو وجه عناية فلا ربط له بنا. إن الوعد الذي أعطاه بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، يعني أنكم افتحوا جبهة النصره والله يفتح أيضاً، إعملوا لله وتقدموا من أجل الله، وتحملوا المشاق من أجل الله وأنجزوا الأعمال كلها في سبيل الله، يجب أن يكون ما في الجبهة لله، وما خلف الجبهة لنصره الله، وإن من يتحمل مسؤولية الجيش إنما يتحملها في سبيل الله، ومن يتصدى لتحمل مسؤولية الدولة إنما يتحملها من أجل نصره الله، وليكن ما يدور في المجلس هو لله ولنصره الله، وأخيراً لو كنا جميعاً في نصره الله فسينجز الله وعده من غير شك، فإن وجد نقص فهو فينا، فإن فكرنا بالنصر بمعزل عن نصر الله، أي ليس لله ولا لتطوير الأهداف الإلهية، وأعني بالأهداف أن تكون أعمالنا من أجل المظلومين والمحرومين ولتقدم أحكام الإسلام، ولدفع الظلم عن المظلومين، ولقطع أيدي الظالمين وهذه كلها من أجل الله، فالله أمر ونحن ننفذ، فلو أمرنا بأن نذهب ونقعد في بيوتنا، عندها نذهب ونقعد في منازلنا من أجل الله، وعند ما يأمر بالقتال بقوله: ﴿فَاتْلُوهُمْ﴾^١ لله ومن أجل طاعته، فليس هنا فرق بين النصر والهزيمة، ذلك أن الوجهة الإلهية فيها هي النصر كله وهذا أمر يرتبط بالمعنويات وبالعالم الآخر. لكنه محفز لنا ورأس مال في

١ . سورة محمد (٤٧): ٧.

٢ . ومن جملة الآيات: ﴿فَاتْلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يَخْزِهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٤) وإيضاً: وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (البقرة: ١٩٣)؛ وإيضاً: وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَفْعَلُونَ بَصِيرٌ (الأنفال: ٨): (٣٩).

أيدينا، وعند ما يكون في أيدينا فلا يهمننا شيء سواء انتصرنا أم لم نتصر، وإن لم يكن هذا المعنى فلا فرق كذلك بل قد يكون النصر هزيمة أكثر منه نصراً^١.

[خلاصة إجمالية في موضوع نصر الله]

نستخلص من مجموع كلامه في ما يخص احوال وظروف انتصار الثورة الإسلامية في إيران والحرب المفروضة [الحرب العراقية الإيرانية من عام ١٩٨٠ - ١٩٨٨] في تفسيره لهذه الآية وتطبيق مفادها على هذا الواقع، ما يلي:

١. ان سنة الله في نصر المؤمنين رهينة بتحرك ومبادرة المؤمنين أنفسهم. فمن المعروف ان كل شيء يسير بإرادة الله، الا ان الله عز وجل يرهن نصره بإرادة وحركة الناس أنفسهم. فمتى ما نهض الناس يمدّهم الله بعونه.

٢. نصر الله يتوقف على استمرار وديمومة الحركة والعمل والمشاركة، وهو تعالى يعينهم طالما بقوا يواصلون مسيرتهم.

٣. المقصود بالنصر في الآية الشريفة، نصر عباد الله ودعم المظلومين.

٤. ان الله غني عن نصر الناس، الا انه جعل سنته على نصر الناس ومؤازرتهم بناءً على طلبهم وفعلهم.

٥. من شروط نصر الله اخلاص الناس في عملهم؛ اي ينبغي ان يقوموا بعملهم لوجه الله ولأجل نيل رضاه، وليس انطلاقاً من رغباتهم النفسية وغاياتهم

١. صحيفة الامام، ج ١٩، ص ٢٠٢ - ٢٠٣، من كلمة ألقاها بحضور رئيس الجمهورية، ورئيس مجلس الشورى الإسلامي، ورئيس الديوان العالي للبلاد ورئيس الوزراء؛ صحيفة النور، ج ١٩، ص ١٢٩ - ١٣٠؛ وأيضاً راجع: صحيفة الامام، ج ١، ص ٢٣٠ و ج ٣، ص ٣ و ج ١٧، ص ٣٩٠ و ج ٢٠، ص ٥٠١.

الشخصية. وهذا يعني ان النصر يجب ان يتحقق في ذات الانسان وان يحصل التحول في باطن الانسان وذاته.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ ١٢

[نقد طلاب الرفاه و المادية]

...إذا عاملتكم باحترام، فهو كاحترامهم لمراقده «أبناء الائمة عليهم السلام» فهم يظهرون لها أشد الاحترام لعدم تمكن الموتى من تشكيل خطر مباشر عليهم أو على حكوماتهم، ولكن "ابن الامام" ذاته لو كان حياً وقال كلمة واحدة، لا بل لو أن أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء بنفسه وعارضهم بكلمة، لأحلوا به نفس المصير الذي يحلونه بالآخرين.

إن من لا يكثرثون بأموال المجتمع، والغافلين عما يحل بالناس من جرائم ترتكب في مختلف البلدان الاسلامية، والساكنين والمشغولين بالأكل وإشباع الملذات، والسعي وراء مظاهر الحياة المادية فقط، هم المصداق الأمثل لهذه الآية الشريفة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ فهؤلاء غافلون عن أنهم يرتزقون من مال الاسلام، وأن عليهم أن يقدموا مقابلاً لذلك للإسلام والمسلمين. فهم كالحيوانات، والحيوان لا يعلم مصدر طعامه الذي يأكله، ولو قتل البشر بأسرهم، وكان علفه في مكانه، فهو مسرور ومرتاح وليس هناك ما يزعجه، إنه يريد علفه فقط ليأكل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ

الأنعام ﴿ إن امثال هؤلاء يلحقون العار بالدنيا، ويلحقون العار بالمسلمين. ^١

[معيار الحيوانية لدى الناس]

﴿ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَمْتَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَ النَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾. هذا هو الميزان. فمن يكون قريباً من المستوى الحيواني في ممارسة اشباع غرائزه وفي مأكله وفي تحقيق منافعه في الدنيا، وجاءت منه هذه اللذائذ، هو كالحيوان. فالحيوان لا يأبه طبعاً أحلال ما يأكل أم حرام، ولا يهتم ما تعانيه الامة من مشاكل. فاولئك الذين يتمتعون ويأكلون دون أدنى اكتراث، ودون أدنى ضابط أو قانون، دون قانون من الاسلام، اولئك ماكلهم حيواني ﴿ وَ النَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾. ^٢



[عدم تساوي المؤمنين وغير المؤمنين في المقام المعنوي]

لا ينبغي لأحد أن يظن بأن الأفراد غير المؤمنين بإمكانهم أن يخدموا البلد

١. صحيفة الامام، ج ٢، ص ٣٧٣؛ صحيفة النور، ج ١، ص ١٧٤؛ نداءات الإمام بمناسبة احتفالات

الذكرى ٢٥٠٠ لقيام الاميراطوري.

٢. يشير في كلامه هذا الى طلاب الرفاه والراحة والعلماء الذي لا يشعرون بالمسؤولية، وكان

سماعته قد اعلن تدمره واستيائه منهم مرّات ومرّات؛ وذلك لأنهم كانوا لا يبالون لمشاكل الناس

ولا يعيشون همومهم. ولهذا السبب نرى انه يبيّن هنا انهم يرتزقون على ميزانية الاسلام ويفترض

ان يؤدوا خدمة ولكنهم في واقع الحال لا يؤدون أية خدمة. وهذا مما يثير الأسى والألم.

٣. صحيفة الامام، ج ٢، ص ٣٦١، من كلمة ألقاها في حشد من علماء وطلاب العلوم الدينية في

النجف؛ صحيفة النور، ج ١، ص ١٦٧.

ولا فرق بينهم وبين المؤمنين في ذلك ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ فالذي لا إيمان له طعامه كالحيوانات، فالنسبة للحمار سواء لديه قدم النبي الأكرم العلف له أم أبو جهل لا فرق في ذلك عنده، إنما هو يريد أن يأكل. الحيوان يحتاج إلى من يرعاه سواء كان الراعي علي بن أبي طالب أم ابن ملجم فلا فرق لديه في هذا. بل إذا كان يرعاه ابن ملجم بشكل أفضل فإنه يحبه أكثر. إن هذه الآية الشريفة التي تذكر هذا الأمر تعطي قاعدة عامة لمعرفة المنحرف وغير المنحرف وتبين لنا كيفية التعرف على المنحرفين وغير المنحرفين. فالمنحرفون هم الذين لا فرق عندهم بين أن يصلحهم هذا البستان وهذه السيارة من طريق مشروع أو من طريق السرقة والخيانة. فهو يريد سيارة وهو يلاحظ إيجابيات السيارة، أما أنها من أين أتت فهذا لا يهتم به أصلاً، أن الأنعام لا يهتمها من أين يأتيها علفها. فالأشخاص المنحرفون شبيهون بالحيوانات حيث لا يهتمهم من أين يأتيهم ما يريدون، وإنما المهم هو أن يأتيهم. إنكم تستطيعون تربية الشباب على التقوى، كي يتسنى لهم التعرف على حقيقة الأمور ومجاريها.

[وحشية ذوي الصفات الحيوانية لا يضر عشاق طريق الحق]

دعوا هؤلاء السباع الذين لا يفكرون إلا في «الأنا» و«النحن» ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ يطلقوا عشاق الحق من قيد الطبيعة وأن يوصلوهم إلى الفضاء

١. صحيفة الامام، ج ٧، ص ٤٦٨، من كلمة ألقاها في ليف من الحضور ومنهم وزير الثقافة والتعليم

العالي ورؤساء الجامعات والمعاهد العليا؛ صحيفة النور، ج ٦، ص ٢٤٩.

الطلق إلى جوار المحبوب.^{٢١}

[تفاوت سبيل الأنبياء مع توجهات النظم الفاسدة]

كذلك الأنظمة الحاكمة في عصرنا الراهن أعمالها عبارة عن رغبات دنيوية. ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَعْمَامُ﴾. هذا يريد التمتع بالدنيا لوحده، وذلك يشاطره نفس الشعور.

هذا يريد الاستئثار بالسلطة، وذاك يبادل نفسه الرغبات. أما غاية الأنبياء في نهضاتهم وثوراتهم، فلم تكن دنيوية، ولئن عمروا الدنيا فإن ذلك حصل بالتبع، كانت دوافعهم إلهية، وقاموا من أجل بسط العدالة الإلهية في المجتمع. تلك الغاية وذاك الدافع هو الذي يميز هذه الثورات عن بعضها.^{٢٢}

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ٢٤



١. هذا الخطاب الحماسي، مقطع من ألقاه سماحته تخليداً لشهداء واقعة (هفت تير) ٧ تير ١٣٦٠، وأكد فيه على مسألتين، الأولى: ان هذه الوحوش الضارية (الذين دبروا ونفذوا التفجير الذي ادى الى قتل العشرات من كبار مسؤولي الدولة) ليس لهم أي هدف انساني او معنوي وانما هم منافدون لغرائهم الحيوانية، والثانية ان القتل لا ضرر فيه على عشاق الحق، وانما هو تحرر من قيود الطبيعة وانتقال الى جوار المحبوب.

٢. صحيفة الامام، ج ١٥، ص ١، من كلمة ألقاها في حشد من أبناء الشعب الإيراني وأسر شهداء واقعة السابع من شهر تير (هفت تير)؛ صحيفة النور، ج ١٥، ص ٥١.

٣. صحيفة الامام، ج ٢٠، ص ٢٠٣، من كلمة ألقاها في حشد كان فيه وزير الإرشاد والضيوف الاجانب المشاركين في احتفالات عشرة الفجر؛ صحيفة النور، ج ٢٠، ص ٦٤.

كَوْنُ حَبِّ الدُّنْيَا حِجَابًا

من الحجب الكثيفة الأخرى حجاب حب الدنيا، وهو ستارة ثقيلة بيننا وبين معارف القرآن ومواعظه، ونتيجة لوجودها فإن القلب يصرف كل همه للدنيا، فتصير وجهته دنيوية تماماً، ويفغل بسبب هذا الحب عن ذكر الله، ويُعرض عن الذكر والمذكور، وكلما ازداد تعلقه بالدنيا ومظاهرها ازداد حجاب القلب سمكاً وكثافة، حتى يطفى هذا التعلق على القلب ويستحكم سلطان حب الشرف والجاه عليه، بحيث ينطفى نور فطرة الله تماماً، وتغلق ابواب السعادة بوجه الانسان. ولعل «الأفعال» التي تشير إليها الآية الكريمة: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ يُراد بها أغلال وقيود التعلق بالدنيا هذه.

فإن من يُريد الاستفادة من معارف القرآن والانتفاع من المواعظ الإلهية، عليه أن يُطهر القلب من هذه الأرجاس ويفرغه من لوث المعاصي القلبية المتمثلة بالاشتغال بغير الحق، فغير المطهر من القلوب لا يؤتمن على الأسرار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، فكما أن مسَّ ظاهر هذا الكتاب أمرٌ محرّمٌ - تشريعاً وتكليفاً - على غير طاهر الظاهر في عالم الظاهر، كذلك فإن معارف القرآن الكريم ومواعظه وباطنه وسره محرمةٌ على من كان قلبه ملوثاً بأرجاس التعلقات الدنيوية. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ

١ . الواقعة (٥٦): ٧٧ - ٧٩.

٢ . في كتاب آداب الصلاة جاءت كلمة «تكليفاً». ويبدو انها خطأ؛ إذ في مقابل التشريع يكون التكوين وليس التكليف، الا اذا جاءت كلمة التكليف كمطف بياني وفيها اشارة الى حكم لمس الآيات.

فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾. فغير المتقي وغير المؤمن - بحسب تقوى وإيمان العامة - محروم من الأنوار الصورية لمواعظ القرآن وعقائده الحقّة، وغير المتقي وغير المؤمن - بحسب المراتب الأخرى للتقوى وهي تقوى الخاصة وخاصة الخاصة وأخصّ الخواص - محروم من المراتب الأخرى لمعارف القرآن ومواعظه.^٢

[ضرورة التدبّر في آيات الله]

تدبري في القرآن الكريم هذا ينبوع الفياض بالفيض الالهي وإن كانت تلاوته لوحدها سترك آثاراً جذابة؛ لأنه من المحبوب إلى مستمع محبوب بالحجب. ولكن التدبر فيه يوصل الانسان إلى مراحل سامية: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ وما لم تفتح هذه الأقفال والقيود ولم يتم تحطيمها فلا تحصل نتيجة من التدبر نفسه.^٣

[التفاوت بين التدبّر في الآيات والتفسير بالرأي]

المستفاد من هذين الحديثين أنه حريّ بقراء القرآن التدبّر في آياته والتفكّر في معانيه، وأن التمعّن والتأمل في الآيات الكريمة الإلهية، واستيعاب المعارف والحكم والتوحيد من القرآن العظيم، لا يكون من التفسير بالرأي المنهي عنه الذي يلتجأ إليه أصحاب الرأي والأهواء الفاسدة، الذين لا يتمسكون برأي أهل

١ . البقرة (٢): ٢.

٢ . آداب الصلاة، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

٣ . صحيفة الامام، ج ١٨، ص ٤٤٦، رسالة وجهها الى فاطمة الطباطبائي؛ نصاب اخلاقية - وعرفانية؛

صحيفة النور، ج ٢٠، ص ٣٤٤.

بيت الوحي المخاطبين بالكلام الإلهي، كما ثبت ذلك في محله، ولاداعي للولوج في هذا الموضوع والإسهاب فيه. ويكفينا قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا﴾.

ووردت أحاديث كثيرة تأمرنا بالرجوع إلى القرآن والتعمق في آياته. فقد نقل عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «ألا لاخيرَ في قراءة كئيسَ فيها تدبُّرٌ»^{٢١}

[نظرة الى تفسير الآية وقضية التفسير بالرأي]

في ما يخص قضية التفسير بالرأي، تحدّث الامام الخميني حول هذه القضية في عدّة مواضع. وهنا يرى سماحته ان من الواجب التدبر والتفكر في الآيات والاجتهاد لأجل فهم المعارف والحكم، وبعد اجالة الرأي والاستنباط من النصوص شيئاً يقع خارج ما يصطلح عليه «التفسير بالرأي». وفي مقابل ذلك يرى ان التفسير بالرأي هو ما يجري وفقاً لهوى النفس ويأتي بأسلوب فاسد. او بعبارة اخرى، ان المفسّر عندما يستنبط من الآيات ويفهم شيئاً منها لا يضع كلمات ائمة الهدى نصب عينيه. ويشير في موضع آخر الى ان مكانة الاستفادة من اهل البيت عليهم السلام تتعلق بدرجات ومراتب خاصة من الكلام في التفسير؛ وهي مرتبة من ادراك الحقائق والمعارف السامية للقرآن، حيث يتحتم عند ذلك اخذ كلمات اهل البيت بنظر الاعتبار؛ وذلك لأنه: «أما يعرف القرآن من خوطب به»^{٢٢}.

١. بحار الأنوار، ج ٩٢ ص ٢١١.

٢. الاربعون حديثاً، ص ٤٩٧.

٣. ر. ك: بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٣٤٩.

كما قال في ذيل تفسير الآية: المستفاد من الروايات، أنه حريّ بقراء القرآن التدبّر في آياته والتفكّر في معانيه، وأن التمعّن والتأمل في الآيات الكريمة الإلهية، واستيعاب المعارف والحكم والتوحيد من القرآن العظيم، لا يكون من التفسير بالرأي المنهي عنه.

هذا رغم انه يبين في موضع آخر ان مجال التفسير بالرأي انما يكون في آيات الاحكام، قائلاً ان المحتمل بل المظنون ان التفسير بالرأي يعود الى آيات الاحكام التي تقصر الآراء والعقول عن ادراكها^١. وللاطلاع على المزيد من التفصيل يمكن الرجوع الى مقدمة التفسير، الفصل الخامس الذي يتحدث عن مبادئ التفسير.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ١

[الفتوحات المعنوية الثلاثة]

فما دامت الأعضاء والقلب في تصرف الشيطان أو النفس فمعبد الحق والجنود الإلهية مغبوب، ولا تتحقق عبادة الحق تعالى فيه، وتقع العبادات للشيطان أو النفس، وبمقدار ما تخرج من تصرف جنود الشيطان تقع مورداً لتصرف الجنود الرحمانية حتى تقع الفتوحات الثلاثة يعني الفتح القريب وهو عندنا فتح الأقاليم السبعة بإخراج الجنود الشيطانية منها ونتيجته التجلي بالتوحيد الأفعالي^١ ﴿نُصِرْ مِنْ اللَّهِ وَفُتِحَ قَرِيبٌ﴾^٢ والفتح المبين وهو فتح كعبة القلب بإخراج الشيطان الموسوس فيها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^٣ والفتح المطلق وهو

١ . التوحيد الأفعالي هو اعتبار كل الأفعال فانية في أفعال الله، وهو ما يعني الاعتقاد بان: «لا مؤثر في

الوجود الا الله» . وبعبارة اخرى: اثبات الفاعلية لله ونفي ما سواه.

٢ . الصف (٦١): ١٣.

٣ . الفتح (٤٨): ١.

ترك الرسوم الخلقية وإفناء التعينات الشهادية والغيبية^١ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^٢.
وبعد هذا الفتح تكون جميع التصرفات إلهية وتحصل نتيجة قرب النوافل...^٣

١. أي تحية جميع التعينات الخلقية - بما في ذلك تعينات عالم الشهادة والمادة وتعينات عالم الغيب والملكوت - والذويان في ذات الله والفناء فيه.

٢. النصر (١١٠): ١.

٣. حينما ينقطع الانسان بفعل القيام بالنوافل، عن المادة والطبيعة ويتقرب الى ذات الله ويرتبط به، يتخلق بأخلاق الله؛ وبالنتيجة تصبح افعاله الهية. أو حسب قول الخواجة نصير الدين الطوسي في الفصل التاسع عشر من النمط التاسع من شرح الاشارات: «صار الحق حينئذٍ بصره الذي به يبصر وسمعه الذي به يسمع وقدرته التي بها يفعل...».

تجدد الاشارة الى ان التفسير أعلاه يخرج عن اطار التفسير الظاهرية لآيات القرآن، ويتلقى درجة من المعاني التأويلية وفقاً للمذاق التأويلي عند المفسر. وبعبارة اخرى حين يدور الكلام حول الفتوحات الثلاثة المعنوية للانسان، فانه لا يريد هنا تجاهل الانتصارات الظاهرية والفتوحات التي احرزها المسلمون في الحروب مع اعداء الانسانية ونزلت تلك الآيات فيها، وانما يتناول ذلك من منهج آخر وهو مشرب اهل العرفان ومسلك اصحاب القلوب ويفسر الفتح على انه فتح ابواب المعارف والعوارف والعلوم والمكاشفات من قبل الله، وان الانتصار في الحروب الاخرى ليس اقل سهولة من الانتصار في الحروب الظاهرية.

ومن هنا فان هذا التأويل يكشف عن وجه من أوجه رسالة الوحي ودرجة من درجات بطن كلام الله المجيد استناداً الى الفاظه ودلالاته.

وفي ما يخص حديث التقرب بالنوافل الذي اشير إليه في هذا الكلام، وجاء ذكره عدة مرات في هذا التفسير، يمكن الرجوع الى المصادر التالية: مرآة العقول، ج ١، ص ٣٩١، «الكتاب ايمان والكفر باب من اذى المسلمين»، ح ٨، وكذلك توحيد الصدوق، ص ١٦٤، الباب ٢٢، ج ١، اصول الكافي، ج ٢، ص ٣٥٢، ح ٨

٤. سر الصلاة، ص ٦٠؛ وأيضاً، راجع: آداب الصلاة، ص ٣٤١ - ٣٤٢؛ كذلك ذيل سورة الفتح: ٢.

﴿لِيُفَيِّرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا

مُسْتَقِيمًا﴾ ٢

[رد على شبهة عدم عصمة النبي]

بالسند المتصل إلى حجة الفرقة وإمامهم محمد بن يعقوب الكليني (قدس سره)، عن حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) ﴿قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند عائشة ليلتها فقالت: يا رسول الله لِمَ تَتَّعِبُ نَفْسَكَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟

فقال (صلى الله عليه وآله): يا عائشة ألا أكون عبد اشكورا؟...»^٢

الشرح: «قد غفر الله لك»: إشارة إلى قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُفَيِّرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

إعلم أن العلماء - رضوان الله تعالى عليهم - ذكروا في تفسير هذه الآية المباركة وجوهاً لمنع تنافي الآية مع عصمة النبي المكرّم. ونحن نستعرض بعض الوجوه التي نقلها المرحوم العلامة المجلسي (رحمه الله)^٣ ثم نبين بصورة مجملة

١. سر الصلاة، ص ٦٠؛ وأيضاً، راجع: آداب الصلاة، ص ٣٤١ - ٣٤٢؛ كذلك ذيل سورة الفتح: ٢.

٢. أصول الكافي، ج ٢ ص ٩٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، ح ٦.

٣. ينقل العلامة المجلسي هذا الرأي عن مجمع البيان في ذيل تفسير الآية ١ في سورة الفتح. بحار

الأنوار، ج ١٧ ص ٧٦، تاريخ نبينا، الباب ١٥.

ما ذكره أهل المعرفة كل حسب ذوقه ومسلكه.

[رأي المجلسي في عصمة الأنبياء ومعنى غفران الذنب في

حقهم]

قال المرحوم [محمد باقر] المجلسي: من اصحابنا [في عصمة الأنبياء] فيه وجهان:

أحدهما: أن المراد ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب أمتك، وما تأخر بشفاعتك، ونسبة معاصي الأمة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) لشدة الاتصال بين الرسول والأمة. ويؤيده ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) قال: «سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا كَانَ لَهُ ذَنْبٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ ضَمَّنَ لَهُ أَنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَ شِيعَةِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَام) مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِمْ وَمَا تَأَخَّرَ».

وروى عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} قال: «مَا كَانَ لَهُ ذَنْبٌ وَلَا هُمْ بِذَنْبٍ وَلَكِنَّ حَمَلَهُ ذُنُوبَ شِيعَتِهِ ثُمَّ غَفَرَهَا لَهُ»^١.

١. بحار الأنوار، ج ١٧ ص ٧٦.

٢. في ما يخص الدفاع عن عصمة النبي وتفسير هذه الآية طرحت عدة أمور أخرى، منها ان هذا القول جاء من باب حسن الخطاب والدعاء، او للتعظيم والتكريم. وهو ما سنأتي على ذكر نماذج منه لاحقاً. وفي هذا المجال راجع: علم الهدى، السيد المرتضى، تنزيه الانبياء والائمة، ص ١٩٠، تحقيق: فارس حسون كريم.

يقول الكاتب: لهذا التوجيه على مسلك العرفاء وجه وجيه، ولاتخلو الإشارة إليه من فائدة. وهي إنه لا بد وأن نعلم كما تقرر في محله أن العين الثابتة للإنسان الكامل، مظهر اسم «الله» الأعظم الذي يكون إمام أئمة الأسماء وأما أعيان كافة الموجودات فهي في ظلّ عين الإنسان الكامل في العلم وعالم الأعيان، متقررة، وفي عالم العين والتحقق تكون موجودة.

إذن تكون أعيان جميع دائرة الوجود مظهر عين الإنسان الكامل في عالم الأعيان، وتكون جميع الموجودات مظاهر جماله وجلاله في عالم الظهور. ولهذا كل نقص يقع في عالم التحقق، وكل ذنب يبرز من المظاهر، سواء كان من الذنوب التكوينية أو التشريعية، ينسب إلى الظاهر حقيقة لامجازاً لمكان الظاهر والمظهر. فإن صدق قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾^١ صدق أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^٢.

والأخبار الكثيرة تشير إلى هذا الموضوع. حيث يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «نَحْنُ السَّابِقُونَ وَنَحْنُ الْآخِرُونَ»^٣ ويقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لَوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^٤ ويقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ رُوحِي أَوْ نُورِي»^٥ ويقول عليه الصلاة والسلام: «سَبَّخْنَا

ص ١٩٠، تحقيق: فارس حسون كريم.

١. النساء (٤): ٧٩.

٢. النساء (٤): ٧٨.

٣. بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ٤، كتاب الامامة، الباب ٢٣، ح ١١.

٤. بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٤٠٢، تاريخ نبينا، الباب ١٢، ح ١.

٥. عوالي اللثالي، ج ٤، ص ٩٩، الجملة الثانية، ح ١٤٠. بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٢٤ تاريخ نبينا،

فَسَبَّحَتِ الْمَلَائِكَةُ، قَدَّسْنَا فَقَدَّسَتِ الْمَلَائِكَةُ^١ ويقول الإمام الصادق (عليه السلام):

«لَوْلَا مَا عَرَّفَ اللَّهُ^٢ ويقول (عليه السلام): «لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الْأَفْلاكَ»^٣ ويقول (عليه السلام): «نَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ»^٤.

وفي حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «أَنَا شَجْرَةٌ وَقَاطِمَةٌ فَرَعُهَا وَعَلِيٌّ لِقَاحُهَا وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثَمَرَتُهَا وَمُحِبُّوهُمْ مِنْ أُمَّتِي وَرَقَّتْهَا»^٥. فزينة شجرة الولاية الطيبة بمظهرها، وما يرد من النقص على مظهرها ينعكس على الشجرة الطيبة.

إذن ذنوب كافة الموجودات، ذنوب الولي المطلق، والحق المتعالي برحمته التامة ومغفرته الواسعة، قد رحم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، قانلاً: ﴿لِيَلْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وبشفاعته تصل كل دائرة الوجود إلى سعادته الكاملة، وَأَخَّرَ مَنْ يَشْفَعُ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^٦.

١. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٦٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٤٧، كتاب الإمامة، الباب ٤، ح ١٤.

٣. علم اليقين، ج ١، ص ٣٨١، في صفات الإمام. لم يرد هذا الخبر في مصادر معتبر. وقد ذكره المجلسي في بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٢٨ و ج ٥٤، ص ١٩٩ نقلاً عن كتاب الأنوار، المنسوب إلى الشيخ أبي الحسن أحمد بن عبد الله البكري (م ٩٥٣) وذكره الفيض الكاشاني باعتباره خبراً مشهوراً. لكن فيه ما فيه.

٤. توحيد الصدوق، ص ١٥٠، ح ٤.

٥. أمالي المفيد، المجلس ٢٨ ح ٥، ص ٢٥٤.

٦. علم اليقين، ج ٢، ص ١٠٨٦ المقصد الرابع، في الخلود.

وعلى اساس هذا التوجيه، تندرج هذه الآية المباركة في عداد تلك الآية التي تقول ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^١ والتي قالوا أنها أرجى آية في القرآن. ويمكن أن يكون المقصود من قوله: ﴿مَا تَقَدَّمُ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ بناءً على هذا التفسير ذنوب الأمم السابقة، لأن جميع الأمم، أمة هذا الوجود المقدس، وأن دعوة الأنبياء بأسرهم دعوة إلى الشريعة الخاتمة، ومظاهر للولي المطلق «وآدم ومن دونه» من أوراق شجرة الولاية.

ثانيهما: ما ذكره السيد المرتضى^٢ قدس الله روحه أن «الذنب» مصدر والمصدر يجوز إضافته إلى الفاعل والمفعول معاً، فيكون هنا مضافاً إلى المفعول. والمراد ما تقدم من ذنبهم إليك في منعهم إياك عن مكة وصدّهم لك عن المسجد الحرام.

ومعنى «المغفرة» على هذا التأويل الإزالة والنسخ لأحكام أعداء رسول الله (صلى الله عليه وآله) من المشركين، أي يزيل الله سبحانه ذلك عند فتح مكة ويستتر عليك ذلك العار بفتح مكة وأنت ستدخل مكة في القريب العاجل ولهذا

١. الضحى (٩٣): ٥.

٢. مجمع البيان، ذيل الآية ٥ في سورة الضحى.

٣. علي بن الحسين بن موسى المعروف بالسيد المرتضى، وعلم الهدى، (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ) من مشاهير علماء الإسلام والشيع. كان جامعاً للمعقول والمنقول من العلوم وذو كمالات وفضائل أختص بها عن غيره. ومن المتبحرين في علم الكلام والفقه والأصول والتفسير والحديث والرجال والأدب العربي. روى عن الشيخ المفيد والحسن بن علي بن بابويه وآخرين. نهل من صافي علمه الكثير من العظماء كالشيخ الطوسي. من مصنفاته وآثاره: الأمالي، الذريعة إلى أصول الشريعة، الناصريات، الانتصار، الشافي.

جعل المغفرة غرضاً من الفتح ووجهاً له^١.

قال السيد (رحمه الله) فإذا أراد مغفرة «ذنوبه» لم يكن لقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ معنى معقولاً، لأن المغفرة للذنوب لاتعلق لها بالفتح وليس غرضاً فيه. فأما قوله: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فلا يمتنع أن يريد به ما تقدم

زمانه من فعلهم القبيح بك وبقومك^٢.

الثالث: أن معناه: «لو كان لك ذنب قدم أو حدث لغفرناه لك». هكذا والقضية الشرطية لاستلزم صدق طرفيها وتحققها.

الرابع: أنه سمي ترك التدب ذنباً وحسن ذلك أنه (صلى الله عليه وآله) ممن لا يخالف الأوامر إلا هذا الضرب من الخلاف ولعظم منزلته وقدره جاز أن يسمى بالذنب منه فإذا وقع من غيره لم يسم ذنباً.

الخامس: أن القول خرج مخرج التعظيم وحسن الخطاب كما تقول غفر الله لك. قال المجلسي (رحمه الله): «وَقَدْ رَوَى الصَّدُوقُ فِي الْعَيُونِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ الْمَأْمُونِ وَعِنْدَهُ الرُّضَا (عليه السلام) فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَلَيْسَ مِنْ قَوْلِكَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ: ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾؟ قَالَ الرُّضَا (عليه السلام): لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ عِنْدَ مُشْرِكِي مَكَّةَ أَعْظَمَ ذَنْباً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ثَلَاثِمِائَةَ وَسِتِّينَ صَنَمًا،

١. تنزيه الأنبياء، ص ١١٥ - ١١٨.

٢. هذا الرأي ورد في كل من تنزيه الأنبياء، للسيد المرتضى ومجمع البيان، للطبرسي ونقله كذلك العلامة المجلسي في بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٧٤، ٧٥.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ (صلى الله عليه وآله) بِالذُّعْوَةِ إِلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ كَبَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَعَظَّمُوا وَقَالُوا: ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ — إِلَى قَوْلِهِ: — إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾^١.

فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله) مَكَّةَ قَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيُفْهَرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ عِنْدَ مُشْرِكِي أَهْلِ مَكَّةَ بِدُعَائِكَ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ فِيمَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ، لِأَنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ أَسْلَمَ بَعْضُهُمْ، وَخَرَجَ بَعْضُهُمْ عَنْ مَكَّةَ، وَمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى انْكَارِ التَّوْحِيدِ عَلَيْهِ إِذَا دَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ. فَصَارَ ذَنْبُهُ عِنْدَهُمْ فِي ذَلِكَ مَغْفُورًا بِظُهُورِهِ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: اللهُ دَرُّكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ^٢.

يقول الكاتب: إن هناك توجيهاً سادساً للحديث الشريف تجاه تفسير الآية المباركة وحاصله أن المقصود من قوله سبحانه من ﴿ذَلِكِ﴾ ذنوبه صلوات الله عليه في رأي المشركين وحسب زعمهم الفاسد.

[معنى الفتح العرفاني]

إعلم أن للآية الشريفة تفسيراً يتبين على أساس ذوق أهل العرفان ومسلِك ذوي القلوب، وعليه لا بد من ذكر الفتوحات «الثلاثة» الشائعة عندهم. فنقول: إن «الفتح» في مشربهم، عبارة عن فتح أبواب المعارف والعوارف والعلوم والمكاشفات على الإنسان من قبل الحق سبحانه بعد أن كانت موصدة

١. ص (٣٨): ٥-٧.

٢. بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٨٩-٩٠ تاريخ نبينا، الباب ١٥، ح ٢٠٠ عيون أخبار الرضا، ج ١، ص

٢٠٢، الباب ١٥، ح ١.

في وجهه ومغلقة عليه. فمادام الإنسان في البيت المظلم للنفس، وأنه مشدود بالتعلقات والرغبات النفسية، تكون أبواب المعارف والمكاشفات عليه مسدودة، وعندما يغادر هذا البيت المظلم ببركة ترويض النفس، وأنوار الهداية، وإجتياز منازل النفس، تنفتح أبواب قلبه عليها - العلوم والمكاشفات - وتلقى المعارف في قلبه، ويصبح من ذوي مقام «القلب»^١ ويدعى هذا الفتح «بالفتح القريب»، لأنه أول الفتوحات وأقربها. ويقال بأن الآية المباركة: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾^٢ تشير إلى هذا الفتح. ومن الواضح أن هذا الفتح وكافة الفتوحات تتم بعون الله وإمداده ونور الهداية وجاذبية الذات المقدسة سبحانه عز وجل.

ومادام السالك يكون في عالم القلب، وتكون النقوش والتعينات مستحوذة عليه، كانت أبواب الأسماء والصفات مغلقة ومسدودة عليه فإذا تلاشت تلك الرسوم من عالم القلب، بواسطة تجليات الأسماء والصفات، وأفنت تلك التجليات، صفات القلب وتعيناته وكمالاته، تحقق «الفتح المبين» وانفتحت عليه باب الأسماء والصفات، وارتفعت النقوش المتقدمة النفسية، والمتأخرة القلبية، وغفرت ذنوبه في ظل غفارية الأسماء وستاريتها. ويقال بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^٣ تلويح إلى هذا الفتح ومعناه إنا فتحنا عليك عالم الأسماء والصفات فتحاً مبيناً، حتى نغفر لك في ظل غفارية الأسماء الآلهية، الذنوب المتقدمة النفسية، والقلبية المتأخرة. ويكون هذا فتحاً لباب «الولاية».

١. مقام القلب وعالم القلب اصطلاح لمرتبة من السلوك.

٢. الصف (٦١): ١٣.

ومادام السالك في حجاب كثرات الأسماء، وتعينات الصفات^١، تكون أبواب التجليات الذاتية^٢، مغلقة في وجهه. وحينما تم التجليات الذاتية الأحدية عليه، وتباد النقوش الخلقية والأمرية^٣ بأسرها من قلبه، ويفرق العبد في عين الجمع يكون «الفتح المطلق» وغفران الذنب المطلق واستتر بواسطة التجلي الأحدي على الذنب الذاتي^٤ الذي يكون مصدراً لكل الذنوب «وَجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبٌ»^٥. ويقال بأن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^٦ إشارة إلى هذا الفتح. فمع «الفتح القريب» تفتح أبواب المعارف القلبية، وتغفر الذنوب النفسية. ومع «الفتح المبين» تفتح أبواب الولاية، والتجليات الإلهية. وتغفر البقايا من الذنوب المتقدمة النفسية، والذنوب المتأخرة القلبية. ومع «الفتح المطلق» تتكشف التجليات الذاتية الأحدية، ويغفر الذنب الذاتي المطلق.

ولابد من معرفة أن «الفتح القريب» و«الفتح المبين» يتسران للأتبياء والأولياء والعرفاء. وأما «الفتح المطلق» فهو من المقامات الخاصة بالمرتبة الختمية - خاتم النبيين - وإذا حصل ذلك لشخص، فإنما هو بالتبع وبسبب شفاعة النبي

١. كونه في حجاب الكثرة الأسمائية والتعينات الصفاتية يعني الافادة من التجليات الأسمائية والصفاتية. والتجلي الأسمائي والصفاتية يعني التجلي الذي يكون مبدؤه اسم من الأسماء وصفة من الصفات. بحيث يكون تعينها وامتيازها من الذات.

٢. التجلي الذاتي، هو التجلي الذي يكون مبدؤه ذات الباري عز وجل، ورغم ان التجلي يأتي دوماً بواسطة اسم وصفة، ولكن عند غض النظر عن الاسماء والصفات، يُسمى بالتجلي الذاتي.

٣. الرسوم الخلقية والأمرية تعني التعينات الجسمانية والنفسانية.

٤. الذنب الذاتي عبارة عن نقص الإمكان.

٥. هذه الجملة وردت في المصادر العرفانية فقط. راجع: الفناري، مصباح الأنس، ص ٦٩٣.

٦. النصر (١١٠): ١.

الأكرم (صلى الله عليه وآله).^١ وعلم من البيان السابق أن للذنب مراتب يعد بعضها من حسنات الأبرار وبعضها من سيئات المخلصين. كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «كبرائ - أو كبرائ - أو كبرائ - على قلبي، وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة»^٢ وهذا الرين - الغبرة - هو الإلتفات إلى عالم الكثرة ولكنه سرعان ما يزول. وفي الحديث «أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يقوم من مجلس وإن خف، حتى يستغفر الله خمساً وعشرين مرة»^٣.

فيظهر من هذه الأحاديث بأن «الاستغفار» لا يختص فقط بالذنوب التي تتنافى مع العصمة، وأن «المغفرة» و«الذنب» في الآية لا تكونا من المغفرة والذنب المصطلح عليهما عرفاً لدى عامة من الناس. ولاتتنافى هذه الآية الشريفة مع المقامات المعنوية من العصمة، بل تؤكدهما. لأن من لوازم السلوك الروحاني وإجتياز المدارج والوصول إلى أوج الكمال الإنساني، هو غفران الذنوب. لأن كل موجود في هذا العالم نتاج هذه النشأة الملكية والمادة الجسمية، وله كافة الشؤون الملكية الحيوانية والبشرية والإنسانية المتوفرة بعضها بالفعل وبعضها بالقوة. فإذا أراد السفر من هذا العالم إلى عالم آخر، ومنه إلى مقام القرب المطلق، لابد من اجتياز هذه المدارج، والعبور من المنازل الواقعة في الطريق، وعندما يصل إلى مرتبة، تغفر له ذنوب المرتبة السابقة وهكذا حتى تغفر له جميع الذنوب في ظلّ التجليات الذاتية الأحادية، ويستتر الذنب الوجودي الذي هو

١. بما ان الانسان الكامل تجلٍ للذات الاحدية، ومستغرق في عين الجمع، فهو فتح مطلق. ولا

يدخل احد في هذا المقام الا بتعليم ومرافقة، وهذا يعني ان الوصول الى هذا المقام تبعي.

٢. مستدرك وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٣٢٠، كتاب الصلاة، أبواب الذكر، الباب ٢٢، ح ٢.

٣. مكارم الأخلاق، ص ٣١٣، الباب العاشر، الفصل الثالث في الإستغفار والبكاء.

٤. النشأة الملكية والمادة الجسمانية: يعني عالم الملك والشهادة من العرش والكرسي الى العناصر.

منشأ كافة الذنوب في ظل الكبرياء الأحدي. وهذه هي غاية عروج كمال الوجود. ويحدث في هذا المقام الموت والفناء التام. ولهذا عندما نزلت الآية الشريفة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إن هذه السورة تنبأ بموتي^١ والله العالم^٢

﴿وَيَنْصُرْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾^٣ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَ اللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^٤

[الدراك النصر الإلهي]

نحمد الله تعالى على نصره للمقاتلين الإيرانيين الشجعان والملتزمين في البعدين المادي والمعنوي، حيث بلغوا برفعة الرأس مرحلة حققوا فيها معجزة العصر بتأييد الله وبقوتهم.

وألحقت هزيمة منكرة بجيوش القوى الشيطانية المجهزة بالأسلحة الحديثة في فترة زمنية قصيرة أو إنها استسلمت أو هربت أو قتلت...^٥

١ . مجمع البيان، في تفسير سورة النصر.

٢ . الأربعون حديثاً، ص ٣٣٧ - ٣٤٣.

٣ . تجدر الإشارة الى ان النص المذكور كان عبارة عن بيان اصدره سماحته بمناسبة بداية السنة الشمسية الجديدة في عام ١٣٦١ و مرور اربع سنوات على اقامة نظام الجمهورية الاسلامية، وتخطي الكثير من المشاكل والصعوبات وخاصة الحرب المفروضة والانتصارات التي احرزها ابطال الاسلام في جبهات الحرب ضد الحكم البعثي في العراق . ولهذا يلاحظ ان هذا البيان تظفي عليه الروح الحماسية وفيه استذكار للانتصارات واقتباس من القرآن حول نصره المؤمنين ويرمي الى بث الطمأنينة في القلوب. وهذا النمط من البيان يختلف اختلافاً جذرياً عن كتاباته

ان الذي لا يرى هذا الدعم والمعجزة هو كالخفاش الذي لا يستطيع ان يرى نور الشمس الذي يضيء العالم. ومع وجود عوامل ودواعي الثقة والهدوء في العدو، مقابل عوامل الخوف والرعب في مجاهدي إيران، أي عامل هذا الذي خلق الثقة والهدوء فيهم وألقى الخوف والرعب في قلوب الأعداء؟ علما انهم كانوا مدعومين من قبل القوى العظمى وخاصة الشيطان الأكبر أمريكا. وكان معظم قوى المنطقة يقدمون لهم أنواع الأسلحة القادمة من جميع أنحاء العالم ومليارات الدولارات حتى لم يدخروا وسعا في تقديم الدعم التسليحي لهم، كما تمتعوا بدعم جميع وسائل الإعلام المؤثرة في العالم ومازالوا، فيما نحن نواجه الحصار الاقتصادي ونعيش مرحلة الثورة والاضطراب ونواجه المؤامرات الداخلية والخارجية القاسية. وقد هاجمونا غفلة عن طريق البر والبحر والجو واحتلوا قسما كبيرا من بلادنا واخذوا يدمرون ويقتلون وينهبون مدننا وشعبنا المظلوم، حيث كان ذلك من عوامل نشر الخوف والرعب في صفوفنا ومنح الثقة والهدوء للأعداء المهاجمين.

لكن ألم يتحقق في جبهات القتال مصداق قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾^١؟ كذلك ألم يكن المقاتلون في هذه

الآخرى حول آيات سابقة.

والامر المهم هنا هو اختلاف نمط تعاطيه مع الآيات في مؤلفاته وكتابه. فهو تارة يتعاطى مع الآية بأسلوب تأويلي وعرفاني وباتجاه اخلاقي وروحي، وتارة اخرى برؤية اجتماعية واتجاه ارشادي وتربوي. وان كان كلا هذين الانجاهين يصبان في مسار واحد، غير ان اسلوب ونمط البحث مختلف تماماً.

الجهات مصداق قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السُّكُوتَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؟ وهل ان ما حدث في صدر الإسلام من فتوحات إسلامية غير هذا الذي يحدث الآن؟ وهل ان هذه الإنجازات العسكرية خلال أسبوع امر عادي حيث تم إحصاء خمسة عشر ألف أسير حتى الآن وآلاف القتلى والجرحى في صفوف العدو فضلا عن الغنائم الحربية أمر عادي وطبيعي؟^١

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسْئُومُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ١٠.



[معنى مبايعة الله]

أولئك الذين بايعوك: ﴿يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾^٢، إن البيعة مع النبي هي بيعة مع الله، لماذا؟ لأن كل ما كان عند النبي كان من عند الله، وكل ما كان يراه فهو الله.^٤

١. اشارة الى معارك وقعت قبل هذا التاريخ باسم الفتح المبين في منطقة خوزستان في الجنوب الغربي من ايران، ووقت فيها اعداد غفيرة من افراد الجيش المعادي اسرى في ايدي القوات الايرانية.

٢. صحيفة الامام، ج ١٦، ص ١٥٥ - ١٥٤، من نداء وجهه الى پیام به ملت ايران و نيروهای مسلح؛ صحيفة النور، ج ١٦، ص ١٠٠.

٣. اشارة الى الآية ١٠ سورة الفتح.

٤. هذ المعنى يُستفاد من الروايات وهو ان كل ما لدى النبي من الله وكل ما يراه يفنى في الله. ومن تلك الروايات مثلاً ما نقل عن امير المؤمنين انه قال: أنا علم الله وأنا قلب الله الواعي ولسان الله الناطق وعين الله وجنب الله وأنا يد الله. راجع: الصدوق، كتاب التوحيد، ص ١٦٤، الباب ٢٢، ح ١.

كل حركة يقوم بها الأنبياء تكون مطابقة لرضا الله، فهم يتحركون بحركته، يتحركون بتحريكه.^١

[الحكومة يجب ان تكون بالشكل الذي تكون فيه بيعة الناس للحاكم بيعة الله]

نحن عندما نطالب بالحكومة الاسلامية فاننا نقصد الحكومة التي يتناها الشعب والتي يصفها الله تبارك وتعالى^١ تارة بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ أي ان تكون اليد الحاكمة يد الذي تكون مبايعته مبايعة الله، والذي إذا أطلق في الحرب سهماً فإن الرامي يكون الله تبارك وتعالى أي مصداقاً لقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^٢ حيث يعتبر يده يد الله وظل الله، أي ان تكون حكومته حكومة إلهية ومثل هذه هي الحكومة التي نشدها. وأملنا ان تقام مثل هذه الحكومة التي لا تنقض الدستور الالهي.

ولان يد الرسول الأكرم لم تنتهك - طوال عمره الشريف - ما أمره الله تبارك وتعالى، لذا فهي يد الله والبيعة له بيعة لله، فما قام به كان تجسيدا للارادة الالهية

١. صحيفة الامام، ج ٧، ص ٤٢٩، من كلمة ألقاها في حشد من أعضاء السلك التعليمي في مدينة اصفهان؛ صحيفة النور، ج ٦، ص ٢٣٧.

٢. الملاحظة التي تسترعي الاهتمام في كلام الامام الخميني هذا، هو التوفيق بين رضا الناس ورغائبهم من جهة وبين رضا الله من جهة اخرى. واذا كان هناك من يمثل الاسلام حقاً فيده يد الله، ومبايعته مبايعة الله. وهذا ما يفصح عن اختلاف رأيه عن آراء الآخرين في النظرة الى الديمقراطية وسيادة حكم الشعب. وتعبيره في الحكومة الدينية ليس سكوت الشعب ورضاه والمقبولية عنده وإنما رغبات الشعب.

وعمله تابع للأفعال الالهية، ولذلك فحكومته إلهية، ولذلك يقال له: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ فرغم أنه رمى لكنه كان ظل الله ولا حركة له أصلاً من تلقاء نفسه، بل كل حركة من حركاته كانت إتباعاً للدستور الالهي. كان الرسول الاكرم قرآناً مجسداً، أجل كان قرآناً مجسداً..

وما نريده هو حكومة دستورية تتبع الدستور لا أن تتبع الشيطان وتكون شيطاناً متجسداً وإبليساً متجسداً بين الناس كما هو حال محمد رضا خان (الشاه). فهؤلاء أبالسة وجيش إبليس.^١

﴿يُدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ١٠

وحدة الامة ووحدة إلهية واليد الواحدة يد إلهية

لو تجسم في ذهن الإنسان وإعتقد أنّ الله سبحانه أمرنا بالإتحاد ونبذ التنازع والتوحد، فلو إتحدنا في سبيل الله فلن نستطيع أحدٌ الإخلال بهذه الوحدة. لأنّها وحدة إلهية وهذه ﴿يُدُّ اللَّهُ﴾ التي هي فوق الأيدي جميعاً ولن يقدر أحد أن يخل بها.^٢

١. صحيفة الامام، ج ٤، ص ٤٦٠ - ٤٦١، من كلمة ألقاها في حشد من الطلاب والإيرانيين المقيمين خارج البلاد؛ صحيفة النور، ج ٣، ص ١١١.

٢. صحيفة الامام، ج ١٩، ص ٢٠٦، من كلمة ألقاها بحضور رئيس الجمهورية، ورئيس مجلس الشورى الاسلامي، ورئيس الديوان العالي، ورئيس الوزراء ومسؤولين عسكريين ومدنيين؛ صحيفة النور، ج ١٩، ص ١٣٢.

[تحليل للأسماء والصفات الإلهية لمناسبة يدُ الله فوقَ أيديهم]

ان اثبات صفة لذات الباري - جلّت عظمته - تتطلب عقلاً كاملاً وبصيرة تامّة ووعياً لأجل التمييز بين الأوصاف الثابتة بصراحة الوجود وبين الأوصاف الثابتة في مرتبة التنزّل بالتخصّص بالاستعداد، وتحقيقها. ولهذا قال الشارع المقدّس: أسماء الله توقيفية^١، ويمكن أن تُنسب إلى الله تلك الأسماء التي أُطلقت على ذاته المقدّسة في القرآن الكريم. ولكن هذا التوقيف يكون على الأشخاص الذين لم تُسرّ عقولهم في مراحل الوجود ولم يبلغوا حدّ البصيرة لكي يروا مراتب الوجود بحيث يستطيعون انتقاء الوصف الذي يتماشى مع الوجود، ويدركون أي الأوصاف والصفات لا يمكن أن يخرج عن الحد المخصوص والأفق الخاص وتخصّص الاستعداد. ومن هنا فقد جاء في الخبر: "يمكن ان نطلق على الباري تعالى الأسماء التي جاءت له في القرآن".^٢

ومع هذا يمكن أن يُسند إلى الحق تعالى "أو الثابت" الذي جاء في الخبر،^٣ واطلاق واجب الوجود عليه، رغم عدم وجوده في القرآن.

وبما ان هذه القضية عقلية فان بإمكان المتعمّقين في آخر الزمان ان يسيروا في ضوء القاعدة المذكورة وان يقولوا بمجازية الأسماء التي وردت في القرآن خلافاً لهذه القاعدة العقلية. وليس هنا طبعاً موضع مسألة حجية الظهور التي يقول بها البعض. و"الظهور" ليست له قيمة في العقائد؛^٤ ولهذا إن كان قد جاء في

١. اصول الكافي، ج ١، ص ١٠٠.

٢. اصول الكافي، ج ١، ص ١٠٠-١٠٢، الأحاديث ١ و٣ و٧.

٣. المصدر السابق، ح ١.

٤. من الامور التي تسترعي الاهتمام في الفكر التفسيري عند الامام الخميني عدم حجية ظواهر

القرآن ﴿يَدُ اللَّهِ﴾، فلا بد من صرفها إلى المجاز؛ لأن اليد تستلزم التجسيم، وان نقول ان: ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ قد أطلقت هنا على نحو اعتباري. وكذا الحال ان كان هناك وصف يستلزم القول بصراحة الوجود، نقول: ان واجب الوجود ثابت لله تعالى.^٢

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكُوعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ لِي وَجُوهِهِمْ مِنْ آثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَاةً فَآزَرَهُ فَاسْتَظْلَمَ فَاسْتَرَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٢٩

{العلامة الاجتماعية للإيمان}

من الخصائص التي يذكرها الله تبارك وتعالى للمؤمنين أنهم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، انهم أشداء وأشاوس في مقابل الكفار، لكنهم رحماء عطفون فيما بينهم. إذا أردنا أن نعرف هل نحن مؤمنون ونمثل لأحكام الإسلام، علينا أن نتحرى هذا المعيار في أنفسنا، هل نحن مزمجرون ساخطون على المشركين، ورحماء عطفون على المسلمين؟^٣

القرآن في بحث العقائد على خلاف ما يطرح في حجية ظواهره في الأحكام.

١. المائدة (٥): ٦٤.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٣٤ - ٣٥.

٣. صحيفة الامام، ج ١٢، ص ٣٦٥، من كلمة ألقاها في حشد من متسبي الحرس الثوري وقوى

الأمن؛ صحيفة النور، ج ١٢، ص ١٣٠؛ وأيضاً راجع: صحيفة الامام، ج ١٢، ص ٤٠٠.

[الاتزان في التعاليم الإسلامية]

إن الإسلام وكل الأديان كانت محرّكة للناس، وأيقظتهم، إذ بعثتهم تعاليم الأنبياء، وقادتهم لمجابهة المتجبرين والوقوف في وجه المشركين. والقرآن يمكن القول فيه: إنه كتاب حرب يُعدُّ الناس للقتال^١ في الوقت

١. ليس المراد هنا ان القرآن كتاب يدعو الى الحرب والقتال، او ان الاسلام دين حرب، وان هذا الدين قد انتصر وانتشر بالحروب والغزوات، أو ان تعاليم القرآن كلها تدور حول الحرب. بل على العكس من ذلك هناك في القرآن ١١٣ سورة تبدأ باسم الرحمن الرحيم والرافقة والمحبّة. والموقف الواضح والاتجاه العام الذي يسير عليه القرآن هو الحوار والنقد والهداية. فحينما يدور الكلام حول دعوة الناس الى الاسلام نجده يقول: ﴿اذْعُ اِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ﴾ (النحل: ١٦): (١٢٥).

ومن غير شك ان الاسلام ليس من الأديان التي تقف موقف الحياد واللامبالاة ازاء المتجبرين والظلمة. واذا كان هناك من يريد قتال المسلمين فالقرآن يأمرهم بالتأني والتنازل والمسايرة، وقد صرّح القرآن الكريم في مواضع متعددة بأن الذين تُفرض عليهم الحرب يؤذن لهم بالقتال بسبب الظلم الذي ينزل بهم (سورة الحج، الآية ٣٩)، وجاء في موضع آخر: ﴿فَإِن قَاتَلُواكُمْ فَاغْلُظُوا﴾ (سورة البقرة، الآية ١٩١). ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ (سورة التوبة، الآية ٣٦). وفي كل هذه الآيات نلاحظ ان القرآن الكريم يحصر دائرة الحرب والجهاد في الحالات التي يحصل فيها ظلم أو عدوان من المشركين أو مبادرة منهم بالقتال. ويصرّح في آيات اخرى بأنهم اذا مالوا الى المصالحة وأبدوا رغبة في الاسلام، فعليك ان تميل الى الصلح أيضاً (سورة الانفال، الآية ٦١) وغير ذلك من الآيات التي تعين مجال تشريع الجهاد وتقيده في حدود درء العدواء مع التأكيد على عدم تعدي الحدود. (وللمزيد من التفصيل، راجع: آزادي در قرآن (= الحرية في القرآن) لمؤلف هذا الكتاب، ص ٣٢٢ - ٣٦٠).

وكما يصرّح سماحة الامام في المقاطع التالية، انه كان يتبع هذا الاسلوب مع المعارضين، وكان يحرص ان لا يكون هو البادئ في هذا العمل، ويرى عدم التعرّض لهم طالما انهم لم يقوموا

الذي يزخر فيه بالتعاليم الإنسانية، لكنّ المسلمين ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ ودعوتهم: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾.^{٢١}



[دور الرحمة في المجتمع الإسلامي]

إنه أمر القرآن الذي يصف المؤمنين «رحماء بينهم أشداء على الكفار». فالإمام علي بن أبي طالب عندما قاتل جيش معاوية والخوارج، الذين كانوا أسوأ من الكفار، قاتلهم بحزم بعدما أدرك أنهم لن يهتدوا، ومع ذلك كان يوصي جيشه بعدم البدء بالقتال وعندما يبدأون هم بقتل واحد أو اثنين من جنود الإمام، عندها كان يأمر جيشه بالقتال. وهكذا قضى على الخوارج إلا من فرّ منهم، مما دفعهم للتآمر عليه فيما بعد واستشهد على أيديهم.

فالإسلام رؤف رحيم بالمسلمين وإن رحمته هذه هي التي ستحقق السعادة لشعوب العالم. وفي الوقت ذاته كان يعامل المتآمرين بكل حزم وشدة، ولا بد له

بعمل مسلح . ولهذا نراه يعلّق على المقطع الأخير من الآية فيقول: ان عدم التصدي لظلم الظالمين ليس من الحلم، بل هو من الخمود والخمود ليس من الفضائل، وأنما ذل وهوان ورضوخ.

١ . التوبة (٩): ٣٦.

٢ . صحيفة الامام، ج ٨، ص ٤٥٧، من كلمة ألقاها في مجموعة من مكفوفي مدرسة ابي بصير في اصفهان؛ صحيفة النور، ج ٨، ص ٣١؛ وأيضاً راجع: صحيفة الامام، ج ٩، ص ٢٨٣.

من ذلك.^١

[المعيار في سلوك القوات المسلحة وقوى الامن]

هذا هو شأن الحكومات الخائنة، حيث تخشى أبناء شعبها، ولذلك فإنها تجند قوات الشرطة والجيش لخدمتها ومواجهة الشعب. ومثل هذا يناقض تماماً المهمات التي ينبغي أن توكل الى قوى الأمن الداخلي وقوات الشرطة، ويناهض المفهوم الذي يريده الإسلام لهذه القوات.

قوى الأمن الإسلامية لم تكن يوماً من أجل قمع أبناء الشعب بل هي صديق وخدام له ومدافعة عنه، وأمام الأعداء قوة ضاربة رادعة، ولدينا المثال على ذلك، تلك العدة القليلة من المؤمنين بأسلحتها البسيطة...

بيد أن رؤية الإسلام الى الحكومة، الى قوى الأمن وقوات الشرطة والجيش، على العكس من ذلك تماماً. فالشرطة اليوم أصدقاء لأبناء الشعب وفي خدمة الشعب... هكذا نريدهم مع أبناء الشعب، وكذلك نريدهم أقوياء في مواجهة الأجانب المعتدين ﴿أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾. نريد روح الألفة والمحبة والصدقة بين الحكومة والجيش وكافة أبناء الشعب، هذا هو أمر القرآن الكريم، فقوى الأمن هي لحماية أمن البلد وحفظ سلامة الناس ومالهم وأرواحهم وليس لإرهابهم.^٢

١. صحيفة الامام، ج ٩، ص ٣٨٥، من كلمة ألقاها في حشد من عوائل الطيارين الشهداء من منتسبي قاعدة بوشهر؛ صحيفة النور، ج ٩، ص ١٥؛ وأيضاً راجع: الاربعون حديثاً، ص ١٣٤ - ١٣٥.

٢. صحيفة الامام، ج ٩، ص ١٤٠ - ١٤١، من كلمة ألقاها في حشد من خريجي كلية الشرطة؛ صحيفة النور، ج ٨، ص ١٦٥؛ وأيضاً راجع: صحيفة الامام، ج ٦، ص ٤٤٠، وشرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٣٥.

[ضرورة الاعتدال في المواقف]

يقول تعالى في وصف المؤمنين: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^١ هذه حالة الاعتدال بأن تكون الرحمة والشفقة في موضعهما، والشدة والغضب في موضعهما أيضاً.^٢

[السكوت في مقابل الجائرين ليس حلماً، وإنما خمول]

إن السكوت عن الإقدام، والتراخي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم منع ظلم الظالمين، ليس حلماً بل هو خمود يعتبر إحدى الملكات الرذيلة والصفات غير الحسنة.

إن الله تبارك وتعالى يعبر في الآيات القرآنية الشريفة عن المؤمنين بأنهم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^٣ وفضل المجاهدين والشجعان في المعارك على القاعدين والخامدين تفضيلاً، وعظم درجاتهم عنده.^٤ وقدر الثبات في ميادين الحرب وحرص المؤمنين على الإقدام في المعارك ورغبتهم في التقدم في الحروب.^٥

وكل هذا يتحقق في ظل القوة الغضبية الشريفة، وبخمودها وهنا يحرم الإنسان من جميع هذه الفضائل، ويستسلم للذلة والدناءة والأسر، ويقعد عن

١ . سورة الفتح: ٢٩.

٢ . شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٤٣.

٣ . سورة الفتح: ٢٩.

٤ . اشارة الى الآية ٩٥ من سورة النساء .

٥ . اشارة الى الآيات، ٦٥ من سورة الأنفال، و٣٨ من سورة التوبة، و٨٣ من سورة النساء.

القيام بالوظائف الإنسانية والدينية.^١



مدينة

سورة العجرات

٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِبُوا
عَلَىٰ مَا لَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ ٦

[الاستدلال بآية النبأ على شرط العدالة في خبر الواحد]

قال الآخوند الخراساني صاحب كتاب كفاية الاصول: ومن فصل في الآيات التي استدلت بها: فمنها: آية النبأ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^١.

ويمكن تقريب الاستدلال بها من وجوه: أظهرها أنه من جهة مفهوم الشرط، وأن تعليق الحكم بإيجاب التبين عن النبأ الذي جئ به على كون الجاني به الفاسق، يقتضي انتفائه عند انتفائه. ولا يخفى أنه على هذا التقرير لا يرد: أن

الشرط في القضية لبيان تحقق الموضوع فلا مفهوم له، أو مفهومه السالبة بانتفاء الموضوع، فافهم^١.

و يمكن^٢ تقريب الاستدلال بوجه آخر: وهو أنه لا فرق في شمول العام لأفراده، بين كونها أفراداً ذاتية له، وبين كونها أفراداً عرضية إذا كانت بنظر العرف شموله لها بنحو الحقيقة، فكما أن الأبيض صادق على نفس البياض لو فرضنا قيامه بنفس ذاته، كذلك إنه صادق على الجسم المتلبس به، مع أن صدقه

١. لا يخفى أنه مع فرض المفهوم للآية الشريفة لا تدل على حجّية خبر العادل مطلقاً؛ لأنّ التبيين لا يناسب الجزائية، فإنّ مجيء الفاسق بالنبأ مع وجوب تحصيل العلم للعمل غير مترتبين عقلاً ولا عرفاً، فلا بدّ من أن يكون ذلك كتابة عن الإعراض عن خبر الفاسق وعدم ترتيب الأثر عليه، ومفهومه - على فرضه - ترك الإعراض، وهو أعمّ من كونه تمام الموضوع للعمل، فلا يستفاد منه كونه حجّة بنفسه، كما لا يخفى. [منه قدس سره]

٢. وهاهنا تقرّيات أخرى: منها: ما أفاده الماتن (أ)، ولا يخفى مخالفته لظاهر الآية. ومنها: ما أفاده بعض المحقّقين (ب)، من أنّ الظاهر أن الشرط هو المجيء مع متعلقه - أي مجيء الفاسق - فيكون الموضوع نفس النبأ، ولمفهومه مصداقان: عدم مجيء الفاسق، ومجيء العادل، فلا يكون الشرط محقّق الموضوع. وأما إذا جعل الشرط نفس المجيء، ويكون الموضوع نبأ الفاسق، يكون الشرط محقّق الموضوع.

وفيه: أن مفهوم إن جاءك الفاسق نبأ، ليس إلا إن لم يجنك الفاسق نبأ، وأما مجيء العادل فليس مفروضاً في المنطوق ولا المفهوم، فلا تدل الآية عليه مطلقاً. مع أن كون المفهوم ذا مصداقين - كما ذكره - لا يتوقف على جعل الشرط مجيء الفاسق، بل لو كان الشرط هو المجيء والموضوع هو خبر الفاسق، فلعدم مجيء خبره مصداقان، كما لا يخفى. لكن العمدة هو تفاهم العرف، وهو لا يساعد على ما ذكر. [منه قدس سره]

أ. الكفاية، ج ٢، ص ٨٣، السطر ٤-٦.

ب. نهاية الأفكار، القسم الأوّل من الجزء الثالث، ص ١١١-١١٢.

عليه عرضيّ تعيّي لدى العقل الدقيق، لكنّه حقيقة لدى العقل العادي والعرف .
إذا عرفت ذلك فاعلم: أنّ لعدم مجيء الفاسق بالخبر فرداً ذاتياً، هو عدم
تحقق الخبر لامن الفاسق ولا من غيره، وأفراداً عرضيّة هي مجيء غيره به، فيكون
صدق عدم مجيء الفاسق به على مجيء العادل به صدقاً عرضياً في نظر العقل،
وصدقاً حقيقياً في نظر العرف، فيشمل العامّ له كما يشمل الفرد الذاتي .

فمفهوم قوله - تعالى - : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ هو إن لم يجنكم به فلا
يجب التبيّن، سواء جاء به العادل أولاً . وإن ضمّ إلى ذلك أنّ ظهور القضايا
السالبة إنّما هو في سلب المحمول، لاسلب الموضوع، يصير المفهوم: إن جاءكم
عادل بنبأ فلا يجب التبيّن .

و بالجمله: مفهومها يدلّ على عدم وجوب التبيّن في خبر العادل: إمّا بإطلاقه،
وإمّا بالتعرض لخصوص خبره . هذا .

[عدم نظر الآية إلى خبر الواحد]

و فيه: أنّ الأمر في المثال والممثل متعاكسان بحسب نظر العرف، فإنّ المثال
الذي مثلت - من صدق الأبيض على البياض والجسم المتلبس به - يكون صدقه
على الفرد الذاتيّ العقليّ أخفى عند العرف من صدقه على الفرد العرضيّ، بل
يمكن أن يقال: إنّ لا يصدق إلا على الثاني دون الأول عرفاً، وإن كان الأمر عند
العقل الدقيق على عكس ذلك .

و أمّا فيما نحن فيه والممثل، لا يكون مجيء العادل بالخبر من مصاديق
لامجيء الفاسق به عرفاً، وإن فرض أنّ أحد الضدّين ممّا ينطبق عليه عدم الضدّ

الآخر، ويكون مصدوقاً عليه بحسب اصطلاح بعض أكابر فنّ المعقول^١ لكنّه أمر عقليّ خارج عن المتفاهم العرفي، وأخذ المفاهيم إنّما هو بمساعدة نظر العرف، ولا إشكال في أنّه لا يفهم [من] الآية الشريفة مجيء العادل به. و أمّا قضية ظهور القضايا السالبة في سلب المحمول، إنّما هو في القضايا اللفظيّة، وأمّا فيما نحن فيه فليس قضية لفظيّة في البين. تأمل.

ولو فرضنا كون المفهوم قضية لفظيّة أو في حكمها، لكانت ظاهرة في سلب الموضوع؛ ضرورة ظهور قوله: «إن لم يجيء فاسق نبأ» فيه، لاسلب المحمول. فتحصل ممّا ذكر: أنّه لا إشكال في عدم دلالة الآية على المفهوم، وإنّما مفادها التبيّن في خبر الفاسق من غير التعرّض لخبر غيره.



تقرير آخر عن دلالة الآية على شرط العدالة

هذا، ولقد تصدّى بعض أعظم العصر قدّس سرّه - على ما في تقارير بحثه - لبيان أخذ المفهوم من الآية بما لا يخلو عن خلط وتعمّف. ومحصل ما أفاد: أنّه يمكن استظهار كون الموضوع في الآية مطلق النبأ، والشرط هو مجيء الفاسق به من مورد النزول، فإنّ مورده إخبار الوليد^٢ بارتداد

١. الأسفار الأربعة، ج ٢، ص ١١٤.

٢. الوليد بن عقبة بن أبي معيط الاموي، امه أروى بنت كريب بن ربيعة، ام عثمان بن عفان، ولأه عثمان الكوفة. وعزله عنها بسعيد بن العاص، توفي بالرقه ودفن بالتلحج. راجع: أسد الغابة، ج ٥، ص ٩٠.

بني المصطلق،^١ فقد اجتمع في إخباره عنوانان: كونه من الخبر الواحد، وكون المخبر فاسقاً، والآية وردت لإفادة كبرى كَلْيَّة ؛ لتمييز الأخبار التي يجب التبيين عنها عن غيرها، وقد عُلّق وجوب التبيين فيها على كون المخبر فاسقاً، فيكون هو الشرط، لا كون الخبر واحداً، ولو كان الشرط ذلك لعلّق عليه ؛ لأنه بإطلاقه شامل لخبر الفاسق، فعدم التعرّض لخبر الواحد وجعل الشرط خبر الفاسق، كاشف عن انتفاء التبيين في خبر غير الفاسق.

ولا يتوهم أن ذلك يرجع إلى تنقيح المناط، أو إلى دلالة الإيماء، فإن ما بيناه من التقريب ينطبق على مفهوم الشرط .

وبالجملة: لا إشكال في أن الآية تكون بمنزلة الكبرى الكَلْيَّة، ولا بدّ من أن يكون مورد النزول من صُغرياتِها، وإلا يلزم خروج المورد عن العامّ، وهو قبيح، فلا بدّ من أخذ المورد مفروضاً لتحقّق في موضوع القضية، فيكون مفاد الآية - بعد ضمّ المورد إليها -: أن الخبر الواحد إن كان الجاني به فاسقاً فتيّنوا، فتصير ذات مفهوم^٢ انتهى .



[نقد لتقرير الميرزا النائيني على اشتراط العدالة في الخبر]

وفيه أولاً: أن كون مورد النزول إخبار الوليد لا ربط له بكون الموضوع في الآية مطلق النبأ، والشرط خارج غير مسوق لتحقّق الموضوع، ومجرد إخباره بكذا

١ . بنو المصطلق فخذ من قبيلة خزرج وكانوا يسكنون في يثرب.

٢ . فوائد الأصول، ج ٣، ص ١٦٩ .

لا يصير منشأً لظهورها في إفادة الكبرى الكليّة لتمييز الأخبار التي يجب التبيّن عنها عن غيرها .

نعم الآية الشريفة مسوقة لإفادة الكبرى الكليّة، وهي وجوب التبيّن عن خبر كلّ فاسق، من غير تعرّض لغيره، وليست بصدد بيان التميّز بين خبر الفاسق والعاقل.

و بالجملة: إنّها متعرضة لخبر الفاسق فقط، دون العادل، لامنطوقاً ولا مفهوماً. و ثانياً: أنّ اجتماع العنوانين في خبر الوليد - أي كونه خبراً واحداً، وكون المخبر به فاسقاً - بيان لمفهوم الوصف، لا الشرط؛ حيث لم يعلّق في الآية وجوب التبيّن على كون المخبر به فاسقاً، بل علّق على مجيء الفاسق بالخبر، ومعلوم أنّه لا مفهوم له، كما أنّه بذلك التقريب لا يكون للوصف أيضاً مفهوم؛ لعدم إفادة العليّة المنحصرة .

مع أنّ في ذكر الفاسق ما هنا نكتة هي التبيه على فسق الوليد، فكون مورد النزول هو إخبار الوليد مضر بدلالة الآية على المفهوم، لا أنّه موجب لها، كما أفاد - رحمه الله - ومن ذلك يعرف ما في قوله: فإنّ ما بيّناه من التقريب ينطبق على مفهوم الشرط .

و أمّا ما أفاد: - في تائيد كون الآية بمنزلة الكبرى الكليّة - : من أنّ مورد النزول من صغرياتهما، وإلا يلزم خروج المورد، فهو صحيح، لكنّ الكبرى الكليّة ليست هي ما أفاد، بل هي وجوب التبيّن عن خبر كلّ فاسق، وإخبار الوليد من صغرياتهما، من غير أن يكون للآية مفهوم .

وبالجملة: إنّ الآية الشريفة لا مفهوم لها، وهذه التشبّهات لا تجعل الآية ظاهرة

فيما لم تكن ظاهرة فيه^١.

[شرط العدالة في الولي]

الاستدلال بآية النبأ على الاعتبار وأما آية النبأ، فتارة يستدل بها لرفض أقوال الأولياء مع فسقهم، فيقال: إن بين مفاد الآية ودليل جعل الولاية - بلازمه - تعارض العموم من وجه؛ لأن لازم جعل الولاية هو قبول إقراراته وإخباراته بالنسبة الى ما تولاه، وإطلاقه يقتضي وجوب قبول قول الولي الفاسق، والآية الشريفة بإطلاقها تشمل الولي الفاسق، فيتعارضان فيه، فيجب رفع اليد عن مفاد الأخبار؛ لعدم إمكان تعارضها مع الكتاب.

وما قيل: من أن عدم قبول قول الفاسق من حيث هو، غير منافي لقبول إقراراته وإخباراته من حيث ولايته ووكالته؛ حيث إن «من ملك شيئاً ملك الإقرار به»^٢ غير وجيه؛ لأن ما ذكر إنما هو في الحكم الحيثي، كحلية الغنم في قبال حرمة الموطوء، فإن قوله تعالى: ﴿أَحْلَتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَامِ﴾^٣ حكم حيثي للبهيمة مقابل السباع مثلاً، وليس فيه إطلاق حتى يعارض ما دلت على حرمة الموطوء.

بخلاف الآية الشريفة، فإنها كافلة لحكم فعلي، له إطلاق على فرض الدلالة، فتعارض دليل اعتبار قول الأولياء.

كما أن «من ملك شيئاً ملك الإقرار به» لو كان مفاد رواية أو معقد إجماع

١. انوار الهداية، ج ١، ص ٢٨١ - ٢٨٨.

٢. حاشية المكاسب، المحقق الأصفهاني، ج ١، ص ٢١٠، السطر ١٨.

٣. المائدة (٥): ١.

- يكشف عن الحكم على هذا العنوان - لكان مفاده معارضاً للآية الكريمة بالعموم من وجهه، فلا بدّ من الأخذ بها، ورفض إطلاق الرواية أو معقد الإجماع .

نعم، لو كان خصوص قبول إخبار الولي الفاسق مجعماً عليه يؤخذ به، وتقيّد به الآية الكريمة .

كما أنّه لو كان دليل لفظي على أنّ المالك لشيء تسمع إقراراته وإخباراته بالنسبة إليه، أمكن أن يقال: إنّ قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنت ومالك لأبيك»^١ ينزّل غير المالك منزلته في الأحكام، ويقدم على إطلاق الآية .

هذا، ولكن التحقيق: أنّ الآية الكريمة لا تدلّ على رفض قول الفاسق مطلقاً؛ فإنّ مورد نزول الآية^٢ والتعليل بعدم إصابة القوم بجهالة، دليل على أنّه في المهمّات - نحو خبر الوليد بكفر بني المصطلق - لا يصحّ الاعتماد على الخبر الواحد، ولاسيّما إذا كان المخبر فاسقاً مثل الوليد؛ لأنّ الاعتماد في مثله يوجب تجهيز الجيش، وقاتال المرتدّين، والقتل العامّ الموجب للإصباح نادمين أية ندامة عظيمة!

ففي مثله لا بدّ من الثبّت والتفتيش عن الواقعة، لا العمل بقول الواحد أو الاثنين، ولاسيّما إذا كان فاسقاً، بل العمل بقول العدلين أيضاً في مثل تلك الواقعة، على خلاف طريقة الدول والعقلاء .

فالآية أجنبيّة عن الحكم بعدم قبول قول الفاسق مطلقاً، وبقبول قول العادل، مع عدم انقداح الردع من الآية عن بناء العقلاء على العمل بقول الملاك وذوي

١ . مرّ هذا البحث سابقاً للمؤلف نفسه في كتاب البيع، ج ٢، ص ٥٨٤ و ٥٩١.

٢ . التبيان، ج ٩، ص ٣٤٣؛ مجمع البيان، ج ٩، ص ١٩٨.

الأيادي والأولياء، ولهذا لم يعهد التمسك بها لذلك إلا نادراً.

[الاستدلال بأية النبأ على شرط العدالة في واجد السلعة]

وبما ذكرناه يظهر النظر فيما نقل عن بعض مقررّي بحث الشيخ الأنصاري (قدس سره) في اللقطة من التمسك بها لاعتبار العدالة في الملتقط، وأن أعمال الفساق كأقوالهم لا يجوز الاعتماد عليها؛ فإنه إذا وجب التثبت في قولهم، وجب في فعلهم؛ بمعنى عدم ترتيب آثار الوجود على الفعل المحتمل صدوره منهم.

وأيضاً يظهر من التعليل أن العلة هي مطلق الحذر من الوقوع في مخالفة الواقع.

وأيضاً: تفرغ الوقوع في الندم على ترك التثبت، يشمل الأفعال كالأقوال؛ فإن الندامة فيها أكثر منها في الأقوال^١.

[نقد لدلالة الآية على شرط العدالة في الأفعال]

فإنه مع ورود ما أوردناه على الأول عليه، يزيّف بأنه لا دليل على أن أعمال الفساق كأقوالهم، بل الدليل على خلافه؛ فإن أعمال الفساق تحمل على الصحة بلاريب، بخلاف أقوالهم، وأيديهم أمانة على ملكية ما فيها، ولو لزم من إسقاط اعتبار أقوالهم إسقاط كلّ ما يحتمل خلافه منهم، للزم الاختلال في سوق المسلمين. وأما التعليل فيظهر منه أن الأشياء الخطيرة - نحو إصابة قوم من المسلمين بالقتل والسيبي - علة، لا مطلق الجهالة ولو لم تترتب عليها مفسدة،

كما أن الندامة الحاصلة من إصابة طائفة من المسلمين، لا تقاس بها الندامة في أمر حقير غير مهتم به^١.

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ٩

[لزوم مقاتلة الباغي]

ومع أن القرآن حدد تكليف المسلمين في مثل هذه الحالة بقوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، فأى من الدول الإسلامية عملت بتكليفها، وبحثت وحققت لتعرف من الباغي والمعتدي فتقاتله كما أمر الله؟...

لماذا لا تعمل الدول الإسلامية بمضمون هذه الآية الشريفة ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾؟... لذا يجب على الدول الإسلامية وبنص القرآن أن تقاتل حكومة العراق حتى تردّها عن بغيتها وتفيء إلى أمر الله.^{٢٢}

١. كتاب البيع، ج ٢، ص ٦٠٢ - ٦٠٤.

٢. يشير في كلامه هذا الى صمت الدولة الاسلامية عن الحكومة العراقية او مساندتها لها احياناً في الحرب ضد ايران، حيث يقول ان القرآن اذا كان يدلّ على هذا المعنى فعلى الدول الاسلامية ان تردع الحكومة المجرمة، بل ولماذا لا تنف هذه الدول الى جانب ايران.

٣. صحيفة الامام، ج ١٣، ص ٢٧٦، من كلمة ألقاها في مجموعة من سفراء البلدان الاسلامية.

[شروط المصالحة والصلح]

ان المصالحة والمساومة مع المجرمين جريمة ضد شعبنا الملتزم وضد الاسلام وان موقفنا واضح منذ اليوم الاول وسيبقى هكذا وهو اننا نطالب بخروج المعتدي من بلادنا وينبغي على المسلمين شرعا ان يساعدونا في طرد هؤلاء، فقد أكد القرآن الكريم انه اذا اعتدت طائفة على طائفة اخرى من المسلمين فيجب على جميع المسلمين ان يحاربوا هذا المعتدي، فاذا رجعت الى طاعة الله فتفاوضوا معها. اننا نعتبر عناصر حزب البعث مجرمين في حال السلم والحرب. صحيح ان حكومتهم في العراق لم تكن في حرب دائمة، لكن جرائمهم ضد الاسلام والمسلمين والشعب العراقي ومراجع الدين وعلماء الاسلام في العراق هي جرائم يومية، هذا فضلا عن جنونهم الفطري وطمعهم الذي عجت به ذات صدام ولا يمكن القضاء على ذلك الا بسلاح وقوة الايمان. ولقد اثبتتم انكم قادرون على الصمود بوجه القوى العظمى، وسوف يسجل التاريخ ذلك لكم في سوح القتال^١.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ١٠



١ . صحيفة الامام، ج ١٦، ص ٨٨ من كلمة ألقاها في حشد من مقاتلي الجيش وحرس الثورة الاسلامية.

[علامة الاخوة في تحقق الإيمان]

وصف القرآن الكريم الجميع بالاخوة. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. ويستنبط من هذه الآية أن شخصين اذا لم يعملوا بأخوتهم الإيمانية، ولم يكونا أخوين فكراً وفعلاً، فإنهما ليسا بمؤمنين.

فكما يطلب الأخ ويتمنى لأخيه الخير، يفعل المؤمن كذلك. إن رأينا في وقت ما أحداً لا يريد الخير لإخوته، واثار النزاعات والصخب وافتعل الضجيج، فاعلموا أنه لم يأخذ حظه من الإيمان، فالإيمان الذي يجب أن يؤثر في قلبه لم يؤثر فيه.^١

[الاخوة بين المسلمين]

علينا أن نتنبه لهذه المخططات ونمثل للحكم الإلهي: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وأن تظهر الأخوة هذه في سلوكنا وأفعالنا وأقوالنا. إنه حكم سياسي يدعو المسلمين البالغ عددهم المليار نسمة إلى التآخي والتضامن لمواجهة الأعداء إنها نقطة في غاية الأهمية أيها الأعضاء.^٢

[انحصار الاخوة بين المسلمين]

أما العمل خلاف الإسلام، فينتج مجتمعا مختلفاً فيما بينه.

١. صحيفة الامام، ج ١١، ص ٣٨١، من خطاب ألقاه في تاريخ ٢ / ١٠ / ١٣٥٨.

٢. المصدر السابق، ج ١٣، ص ١٣٣، من كلمة ألقاها في حشد من مختلف شرائح الشعب ومنتسبي

جهاد البناء في سيستان وبلوشستان؛ صحيفة النور، ج ١٣، ص ٢٥.

القرآن يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ولا شيء غير الأخوة بين المؤمنين. فليس المؤمنون إلا إخوة. فإذا لم نلاحظ إلا جهة الإخوة فيما بيننا، فهذا يكفي لانسجامنا. القرآن يريد المؤمنين إخوة، ولا شيء غير الإخوة، فلا يصيبهم بعد ذلك ضرر.^١

[وجوب الاخوة]

المسلم الحقيقي يعمل بما يأمر به القرآن الذي ينص على أن المؤمنين إخوة وأن كل مسلم مكلف بمراعاة كافة جوانب الأخوة ومستلزماتها. الأخوة تتطلب أن يهب جميع المسلمين لنصرة المسلم ومساعدته عند تعرضه للظلم والعدوان ومشاركته في الأفراح والأحزان.

إن الأساليب التي يتبعها هؤلاء في بث التفرقة بين المسلمين تصب جميعها في مصلحة الأجانب وتسهل تسلطهم على البلاد وعودة البلاد إلى ما كانت عليه من ظلم وقهر شمل جميع أرجائها من العاصمة وحتى أقصى المناطق.^٢

[خوف الاعداء من تحقق الاخوة]

المسلم لا يمكنه الاضرار بالمسلم، لأن المسلم أخو المسلم، والقرآن الكريم

١. المصدر السابق، ج ١١، ص ٤٩١، من كلمة ألقاها في حشد من منتسبي القوة الجوية في قاعدة

«حر»؛ صحيفة النور، ج ١١، ص ١٤٨.

٢. صحيفة الامام، ج ١٣، ص ١٥٣، من كلمة ألقاها في حشد من علماء محافظة كردستان؛ صحيفة

النور، ج ١٣، ص ٤٥؛ وأيضاً راجع: صحيفة الامام، ج ٧، ص ٤٩٢ و ج ١١، ص ٢٨٣.

عَقَدَ عَقْدَ الْأَخُوَّةِ بَيْنَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ^١ بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ والأخ لا يضر أخيه. إن هؤلاء لا يريدون لدولة الإسلام أن تقوم خوفاً من فقدهم مصالحهم ومنافعهم! وإلا فإن شعبنا يريد الإسلام لأنه يرى فيه خيره وصلاحه، في الدنيا والآخرة.^٢

الصبغة الاجتماعية للأحكام الأخلاقية

إن الأحكام الأخلاقية للإسلام هي أحكام سياسية أيضاً. فالقرآن يدعو لأن يكون المؤمنون إخوة، وهذا الحكم هو حكم أخلاقي واجتماعي وسياسي في نفس الوقت.

إذاً فالاتحاد والتضامن والتآخي بين المؤمنين وبمختلف طوائفهم واتجاهاتهم، هو خلق إسلامي رفيع فضلاً عن أنه حكم اجتماعي عظيم ذو تبعات ونتائج أخلاقية.

إن الإسلام الذي سعينا لرفع رايته في هذا البلد قد تمكن ورغم قصر المدة من إيجاد الأخوة فيما بيننا، ومع أن هذه الأخوة لم تصل بعد إلى الحد المطلوب

١. الملاحظة التي تسترعي الانتباه في هذا الكلام هي تأكيده على الاخوة والتلاحم بين المسلمين من أي مذهب وامتد كانوا. واستناداً الى هذه الآية يرى سماحته بأن معيار الاخوة في الاسلام هو الايمان به حتى وان كانوا على مذاهب مختلفة كأن يكونوا سنة أو شيعة. ومن هنا فهو يرجع تعبير الايمان الى اصطلاحه القرآني الذي يعني الاعتقاد بالاسلام والقرآن، ولا يرجعه الى الاصطلاح الفقهي الخاص بالشكل الذي اوردته الفقهاء في كتبهم بقيد الشيعي أو السني. وقد بين هذا الرأي صراحة في الخطاب الذي جاء في (صحيفة الامام، ج ١١، ص ٣٦٧).

٢. صحيفة الامام، ج ١٠، ص ٢٤٩، من كلمة ألقاها في حشد من لاعبي الرياضة التراثية والابطال الرياضيين من مختلف انحاء البلاد؛ صحيفة النور، ج ٩، ص ٢٦٨.

ولكنها أدت إلى إشاعة الرحمة الإلهية في هذا البلد.^١

[الشأن الانحصاري للأخوة بين المؤمنين]

إن الألوان المختلفه من الأبيض والأسود والأصفر، كل ذلك من القضايا المسببة للفرقة و هي تأتي من القوى الكبرى والشياطين الكبرى التي تريد إيجاد الخلاف بين الشعوب وبين البشر ونحن نلاحظ في المقابل بأن الإسلام يؤكد الأخوة بتعابير مختلفة منها: إنما المؤمنون إخوة. ويفهم من هذا الكلام بأن المومنين ليس لهم شأن إلا الأخوة ويتلخص كل مالدبهم بالأخوة. فالقوى الكبرى أدركت أمام هذه التعابير الموجودة في القرآن بأنها إذا تحققت فإنها لاتستطيع التدخل في هذه البلاد.^٢



[وجوب تحقق الاخوة في المجتمع]

وهذا واجب بل من أعظم الواجبات التي نص عليها الإسلام، ولا يتحقق ذلك إلا بالتكاتف والتآزر وان يكون ابناء الشعب اخوة فيما بينهم.. انما المؤمنون

١. المصدر السابق، ج ١٣، ص ١٣٠ - ١٣١، من كلمة ألقاها في حشد من مختلف الشرائح الاجتماعية، والعاملين في جهاد البناء من محافظة سيستان و بلوشستان؛ صحيفة النور، ج ١٣، ص ٢٣.

٢. صحيفة الامام، ج ١٥، ص ٤٧١، من كلمة ألقاها في حشد من مختلف الشرائح الاجتماعية، والمؤسسات والمنظمات وطلبة الجامعات؛ صحيفة النور، ج ١٥، ص ٢٧٨.

أخوة^١. فإذا ما تم صيانة هذه الاخوة الإيمانية في كافة انحاء البلاد، ولم يفكر كل واحد بنفسه وتطلع الجميع لهدف واحد، فلن يجزؤ احد على تهديد هذا البلد.^٢

[امتحان المؤمنين برعاية الاخوة]

لقد تحركت هذه القافلة وهي سائرة إلى الله. سيروا سوية في هذا الطريق. إذا كنتم معاً سوية في هذا الطريق كان الله معكم. لا تتفرقوا، أنتم أخوة لبعضكم. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، هذا أيضاً محك نرى من خلاله هل ننظر للآخرين بعين الاخوة، وهل نتعاش معاً كاخوان أم لا؟ ثمة خصومات ومشاكل بيننا لا سمح الله؟ المؤمن هو من يكون أخاً للمؤمن الآخر. عقد الاخوة هذا اوجده الله في الأساس لكم. أيها الاخوة، إننا لا نزال في منتصف الطريق والعدو يترصد بنا. ثمة طريق نسلكه فرادى، وهو الصراط الإلهي. العدو إبليس ويريد أن لا يدعمكم تسلكون هذا الطريق، راقبوا أنفسكم لتسلكوا هذا الطريق بسلامة وتدخلوا — حيث تذهبون هناك - بسلام.^٣

[شمول الاخوة لكل الشعوب الإسلامية]

هذه أيضاً دسيمة للتفرقة بين الاخوة. الإسلام والقرآن عقدا بيننا عقد الأخوة

١ . إشارة إلى سورة الحجرات، الآية ١٠.

٢ . صحيفة الامام، ج ١٧، ص ٤٣٥.

٣ . صحيفة الامام، ج ١٢، ص ٣٥٨، من كلمة ألقاها في حشد من قادة حرس الثورة الاسلامية من مختلف ارجاء البلاد؛ صحيفة النور، ج ١٢، ص ١٢٨.

﴿الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. فجميع المؤمنين، الأتراك والفرس والعرب والعجم وفي كل مكان، جميع المؤمنين إخوة. هذا هو القرآن... ان المؤمنين في أنحاء العالم إخوة بحسب أحكام القرآن. والإخوة سواء في السراء والضراء. وفي الإسلام مبدأ الأخوة هذا هو أساس الخيرات. وهؤلاء يحاولون سرقة هذه الأخوة منا وإثارة البلوى بيننا. يوماً ما يثرون البلوى في كردستان بأنها مختلفة وبلاد فارس شيء آخر. يزمعون إيجاد التفرقة بين الإخوة بذريعة اختلاف اللغات.^١



[الاخوة بدلاً من القيادة]

أعزائي، إن مسألة القيادة ليست بمهمة لدي، بل إن الأخوة هي المهمة. إن الله تبارك وتعالى - وصفنا بالإخوة في القرآن الكريم حين قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. فالإسلام لا يعير القيادة أهمية حتى إن كبار الإسلام وإجلأه هم قادة وروحون، إلا أن هذا الأمر لم يكن بذى أهمية لديهم.^٢

[أهمية الاخوة في المجتمع]

إن من الأهداف الكبيرة للشرائع الإلهية والأنبياء العظام - سلام الله عليهم - مضافاً إلى كونه - الهدف الذي نذكره - هدفاً مستقلاً وليس بمجرد أداة وواسطة

١. صحيفة الامام، ج ١١، ص ٣٦٧، من كلمة ألقاها في حشد من الطلبة الجامعيين من تبريز،

وطهران، وموظفي ومتسبي مصرف تبريز؛ صحيفة النور، ج ١١، ص ٧٢.

٢. صحيفة الامام، ج ١١، ص ٣٥٢، من كلمة ألقاها في حشد من طلبة جامعة شيراز؛ صحيفة النور،

وإنما هي الوسيلة التي تبعث على إنجاز الأهداف الأساسية الكبيرة، وشرط ضروري لتحقيق المدينة الفاضلة. مضافاً على ذلك، هو توحيد الكلمة وتوحيد العقيدة والإتفاق في الأمور الهامة، والحد من ظلم الجائرين الباعث على فساد بني الإنسان ودمار المدينة الفاضلة، ولا يتحقق هذا الهدف الكبير المصلح للمجتمع والفرد إلا في ظل وحدة النفوس وإتحاد الهمم والتآلف والتآخي، والصدقة القلبية والصفاء الباطني والظاهري، وتربية أفراد المجتمع على نمط يساهم كلهم في بناء شخص واحد، ويحوّل المجتمع إلى فرد، ويجعل الأفراد بمنزلة الأعضاء والأجزاء لذلك الفرد وتدار كافة الجهود والمسعاعي حول الهدف الإلهي الكبير، والأمر الهامّ العقلي العظيم - الوحدة والأخوة - الذي فيه مصلحة الفرد والمجتمع. ولو أن مثل هذه الوحدة والأخوة ظهرت في طائفة أو نوع، لتغلبوا على جميع الطوائف والأمم التي لاتحظى بالأخوة والوحدة كما يتضح ذلك من مراجعة التاريخ وخاصة دراسة الحروب الإسلامية وفتوحاته العظيمة، حيث تمتع المسلمون لدى بزوغ القانون الإلهي - الإسلام - بشيء من الوحدة والاتحاد، وإقترنت مساعيهم بشيء من الخلوص في النية، فحققوا في فترة قصيرة إنجازات عظيمة، وهزموا القوى الجبارة آنذاك المتمثلة في إيران والروم وانتصروا رغم قلة عددهم وعُدّتهم على الجيوش المدججة بالسلاح وعلى المجتمعات الكبيرة.

إن نبي الإسلام قد أجرى عقد الأخوة في الأيام الأولى بين المسلمين، فسادت الأخوة حسب الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ بين جميع المؤمنين.

١ . المشفوع: المقرون، بمعنى ان جهود المسلمين تفتنر بالنبيّة الخالصة، وانهم سعوا نوعاً وعموماً لمساعدة ومؤازرة بعضهم الآخر.

وفي الكافي الشريف عن العرقوفي قال: سمعتُ أبا عبد الله (عليه السلام) يقول لأصحابه: «إتقوا الله وَكُونُوا إِخْوَةً بَرَّةً فِي اللَّهِ مُتَوَاصِلِينَ مُتَرَاحِمِينَ. تَزَاوَرُوا وَتَلَاقُوا وَتَذَاكَرُوا أَمْرًا وَأَحْيَا»^١.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«يَحِقُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْإِجْتِهَادُ فِي التَّوَاصُلِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى التَّعَاطُفِ وَالمُؤَاسَاةِ لِأَهْلِ الْحَاجَةِ وَتَعَاطُفِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى تَكُونُوا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾»^٢.

وعنه (عليه السلام): «تَوَاصَلُوا وَتَبَارَكُوا وَتَرَاحَمُوا وَكُونُوا إِخْوَةً بَرَّةً كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^٣.

ومن المعلوم أنه كلما يبعث على ازدياد هذه الصفات، يكون محبوباً ومرغوباً فيه وكلما ينقض هذه الأخوة ويفرط عقد التواصل ويدفع نحو التمزق، يعتبر مبعوضاً عند صاحب الشريعة ومناقضاً لأهدافه الكبيرة. ومن الواضح لدى الجميع بأن هذه المعصية الكبيرة الخطيرة - الغيبة - إذا أشيعت في المجتمع، أصبحت سبباً للضعف والحسد والعداوة والبغض وترسيخ جذور الفساد في المجتمع، وغرس شجرة النفاق فيه، وضعف وحدة المجتمع وتضامنه، وهن أساس الديانة، وفي النهاية تزداد في المجتمع القبايح والفساد.

فيجب على كل مسلم غيور ملتزم، لصيانة نفسه من الفساد، وأهل دينه من النفاق وللمحافظة على المجتمع الإسلامي ووحدته ولتحكيم عقد الأخوة أن

١. أصول الكافي، ج ٢ ص ١٧٥، كتاب الإيمان والكفر، باب التراحم والتعاطف، ح ١.

٢. أصول الكافي، ج ٢ ص ١٧٥، كتاب الإيمان والكفر، باب التراحم والتعاطف، ح ١٤.

٣. أصول الكافي، ج ٢ ص ١٧٥، كتاب الإيمان والكفر، باب التراحم والتعاطف، ح ٢.

يبتعد عن هذه الرذيلة، ويمنع المغتابين من هذه الموبقة القبيحة، ويتوب إلى الله من هذا العمل الكريه، وإذا كان مبتلياً به، ويسترضي من اغتابه. وإذا أمكن من دون أن يفضي إلى مشكلة استحلّه، وإلا إستغفر له وتخلى عن هذه الخطيئة، وأنعش من جديد في قلبه جذور الصداقة والاتحاد، حتى يصبح من الأعضاء الصالحين في المجتمع وينقلب إلى جزء هام في عجلة الإسلام والله الهادي إلى سبيل الرشاد.^١



[خلاصة اجمالية لآية الاخوة]

من الآيات التي كثيراً ما كان يرجع إليها الامام الخميني واستشهد بها مرّات ومرّات في مناسبات مختلفة هي هذه الآية. وعند الحديث حول هذه الآية يشير الى مجموعة من النقاط التي تلخص في ما يلي:

١. ان كل المسلمين ومن اي مذهب كانوا، مؤمنون وتشملهم آية الاخوة. فهو يقول ان الشعوب الاسلامية التي يبلغ عدد نفوسها ما يقارب المليار نسمة كلهم اخوة.

٢. استفاد من لحن الآية ان العلاقة بين المؤمنين هي الاخوة، وليست هناك من علاقة اخرى بين المسلمين سوى الاخوة. وعبارة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ تعبّر عن هذا المعنى، وهو ان كل ما للمسلمين يتلخص في الاخوة.

٣. على المؤمنين ان يقوموا بكل مقتضيات الاخوة، وخاصة حين يتعرض

مسلم لأذى أو مصيبة؛ فعلى جميع اخوانه المسلمين ان يتأثروا لمصابه، ويهرعوا لمعونته والذب عنه ان استطاعوا.

٤. رغم ان هذا الحكم يبدو في ظاهره اخلاقياً، الا انه حكم سياسي واجتماعي أيضاً. ولهذا مثلما ينظر الاخر الى أخيه بعين المحبة، كذلك يجب ان تنظر كل الشرائح الى بعضها الآخر بعين المحبة ولا يسيئوا الظن ببعضهم، ولا يسمحوا لأحد بالقاء الفرقة بينهم بالتأمر أو غير ذلك من المسميات.

٥. ان المعيار في مدى ايمان الافراد يُقاس بطبيعة نظرتهن الى الآخرين؛ فهل ينظرون اليهم بعين المحبة ويتعاملون معهم كاخوة، أم هناك بينهم حالة من الخصام. والمؤمن طبعاً هو من يكون أخاً للمؤمن الآخر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَ لَا تَجَسَّسُوا وَ لَا يَغْتَبَ بَعضُكُمْ بَعضاً أ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٢



[حرمة الغيبة]

إعلم أن حرمة الغيبة محل إتفاق إجمالاً، بل تعدّ من ضروريات الفقه ومن المعاصي الكبيرة والموبقات المهلكة. ويكون البحث في ذلك والموارد التي إستثنى منها، خارجة عن نطاق هذا الكتاب. واللازم في هذا المقام التنبيه على فساد هذه السيئة الموبقة وعلى مضاعفاتها، حتى نفكر فيها ولانبتلي بها إنشاء الله أو إذا ابتلينا - لاسمح الله - لرجعنا عنها، وتبنا، وإستصلنا مادة الفساد، ولانفصح المجال للارتحال من هذا العالم مع هذا الدنس والابتلاء بهذه المعصية الكبيرة

الماحقة للإيمان.^١ لأن لهذه الخطينة الكبيرة في عالم الغيب، وخلف حجاب الملكوت، صورة مشوهة بشعة، تبعث - مضافاً إلى قبح منظرها - على الفضيحة في الملائكة الأعلى ولدى محضر الأنبياء المرسلين والملائكة المقربين. والصورة الملكوتية لها، هي التي أشار إليها سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، وشرحها الأحاديث الشريفة صراحة وتلويحاً أيضاً. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّبِعُ بَعْضُكُم بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

نحن غافلون عن أن أعمالنا بأنفسها في صور تتناسب معها، تعود إلينا، في عالم آخر. وغافلون عن أن لهذا العمل، صورة أكل الميتة. إن صاحب هذا العمل - المغتاب - يضاوي الكلاب الجارحة، في إفراسه لأعراض الناس ولحومهم، وسترجع إليه الصورة الملكوتية لهذا العمل - كلب ينهش لحم الميت - في نار جهنم. وفي رواية أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لَمَّا رَجَمَ الرَّجُلَ فِي الزَّيْنِ قَالَ رَجُلٌ لِمُصَاحِبِهِ: «هَذَا أَقْصَى كَمَا يُقْعَصُ الْكَلْبُ فَمَرَّ النَّبِيُّ مَعَهُمَا بِجَيْفَةٍ، فَقَالَ: إِنَّهَا مِنْهَا، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَنْهَشُ جَيْفَةً؟ فَقَالَ: مَا أَصَبْتُمَا مِنْ أُخْيِكُمَا أَنْتَنُ مِنْ هَذِهِ». نعم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد شاهد نتيجة قوة نور بصيرته وحدة مشاهدته - النبوية الغيبية - عملهم - المغتابين - وعرف بأن جيفة الغيبة أشد من جيفة الميتة وصورة عمل الغيبة أشد قبحاً وفضاعة من صورة الميتة المتفسخة. وفي رواية أخرى أن المغتاب يأكل من لحمه يوم القيامة. وفي وسائل الشيعة عن كتاب «المجالس» لصدوق الطائفة - رضوان الله عليه - عن نوف البكالي قال أتى أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أن قال قلت زدني قال: «إِجْتَنِبِ الْغَيْبَةَ فَإِنَّهَا

١. إشارة إلى الآية المذكورة أعلاه التي تصف الغيبة بأكل لحم الميت.

٢. المحجة البيضاء، ج ٥ ص ٢٥٣، كتاب آفات اللسان.

إدام كِلَابِ النَّارِ ثُمَّ قَالَ: يَا نُوفُ

كَذَّبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ وُلِدَ مِنْ حَلَالٍ وَهُوَ يَأْكُلُ لَحُومَ النَّاسِ بِالْغَيْبَةِ»^١.

ولانتهافت بين هذه الأحاديث الشريفة. إذ يمكن أن يتحقق كل ذلك: يأكل - المغتاب - لحم الميتة ويأكل لحم جسده أيضاً. يكون على صورة الكلب فيأكل الجيفة، ويكون على صورة الميتة تأكله كلاب جهنم أيضاً. هناك - في عالم الآخرة - إن الصورة تابعة للحيثيات التي توجد في الفاعل فيمكن أن تكون لموجود واحد صوراً مختلفة. كما هو مقرر في محله^٢.

[حرمة الغيبة وكونها كبيرة]

الغيبة حرام بالأدلة الأربعة، والظاهر أنها من الكبائر.

ويمكن الاستدلال على كونها كبيرة بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا

أَيُّحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

بناء على أن ذيل الآية الكريمة تنبيه على تجسّم عمل المغتاب في الآخرة

١. وسائل الشيعة، ج ٨ ص ٦٠٠ أبواب أحكام العشرة، الباب ١٥٢، ح ١٦.

٢. وأما بالنسبة الى مسألة كيف يمكن القول بأن المغتاب غير طاهر المولد فليس المقصود منه انه ابن حرام وولد زنا، وإنما المراد انه كبر على طعام اطعمه به والده من الحرام، والأقلّمأ تجد انساناً لم يقترف غيبة في حياته . هذا فضلاً عن ان هذه الرواية يقع في سندها كذّابون كابن ابي الخطاب وهو فاسد، والمغيرة بن محمد وهو مجهول.

٣. المقصود من جمع الصور هو ان يكون أكل لحمه ولحم الآخرين حياً وميتاً يشير الى حقيقة الفاعل وافعاله المختلفة؛ أي ان الفعل يؤشر الى الجهات الفاعلية والصور التابعة الى هذه الجوانب.

٤. الاربعون حديثاً، ص ٣٠٣.

بصورة أكل لحم ميتة أخيه، وهو إيعاد بالعذاب.

كما تدلّ على أصل تجسّمها الآيات والأخبار الكثيرة، وفي المورد بعض الروايات:

مثل ما عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنه نظر في النار ليلة الإسراء فإذا يقوم يأكلون الجيف، فقال: يا جبرئيل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس»^١.

وتشعر به أو تدلّ عليه ما عن جامع الأخبار عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «اجتنبوا الغيبة، فإنها إدام كلاب النار»^٢.

وبناء على أنه تعرف الكبيرة بإيعاد الله العذاب عليها ولو لم يكن إيعاداً بالنار صريحاً، كما يظهر من صحيحة عبد العظيم الحسيني المفصلة التي فيها كثير من الكبائر^٣ أو كان المراد من ذيلها التنزيل الحكمي، بمعنى أن الغيبة بمنزلة أكل لحم ميتة الأخ في الحكم، بناء على أن أكل الميتة من الكبائر، كما تدلّ عليه حسنة الفضل بن شاذان عن الرضا - عليه السلام - في كتابه إلى المأمون، وفيها عدّ أكل الميتة من الكبائر^٤، ومعلوم أن ميتة الآدمي إما داخلية في إطلاقها، أو أكلها أعظم من ميتة غيرها. ويدلّ على هذا الاحتمال بعض الروايات:

مثل ما عن تفسير الإمام العسكري - عليه السلام -: «إعلموا أن غيبتكم لأخيكم المؤمن من شيعة آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أعظم في

١. مستدرک وسائل الشيعة، ج ٩، ص ١٢٥، كتاب الحج، الباب ١٣٢ من أبواب أحكام العشرة، ح ٤٣.

٢. نفس المصدر والباب، ح ٣١؛ وجامع الأخبار، ص ١٧٢.

٣. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٢٥٢؛ كتاب الجهاد، الباب ٤٦ من أبواب جهاد النفس...، ح ٢.

٤. نفس المصدر والباب، ح ٣٣.

التحريم من الميتة، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا...﴾^١ والظاهر أن قوله: «أعظم في التحريم من الميتة» مبني على ما قلناه من أعظمية حرمة ميتة الإنسان سيما الأخ من غيرها في ارتكاز المشرعة.

[مناقشة لبعض الاستدلالات في اعتبار الغيبة كبيرة]

وإن أمكنت المناقشة في الاستدلال بالآية على كونها كبيرة بل على أصل تحريمها بأن من المحتمل أن يكون المراد بذيلها تنظير الغيبة والتفكك بأعراض الناس بأكل لحم ميتة الأخ في تنفّر الطباع السليمة عنه و انتقاص أعراضهم كأكل لحومهم، فيكون إرشاداً إلى حكم العقل، فلا تدلّ على التحريم فضلاً عن كونها كبيرة. وتدل على هذا الاحتمال، أي كونه تنظيراً وتشبيهاً موضوعاً، جملة من الروايات:

كما في مجمع البيان في شأن نزول الآية، قال: نزلت في رجلين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اغتابا رفيقهما وهو سلمان، إلى أن قال: فقال لهما: «مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما»؟ قال: يا رسول الله، ماتنا ولنا يومنا هذا لحماً. قال: «ظلمتم تأكلون لحم سلمان وأسامه»^٢.
وليس المراد من قوله: ﴿أَيَجِبُ أَحَدُكُمْ﴾ رفع محبوبيته الأعم من

١. مستدرک وسائل الشیعة، ج ٩، ص ١١٣، کتاب الحج، الباب ١٣٢ من أبواب أحكام العشرة، ح ١؛

وتفسير الإمام العسكري: ٥٨٦.

٢. مجمع البيان، ج ٩، ص ١٠٠، ص ٢٠٣.

٣. المكاسب المحرمة، ج ١، ص ٣٧٠ - ٣٧٢.

المبغوضية، بل الظاهر من مثله حصول المبغوضية، كقوله تعالى: ﴿أَيُّحِبُّ
أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾^١.



[مجال الغيبة وانطباق حكمها على التهمة]

وما ذكرناه هو الظاهر من شأن نزول ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَغْضُكُمْ بَعْضًا...﴾ على ما في
مجمع البيان^٢:

قال: «وقوله: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَغْضُكُمْ بَعْضًا...﴾ نزل في رجلين من أصحاب رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اغتابا رفيقهما، وهو سلمان بعثاه إلى رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليأتي لهما بطعام، فبعثه إلى أسامة بن زيد خازن

١. طرح هذا البحث بمناسبة الكلام عن صلاة المسافر وهو ان رجلاً سأل النبي: هل يجوز له ان يتم
الصلاة في السفر؟ فقال له: «أَيُّحِبُّ أَحَدَكُمْ لَوْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِ صَدَقَتُهُ؟» يأخذ
سماحة الامام الخميني عبارة «أَيُّحِبُّ» الواردة في الآية الشريفة لا بمعنى عدم الحب، وانما
بمعنى المبغوضية، ويقول: مثلما تنص الآية الى ان اكل لحم الاخ مبغوض، كذلك رد الهدية
والصدقة قبيح. ولهذا لا يمكن اتمام الصلاة في السفر.

٢. كتاب الطهارة، ج ٢، ص ١٠٣.

٣. هذا بحث لغوي ويتناول اطار هذه الكلمة ومجالها وهل كلمة الغيبة تنحصر في الحالات التي
يكون فيها ذم الشخص واقمياً، أم تنطبق أيضاً على الحالات التي يكون فيها الذم بعيداً عن الواقع،
وهو ما يُسمى بالتهمة. وفي هذا المجال يطرح الامام الخميني تحليلاً يقول فيه بأن الذم المطابق
للواقع أو المخالف للواقع (وهو ما يُسمى بالغيبة والتهمة) من التقسيمات المتأخرة، واما قبل ذلك
فقد كان مصطلح الغيبة يشير الى الحالتين. والدليل على ذلك هو شأن نزول الآية.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على رحله، فقال: ما عندي شيء فعاد إليهما فقالا: بخل أسامة، وقالوا لسلمان: لو بعثناه إلى بشر سميحة لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لهما: «مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟» قالوا: يا رسول الله، ما تناولنا يوماً هذا لحماً، قال: «ظلمتم تأكلون لحم سلمان وأسامة» فنزلت الآية^١. انتهى.

ومعلوم أن سلمان وأسامة لم يكونا على ما وصفاهما، فقد نزلت الآية حسب هذا النقل في مورد التهمة.

وظاهر الطبرسي الجزم بكون النزول لذلك، ولا يخلو هذا النحو من الإرسال من مثله من نحو اعتبار.

وهو مقتضى إطلاق صحيحة هشام^٢. ومرسلة ابن أبي عمير عن أبي عبد الله - عليه السلام - «من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعت أذناه فهو من الذين قال الله...»^٣.

فإن إطلاق «ما سمعته أذناه» يشمل غير الموافق للواقع.

كما أن الآية الكريمة واردة في قضية الإفك ومربوطة بها، فراجع الكتاب العزيز وإن كان إطلاقها يشمل البهت وغيره.

وهو الظاهر من بعض الروايات، مثل ما عن المجالس بسنده عن أبي عبد الله - عليه السلام - وفيها: «ولقد حدثني أبي، عن أبيه، عن آبائه، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من اغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنة أبداً، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه فقد انقطعت العصمة بينهما وكان

١. مجمع البيان، ج ٩ - ١٠، ص ٢٠٣، في ذيل الآية ١٠ من سورة الحجرات.

٢. البرهان في تفسير القرآن، ٣، ص ١٢٨، ح ٥.

٣. وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٥٩٨، كتاب الحج، الباب ١٥٢ من أبواب أحكام العشرة، ح ٦.

المغتتاب في النار خالداً فيها وبئس المصير»^١.

ضرورة النظر إلى كيان الإسلام والاستثناء من حكم حرمة

[التجسس]

على الجميع أن نحفظ الإسلام حتى النساء المخدرات اللاتي هن في البيوت فالواجب عليهن حفظ الإسلام وهو واجب على الجميع، عليكم جميعاً أن تتبها إذا رأيتم مؤامرة، أو تحركات مشبوهة وأن تخبروا عنها.

[شبهة التزاحم بين حرمة التجسس والإخبار عن مؤامرة]

لقد كتب إلى أحد المساكين: إنك تدفع الجميع إلى التجسس والمراقبة في حين أن القرآن يقول: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ نعم لقد قال القرآن ذلك وأمره مطاع. ولكن القرآن قد قال في موضع آخر: لا تقتلوا أنفسكم^٢ هل يمكن أن نعترض على سيد الشهداء عندما يكون الإسلام معرضاً للخطر فجميعكم مطالبون بحفظ الإسلام بالتجسس...

إن أحكام الإسلام جاءت لمصلحة المسلمين ولمصلحة الإسلام، فعند ما نرى الإسلام في خطر يجب أن نفنى جميعاً لحفظه. وعندما نرى دماء المسلمين معرضة للحظر ورأينا جمعاً يتآمرون لقتل جمع من الأبرياء فإن علينا جميعاً أن نتجسس وعلينا جميعاً أن نراقب وأن نسمع بأن تحدث مشكلة كهذه. إن حفظ

١. نفس المصدر والباب، ح ٢٠؛ ومجالس ابن الشيخ: ٦٣، المجلس ٢٢.

٢. المكاسب المحرمة، ج ١، ص ٣٨٥ - ٣٨٦.

٣. النساء (٤): ٢٩.

نفوس المسلمين أهم من بقية الأمور وإن حفظ الإسلام أهم من حفظ نفوس المسلمين. إن هذه مقولة حمقاء يتم إلقاؤها من خلال هذه المجموعات حيث يقولون بأن التجسس ليس جيداً. نعم إن التجسس الفاسد ليس جيداً، ولكنه واجب لحفظ الإسلام وحفظ نفوس المسلمين. الكذب أيضاً واجب كما أن شرب الخمر أيضاً واجب لهذا الغرض. إن في أيدينا أمانة هي الإسلام، لا عذر لدنيا إذا جلسنا جانباً وقلنا على الآخرين أن يحفظوه إنها ليست أمانة للآخرين إنها أمانة من الله في عاتقنا وهي لجميعنا، نحن حافظوها.^١

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ١٣

[التقوى هي الإنسانية]

حضارة الهمة، حضارة محمدية: تلك التي لا تفرق بين الابيض والاسود، وتفاضل بين جميع فئات البشر على اساس التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فالميزان هو التقوى والمبادئ هو الانسانية.^٢

١. صحيفة الامام، ج ١٥، ص ١١٥-١١٦، من كلمة ألقاها في حشد من قادة حرس الثورة الاسلامية، ومدراء التربية والتعليم، ورؤساء واعضاء الاتحاد الاسلامي في الاذاعة والتلفزيون؛ صحيفة النور، ج ١٥، ص ١٠٠.

٢. صحيفة الامام، ج ٦، ص ٣٤٣، من كلمة ألقاها في حشد من الاطباء والمضمدین؛ صحيفة النور، ج ٥، ص ١٦٠.

[أحد المعايير في سنن القوانين الاهتمام برعاية التقوى]

ان قوانين الاسلام ليست كقوانين الدول حيث توضع لكل دولة قوانينها الخاصة، لكي تكون لها ضرائبها المالية وحدودها. قانون الاسلام يرمي الى ازالة الحدود بين الدول ليقوم دولة عالمية واحدة، ويعيش كل أبناء البشرية تحت راية واحدة وقانون واحد.

ويتطلع أيضاً الى ان يمحى من العالم كل هذه الجرائم والجنايات التي يرتكبها بعض البشر ضد الآخرين، ومثل هذه الحكومة لا ينبغي ان تعمل بانظمة الضرائب الجمركية والحدودية. وقد جاءت الحكومة الاسلامية من أجل التربية الاخلاقية والتهديب الروحي، ومن اجل الارتقاء بالحياة المادية والمعنوية لجميع ابناء الاسرة البشرية.

والاسلام يناهض تماماً الدعوات القومية ويعتبرها من الميول الجاهلية. وأحكام الاسلام لا تميّز بين عربي وفارسي وانجليزي وفرنسي. غاية الاسلام التوحيد والتقوى، ومن كانت فيه هذه الصفات أكثر فهو أقرب الى الاسلام وان كان يعيش في افريقيا: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾. فالمشروع هنا هو الله. والله لا قرابة له مع احد، ولا عداوة له مع طائفة، وهو ينظر الى جميع الخلق بالنظرة الالهية الكريمة. وقد أرسل احكام الاسلام والقرآن من أجل سعادة ابناء البشرية كلها.

[ذم التمييز العنصري]

إن المسألة المهمة التي جعلت البلاد الاسلامية مغلوبة على أمرها وأبعدتها

عن ظلال القرآن الكريم هي مسألة التمييز العرقي^١: فهذا من أصل تركي، ويجب أن يُصَلِّيَ صلاته بالتركية، وهذا من أصل إيراني ويجب أن تكون حروفه الهجائية كذا، وذلك من أصل عربي، ويجب أن تحكم العروبة وليس الاسلام، ويجب أن يحكم الأصل الآري وليس الاسلام متناسين ما يركز عليه المسلمون جميعاً! ويؤسف على أنهم جرّدوا المسلمين من هذا المرتكز، ولا أدري الى أين سيؤول الأمر؟!

لعبة القومية هذه هي التي جاء الاسلام وشطب عليها بخط أحمر، ولم يفرق بين الأسود والأبيض، وبين الترك والعجم، وبين العرب وغير العرب الا بالتقوى والخوف من الله، والتقوى بمعناها الحقيقي: التقوى السياسية والمادية والمعنوية: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ليس هناك ترك و فرس، وعرب وعجم، فالمرتكز هو الاسلام...^٢

[طرح التقوى لنفي التمييز العنصري]

المسلمون يد واحدة على من سواهم يسعى بذمتهم ادناهم. فلا تفرقة ولا

١ . المقصود بالألعيب العنصرية هو التثبيث بالنزعة العرقية والعزف على وتر العنصرية من اجل اثاره اثاره الناس عن طريق القومية والعنصرية لبلوغ مآرب سياسية. وهذا الاتجاه بدأ يثار في البلدان الاسلامية منذ اوائل العقد الخامس من القرن العشرين في البلدان الاسلامية تحت توجهات القومية العربية والقومية التركية والقومية الايرانية، وجعل البلدان الاسلامية مشغولة في هذا المعترك الداخلي، وأبعدها عن تلاحمها ووحدها . وجاء هذا الكلام لتسليط الضوء على مثل هذه الاتجاهات والنزعات.

٢ . صحيفة الامام، ج ١، ص ٣٧٧، من كلمة ألقاها في حشد من علماء الدين، وطلاب العلوم الدينية، والتجار واهالي قم؛ صحيفة النور، ج ١، ص ٥٨٩ وأيضاً، راجع: صحيفة الامام، ج ١٣، ص ٣٣٩.

عنصرية، وليس بين الشعوب الاسلامية اي تمايز على بعضهم الا في التقوى ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ و﴿اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^١.



[معيار الأفضلية]

المعيار في الاسلام التقوى، فمن كان تقياً، من كان اتقى فان كرامته امام الله اكبر، وهذا العامل المتقي ورئيس الوزراء ذلك المتقي في عمله، المتقي سياسياً وهؤلاء الوزراء الاتقياء، الاتقياء في ما يقومون به من عمل، هم مع الله، ورئيس الجمهورية المتقي، رباني، هؤلاء كرماء عند الله. واذا لم تكن التقوى موجودة - لا سمح الله - فان الله سينظر الى الجميع بعدم الرضا. فمتى ما وجدت التقوى في المجتمع سيكون شريفاً، كريماً، وهو عند الله «اكرم»: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ امر لا استثناء فيه. فرسول الله كان اكرم الناس لانه اتقى الناس وليس هناك مجال للاستناد الى الانساب والاسباب، التقوى هي الملاك. اتقوا الله كي تتمكنوا من التغلب على كافة مشاكلكم، كونوا مع الله ولا تخشوا شيئاً، توكلوا على الله ولا تخافوا شيئاً^٢.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ إِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

١ . آل عمران (٣): ١٧٣.

٢ . صحيفة الامام، ج ٢، ص ٢٠١؛ مقابلة مع ممثل الفتح؛ صحيفة النور، ج ١، ص ١٣٨.

٣ . صحيفة الامام، ج ٦، ص ٣١٤، من كلمة ألقاها في حشد من حراس الثورة الاسلامية؛ صحيفة

النور، ج ٥، ص ١٤٤.

إعلان الإسلام معيار لكون الشخص مسلماً حتى بالنسبة إلى [المنافقين]

إن المرتكز في أذهان المتشعبة أن الإسلام عبارة عن الاعتقاد بالأصول الثلاثة، فلو علمنا بأن نصرانياً أظهر الإسلام من غير اعتقاد، بل يبقى على اعتقاد التنصر، لم يكن في ارتكازهم مسلماً.

لكن يظهر من الكتاب والأخبار خلاف ذلك؛ قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾. في «المجمع»: «هم قوم من بني أسد أتوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في سنة جذبية، وأظهروا الإسلام، ولم يكونوا مؤمنين في السر».

ثم قال: «قال الزجاج: الإسلام: إظهار الخضوع والقبول لما أتى به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك يحقن الدم، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان - إلى أن قال -: وروى أنس، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب» أشار إلى صدره^١ انتهى. وفي موثقة أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سمعته يقول: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ فمن زعم أنهم آمنوا فقد كذب، ومن زعم أنهم لم يسلموا فقد كذب»^٢.

١. مر ذكر هذا الموضوع سابقاً في كتاب الطهارة، ج ٣، ص ٤٢٧.

٢. مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

٣. أصول الكافي، ج ٢، ص ٥ / ٢٥.

وفي موثقة جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فقال لي: «ألا ترى أن الإيمان غير الإسلام!»^١.

وفي حسنة^٢ حمران بن أعين، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سمعته يقول: «الإيمان: ما استقر في القلب، وأفضى به إلى الله، وصدقه العمل بالطاعة لله، والتسليم لأمر الله، والإسلام: ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها، وبه حققت الدماء، وعليه جرت المواريث وجاز النكاح». ثم استشهد بالآية المتقدمة وقال: «فقول الله أصدق القول»^٣.

وتدل عليه أيضاً جملة من الروايات الأخرى، كموثقة سماعة المتقدمة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) وفيها: فقلت: فصفا لي، فقال: «الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والتصديق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) به حققت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان: الهدى وما ثبت في القلوب من صفة الإسلام، وما ظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة؛ إن الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن؛ وإن اجتمعا في القول والصفة»^٤.

وهي بحسب ذيلها كالصريحة أو الصريحة في المقصود.

١. اصول الكافي، ج ٢، ص ٢٤ / ٣.

٢. في ما يخص سبب وصف هذه الرواية بالحسنة، راجع: كتاب الطهارة، ج ٣، ص ٤٣٦، الهامش الأول.

٣. اصول الكافي، ج ٢، ص ٢٦ / ٥.

٤. مرّ تفصيل هذا الموضوع سابقاً في كتاب الطهارة، ج ٣، ص ٤٣٥.

٥. اصول الكافي، ج ٢، ص ٢٥ / ١.

ويمكن المناقشة في صدرها بأن يقال: إن الشهادة لاتصدق إلا مع الموافقة للقلوب، ولهذا كذب الله تعالى المنافقين مع شهادتهم برسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^١ والظاهر أن تكذيبهم لعدم موافقة شهادتهم لقلوبهم. ويمكن دفعها: بأن «الشهادة» صادقة بصرف الشهادة ظاهراً، ولهذا تجعل مقسماً للصادقة والكاذبة بلا تأويل، ولعلّ التكذيب في الآية كان لقرينة على دعواهم موافقة القلوب للظاهر.

وكيف كان: لا إشكال في دلالتها عليه.^٢

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٧ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٨

[نم المن على الله]

آية منة لكم ولنا على علماء الأمة؟ بدءاً من ذلك العالم الذي يوضح ويبين لنا الأحكام الشرعية، إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وإلى ذات الله المقدسة جلّ جلاله فإن لكل منهم حسب درجته ومقامه من حيث إرشادهم لنا إلى طريق الهداية منناً لانستطيع مكافأتهم عليها في هذا العالم، فهذا العالم لا يليق بجزائهم... «قُلْهُ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَوْلِيَائِهِ الْمَنَّةُ» وكما يقول تعالى: ﴿... قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

١. المنافقون (٦٣): ١.

٢. كتاب الطهارة، ج ٣، ص ٤٦٥ - ٤٦٧.

إذا؛ فإن كنا صادقين في ادعاء الإيمان، فله المنة علينا في هذا الإيمان نفسه. فالله بصير وعالم بالغيب، وهو يعلم ماهية صور أعمالنا، وكيفية صورة إيماننا وإسلامنا في عالم الغيب. أما نحن المساكين حيث لانعرف الحقيقة، فإننا نتعلم العلم من العالم ونمنّ عليه، ونصلّي جماعة مع العالم ونمنّ عليه، مع أن لهم المنة علينا ونحن لانعلم. بل وإن هذه المنة التي نمنّ بها عليهم هي التي تحبط أعمالنا وتجرّها إلى «سجين»، وتذروها في الهواء لكي تفتى وتذهب.^١





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُمْ مَا تُؤَسُّوسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلٍ

الْوَرِيدِ﴾ ١٦

[مفهوم القرب الإلهي]

وبالطبع أن ذاته المقدسة لا يتصف بالقرب والبعد وأن لها إحاطة قيومية،
وسعة وجودية تعمّ جميع دائرة الوجود وكافة سلسلة الموجودات.^١
وما ورد في الآيات الشريفة من الكتاب الإلهي الكريم من توصيف الحق

١ . الإحاطة القومية: ان الاشراف والشمول له اقسام: أحدها الإحاطة التي لا يمكن بدونها الحياة والبقاء، وقوام الموجودات به؛ وذلك لأن قدرته وبسط نفوذه بالنحو الذي لا يدع مجالاً للآخرين، وحتى قلوب العباد تحت هيمنة وسلطة الله . في هذا المجال راجع: الاربعون حديثاً، ص ٣٩، ٤٥٤، ٤٨٩، ٥٩٨.

المتعالي بالقرب مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾^١ وقوله عز من قائل: ﴿مَنْ حَنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وغيرها من الآيات فمن باب المجاز والاستعارة^٢. لأن ساحتها المقدسة تنتزه عن القرب والبعد الحسين والمعنويين. إذ يستلزم ذلك - القرب والبعد الحسيان والمعنويان - نوع من التحديد والتشبيه، والحق المتعالي منزّه عن ذلك، بل إن حضور قاطبة الموجودات أمام وجوده المقدس، حضور تعلّقي، وإحاطة ذاته المتعالية لكل دقائق الكائنات وسلسلة الموجودات، إحاطة قيومية وهذا الحضور وهذه الإحاطة يختلفان عن الحضور الحسي والمعنوي وعن الإحاطة الظاهرية والباطنية^٣.

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ١٨

[لوازم التوجه إلى كون الله رقيباً]

فهل من الممكن أن يحتمل الإنسان وجود جهنم والخلود في النار، ومع ذلك يقدم على ارتكاب المعاصي؟ هل يمكن القول أن شخصاً يعتبر الله سبحانه حاضراً وناظراً ويرى نفسه في محضر الربوبية، ويحتمل أن ثمة جزاء لأفعاله

١. البقرة (٢): ١٨٦.

٢. هذه الكلمة واحدة من مصطلحات علم البيان وتعني استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي، مع وجود شيء من وجه التشابه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. والاستعارة نوع من المجاز اللغوي الذي فيه نوع من وجه الشبه. وفي الحقيقة عندما يقال ان الله أقرب الى الانسان من حبل الوريد، فذلك لا يعني انه الى جانب وريد الرقبة، وانما هو نوع من التشبيه لاطهار مدى قرب الله من عباده.

٣. الاربعون حديثاً، ص ٢٨٨،٠

وأقواله، وأن كل كلمة ينطق بها في هذه الدنيا وكل خطوة يخطوها وكل عمل يرتكبه، تكتب وتحفظ، ذلك أن ملائكة الله «رقيب» و«عتيد»، حيث يقول عز من قائل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، يراقبونه ويكتبون كل أعماله وأقواله.. فهل من الممكن أن يعتقد إنسان بكل هذا أو يحتمله، ولا يتورع عن معصية الله تبارك وتعالى؟^١

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ٣٧

[سبب نقصان نور الإيمان]

أما هذا الفتور والوهن الموجود فينا فهو بسبب انخفاض حرارة شعلة الإيمان وضعف أساسه في دواخلنا، وإلا لو كان كل ما أخبر به الأنبياء والأولياء (عليهم السلام)، وما برهن عليه الحكماء والعظماء عليهم الرضوان، قد أوجدت فينا يقيناً على درجة ما، لوجب أن يكون التزامنا بأوامرهم وسعينا للحصول على تلك الحياة أفضل مما هو عليه الآن.

ولكن واحسرتاه وألف واحسرتاه! فالشيطان قد تسلط على بواطننا واستحوذ على مجامع قلوبنا ومسامع دواخلنا وهو يحول دون وصول كلام الحق تعالى ورُسله وحكم العلماء ومواعظ الكتب الإلهية الى أسماعنا، فأذانتنا الآن، آذان

حيوانية دنيوية، ومواعظ الحق لا تتجاوز حدَّ الظاهر، وحدَّ الأذن الحيوانية،
فتصل الى الباطن، فذلك ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^١.

١ . المقصود بالأذن والقلب ليس هذين العضوين في الجسم؛ وذلك لأن اهل العناد واللجاج أيضاً لهم حظ من الاستماع؛ وانما المقصود من ذلك القلب والسمع المعنوي. والمراد هنا الاستجابة الروحية وازاحة التعلقات المادية وحجاب العصيان والذنوب الذي يحول دون سماع المواعظ الحقّة؛ لا كالحیوانات التي لا نصيب لها في ادراك المعارف الالهية.

سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦

[لوازم ادراك الهدفية في الخلق]

على السالك ان يلقن نفسه انه قادم من دار كرامة الله ويعيش في دار عبادة الله، وسيقدم على دار جزاء الله. والعارف يقول: «مِنَ اللَّهِ وَفِي اللَّهِ وَاكْفَى اللَّهُ». اذاً على السالك ان يكرّس في نفسه ويستشعر في ذائقة روحه ان دار الطبيعة مسجد عبادة الله وانه قد جاء الى هذه النشأة لأجل هذه الغاية، كما قال الباري تعالى وجلت عظمته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. وهو اذا اعتبر دار الطبيعة مسجد عبادة وحسب نفسه معتكفاً فيها، فعليه ان يتأدّب بآداب ذلك

١ . معنى هذه الجملة هو ان الانسان قد جاء الى هذا الوجود من عند الله، ويجب ان يسير على طريق الحق، ورجوعه الى الله . ومنم هنا فان الدنيا والطبيعة مكان عبادة الله عز وجل . وما قبل ذلك وما بعده يمحّص ويقاس وفقاً لهذه الغاية.

القيام ويصوم عن غير تذکر الحق، ولا يخرج من مسجد العبودية الا على قدر الحاجة. ومن بعد قضاء الحاجة يعود، ولا يأنس بغير الله، ولا يميل قلبه الى سواه، اذ ان هذه الممارسات مخالفة لآداب العكوف بباب الله.^٢

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ٥٨

[الرازقية المطلقة لله]

يجب ان يُعلم ان الفطرة السليمة، ومستلزمات الفطرة المجدولة غير المحتاجة، الشكر والثناء على الذات المقدسة للمنعم على الاطلاق الذي بسط بساط رحمته على دار التحقق برمتها، وكل ذرات الكائنات تحظى بمائدة نعمته وظل رازقية ذاته المقدسة. وبما ان ذاته المقدسة كاملة مطلقة وكمال مطلق، ومن لوازم الكمال المطلق الرحمة المطلقة والرازقية على الاطلاق،^٣ فالموجودات الاخرى ونعمها ظل رحمته وتجلي رازقيته،^٤ وما من موجود له من عند ذاته كمال وجمال ونعمة ورازقية ازلاً وابدأ. وكل من له نعمة وكمال بحسب الظاهر، فهو

١ . تشبيه مجيء الانسان الى الدنيا وبقائه في عالم الطيعة المادة بالاعتكاف في المسجد والعمل

بحالات وخصائص الاعتكاف وما فيه من ممارسات، لأجل فهم كيفية البقاء في هذا العالم . والا فهناك فوارق كثيرة بين وجود الانسان في هذا العالم وآداب الاعتكاف.

٢ . آداب الصلاة، ص ١٠٢؛ وأيضاً، راجع: الطلب والارادة، ص ١٥١.

٣ . اطلاق كلمة الرازقية على الله من جهات؛ احداها يشمل كل الموجودات بشكلها الواسع، والاخرى لشمولها العباد اجمعين بما فيهم الشاكر والكافر.

٤ . ان خلق الموجودات التي خلقت من اجل الانسان ووضعت تحت تصرفه، تُعد في الحقيقة تجلياً لواحدة من نعم الله على الانسان ودليلاً على رازقية الله.

في الحقيقة مرآة رزاقية تلك الذات المقدسة وكمالها.^١

كما يستفاد هذا المعنى على النحو الأكمل من الآية الشريفة: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^٢ حيث حصر الرزاقية بالحق تعالى...

لكن الإنسان المسكين المحجوب الذي ستر فطرته الإلهية السليمة وراء حجب المظاهر الخلقية المظلمة،^٣ وأطفأ النور الموهوب من الله حين فطره بظلمات الكثرات الخلقية وطمسه، يكفر النعم الإلهية، وينسب كل نعمة إلى موجود ويكون توجهه في رجائه دائماً إلى أهل الدنيا، ويد طمعه ممدودة إلى فقراء مثلاً، الفقر ثابت فيهم.

أيها الإنسان المسكين المحجوب، يا من استغرقت عمرك في نعم الله تعالى غير المتناهية، واستفدت من رحماته غير المحدودة، ولم تعرف ولي نعمتك وأنتيت على الأغيار بشكل عشوائي، وأظهرت الخضوع لغير أهله.

نعم إن شكر المخلوق من الوظائف الحتمية كما قالوا: «من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق»^٤. لكن من جهة أن الله سبحانه هو من قرر وسائل بسط النعمة والرحمة لا أنها بشكرها تحجب الخالق والرازق الحقيقي. لأن هذا

١ . من حيث كون الانسان نفسه مرآة لرزق الله، ومن حيث انه دليل على كمال ذات الله الذي خلق موجودات بهذه الخصائص والمواصفات.

٢ . سورة الذاريات: ٥٨.

٣ . احياناً تصبح الطبيعة والتعلق بالناسوت والفرائز حجاً يحول بين الانسان والمعرفة، ويحجبه عن ادراك حقائق العالم .

٤ . هذه العبارة بهذا اللفظ لم توجد في أي من جوامع الحديث، ولكن شبهها موجود فإنه نقل عن رسول الله: «من لم يشكر الناس لا يشكر الله». كنز العمال، ج ٣، ح ٦٤٤٣.

عين كفران النعمة لولي النعم.^١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتَّخْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ١ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ ٢ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ
 الْهَوَىٰ﴾ ٣ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ٤ ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ٥ ﴿ذُو مِرَّةٍ
 فَاسْتَوَىٰ﴾ ٦ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ ٧ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ ٨ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ
 أَدْنَىٰ﴾ ٩ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ١٠

[استحكام علوم أهل البيت بسبب الاتصال بمقام الوحي]

لعل وصف القرآن الشريف بأنه: «جبل ممدود من السماء إلى الأرض»^١ يعود في أحد أوجهه إلى العلاقة الروحية والواسطة المعنوية بين عالم القدس وارواح الانس. ومن هنا يمكن التعبير عن كلمات المعصومين عليهم السلام - على اعتبار أنها صادرة عن ارواح متعلقة بعالم القدس ونفوس منقطعة بحضرة الانس، بأنها

١. إشارة إلى الحديث النبوي التالي: ﴿... كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض...﴾ بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٠٨، كتاب الامامة، الباب ٧، ح ١١ و ١٢.

«جبل ممدود بين السماء والارض»؛ وذلك ان ما بينه أولياؤنا ﷺ بهدف ارشاد الخلق واصلاح المخلوق، مستمد من العلم اللدني الكامل لرسول الله، المستقى بدوره من صراح وحي الله والعلم الرباني، وبعيد ومنزه من القياسات والاختراعات التي ابتدعتها يد ابليس. مثلما جاء في وصف رسول الله ﷺ انه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * اِنْ هُوَ اِلَّا وَخْيٌ يُوحَىٰ﴾ فهذا ينطبق على الأئمة أيضاً ويسري ويجري عليهم.



[المراد بشديد القوى]

لو قال قائل انه ما من مقام فوق مقام جبرائيل في القدرة الإنسانية ليكشفها ويستفيد منها وذلك بدليل قوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾^١ حيث ان النبي الأكرم ﷺ علّمه شديد القوى الذي هو جبرائيل.

ونحن نقول: لعل المراد من شديد القوى، الذات المقدسة لله تعالى؛ وذلك لأن هناك اختلاف في تفسير شديد القوى.^٢

وبالاضافة الى ذلك نقول: حتى وان كان جبرائيل يعلمه سابقاً، ولكن لاحقاً كان الكمال الذاتي والاستعداد الذي جُبل عليه نبي الإسلام وهو يفوق استعداد كل الموجودات، قد فاق جبرائيل، ووصل الى مبدأ الحق من غير واسطة، بحيث

١ . النجم (٥٣): ٣.

٢ . راجع: تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٣٤؛ وسائر التفاسير، في تفسير الآية ٥ من سورة النجم.

لو أن جبرائيل - حسب قوله - تقدّم خطوة فوق ذلك، لاحترق^١.

[معنى قاب قوسين]

ومن قدرة الحق ان ارتقت الهيولى الأولى التي هي مجرد قوّة استعدادية، وحلقت في قوس صعودي صوب المبدأ، لكي تحوي مقام التجرد. مثلما ان هذه القوّة الصرفة تحلّق من حالة الجماد وتكّلل سطح النبات، ثم تنتقل من هناك إلى درجة الحيوانية، ثم من بعدها إلى درجة الإنسانية. ويكون لها في حالتها الانسانية جناحان؛ أحدهما مادي والآخر مجرد. ويمكنها ان تقفز من هناك بهذين الجناحين وتنبوّأ لها مقعداً فوق عرش صرف التجرد. ولعل هذا هو المعنى المراد بـ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^٢ وأما بيان سبب التعبير عن هاتين الحركتين النزولية والصعودية بالقوسين النزولي والصعودي، فيترك إلى مجال آخر.^٤

[كُونِ نَفْسٍ نَبِيِّ ذَاتِ مَرَاتِبٍ]

النفس ذات مراتب طويلة، وفي مراتب سلسلة الوجود حقيقة ذات مراتب، كما ان رسول الله ﷺ في الوقت الذي كان فيه: ﴿لَمَّا دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ

١. علل الشرائع، ج ١، ص ٥، ح ١.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

٣. النجم (٥٣): ٩. أي ان للتسامي وازاحة الاستار والتحليق نحو مبدأ الوجود واجتياز الحالة النباتية والحيوانية والوصول إلى مقام الإنسانية.

٤. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٥٩.

فَوَسِّينِ أَوْ أَدْنَى﴿١﴾، كان أيضاً رجل حرب ويقا تل في ميادين الوغى.
 ما أغرب هذه النفس الانسانية، ولكننا ندعي زوراً بأننا قد بلغنا مقام الإنسانية،
 والحال اننا متوقّفون في مرحلة البهائم. ان النفس الانسانية نموذج للذات
 المقدسة. «عبي اأطعني أجعلك مثلي»^١. وهذه الحقيقة ذات مراتب. طبعاً
 النبي ﷺ بشر، ولكن كيف من بشر؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^٢،
 والوجه الفارق هو الوحي. وبالجملة: في الوقت الذي كان فيه النبي: ﴿يَأْكُلُ
 الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾^٣ كان أيضاً ﴿نُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾^٤.



[العناية الأزلية لازمة في سير الوصول إلى الإنسان الكامل]

إذا لا بد في السير المستقيم من العناية الأزلية والعطف والمرحمة السرمدية
 والأوضاع السليمة والاجواء النقية والكرامات التامة، وهذه السعادة لا تحصل لي
 ولأمثالي. فالذين نالوا العناية الخاصة والتوجهات الربانية والكرامات التامة،

١ . النجم (٥٣): ٨ - ٩. أي في مقام يتناهى إليه نداء قوي يكلمه، ويصبح في الافق الاعلى، ويطوي
 مسيره الى الله من قوس النزول الى قوس الصعود، وهو مع ذلك يبقى له حضور في الوسط
 الاجتماعي ويشارك في الحروب والمعارك.

٢ . علم اليقين، ج ٢، ص ٦١٠.

٣ . الكهف (١٨): ١١٠.

٤ . الفرقان (٢٥): ٧.

٥ . النجم (٥٣): ٨.

٦ . تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

امتدت إليهم يد الأزل بالعون والمساعدة وأعطوا الأصل الطاهر والطينة اللاتفة لمنصب الإمامة من آدم وحتى النبي الخاتم، وساروا منذ النقطة الأولى على الطريق القويم ومرّوا عبر الأصلاب الشامخة والارحام المطهرة، وساروا تحت تربية شمس الشمس بذات الطهارة التي جاءوا بها من نقطة المشرق، واجتازوا الطبيعة بسلام، وفي وقت انطفأت فيه نائرة الطبيعة ومقتضيات الشهوة وخمدت نار الطبيعة ونامت عفاريت البر: "جزناها وهي خامدة"،^١ حتى بلغوا مطلع المشرق ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.^٢ وهذه هي السلامة في السير: ﴿لَمَّا دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^٣ ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^٤ ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾^٥ فكان سفرهم بمتهى السعادة وكما يرتضي ويريد المحبوب، وخرجوا من نقطة المطلع ويعودون إلى تلك النقطة ويدخلون على الاستقامة في اسم الله الأعظم ولفظ الجلالة "الله" وهو الاستقامة التي لا عوج فيها. كما قال رسول الله ﷺ: "طريقي مستقيم والطرق الأخرى معوجة"^٦ لأنه من المحال رسم أكثر من خط مستقيم بين نقطتين. إذا فالواصل الذي لم يتوقف في أية محطة واستمر على حركته الاستكمالية التي لا تنقطع في قوسين صعودي ونزولي، هو الإنسان الكامل ﴿لَمَّا دَنَا فَتَدَلَّى﴾.

١ . علم اليقين، ج ٢، ص ٩٧١.

٢ . القدر (٩٧): ٥.

٣ . النجم (٥٣): ٨ - ٩.

٤ . الرعد (١٣): ٢٨.

٥ . الفجر (٨٩): ٢٧ - ٢٨.

٦ . اشارة إلى الآية ١٥٣ من سورة الأنعام (٦).

ولهذا فإنَّ للملائكة مقام معين وهو: "ومنهم قائم ومنهم ساجد ومنهم راعع".^١ والموجود الوحيد الذي لا حدَّ ولا مقام لسيره هو الإنسان الكامل الذي يتصف بالاستعداد للسير في قوس الترقِّي والاستكمال هذا، ويبلغ مقاماً لا تتوهمه العقول.

ثمَّ أصير بعدها فداءً من الملائكية وأبلغ ما لا تبلغه الأوهام^٢

والإنسان الكامل هو النور الأنور الأحمدي المحمّدي الذي هو الإنسان الكامل "خلقتك لأجلي"،^٣ لقد خلق الله بني آدم لأجله، وليس المقصود طبعاً هو بني آدم الذي لم يبلغ بعد مرحلة النضج، بل ذلك الإنسان الذي بقي سليماً وصار "مطلع الفجر".

لقد رأينا أنا وإياك "خلقتك لأجلي"، ونقول: اننا قد خلقنا لأجل الله، ولكن غفلنا ولم نَسر بالفطرة على الاستقامة، وبما ان الوقفة في عالم الترقِّي والاستكمال محالة، اذاً فنحن قد تحرّكنا ولكن استكملنا حرّكنا بالشيطنة. وكلّ شيء ناقص يكون في حركة حتى يكتمل؛ لأن التوقّف محال. ولكننا في هذه الحركة غدونا اشقياء بالكامل. ابو جهل ترقَّى أيضاً ولكن في الشيطنة. وخلاصة الكلام هي ان كلّ شخص يتوجه نحو الكمال لكي يكون جاذباً لأي شيء؟ أياً كان، فهو مجذوب إلى كلّ ما ينجذب إليه.

١. لم نثر على هذه الرواية بهذه الصورة في المصادر الحديثية. راجع: نهج البلاغة، ص ٤١، الخطبة الأولى.

٢. المشنوي المعنوي، ص ٥١٢، ج الثالث، البيت ٣٩٠٦.

٣. علم اليقين، ج ١، ص ٣٨١.

وأهل النار جاذبون لأهل النار وأهل النور طلباب لأهل النور^١
 ونقول بايجاز:
 وكل ذرة مما في الأرض والسماء جاذبة لجنسها كل منها كأنها الكهرمان^٢

صعوبة ادراك الاقتراب من قرب الله

فكم من المسائل العرفانية في القرآن الكريم وفي مناجاة الأئمة - سلام الله عليهم - ، لا سيما المناجاة الشعبانية، غير أن الأشخاص والفلاسفة والعرفاء الذين بوسعهم استيعابها إلى حد ما، غير قادرين على تجسيدها في الوجدان بسبب غياب التوجه العرفاني. انظروا إلى الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ دَنَىٰ فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

لقد تحدث المفسرون والفلاسفة عن هذا الموضوع، غير ان الذوق العرفاني بات قليلاً.. «إلهي هب لي كمال الإنقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تحرق أبصار القلوب حُجُبَ النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك. إلهي واجعلني ممن ناديت فأجابك وناجيته فصعق لجلالك». ^٣ فهذه عناوين تبدو للإنسان سهلة متصورة. غير أن اياً من العارف والفيلسوف والعالم ليس بوسعه أن يدرك كنه المسألة، مسألة «فصعق لجلالك»،

١. المتنوي المعنوي، ص ١٨٤، ج الثاني، البيت ٨٣

٢. المتنوي المعنوي، ص ١٠٥٠، ج السادس، البيت ٢٩٠٠.

٣. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٣٢٥ - ٣٢٧.

٤. مصباح المتجهد و سلاح المتعبّد، ص ٣٧٤؛ المناجات الشعبانية؛ بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٩٧.

التي مبدؤها القرآن. وكذلك: ﴿وَوَخَّرَ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾، حيث يتصور الإنسان بانه سقط واغمي عليه «صعق». ولكن ماذا كان الصعق؟ ما هو صعق النبي موسى؟ هذه مسألة لا يفهمها غير النبي موسى. وكذلك مسألة: ﴿ذَنبِي فَعَدَلْتُ﴾^١ التي ليس بوسع أحد أن يفهمها ويدركها ويذوب فيها غير ذلك الذي حصل له «الدنو»... واسأل الله تعالى أن يوفقنا في هذا الشهر الكريم وكذلك شهر رمضان المبارك، لتحقيق ولو لمحة بسيطة من هذه الأمور في قلوبنا. على الأقل أن نؤمن بما تعنيه قضية: «الصعق»^٢.

[ادراك اعتبارات ذات الحق تعالى ومراتبها]

ولابد من معرفة أن هذه الاعتبارات^٤ المذكورة على ألسنة أهل المعرفة

١ . الأعراف (٧): ١٤٣.

٢ . الآيات السابقة لهذه الآية هي كالآتي: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ . (سورة النجم: ٦ - ٩) . هذه الآيات من اصعب الآيات التي جاءت في بيان الوحي ومكانة ودرجات كمال النبي، وسيأتي في الآيات التالية توضيح ولو قليل لمعنى هذه الآيات.

٣ . صحيفة الامام، ج ١٧، ص ٤٥٧، من كلمة ألقاها في حشد من كبار المسؤولين المدنيين والعسكريين والمؤسسات والمنظمات؛ صحيفة النور، ج ١٧، ص ٢٦٥.

٤ . يضع الامام اربعة انواع من الاعتبار لذات الله تبارك وتعالى، وهي:

الاول: اعتبار ذاته من حيث هي.

الثاني: اعتبار ذاته من حيث التعيين وعدم الظهور المطلق.

الثالث: اعتبار ذاته بحسب المقام والأحدية وجمع الأسماء والصفات.

الرابع: اعتبار ذاته في مرتبة التجلي بالفيض المقدس، ومقام الظهور الاسمائي والصفاتي في مراتب

وأصحاب القلوب، إخبار عن دور تجليات الحق سبحانه على قلوبهم الصافية، وتكون تلك التجليات حسب مراتب ومقامات سلوك الأولياء، وحسب منازل سير السائرين إلى الله ومراحله، مبتدئة من مقام ظهور الأسماء والصفات، الذي هو مقام «الإلهوية» والمسمى بـ«الله» والتي تكون آية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾^١ إشارة إلى ذلك، ومنتهية بمقام الغيب الأحدي، ومرتبة الأسماء الذاتية والاسم «المستأثر»^٢ الذي يكون نهاية السير والمقصد. ويمكن أن يكون قوله تعالى: ﴿أَوْ أُذُنِي﴾ إشارة إلى هذا المقام.^٣

إِذْ عَدِمَ التَّنَافِي بَيْنَ ادِّلَّةِ قَرَبِ النَّبِيِّ إِلَى مَقَامِ قَابِ قَوْسَيْنِ مَعَ عَدَمِ ادِّرَاكِ كُنْهِ اللَّهِ

وفي الكتاب الإلهي الشريف، لدى حكاية معراج الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): ﴿ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ولا تتنافى هذه المشاهدة

الأعيان. راجع: الاربعون حديثاً، ص ٦٢٣ - ٦٢٥.

١. النور (٢٤): ٣٥.

٢. فه أسماء يعبر كل واحد منها عن حقيقة وتجل لصفة. وهذه الأسماء على قسمين. أسماء معلنة ومعروفة واخرى مستترة وخفية أو مستأثرة. في المرحلة الاولى تكون كل اسماء الله في مقام الغيب الأحدي، وحين تصل الى مرحلة الظهور والبروز تصبح على قسمين، فعدد منها للدلالة على امور خفية مثل: عالم الغيب، وعالم القيامة، وهذه من الاسماء الالهية المستأثرة، ولا يستطيع الخلق معرفتها. والسالك الى الله يصل في سيره الى غاية ومنتهى المقصد أي الاسماء المستأثرة، وان كان لا سبيل اليها بالذات.

٣. الاربعون حديثاً، ص ٦٢٥.

الحضورية الفنائية، مع البرهان على عدم الاكتناه والإحاطة للذات المقدسة، ومع الأخبار والآيات التي تدل على تنزيه الحق جلا وعلا من كل عيب ونقص وخذل^١ بل يكون مؤكداً ومؤيداً لها^٢.

[في التجليات الخلقية وكيفية فعليتها]

هذا اذا كان النظر الى التجليات الصفاتية و الاسماوية. و اما اذا كان المنظور التجليات الخلقية و المظاهر الحسنى الفعلية، فالعروج الى مقام التحقق بالمشيئة المطلقة، المستهلكة فيها التعينات الفعلية لا يمكن الا بعد التدرج في مراتب التعينات: فمن عالم الطبيعة يعرج الى عالم المثال و الملكوت متدرجاً في مراتبها، و منها الى عالم الارواح المقدسة بمراتبها، و منه الى مقام المشيئة المستهلك في عينها جميع الموجودات الخاصة و التعينات الفعلية. و هذا هو مقام التدلي في قوله تعالى: ﴿ذَنبِي قَدْ تَلَى﴾. فالمتدلي بذاته لم يكن له حيية إلا التدلي، و لم يكن ذاتاً يعرض لها التدلي^٣.

[في مفهوم التدلي وارتباطه بفاتحة الكتاب التكويني]

فاتحة الكتاب التكويني الإلهي الذي صنّفه، تعالى جدّه، بيد قدرته الكاملة، التي فيها كل الكتاب بالوجود الجمعي الإلهي، المنزه عن الكثرة المقدّس عن

١ . الوصول الى مقام المشاهدة الفنائية بحيث لا يرى شيئاً آخر غير الله لا يتنافى مع عدم ادراك كنه

الذات ولا تكون له احاطة به؛ وذلك لان الذات في غيب الغيوب ولا سبيل للوصول اليها.

٢ . الاربعون حديثاً، ص ٤٥٤.

٣ . شرح دعاء السحر، ص ١٧.

الشين و الكدورة: بوجه هو عالم العقول المجردة^١ و الروحانيين من الملائكة، و التعين الأول للمشيئة.^٢ و بوجه عبارة عن نفس المشيئة، فإنها مفتاح غيب الوجود. و في الزيارة الجامعة: «بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ.»^٣ لتوافق أفقهم، عليهم السلام، لأفق المشيئة. كما قال الله تعالى حكاية عن هذا المعنى: ﴿لَمْ دَعَى قَدْتَلَى لَكَانَ قَسَابَ قَوَسَيْنِ أَوْ أَذَى﴾. و هم، عليهم السلام، من جهة الولاية متحدون: «أولنا محمد، و أوسطنا محمد، آخرنا محمد، كلنا محمد، كلنا نور واحد.»^٤

[مقام التلوي مقام المشيئة المطلقة]

أول من فلق الصبح الأزل و تجلّى على الآخر بعد الأول و خرق أستار الأسرار هو المشيئة المطلقة و الظهور الغير المتعين التي يعبر عنها تارة ب

١ . منذ الازمنة البعيدة قسّم الفلاسفة الموجودات الى قسمين: مادية و مجردة و كانوا يسمّون ما صدر عن الله في المرحلة الاولى، عقلاً. و لهذه العقول درجات و مراتب و سرى منها الفيض الى الموجودات الاخرى. و بما ان المبدأ كان ادراكاً و شعوراً و ارادة و لا يستوعبه العالم الجسماني، كانوا يطلقون عليها تسمية العقول المجردة. راجع: الاسفار الاربعة، ج ١، ص ٣٢٥.

٢ . التعين الأول للمشيئة تعبير آخر عن أول الموجودات، و اول ما صدر عن الله . و لهذا السبب يسمّون التعين الأول مشيئة، و هو اول ظهور الله و تجلّي الذات الذي خلقت بواسطته الموجودات الاخرى . في هذا المجال: راجع: الاربعون حديثاً، ص ٤٣٥.

٣ . من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٧٤، باب ما يجزي من القول عند زيارة جميع الانمه (ع)، ح ٢.

٤ . بحار الأنوار؛ ج ٢٥، ص ٣٦٣، كتاب الامامة، باب أنه جرى لهم من الفضل و الطاعة ما جرى لرسول الله (ص)، ح ٢٣ . و أيضاً، المصدر السابق، باب نادراً في معرفتهم (ع).

٥ . شرح دعاء السحر، ص ١٥٢ و أيضاً، راجع: تفسير آية البسمة، ص ١٩٩ - ١٩٧.

«الفيض المقدّس»^١، لتقدّسها عن الإمكان و لواحقه و الكثرة و توابعها؛ و أخرى ب «الوجود المنبسط»، لانبساطها على هياكل سماوات الأرواح و أراضي الأشباح^٢؛ و ثالثة ب «النفس الرحماني» و النفخ الربوبي؛ و بمقام «الرحمانيّة» و «الرحيميّة»، و بمقام «القيوميّة»، و ب «حضرة العماء»^٣ و ب «الحجاب الأقرب»، و ب «الهيولى الأولى»، و ب «البرزخية الكبرى»، و بمقام «التدلي»، و بمقام ﴿أزّ أدنى﴾- و إن كان ذلك المقام عندنا غيرها، بل ذلك ليس بمقام أصلا- و بمقام «المحمّديّة»، و «علويّة» على (ع)؛ كلّ على حسب مقام و مورد «عبارتنا شتى...»^٤ إلى غير ذلك من الاصطلاحات و العبارات و الإشارات، حسب المراتب و المقامات.^٥



١. الفيض المقدّس او النَّفْسُ الرحمانية والوجودية التي تنبسط في هذه المرحلة وتتجلّى الأسماء.
٢. في هذه المرحلة تتحقّق الاعيان ولوازمها في عالم العين وتشير الهياكل السماوية الى المجرّدات.
٣. تُطلق كلمة «عماء» على السحاب الممطر أو المرتفع. وجاءت هذه الكلمة في بعض الروايات لوصف مكانة الله وانه كان قبل خلق السماوات والارض في «عماء»، وهو ليس فوق ذلك الهواء ولا اسفل منه. (راجع: عوالي اللئالي، ج ١، ص ٥٤، ح ٧٩). وفي اصطلاح العرفاء تستعمل هذه الكلمة لبيان مقام الأحدية، وهو ان الموجودات كانت مسترة وراء السحاب ولم يكن لها أي بروز أو ظهور، وأما كانت في كمن الغيب والخفاء. وللإطلاع على المزيد من التوضيح حول هذا المقام، راجع: غفوران، محمد رضا، آثار مؤتمر الأفكار الأخلاقية العرفانية، ج ٤، ص ٤٧٣.
٤. «عبارتنا شتى و حُسْنُك واحدٌ و كلُّ إلى ذاك الجمال يسير»، لا يعرف الشاعر الذي قال هذا البيت.

[في معنى الامانة وزمان قبولها]

لعلّ الأمانة المعروضة على السموات والأرض والجبال التي أبين أن يحملنها، و حملها الإنسان الظلوم الجهول^١، هي هذا المقام الإطلاقي.

فإنّ السموات والأرضين وما فيهنّ محدودات مقيدات، حتّى الأرواح الكلّية؛ ومن شأن المقيد أن يأبى عن الحقيقة الإطلاقيّة؛ والأمانة هي ظلّ الله المطلق، و ظلّ المطلق مطلق، يأبى كلّ متعيّن عن حملها. وأمّا الإنسان بمقام الظلوميّة التي هي التجاوز عن قاطبة الحدودات والتخطي عن كافّة التعينات واللامقامي المشار إليه بقوله، تعالى شأنه، على ما قيل: «يا أهل يثرب، لا مقام لكم»^٢، والجهوليّة التي هي الفناء عن الفناء قابل لحملها. فحملها بحقيقتها الإطلاقيّة حين وصوله إلى مقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾. و تفكّر في قوله تعالى: ﴿أُذِّنْ أذُنًا﴾ و أطف السراج، فقد طلع الصبح^٣.

[آثار التجلي والقرب من الحق]

هذا حكم من غلب عليه سلطان الوحدة، و تجلّى الحقّ بالقهر على جبل إنيته و جعله دكّا دكّا؛ و ظهر عليه بالوحدة التامة و المالكيّة العظمى؛ كما يتجلّى

١. اشارة الى الآية الشريفة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ (الأحزاب (٣٣): ٧٢).

٢. الأحزاب (٣٣): ١٣.

٣. الشوشتری، مجالس المؤمنین، ج ٢، ص ١١، المجلس السادس، ضمن حديث عن علي (ع)؛ وأيضاً، الكلمات المكونة، ص ٣٢.

٤. مصباح الهداية، ص ٥٦.

بذلك عند القيامة الكبرى. و أما الذي يشاهد الكثرة بلا احتجاب عن الوحدة، و يرى الوحدة بلا غفلة عن الكثرة، يعطي كل ذي حق حقه؛ فهو مظهر «الحكم العدل» الذي لا يتجاوز عن الحد «لَيْسَ بِظُلَامٍ لِّلْعَبِيدِ»، فحكم تارة بأن الكثرة متحققة؛ و تارة بأن الكثرة هي ظهور الوحدة. كما نقل عن المتحقق بالبرزخية الكبرى و الفقير الكلّ على المولى و المرتقى ب: «قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى»، المصطفى المرتضى المجتبى، بلسان أحد الأئمة: لنا مع الله حالات هو هو، و نحن نحن؛ و هو نحن، و نحن هو.^{٢٠}

[التفاوت بين مقامات الناس و لغة الدين]

لم تكن غاية رسول الله ﷺ أن نحصل فقط على مرتع أفضل بحيث يكون فيه الطعام أكثر من الطعام هنا. و نكون مثلاً كالحمار الذي يلتذ بحالة الجماع، بحيث تكون مدة الجماع هناك خمسمائة سنة مع الحور العين الموجودة هناك. نعم، لقد طرح رسول الله أمثال هذه الامور من أجل أن يرغب بالآخرة تلك الفئة من الافراد الذين لا يعرفون الا أمثال هذه الامور.^{٢١} لقد ذكر الرسول هذه الأشياء

١. آل عمران: ١٨٢. انفال: ٥١؛ حج: ١٠.

٢. راجع: الكلمات المكنونة، ص ١٠١، باختلاف ضئيل. ولكن هذه الجملة لم ترد في المصادر الحديثية المعتمدة.

٣. مصباح الهداية، ص ٦٦.

٤. ما وجدتها في المصادر الحديثية الشيعية و لكن من هذا القبيل من الترغيب: «وَمَنْ حَجَّ حَمْسِينَ حَجَّةً بَنِي لَهُ مَدِينَةٌ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ فِيهَا أَلْفُ قَصْرِ فِي كُلِّ قَصْرِ أَلْفُ حَوْرَاءَ مِنْ حَوْرِ الْعَيْنِ وَ أَلْفُ زَوْجَةٍ». رك: من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢١٧، باب فضائل الحج ص: ٢٠١.

٥. يستفاد من هذه العبارة، أن الإمام يعتقد بان لغة الدين، لغة العملية و لا يقصد فيه المعرفة، فقصد

لأمثال هؤلاء الاشخاص لكي يتسنى على الأقل زحزحتهم من النار طمعاً في هذه الأشياء ولادخالهم في مثل هذا المرعى؛ لأن الغاية الأساسية هي ان يصل الناس الى ذلك المقام الذي وصل إليه مبلغ القرآن نفسه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^١ وقد كانت غايته أن يبين سبل هذه السعادة أيضاً، ولكن بما أننا لا نرى السعادة الا في سعادة هذه البطن وهذا الفرج. ولهذا اكتفينا بنيل السعادة في هذه الأيام القليلة التي نعيشها في هذه الدنيا، غافلين عن أن هذا العالم لا حياة فيه، ولا سعادة، ولا لذة، وان لذائذه مزيجة بآلاف الأنواع من الألم. وليست فيه لذة اصيلة بالذات، وليست فيه الا لذة ضعيفة يؤدي ادراكها الى سعادة ضعيفة أيضاً.

نعم، إن عالم الطبيعة هذا مبدأ السعادة أو الشقاء في ذلك العالم. وهذا العالم هو الزرعة ودار البذر. فالسعادة الأبدية تُغرس هنا والشقاء الأبدى يُسوى هنا. فهنا المبدأ وموضع إلقاء البذار، واما الحصاد فهناك.

والسعادة طبعاً ليست أكثر مما ذكرنا سابقاً؛ حيث قد ذكرنا سابقاً ما هي سعادة الذوق مثلاً وما هي سعادة حاسة اللمس، وهي تقع في مقابل الشقاء الذي قلنا ان سعادة كل شيء بمكابدته للمكارة ولما يسيئه، وان هذا العالم مبدأ السعادة أو الشقاء في ذلك العالم، ومبدأ العذاب والألم والنعمة والصحة والسلامة في ذلك العالم.^٢

من هذا البيان، من أجل أن يرغب بالآخرة تلك الفئة من الافراد الذين لا يعرفون الا أمثال هذه الامور. او لكي يتسنى على الأقل زحزحتهم من النار.

١. النجم (٥٣): ٨ - ٩.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

[مفهوم القرب والذنوب في حق النبي]

اعلم، جعلك الله و إيانا من أمة الرسول المختار و سلكتنا سبيل الشيعة الأبرار، أن قوله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: «ما خلق الله خلقاً أفضل مني» إشارة إلى أفضليته، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، في مقام تعينه الخلفي. فإنه في النشأة الخلقية أول التعينات و أقربها إلى الاسم الأعظم، إمام أنمة الأسماء و الصفات؛ و إلاً فهو بمقام ولايته الكلية العظمى و برزخيته الكبرى و الهولوية الأولى، المعبر عنها ب: ﴿ذَنَّا فَتَدَلِّي﴾ و «الوجود الانبساطي الإطلاقي» و «الوجه الدائم الباقي» المستهلك فيه كل الوجودات و التعينات و المضمحل لديه جميع الرسوم و السمات، لانسبة بينه و بين شيء، لإحاطته القيومية بكل ضوء و فيء. فلا يستصح الأكرمية و الأفضلية، و لا يتصور الأولية و الآخرية؛ بل هو الأول في عين الآخرية؛ و الآخر في عين الأولية؛ ظاهر بالوجه الذي هو باطن؛ و بالوجه الذي هو ظاهر كامن. كما قال: «نحن السابقون الأولون»^١.

﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى النَّفْسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ ٢٣

١. بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٣٤٥؛ كذلك علم اليقين، ج ١، ص ٦٣٤، قرب من هذا المضمون: «والله

ما خلق الله خلقاً أفضل مني». نقلاً عن الصدوق، اكمال الدين، الباب ٣٦، ج ١، ص ٢٦٢.

٢. المصدر السابق.

٣. بحار الأنوار، ج ١٥، ص ١٥، تاريخ نبينا، الباب الاول، ح ١٩، و ج ٢٥، ص ٢٢، ابواب خلقهم

وطيبتهم وأرواحهم، الباب الاول، ح ٣٨، وأيضاً راجع: أنوار الحقيقة وأطوار الطريقة وأسرار

الشريعة، ص ٩٤.

٤. مصباح الهداية، ص ٧٥.

[علاقة الوجود الإلهي بالموجودات من وجهة نظر العرفاء]

فليعلم بتوفيق الله ان سلسلة الوجود من عوالم الغيب و الشهود من تعينات المشيئة و مظاهرها؛ و نسبتها الى جميعها نسبة واحدة، و ان كانت نسبة المتعينات اليها مختلفة. و هي أولى الصوادر على طريقة العرفاء الشامخين، رضوان الله عليهم؛ و سائر المراتب موجودة بتوسطها؛ كما في رواية الكافي عن ابي عبد الله، عليه السلام، قال: «خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة.»^١

بل التدقيق في مضمون الرواية و التحقيق عند اصحاب السر و الحقيقة و ارباب السلوك و الطريقة [هو] ان لا موجود في المراتب الخلقية إلا المشيئة المطلقة الإلهية. و هي الموجودة بالذات و المجردة عن كل التعينات و التعلقات؛ و لها الوحدة الحقة الظلية ظل الوحدة الحقة الحقيقية. و اما التعينات فلم تستشم رائحة الوجود، بل ﴿كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَخْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَتَمٌّ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾^٢ و ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^٣.

فهذا القرطاس الذي اكتب عليه، و القلم الذي اسطر به و العضلة المسخرة لهما، و القوة المنبئة فيها، و الارادة المنبعثة عن الشوق المنبعث عن العلم القائم بالنفس كلها من شؤون المشيئة الإلهية و ظهوراتها؛ و التعينات اعتبارية خيالية؛ كما قال الشيخ الكبير: «العالم خيال في خيال.» فلا ظهور إلا ظهورها و لا شأن

١. اصول الكافي، ج ١، ص ١١٠، كتاب التوحيد، باب الإرادة، أنها من صفات الفعل، ح ٤.

٢. النور (٢٤): ٣٩.

٣. النجم (٥٣): ٢٣.

٤. القصص (٢٨): ٨٨.

الاشأنها.^١

و هذا معنى شمول المشيئة و سريان الوجود و اطلاق الهوية الإلهية و بسط الرحمة و مقام الإلهية.^٢

[الحدوث الاسمي ذو منشأ قرآني]

استقى المرحوم الحاج السبزواري اصطلاح الحدوث الاسمي من القرآن، فكما قوله: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾^٣ انهم سمّوا مثل هذه الوجودات التي هي من مرتبة وصقع الحق، ماهيات، في حين ان الماهيات، كثرة وليست شيئاً ولم يمنحها الله سيادة واستقلالاً، بل كلّها عدم، والحق هو. ومن هنا قال علي عليه السلام: توحيد تمييزه عن خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة.^٤ وطبعاً أمير المؤمنين عليه السلام بمنزلة ابي العقل مثلما ان آدم ابو البشر، ولكن من حيث كونه أديم الارض ابو البشر ولكنه بمعنى انه

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾^٥ أب روحاني.^٦

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾^٧ ٢٨

١. جاء ما هو قريب من هذا المضمون، راجع: فصوص الحكم، ج ١، ص ١٠٤، ج ٢، ص ١٠٥،

تحقيق أبو العلا عفيفي وشرح فصوص الحكم، ص ٥٥ و ١٦٣.

٢. شرح دعاء السحر، ص ٩٨ - ٩٩.

٣. النجم (٥٣): ٢٣.

٤. الاحتجاج، الطبرسي، ج ١، ص ٤٧٥.

٥. البقرة، (٢): ٣١.

٦. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٨٦.

[عدم تنافي حرمة العمل بالظن مع حجية خبر الواحد]

لقد قيل ان هذه الأخبار ظنيّة، وبحكم العقل والقرآن لا يجوز اتباع الظن: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾. وهذا الاشكال الذي يُثار ويقولون فيه ان الاحاديث التي في ايدينا اليوم ظنية. والعقل لا يستسيغ ان الله عز وجل يأمرنا بشيء، ثم في الوقت ذاته يعلق علينا طريق معرفته.

وجواب هذا الاشكال هو ان الله تبارك وتعالى لم يتبع أمراً جديداً يخالف سيرة العقلاء في ابلاغ رسالته واحكامه الى الناس. فكل العقلاء في جميع انحاء العالم يأخذون بخبر الاشخاص الثقافة. وعدم الأخذ بخبر الاشخاص يوجب انهيار اسس الحياة الاجتماعية ويؤدي الى اضطراب النظم الذي يسود بين دول العالم.

وهكذا ايضاً فعل الباري عز وجل في ابلاغ احكامه الى الناس اذ بالاضافة الى القوانين والاحكام التي جاءت في القرآن وفي قطعية طبعاً، وبالاضافة الى الروايات المتواترة الثابتة قطعاً، واتباع سيرة العقلاء، وابلغ رسالته وفقاً لهذا الاسلوب المتعارف بين الناس في كل بلاد العالم.

ومما يثير الدهشة ان الكاتب اعترف بنفسه صراحة ان سيرة العقلاء مبنية على قبول الخبر مثلما هو الحال في التاريخ، الا انه يعود ويقول ان العمل بالظن خلاف العقل، ويعتبر العمل وفقاً للاخبار عملاً بالظن. وهكذا تكون حصيلة كلامه هي ان سيرة العقلاء مبنية على العمل بما يخالف العقل وهذا منتهى الغباء والجهل، وهو ان يرى عمل جميع العقلاء مخالفاً للعقل.

اذاً ينبغي القول ان العقلاء لا يعتبرون العمل بالاخبار عملاً بالظن وانما عمل بالوثوق، والقرآن قد انتهى عن الظن لا عن الوثوق، واما انهم لا يعتبرون العمل بالظن الذي يأتي من خبر الاشخاص الثقة مخالفاً للعقل، ثم ان الله عز وجل لم

ينه عن مثل هذا الظن؛ وذلك لأن النهي عنه مخالف لنظام الحياة ونظام الكون بأكمله وهو تعالى لا يهدم النظام الذي يسير له بني الانسان، ولا يززع السيرة القطعية للعقلاء.^{٢٠١}

[النهي عن العمل بالظن لا يمنع السيرة المتداولة]

وهذا^{٢٠٢} نظير ما قلناه في محلّه: من أن نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مَنِ الْحَقَّ شَيْئًا﴾ لا يصلح للردع عن السيرة الشائعة في سوق المسلمين وبلادهم، كالعمل بالظواهر، وخبر الثقة، واليد... ونحوها، بل لا بدّ في الردع عنها من

١. يشير هذا البحث الى حجية خبر الواحد ونقد اقوال من ارادوا اسقاط اعتبار خبر الواحد، على اعتبار ان خبر الواحد يفيد الظن، وقد صرح القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾. ولهذا السبب فقد رفض سماحته الاستدلال المشار اليه آنفاً لسببين:

الاول: سيرة العقلاء على حجية خبر الواحد، وحتى ان كان مثل هذا الخبر يفيد الظن، فهو حجة أيضاً.

الثاني: العمل بخبر الواحد يوجد الوثوق والاطمئنان؛ ولهذا فهو غير مخالف للعقل، ولم يمنع الله مثل هذا الظن.

٢. كشف الاسرار، ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

٣. يتناول هذا البحث شراء السلعة ولزوم مشاهدة المشتري للسلعة ومعرفة مواصفاتها. فان قال قائل ان النبي ﷺ قد نهى عن المعاملة الفررية (وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٤٤٨، كتاب التجارة، الباب ٤٠، ح ٣) ولكن يمكن اعتبار مثل هذا الحديث مانعاً لصحة المعاملات التي تجيزها سيرة العقلاء بالمشاهدة. ويقول سماحة الامام الخميني في هذا البحث ان سيرة العقلاء في مشاهدة السلعة في هذه الموارد كافية. وهذه الرواية لا يمكن ان تكون مانعة.

٤. الاجتهاد والتقليد، الامام الخميني (قدس سره): ٦٣ - ٦٤، أنوار الهداية، ج ١، ص ٢٧٩ و ٣١٣.

التصريحات والإنكارَات الشديدة، نظير إنكار الربا والقمار.^١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ١ ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ
مُسْتَمِرٌّ﴾ ٢

[معجزات الانبياء آثار القدرة الإلهية]

إعلموا بأن موسى عندما يلقي بعصاه لتصبح حية تسعى، فإن ذلك ليس بفضل قدرته، وأن المسيح إن أحيا الميت وشفى الأكمة والأبرص، فإن ذلك ليس من قدرته، وأن محمداً ﷺ إذا ما قام بحكم الآية الشريفة القائلة: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾... بشق القمر إلى نصفين، فإن ذلك كله يكون بقدرة من الله... وليس بقدرة هؤلاء الأنبياء. إذ إنهم جميعهم من البشر، والوحي الإلهي أمامهم مفتوح، وبإذن من الله وقدرته يقومون بأداء أعمال خارقة تفوق طاقة البشر.^١

﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ١٧

[الموعظة والتذكير هما الغاية من نزول القرآن]

إن كتاب الله، هو كتاب المعرفة والاخلاق والدعوة الى السعادة والكمال... ان علينا - فضلاً عن البحث العقلي البرهاني الذي يوصلنا الى فهم الهدف من التنزيل - ان نستل هذا الهدف من الكتاب ذاته، فمصنّف الكتاب اعرف بأهدافه ومقاصده، فلنتأمل قليلاً الآن فيما يقوله المصنف بما يرتبط بشؤون القرآن. يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^١ فقد وصفه بأنه كتاب هداية. ويقول تعالى في سورة قصيرة: «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَكِّر»^٢.



[التكرار لأجل الهداية، وذكره لمزيد من التدبر]

حسب اعتقادي ان التفسير لم يُكتب لقرآنا حتى وان كُنّا نرى الكثير من الكتب جاءت باسم التفسير. نذكر من ذلك مثلاً ان افضل واجمع تفسير هو تفسير جامع البيان. وعندما يرجع إليه القارئ يجد فيه شأن نزول الآيات والمعاني اللغوية والصرفية والنحوية والاعراب وبنائه. غير ان ذلك الجانب من التفسير

١. البقرة (٢): ٢.

٢. جاء هذا المعنى في الآيات ١٥، ١٧، ٢٥، ٣٢، ٤٠، ٥١، من سورة القمر، مع فارق انه جاء في ذيل الآية ١٥: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ واما في الآيات الاخرى، فقد تكررت الآية المذكورة آنفاً أربع مرات متتالية. واما في الآية ٥١ فقد جاءت على غرار الآية ١٥ ولكن بتعبير آخر: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

الذي هو هداية الناس بقي بعيداً عن المتناول. لأن مراد القرآن الذي أشار إليه في مواضع متعددة هو: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^١ إذ ان هذا الكتاب أصلاً كتاب هداية. أو قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ﴾^٢ فأصحاب التفاسير لا يركزون على جانبي الهداية والتذكر في القرآن، ولا يبيّنون امور الهداية وسوق الناس نحو مسار الهداية. فأحدهم فسّر القرآن من الجانب الطبّي، وآخر فسّره من الجانب التاريخي، وفسّره آخر من جانب أدبي، ولكن الجانب الأساسي والمقصود بقي مطروحاً على الارض.

وهذه التفاسير تغفل ان القرآن لو كان يريد الاهتمام بالجانب التاريخي، لما كانت هناك ضرورة لنقل قصة مثل قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَام مثلاً في عشرين موضع تقريباً في هذا الكتاب الذي لا يتعدى عدد صفحاته ثلاثمائة صفحة تقريباً. ومن المعروف ان من يسمع القصة مرّة واحدة فان اذنه لا تستيعق سماعها مرّة اخرى، بل ويكون سماعها مرّة اخرى مستهجناً. إذا يتضح من خلال ذلك ان في القصة نكات هداية، والغاية من التكرار هو جانب يتناسب مع أصل المقصود القرآني. وهناك مثلاً قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَام التي تكرر ذكرها في مواضع كثيرة. ولا بد من الإشارة الى ان هذه القصص والحكايات هي من الابداعات الباهرة في القرآن

١ . البقرة (٢): ١ - ٢.

٢ . القمر (٥٤): ١٧.

الكريم، ولكنها تحمل بين ثناياها غرض الهداية^٢.
﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَّمَحٍ بِالنَّبْرِ﴾ ٥٠

[الصادر الأول عن الحق تعالى]

إن أول ما صدر منه تعالى وظهر عن حضرة الجمع، هو الوجود العام المنبسط على هياكل الموجودات المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ و: ﴿فَأَيُّهَا تُولُوا لَنَّم وَجَهَ اللهُ﴾^٣. قال الشيخ صدر الدين القونوي^٤، خليفة الشيخ الكبير، محيي الدين، في نصوصه: و الحق سبحانه من حيث وحدة وجوده

١. في هذا المقطع يشير الامام الخميني الى امور مهمة استناداً الى آيات قرآنية ويعتبر عن رأيه في الامور التالية:

أ. ان الكثير من الكتب المشهورة والمعروفة على انها تفاسير للقرآن الكريم، ليست في الواقع سوى شرحاً وتوضيحاً لرسالة القرآن وبيان غايته ولا تعبر عن مقصود الله. ولهذا فهي ليست تفسيراً.
ب. الغاية الاساسية من نزول القرآن الهداية والتذكير. وهذه المسألة ينبغي ان توضع نصب العين عند تفسير القرآن.

ج. بما ان مثل هذا الهدف مطروح في نزول القرآن، فهذا يعني ان تكرار هذا المعنى عدة مرات لابد ان يكون ذا مغزى؛ اذ يستحب التكرار في التذكير والمواعظ.

٢. قرارات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٣٦١ - ٣٦٢.

٣. البقرة (٢): ١١٥.

٤. محمد بن اسحاق بن محمد القونوي الملقب بصدر الدين، من تلاميذ محيي الدين بن عربي، (٦٧١ يا ٦٧٣ هـ). من أهم كتبه: شرح فصوص الحكم، مفتاح الغيب والوجود، النصوص في تحقيق الأطوار المخصوص، توقيفي في قونية.

لم يصدر عنه إلا واحد، لاستحالة إظهار الواحد و إيجاده من حيث كونه واحدا ما هو أكثر من واحد. لكن ذلك الواحد عندنا ما هو الوجود العام المفاض على أعيان المكونات و ما وجد منها و ما لم يوجد ممّا سبق العلم بوجوده. و هذا الوجود مشترك بين القلم الأعلى الذي هو أوّل موجود، المسمّى أيضا بالعقل الأوّل، و بين سائر الموجودات ليس كما يذكره أهل النظر من الفلاسفة. انتهى كلامه. و قال بمثل المقالة في مفتاح الغيب و الوجود.^٢

و قال كمال الدين عبد الرزاق القاساني في اصطلاحاته: التجليّ الشهودي هو ظهور الوجود، المسمّى باسم «النور». و هو ظهور الحقّ بصور أسمائه في الأكوان التي هي مظاهرها. و ذلك الظهور هو نفس الرحمن الذي يوجد به الكل.^٣



١ . رسالة الفصوص، ص ٧٤.

٢ . مفتاح الغيب و الوجود، ص ٦٩.

٣ . اصطلاحات الصوفية، ص ١١٨.

٤ . مصباح الهداية، ص ٦٤.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرُّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ٢

رحمة الإنسان من الله

إن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان من حقيقة رحمته والإنسان صورة الرحمة الإلهية كما قال تبارك وتعالى:

﴿الرُّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ فنسب خلق الإنسان إلى اسم الرحمن، ولهذا فالإنسان الظالم والقاسي القلب متنفر فطرة من الظلم والقساوة، ولو غفل عن ظلمه وقساوته فهو بالفطرة يرفض القساوة والظلم من غيره .

ويحب العدل والرحمة والرأفة بحسب الذات. بل إن الظالم يريد أن يجري الظلم مع العدالة. ويجري القساوة بشكل الرحمة طوعاً أو كرهاً، ويعطيها صورة الرحمة، لأن الفطرة تفر منه وجبلة الذات تنفر عنه. كما أن الذات متوجهة إلى الرحمة والرأفة، ويجب أن يقترب منها ولو بالاسم والصورة، ويستفيد منها ولو على نحو الاسم والصورة. وهذا المطلوب أي الرحمة والرأفة والعدل والمحبة والمودة وأمثالها من لوازم الفطرة المخمرة ومقابلاتها على خلاف الفطرة، ومن لوازم احتجابها.

وبعد الرجوع إلى الوجدان وحالات الناس في العائلة البشرية لا نحتاج إلى إقامة برهان وتطويل وبيان.

وإن كان كل هذه المطالب في باب علم الأسماء تحت ميزان علمي كامل وبرهان منطقي وفلسفي تام في حين أن هذه الرسالة ليست معدة لهذا النحو من البيان فلا بد من الرجوع إلى محاله ليعلم أن جميع الخيرات والكمالات راجعة إلى الأسماء الإلهية^١ ومجمولة بالذات. كما أن مقابلاتها راجعة إلى الأسماء التنزيهية ومجمولات بالعرض^٢. والفطرة المخمرة صورة كمالية رحمانية، ونظام

١. إن التركيز على أسماء الله من خصائص العرفان الإسلامي، ويعبر عن وجه صلة الله بهذا العالم والإنسان، وينم عن طبيعة النظرة إلى هذا المقام. ويعتبر العالم وفقاً لهذا التحليل اشراقاً لجمال الله وانعكاساً لأسمائه وصفاته. ولما كان تجلّي الله في الأسماء والصفات؛ فإن كل الخيرات والكمالات تعود إلى هذه الأسماء؛ وذلك الذات لا تدركها المعرفة. وإن كانت هذه الخصائص تلاحظ في الأسماء، فهي من ذاتها.

٢. في مقابل هذه الأسماء هناك أسماء يُطلق عليها اصطلاحاً اسم الصفات السلبية. وهذه الصفات والأسماء ليست لها حقيقة وإنما تدلّ على تنزيه الله من تلك الصفات؛ ولهذا تُطلق عليها اصطلاح الأسماء التنزيهية والمجمولات بالعرض.

الوجود قائم على الكمال والخير، والنقاص والشور من الإعدام، وراجعة إلى احتجاب الفطرة والبعد عن معدن النور والعظمة.^١

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ٣ ٤

[أهِمِيَّةُ التَّكْلِمْ]

التكلم منشأ للكمالات الكثيرة وبدونه ينسد باب المعارف، والله تعالى في القرآن الكريم مدحه مدحاً لانفقا في سورة الرحمن، حيث قال: ﴿الرُّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ فجعل تعليم البيان في هذه الآية مقدماً على جميع النعم، في مقام الامتان على النوع الإنساني.^٢

[أهِمِيَّةُ الْبَيَانِ وَالْقَلَمِ]

الله يشي على البيان في سورة الرحمن بقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، وهو بهذا يمن على عباده أن علمهم البيان، ويذكرهم بفضلته ونعمته المسبغة عليهم في هذا التعليم. فالبيان إنما حسن لاجل تعليم الناس^٣ عقائدهم السليمة، وأحكام دينهم،

١ . شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٤٢ - ٢٤١.

٢ . شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣٨٦.

٣ . لدينا في هذا المجال روايات مختلفة، وقد جاء في قسم منها ان شيعتنا في المستقبل: ويعلمون الناس القرآن. (راجع: بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٦٤، ح ١٣٩ و ١٤١) وقسم آخر من الروايات ذات طابع ارشادي وتعتبر صدقة العلم لتعليمه للآخرين ونشره بينهم. المصدر السابق، ج ٢، ص

وقيادتهم الى شاطئء الاسلام. وكان الرسول (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) أكبر أمراء البيان.^١

﴿وَالْتَجُمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ٦

[سجود الموجودات]

وأما الحديث عن غروب الشمس وانتقالها من سماء إلى أخرى، والوصول إلى ما تحت العرش، والسجود لها... فإن هدفه غير معروف.

أولاً: ما معنى السماء؟ وثانياً: ما معنى العرش؟ العرش له عدة معان، فأى معنى هو المقصود؟ وثالثاً: ما معنى السجود؟ لعله ذلك السجود الذي ورد ذكره في القرآن - سورة الرحمن - حيث تقول الآية: ﴿وَالْتَجُمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾؛ هل نستطيع رد القرآن الذي قال قولاً غير متفق مع الحس؟ أم نقول: إن السجود هو خضوع وتنفيذ لسنة الله في الحركة؟ إن الشمس خاضعة لمشيئة الله، وقد سجدت بأمره، وبأمره تغرب. وهو القائل: ﴿يَسْبُحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. إن جميع الموجودات تلهج بذكر الله.^٢

﴿يَسْتَلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ٢٩

٢٤، ح ٧٩. كما جاء في قسم آخر: «يعلمونها عباد الله» المصدر السابق، ص ٢٥. ولعل الامام

يشير في كلامه الى هذه الروايات.

١. ولاية الفقيه، ص ١٣١.

٢. كشف الاسرار، ص ٣٢٠.

[كيفية تعلق علم الله بنظام الوجود]

ان علمه و إرادته تعلقًا بالنظام الكوني على الترتيب العَلِّي و المعلولي، و لم يتعلقًا بالعلّة في عرض معلوله و بالمعلول بلا وسط حتّى يقال: إن الفاعل مضطرّ في فعله. فأول ما خلق الله تعالى هو حقيقة بسيطة روحانية بوحدتها كلّ كمال و جمال^١ و جفّ القلم بما هو كائن و تمّ القضاء الإلهي بوجوده، و مع ذلك لمّا كان نظام الوجود فانيًا في ذاته ذاتًا و صفةً و فعلًا، يكون ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^٢.

[حالات السالك]

ان حالات السالك و مقاماته في سيره و سلوكه مختلفة؛ فإن الإنسان مظهر اسم: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، ففي كلّ حال و شأن يظهر له محبوبه باسم و يتجلى له معشوقه و مطلوبه بتجلى، من اللطف و القهر و الجلال و الجمال. و قد يتجلى باسم واحد بنحوين من التجلي و طورين من الظهور: جلوة بنحو الكثرة في الوحدة؛ و جلوة بنحو الوحدة في الكثرة.^٣



١ . إشارة الى العقل الأول الذي هو مبدأ ظهور الكمال و الجمال، او بعبارة اخرى ما ظهر و برز في

الاسماء الالهية ومنها وصل الى الامور الاخرى في هذا المجال، راجع: الاسفار الاربعة، ج ٢،

ص ٣٦٨ و ج ٦، ص ١١٠.

٢ . الطلب و الإرادة، ص ١٢٦، متن عربي، ص ٦٤.

٣ . شرح دعاء السحر، ص ١٢٣.

[عدم امكان تجلي جميع الشؤن الا للإنسان الكامل]

اعلم ايها السالك الطالب ان لله تعالى بمقتضى اسم ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ في كل آن شأناً؛ ولا يمكن التجلي بجميع شؤناته الا للإنسان الكامل. فإن كل موجود من الموجودات من عوالم العقول المجردة و الملائكة المهمة و ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًا﴾^١، الى النفوس الكلية الالهية و الملائكة المدبرة و ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾^٢ و سكان الملكوت العليا، و سائر مراتبها من الملائكة الارضية مظهر اسم خاص، يتجلى له ربه بذلك الاسم. و لكل منها مقام معلوم: «منهم ركع لا يسجدون و منهم سجد لا يركعون»^٣ لا يمكن لهم تجاوز مقامهم و تخطي محلهم. و لهذا قال جبرئيل، عليه السلام، حين سأله النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، عن علة عدم المصاحبة: «لَوْ ذَنُوتُ أُمَّلَّةً لَاحْتَرَقْتُ»^٤.

[مراتب نزول الوجود]

وأما على ضوء مسلك العرفاء - الذين يرون للوجود مراتب نازلة، حتى آخر

١ . الصافات (٣٧): ١.

٢ . النازعات (٧٩): ٥.

٣ . جاء ما هو قريب من هذا المضمون في تفسير علي بن ابراهيم القمي، ج ٢، ص ١٨١ في ذيل الآية الأولى من سورة فاطر.

٤ . بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٣٨٢، كتاب تاريخ نبيّنا، باب اثبات المعراج و معناه و كفيته، ح ٨٦.

٥ . شرح دعاء السحر، ص ١٤٩؛ أيضاً راجع: المصدر السابق، ص ١٥ و آداب الصلاة، ص ٣٠٥ -

مرتبة منها، وهي مرتبة احتجاب شمس الوجود في حجب التعينات، وهي حقيقة «ليلة القدر» وابتداء يوم القيامة من المرتبة الأولى منه إلى مرتبة رجوع الملك إلى الملكوت، وخرق حجب التعينات حتى نهاية مراتب الظهور والرجوع الذي هو الظهور التام للقيامة الكبرى - فإن هذه الأيام الستة التي تمّ فيها خلق السماوات والأرض وانتهى الأمر به إلى عرش الله وعرش الرحمن الذي هو غاية غايات الاستيلاء والاستواء والقهارية للحق المتعالي، هذه الأيام الستة هي المراتب الستة الصعودية في العالم الكبير. وعرش استواء الحق، الظاهر بالقهارية التامة والملكية، وهي مرتبة المشيئة والفيض المقدس الرحماني الذي هو الظهور التام بعد انسلاخ التعينات والفراغ من خلق السماوات والأرضين. ومادامت السماوات والأرضون موجودة، لم يتم خلقها عند أهل المعرفة حسب قوله تعالى: ﴿لَقَدْ يَوْمَ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وحسب عدم حصول التكرار في التجلي.

وتكون المراتب الست في الإنسان الكبير والعالم الأكبر مع المرتبة السابعة اللطيفة التي هي عرش الرحمن والذي هو مرتبة القلب الحقيقي. ولولا خشية التفصيل لذكرت بصورة مسهبة ومستفيضة بأن الأفضل من كل الوجوه هو هذا الوجه المذكور. ومن المعلوم أن علم الكتاب الإلهي موجود لدى الحق المتعالي وخاص بمن خوطب به^٢، ولكننا نتحدث على أساس المناسبات والاحتمالات بعد تعذر حمل الآية على ظاهرها.^٣

١. في قوس النزول حيث تتعين الوجودات هناك، يصبح وجود الله في حجاب وجود الممكنات، وتصير هذه تجلياً للاسماء الإلهية بدلاً من اظهار الله.

٢. جاء في الاحاديث: انما يعرف القرآن من خوطب به . (اصول الكافي، ج ٨، ص ٣١٢). ومن هنا قيل ان علم الكتاب عند من خوطب به من مرتبة خاصة.

٣. الاربعون حديثاً، ص ٦٥٨.

[مفهوم التبدلات الوجودية والجوهرية في حركة الشائبة الإلهية]

مما لا يُنكر انه حتى الأشجار تبدلُ في كلِّ عام لباسها الجسمي؛ فهذه القشرة التي نراها تنهراً وتتساقط عنها وتنمو بدلاً منها قشرة اخرى، وهذه القشرة الثانية كانت كُباً للقشرة الأولى، فتحرّكت تدريجياً وغدت قشرة، ثم ان هذه القشرة نفسها تتساقط أيضاً ويأتي بدلاً منها لب آخر ويتحوّل إلى قشرة. ووحدة هذا الشجر لا تتمثل في تلك القوّة النباتية الموجودة فيه؛ لأننا قلنا ان المادة غير متحصّلة وتبدّلها تابع لتبدّل صورتها. إذاً فما يحفظ وحدتها - أي وحدة الأشياء التي ليست ذات نفوس مجردة - هو المثلّ النورية؛ أي رب الأنواع الذي بواسطته يصل الفيض من المبدأ، وإشراقه هو الذي يتصل بهذا الوجود الجوهري، وذلك الإشراق هو روحها. وتبدّل هذه القوالب لا يستدعي تبدّل ذلك الإشراق، ووحدة الشيء قائمة بإشراق رب النوع؛ لأن تلك الصورة لا تتبدّل وهذه الأنواع سيالة بالذات والصفات؛ لأنّه حينما يكون جوهرها سيال، تكون صفاتها سيالة أيضاً؛ وذلك لأن الاعراض قائمة بالجواهر. وفي الحقيقة ان هذه التبدلات والتغيّرات من مراتب الوجود ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^١ وفي لباس يشعّ فيه ذلك الإشراق على هذه القوالب؛ ووحدة الشيء تكون به لا بهذه القوالب.

ومن هنا فلو قلنا ان أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات ليلة مع النبي صلى الله عليه وآله، وكان أيضاً في الليلة ذاتها وفي الوقت نفسه في مجلس مع سلمان،^٢ ثم انه كان في تلك

١ . الرحمن (٥٥): ٢٩.

٢ . أبو عبد الله سلمان الفارسي؛ الركن الأول من الأركان الأربعة والمختص بشرف سلمان منا أهل البيت . وصفه الإمام الصادق (عليه السلام) انه أفضل من لقمان، واعتبره الإمام الباقر (عليه السلام) من المتوسمين. وجاء في حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال: فصلوات الله

الليلة وفي الوقت نفسه في مجالس متعددة، فكلامنا صحيح، وان أمير المؤمنين كان في هذه المجالس كلها؛ لأن هذا القالب الجسماني ليس هو حقيقة الشيء حتى نقول انه كان له قالب واحد وهو الذي كان مع الرسول ﷺ.

بما اننا نقول بأن وحدات أفراد الطبيعة بوحدات النفوس الناطقة في تلك التي لديها نفس ناطقة، وبوحدات المثل النورية في تلك التي ليست لديها نفس ناطقة، وان وحدات النفوس والمثل النورية محفوظة بوحدة المبدأ الذي يشرق من وراء ستار الغيب على كل ما في الوجود، وكل شيء يستند إلى ذلك النور الثير ويحفظ وحدتها. في حين ان كل قالب يذهب ويأتي قالب غيره فان المستند واحد.

ومن هنا فقد قال: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^١. وهذه طبعاً بمثابة ثياب وهي ليست داخلية في حقيقة الشيء ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾^٢ لا جرم ان حفظ الوحدة والثبات يكون بهذا الإشراق. اذاً إن قلنا بالحركة الجوهرية، فهذا لا يضر

على سلمان وقال أيضاً: أدرك سلمان علم الأوّل وعلم الآخر، وهو بحر لا ينزف وهو منا أهل البيت. وقد آخاه رسول الله (عليه السلام) مع أبي ذر وشرط على أبي ذر ان لا يخالف له أمراً. يبدو انه توفي في عام ٣٦ للهجرة في المدائن، وحضر أمير المؤمنين (عليه السلام) جنازته بطي الأرض وغسله وكفنه وصلى عليه، ودُفن في المدائن - على مقربة من الكاظمين.

١. هذه الرواية نقلتها كتب التاريخ وبعض كتب العرفان والفلسفة، وهي متداولة على الالسن بكثرة ولها شهرة واسعة، الا انها مع الاسف غير موجودة في كتب الحديث والروايات. راجع: الانوار

النعمانية، ج ٤، ص ٥١.

٢. الرحمن (٥٥): ٢٩.

٣. البروج (٨٥): ٢٠.

بالوحدة، بل ان الإشراق هو الإشراق نفسه. ومن هنا قال أحدهم:

للعارفين في كل لحظة عيدان والعناكب تفترس الذباب^١
لأن هذا الوجود الجوهرى حين يذهب، فهذا عيد لأنه يعود إلى المبدأ.
والوجود الآخر الذي يأتي في اعقابه هو فيض وإشراق آخر وصل من
المحبوب، وهو عيد آخر.

إذا فالعارفون يحتفلون في كل لحظة بعيدين، بينما أمثالنا نحن الذين لا نسير
على طريق المعرفة، نلتف حول أنفسنا كالعناكب التي تلقي شراكها لاصطياد
جيف الدنيا، وهي منهمكة بأكل لحوم وكباب الذباب.^٢



[المراد من الطبيعة، حافظ الزمان في الخلق الجديد]

قال صدر المتألهين في موضع من كتاب الأسفار استناداً الى ما حققه، انه
عبارة عن الحركة الجوهرية والتجدد،^٣ قال: ان السبب القريب للحوادث أو جزء
سببها يكون حادثاً معه. والكلام فيه كالكلام في الأولى، ويلزم التسلسل أو
الانتهاء الى حادث ماهيته أو حقيقته، عين الحدوث والتجدد كالحركة أو
المتحرك بنفسه كالطبيعة المتجددة بذاتها. ولك الطبائع المنقطعة الوجود التي
عدمها في زمان سابق وحركة سابقة مسبوقة بطبيعة اخرى حافظة لزمانها، وتلك
الطبيعة الحافظة للزمان لها وجهان؛ وجه عقلي عند الله، وهو علمه الأزلي،

١. حديقة الحقيقة، سنائي الغزنوي، ص ٣٦٩. باختلاف ضئيل.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ١٢٢ - ١٢٤.

٣. راجع: الأسفار، ج ٧، ص ٣٩٤.

وصورة قضائه وليس من العالم لها وجه كَوْنِيَّ قَدْرِيَّ حَادِثٍ فِي خَلْقٍ جَدِيدٍ
﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^١

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُتُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
فَأَنْفُتُوا لَا تَنْفُتُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ٣٣



[امتداد منافذ الافلات من السلطة القاهرة]

أيها الإنسان المسكين كم ستكون حسرتك يوم يرفع حجاب الطبيعة عن
بصرك وتعاين أن كل ما مشيت له في العالم، وسعيت فيه كان في طريق
مسكنتك وشقاوتك وقد انسد طريق العلاج والجبران وانقطعت يدك عن كل
شيء، وليس لك مجال للفرار من السلطة الإلهية القاهرة: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُتُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاَنْفُتُوا﴾^٢ ولا سبيل لجبران
النقائص الماضية والإعتذار عن المعاصي الإلهية^٣

١. أي ان لذلك الوجه العقلي ثبات ويحكمه علم الله الازلي وقضاؤه. الا ان وجه الوجود والطبيعة
الجزئية فيعثره التغيير والتحول. والىبة الشريفة التي جاء فيها: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فهو تشير
الى القسم الثاني الذي يظهر فيه كل يوم خلق جديد.

تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٣٩٨ - ٣٩٩.

٢. سورة الرحمن: ٣٣.

٣. ان نظرة المؤلف العرفانية الى هذه الآية تعود الى أحوال يوم القيامة؛ أي عندما يجدون انفسهم
عاجزين عن فعل أي شيء ولا يجدون أمامهم من سبيل للتعويض عما فات من القبايح

والمعاصير وهذا الاسلوب في فهم الآية يُعدّ في الحقيقة تطبيقاً تأويلياً للآية على احوال السالك . وهذا الفهم يأتي على خلاف التفسير الذي يعتبر الآية ناظرة الى الطبيعة والعالم المادّي، وبالتيجة ينفي القدرة على النفوذ العلمي في اقطار السماوات والارض، الا عن طريق القدرة والعلم . ولكن هناك من المفسّرين من يرى ان هذا النمط من فهم الآية لا ينسجم مع سياقها .
راجع: الطباطبائي، الميزان، ج ١٩، ص ١٠٧.

١ . سورة يونس: ٩١.

٢ . شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٨٥

٣ . اشارة الى قصة فرعون في زمان موسى، اذ انه آمن حينما كان يفرق في نهر النيل، وقال: ﴿آمنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمنتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وبذلك اعترف بمعصيته وطلب من الله المغفرة، ولكن ذلك جاء متأخراً ولم يكن له من طريق للمودة. ولذلك قال له الله تعالى:
﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس: ٩١).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ١٠ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ١١

[معيار واسوة المقربين والسابقين]

ولا بد من معرفة أن من أصعب الأمور، وأقسى الأشياء، محافظة العلماء والزهاد والملتزمين على دينهم والمراقبة لقلوبهم في حياتهم. ولهذا لو أن شخصاً من هذه الطبقة ينهض بوظائفه، وبكل إخلاص في النية ويسلك طريق العلم، والزهد والتقوى، وينقذ نفسه من هذه المحن، ويسعى في سبيل إصلاح الآخرين، بعد أن أصلح نفسه، ويرعى أيتام آل محمد (صلى الله عليه وآله)، كان مثل هذا الإنسان من المقربين والسابقين. كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) ذلك في خصوص أربعة رجال كانوا من حوارى الإمام الباقر (عليه السلام)، ففي الوسائل عن رجال الكشي بسنده إلى أبي عبيدة الحذاء قال: «سِعَتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ: زُرَّارَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ وَأَبُو بَصِيرٍ

وَبُرِيدٌ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^{٢١}.



﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا يُنْمُونَ﴾ ٥٨ ﴿أَلَيْسَ لَكُمْ عِلْمٌ بِمَا يُنْمُونَ﴾ ٥٩ ﴿لَخَلْقُوهَا سَعِيدٌ﴾ ٦٠ ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْنَالِكُمْ وَتُنشَأَ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٦١ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرثُونَ﴾ ٦٣ ﴿أَلَيْسَ لَكُمْ عِلْمٌ بِمَا تَحْرثُونَ﴾ ٦٤

المعلول شأن من العلة وعين الربط وظل الحق

هذه الافعال التي تصدر من النوع الانساني، ليست صادرة من كتم العدم ومن زاوية اللاشيء، ومن يد العزلة والانزواء، ثم أخذ بأيديهم ودعوا إلى دار الوجود، وإنما هو صوت عام. وهذه الدعوة للقابعين في زوايا كتم العدم تختص بمعطي الوجود والفاعل الحقيقي الذي هو الذات المقدسة للحق تعالى. واما ما يظهر من الآخرين فهو على العموم حركة ونقل للأشياء من موضع إلى آخر. نذكر من ذلك على سبيل المثال ان البناء يضع الحجر، والطابوق، واللبن، والجص، فوق بعضه أو بين ثنايا بعض، ثم ان هذه الأشياء تتماسك في ما بينها عند الجفاف. وهذا يعني أن فعل البناء لم ينشأ منه شيء. وهذه الغرفة المبنية ليست سوى الطين واللبن والجص. ومثل ذلك كمثلنا نحن الذين نجتمع هنا؛ فهذا الجمع لا يحصل منه سوى إباي وإياك وإياه. نعم ربما تنتج عن ذلك

١. وسائل الشيعه، ج ١٨، الباب ٢٢ من أبواب صفات القاضي، ح ٢٢.

٢. الاربعون حديثاً، ص ٣٧٨.

تشكيل وهيئة ذات طابع نفسي ضعيف. غير ان وجود هذا التشكيل أو هذه الهيئة لا يعود إلى البناء. وإنما هي حالة ترتبت على أثر فعله. ومثله في ذلك كمثل الأب الذي يأتي منه ابن. فليس هو الذي منح الوجود للابن، وإنما جاء وجود هذا الابن نتيجة لفعل الأب. وبالجملة فإن ذلك بمعنى أنه لا ينشأ من الفواعل الطبيعية شيء غير الحركة، واعطاء النعمة والوجود بيد الواهب الفياض على الاطلاق. وهذا المنصب من المناصب المختصة بذات الحق تعالى. ومن المحال ان تكون لدى المراتب الاخرى أهلية لهذا المنصب. واعطاء الوجود من "ليس" إلى "أيس" بيد قدرته فقط، ماهيةً ووجوداً وصورة ومادة. وبما انهم لم يفهموا هذا المعنى من جهة، وسمعوا من جهة اخرى ان المعلول فان في العلة، اثاروا اشكالاً مفاده اننا نرى ان الابن لا يذوب في الأب، والبناء لا يفني في البناء؛ فقالوا: ان العلة المبقية غير العلة المحدثه^١.

والحال انهم غفلوا ان هذه لم تكن علة، والا فالمعلول علة حقيقية عين التعلق وعين الربط، وذات المعلول شأن من شؤونه، وجلوة من جلواته، ومرتبة من مراتبه. والمعلول ظل العلة وفيها وفان فيها.

وبالجملة: فان الفواعل الطبيعية فقيرة إلى الله. وفاقد الشيء لا يعطيه. وإلى هذا المعنى أشار ذو الجلال والغنى على الاطلاق بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُفِّرُونَ * أَنَّنُكُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾^٢ ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾^٣ ﴿أَنْتُمْ

١. راجع: نقد المحصل، ص ١٢٠ - ١٢١؛ شرح المواقف، ج ٣، ص ١٥٩؛ شوارق الالهام، ص ١٣٨.

٢. الواقعة (٥٦): ٥٨ - ٥٩.

٣. الواقعة (٥٦): ٧٢.

تَزْرَعُوهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿١﴾

وبالجملة، فإنَّ الفاعل الطبيعي فاعل الحركة، ومعطي الوجود هو الفاعل الإلهي لا غيره.^٢

[اثبات المعاد بنمو البذر]

وهكذا الحال بالنسبة الى المعاد؛ فحينما يتحوّل بدن الانسان الى تراب وتتناثر اجزائه وذراته في العالم، تُجمع تلك الاجزاء المنبثّة من كل الكرة الأرضية ومن الهواء مثلما تجتمع الاجزاء المنوية من اعضاء البدن، وتتكون على شكل وهينة ذلك الشخص، وتلقى الروح فيه بنفخة. وهم يستدلون على ذلك بالآية الشريفة: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُعْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾^٣ كما يستدلون عليه أيضاً بالآية الشريفة: ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾^٤، على هذا النحو وهو أننا نعلم ان الماء لوحده أو التراب لوحده يُفسد البذور؛ فالبذر إذا بقي في التراب مدة ولم يصله ماء أو رطوبة، يفسد ويتحلل ويتعفن. وكذلك إذا أُلقي في البحر فهو يتعفن هناك ويتحلل في الماء. وإذا اجتمع سببا الافساد سوية فان الضرورة العقلية تقضي بان يعمل على افساده اسرع، الا ان القدرة الإلهية تقضي ان تحلل القشرة المحيطة بالبذرة، ويخرج من وسطها شيء حي وفيه حياة نباتية. اذ الله قادر على ان يخرج من الاجزاء الفاسدة جسماً حياً. وهذا العمل في الحقيقة

١ . الواقعة (٥٦) : ٦٤ .

٢ . تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

٣ . القيامة (٧٥) : ٣٧ - ٣٨ .

٤ . الواقعة (٥٦) : ٦٤ .

احياء لميت ترابي. ويستشهد^١ على هذا بآيات اخرى أيضاً.^٢



﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ٧٤

[فضيلة اسم العلي والعظيم]

ورد في الحديث الشريف «أنه لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اجعلوها في ركوعكم. فلما نزل قوله تعالى ﴿سَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^٣ قال (صلى الله عليه وآله): اجعلوها في سجودكم»^٤.
وورد في الحديث الشريف المروي في الكافي أن: «... أول ما اختار [الله] لنفسه: العلي العظيم»^٥.

لعلَّ «العلي» هو أول الاسماء الذاتية و﴿الْعَظِيمِ﴾ هو أول الاسماء

١ . يشير في كلامه هذا الى الفخر الرازي الذي استدل بهذه الآيات في تفسيره المعروف باسم مفاتيح الغيب (ج ٢، ص ١٢٣ - ١٢٤ و ج ٢٩، ص ١٧٥) لاثبات المعاد الجسماني. وخلال بحثه لهذا الموضوع وكيفية جمع الله للاجزاء البالية والمتناثرة للأبدان واعادة انشائها من جديد وبث الروح فيها، اشار الى موارد مما يجري في الطبيعة قائلاً بأن الله بقدرته الالهية النامة يلقي الروح من جديد في بذور الحنطة مثلاً.

٢ . تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥١٠.

٣ . الاعلى (٨٧): ١.

٤ . مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٢٤، ذيل الآية ٧٤ من سورة الواقعة.

٥ . اصول الكافي، كتاب التوحيد - باب حدوث الاسماء، الحديث الثاني.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ ٧٥ ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَغْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ ٧٦



[ومن دلائل على تجرد النفس]

ومن الآيات الاخرى الدالة على تجرد النفس، الآية الشريفة: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَغْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾^١. واستناداً الى بعض الروايات فإن ليلة القدر هي القلب الشريف لخاتم الأنبياء، وهو القلب الذي نزل عليه القرآن الكريم.^٢ وجاء في بعض الروايات ان ليلة القدر ليلة معينة نزل فيها القرآن كله دفعة واحدة.^٣ وشرف هذه الليلة وفضلها ليس ذاتياً طبعاً؛ لأن الليل والنهار هما عبارة عن النور والظلمة ولا فرق بينهما في هذا الجانب. والليل هو السواد والظلمة، والنهار هو الضياء؛ ولكن شرفها يأتي مما يقع فيها من الوقائع

١. ان الانغماس في الرذائل والانشداد الى الدنيا، يشير الى الأحاديث التي تعتبر حب الدنيا رأس كل خطيئة وبداية كل انحراف؛ وذلك لأن من يتعلق بالدنيا ويرجحها - عند التزامه - على الآخرة، يمرض قلبه المعنوي. حول هذه الروايات، راجع: اصول الكافي، ج ٢، الباب ٦١، ص ١٣١.

٢. آداب الصلاة، ص ٣٥٩؛ وأيضاً، راجع: سر الصلاة، ص ٩٥.

٣. الواقعة (٥٦): ٧٥ - ٨٠.

٤. لم نعثر على هذه الرواية في المصادر الحديثية، راجع: تفسير بيان السعادة، ج ٤، ص ٢٦٧؛ اصول الكافي، ج ١، ص ٤٧٩، ح ٤؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٩٧، ح ٧١.

٥. تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٦٢٤، ح ٥٢ و٥٣ و٦٣٠، ص ٨٤.

والأحداث. فيوم الغدير مثلاً صار يوماً سعيداً بسبب تلك الواقعة العظمى والشريفة التي وقعت فيه. وكذلك جاء شرف ليلة القدر من نزول القرآن فيها، حيث نزلت فيه الأسماء والصفات الإلهية على نحو الرحمة الجماعية الإلهية وعلى نحو القرآنية. وأراد الله في تلك الليلة أن يفتح باب رحمته العامة لكل الموجودات، وفي تلك الليلة وضعت كل الأسماء والصفات الإلهية في تناول أيدي الناس. وبعد هذه المرحلة من النزول التي كانت على نحو القرآنية، كانت الآيات تنزل في مواقف معينة على نحو تفصيلي وعلى مدى عشرين ونيف من السنين. وبمناسبة شرف نزول الآيات القرآنية أصبحت تلك الأوقات مكرمة وتحظى بالاحترام^١.

يُحتمل ان تكون مواقع النجوم تلك الأيام الخاصة التي نزلت فيها الآيات الكريمة، ومن هنا يقول الباري تعالى: ﴿وَأِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَغْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾. فهذا القرآن: ﴿فِي كِتَابٍ مُّكْتُونٍ﴾، ولا يستطيع أحد مسّ هذا الكتاب: ﴿إِلَّا الْمَطْهُرُونَ﴾.

ومن المسلّم به طبعاً أن ذلك الكتاب كان مكنوناً في كتاب فيه تمام العزّ والرفعة. بحيث لا تبلغه الموجودات الطبيعية الهابطة الدنيئة. وإذا شاء أحد الوصول الى ذلك الكتاب ومسّه كلفه، فلا بد أن يكون كل وجوده طاهراً. والمراد من التطهير طبعاً هو الطهارة من حُجُب الطبيعة والتجرّد من الغشاوات الجسمانية. وبالنتيجة يجب ان تكون للنفس الانسانية الناطقة مرحلة ومقام من التجرّد تكون فيه قادرة على مسّ الكتاب المكنون. إذاً فهذه الآيات تثبت تجرد النفس

١. يُفهم من هذا المقطع بكل وضوح ان المؤلف يقول بنوعين من نزول القرآن؛ نزول اجمالي في

ليلة القدر، ونزول تفصيلي على مدى ثلاث وعشرين سنة.

الانسانية أيضاً^١.

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ٧٧-٧٩

[استواء كتابي التكوين والتدوين]

إن مَنْ يُريد الاستفادة من معارف القرآن والانتفاع من المواعظ الإلهية، عليه أن يُطهر القلب من هذه الأرجاس ويفرغه من لوث المعاصي القلبية المتمثلة بالاشتغال بغير الحق، فغير المطهر من القلوب لا يؤتمن على الأسرار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، فكما أن مسَّ ظاهر هذا الكتاب أمرٌ محرّمٌ - تشريعاً وتكليفاً - على غير طاهر الظاهر في عالم الظاهر، كذلك فإن معارف القرآن الكريم ومواعظه وباطنه وسره محرمةٌ على من كان قلبه ملوثاً بأرجاس التعلقات الدنيوية.^٢

[استواء كتابي التكوين والتدوين من حيث مالهما من بطون]

اعلم انه كما ان للكتاب التدويني الإلهي بطونا سبعة باعتبار و سبعين بطنا بوجه، لا يعلمها الا الله و الراسخون في العلم^٣، و لا يمسّها الا المطهرون من الاحداث المعنوية و الأخلاق الرذيلة السيئة و المتحلّون بالفضائل العلمية و

١ . تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥٦ - ٥٧.

٢ . آداب الصلاة، ص ٢٠٢.

٣ . آل عمران(٣): ٧. اشارة إلى الراسخين في العلم است، وعلى هذا قال «واو» في الآية أداة عطف.

العملية، و كل من [كان] تزّهه و تقدسه أكثر كان تجلي القرآن له أكثر و حفظه من حقائقه أوفر^١، كذلك الكتب التكوينية الإلهية الأنفسية و الآفاقية حدواً بالحدو و نعلماً بالنعل. فإن لها بطونا سبعة أو سبعين لا يعلم تأويلها و تفسيرها إلا المتزّهون عن ارجاس عالم الطبع و احداثها، و لا يمسه إلا المطهرون فإنها أيضاً نازلة من الرب الرحيم.^٢

فجاهد أيها المسكين في سبيل ربك و طهر قلبك و اخرج من حيلة الشيطان، و ارق و اقرأ كتاب ربك و رتله ترتيلاً و لا تقف عند قشره، و لا تتوهمن ان الكتاب السماوي و القرآن النازل الرباني لا يكون إلا هذا القشر و الصورة، فإن الوقوف عند الصورة و العكوف على عالم الظاهر و عدم التجاوز الى اللبّ و الباطن اخترام و هلاك و اصل اصول الجهالات و أسّ اساس انكار النبوات و الولايات.^٣

[اشتراط تلقي المعارف بالطهارة القلبية]

و معلوم عند اصحاب القلوب من اهل السابقة الحُسنى، أنّ حصول هذه المنزلة الرفيعة و الدرجة العلية، لا يمكن إلا بالرياضات الروحية و العقلية و الخواطر القدسية القلبية بعد طهارة النفس عن ارجاس عالم الطبيعة و تركيتها،

١ . الجملة التالية: كان تزّهه و تقدسه أكثر، كان تجلي القرآن له أكثر و حفظه من حقائق القرآن أوفر، تشير الى اهمية تهذيب النفس في فهم القرآن، و تقع في مقابل جملة قالها الراغب الاصفهاني في مقدمة جامع التفسير و تبعه زركشي و اكد فيها على اهمية العلم في فهم القرآن، وهي: كل من كان علمه أكثر كان حفظه من القرآن أوفر . راجع: البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٤٨.

٢ . راجع: محمد بن الحسن الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٩٩، الباب ١٠، ح ٢ و ٣، كذلك البحراني، البرهان، ج ١، ص ٤٩، الباب ٧، ح ١ و ٢ و ٣.

٣ . شرح دعاء السحر، ص ٥٩.

فَإِنْ هَذَا مَقَامٌ: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.^{٢١}

[مراتب تلقي القرآن]

وليعلم أن كل صلاة للسالكين إلى الله مشروطة بطهارة خاصة لتلك الصلاة وبدونها لا يمكن التوصل إلى تلك الصلاة كما قال تعالى في الآية الشريفة: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.^٢ فلا يمس ظاهره إلا أهل الطهارة الظاهرية، ولا يمس باطنه إلا أهل الطهارة السرية.^٣



١. ان عدم المس وعدم الفهم، له مراتب ودرجات، واحدى تلك المراتب عدم ادراك ظاهر القرآن، والمربة الاخرى عدم ادراك باطن القرآن، والاخرى عدم ادراك ما في هذا الكتاب من أسرار خفية. ومثلما ان فهم ظاهر القرآن مشروط بالطهارة الضاهرية، كذلك ادراك معانيه الباطنية يستلزم الطهارة الباطنية للشخص، كما ان ادراك الاسرار الالهية مشروط بالطهارة السرية.

٢. صحيفة الامام، ج ١، ص ٥٥ رسالة عرفانية الى الميزا جواد الهمداني.

٣. الواقعة (٥٦): ٧٩.

٤. الفارق بين الباطن والسر اشير إليه في تقسيمات رواية منقولة عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وجاء فيها: كتاب الله عزوجل على اربعة اشياء، علي العبارة و الاشارة و اللطائف و الحقائق، فالعبارة للعوام و الاشارة للخواص و اللطائف للولياء و الحقائق للأنبياء. راجع: بحار

الانوار، ج ٨٩، ص ١٠٣، ح ٨١ وكذلك ص ٢٠ و ج ٧٥، ص ٢٧٨.

٥. سر الصلاة، ص ٣٥.

[تحصيل الاخلاص نوع من تطهير القلب]

وبعد تحصيل الإخلاص إجمالاً يمكن التطرق إلى الحقيقة - كما في القرآن الشريف في السورة المباركة: (الصفات) في الآيتين ١٥٩-١٦٠ حيث يقول تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ فالإخلاص المخلصين الذين خلصوا من مراتب الشرك وازدواج الرؤية، وخلصوا من قذارات الطبيعة، فالله منزّه عما يصفه به سائر الناس، وإن كان المخلصون (بفتح اللام) أرفع مقاماً من المخلصين (بكسر اللام) وسنيبه إن شاء الله في محله.

وعلى أي حال فالإخلاص في تحصيل التوحيد والتجريد من مهمات السلوك، وسنذكر كيفية تحصيله في باب مستقل.

ثم يتوب بعد ذلك من الذنوب والمخالفات توبة خالصة بشرائطها، تأتي في باب التوبة. فإذا أخلى قلبه من القذارات يتهياً لذكر الله وقراءة كتابه، وما دامت القذارات وكتافات عالم الطبيعة في قلبه فلن تيسر له الاستفادة من الذكر والقرآن الشريف، كما أشير إلى ذلك في الكتاب الإلهي في السورة المباركة الواقعة في الآيات ٧٧ - ٧٩: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ويقول سبحانه في سورة المؤمنين الآية ٣ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنزِلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾^١.



[بحث فقهي في حرمة تنجيس المصحف]

وجوب إزالة النجاسة عن المساجد والمشاهد والمصاحف والتربة ثم إنه كما يحرم تنجيسه يجب إزالة النجاسة منه، ولا يبعد أن يكون قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ» وكذا معاهد الإجماعات^١، ظاهرة في وجوب الإزالة.

لكن المتفاهم منها عرفاً أن الأمر بها وتجنب المساجد؛ لمبفوضية تنجيسها حدوداً وبقاءً. ومنه يعلم أن وجوب الإزالة فوري عقلاً؛ لاستفادة مبفوضية تلوث المساجد مطلقاً من الأدلة.

ويلحق بالمساجد المصحف الشريف، والمشاهد المشرفة، والضرائح المقدسة، والتربة الحسينية، سيما المتخذة للتبرك والاستشفاء والسجدة عليها، بلا إشكال مع لزوم الوهن، بل مطلقاً على وجه موافق للارتكاز. بل لا يبعد أن يكون المناط في نظر المتشرعة وارتكازهم في وجوب تجنب المساجد النجاسات، هو حيثية عظمتها وحرمتها لدى الشارع الأقدس، أو كون التنجيس مطلقاً هتكاً عنده ولو لم يكن عندنا كذلك.

هذا بالنسبة إلى غير الخطأ من المصحف، وأما هو فلا ينبغي الإشكال في حرمة تنجيسه، ووجوب الإزالة عنه؛ لارتكازية الحكم لدى المتشرعة، ولفحوى قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الظاهر منه مبفوضية مس غير الطاهر إياه بأي وجه اتفق، والمفهوم منه الحكم فيما نحن فيه، سيما أن الظاهر

١. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٢٢٩، كتاب الصلاة، ابواب احكام المساجد، الباب ٢٤، ح ٢.

٢. لأن الاجماع منعقد على حرم تنجيس المسجد، فهذا يستلزم ازالة النجاسة.

من الآية الكريمة أنّ المناط فيها غاية علو القرآن وعظمته وكرامته^١.
﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ٨٥

[ارتباط الموجودات مع الله]

ان الوجودات بمراتبها السافلة و العالیه كلها مرتبطة بالوجه الخاص بالله تعالى بلا توسط شيء؛ فإن المقيد مربوط بباطنه و سره بالمتعلق؛ بل هو عين المتعلق، بوجه يعرفه الراسخون في المعرفة. و كان شيخنا العارف الكامل^٢، ادام الله ظله على رؤوس مريديه، يقول: ان المقيد بباطنه هو الاسم المستأثر لنفسه^٣؛ و هو الغيب الذي لا يعلمه الا هو؛ لأن باطنه المطلق، و بتعيينه ظهر لا بحقيقته. فالكل حاضر عند الله بلا توسط شيء. و من ذلك يعرف نفوذ علمه و سريان شهوده تعالى في الأشياء؛ فيرى بواطنها كظواهرها و عالم الملك كالملكوت و العالم الأسفل كالأعلى، بلا توسط شيء كما يقول المحجوبون.

و لا تفاوت شدة و ضعفاً في الظهور و الحضور عنده. كما قال أمير المؤمنين، عليه السلام، على ما في الوافي: «علمه بالأموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين؛ و علمه بما في السماوات العلى كعلمه بما في الأرضين

١. كتاب الطهارة، ج ٤، ص ١٢٣.

٢. المرحوم محمد علي الشاه آبادي.

٣. الموجود المقيد من حيث حقيقته الباطنية مرتبط بالمتعلق. و من هنا فان تجلّي الله عين المتعلق، و من هذا الجانب الباطني، له الاسم المستأثر و الخفي، و بما ان الحقيقة الخفية للوجودات عنده، فلا أحد يعرفها الا هو.

٤. اذا كان الموجود بسيط الحقيقة و لا تركيب فيه، فيكون علمه و قدرته محضرة كلها عنده و لا

يغيب عنه شيء، راجع: الاسفار الأربعة، ج ٢، ص ٣٦٨ و ج ٦، ص ١١٠.

السفلى.^١ فليتدبر في قوله تعالى ﴿وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾، ﴿وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^٢، ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾^٣. بل لا وجود لشيء على الحقيقة؛ ولا هوية على الإطلاق لموجود من الموجودات. فهو هو المطلق والقيوم التام. فانتبه من نوم الغفلة وكن من المؤمنين و الموحدين.^٤

[ملكية الحق تعالى ملكية ذاتية حقيقية]

اما ملكية الحق تعالى - وهي بإضافة إشراقية وإحاطة قيومية - فهي الملكية الذاتية الحقيقية الحقّة، وهي تخلو من آية شائبة لبيئونة عزلية في ذاته وصفاته تعالى عن أيّ موجود من الموجودات.^٥ وملكية الحق تعالى لجميع العوالم هي ملكية متجانسة متساوية ليس فيها تفاوت بين موجود وموجود مطلقاً، ودون أن تكون أكثر إحاطة أو أقرب الى عوالم الغيب والمجردات منها الى العوالم الاخرى؛ لأن ذلك يستلزم المحدودية والبيئونة العزلية وهو ملازم للافتقار والامكان - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - . ولعلّ الإشارة الى ذلك واضحة في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ و﴿وَ

١ . نهج البلاغة؛ الخطبة ١٦٣.

٢ . ق (٥٠) : ١٦.

٣ . فَصَّلَتْ (٤١) : ٥٤.

٤ . شرح دعاء السحر، ص ١٢١.

٥ . لأن الموجودات في اية مرتبة كانت، مظهر احد الأسماء الالهية، وله عز وجل عليها اضافة اشراقية واحاطة ربوبية؛ ولهذا فلا انفصال لها، فما بالك بالتباين.

نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ^١ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ^٢ وَهُوَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^٣ وَهُوَ الَّذِي

وكذا في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لو دليتم بحبل الى الارضين السفلى لهبطتم على الله»^٤. وقول الامام الصادق (عليه السلام): «فلا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، ولا يكون الى مكان أقرب منه الى مكان»^٥.

وقول الامام علي النقي (عليه السلام): «واعلم أنه إذا كان في السماء الدنيا فهو كما هو على العرش والاشياء كلها له سواء علماً وقدرةً وملكاً وإحاطةً»^٦.



١. ق (٥٠): ١٦.

٢. النور (٢٤): ٣٥.

٣. الزخرف (٤٣): ٨٤.

٤. البقرة (٢): ١٠٧.

٥. علم اليقين، ج ١، ص ٥٤.

٦. اصول الكافي، كتاب التوحيد - باب الحركة والانتقال، الحديث الثالث.

٧. المصدر السابق، الحديث الرابع.

٨. آداب الصلاة، ص ٢٧٠؛ وأيضاً، راجع: شرح دعاء السحر، ص ٨٣ - ٨٢.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[فضيلة السورة]

بالسند المتصل إلى الشيخ الأقدم والركن الأعظم محمد بن يعقوب الكليني (رضي الله عنه) عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حميد قال؛ قال:

«سئل علي بن الحسين (عليهما السلام) عن التوحيد، فقال: إن الله عز وجل علم أنه سيكون في آخر الزمان أقوام متعمقون فأنزل الله تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» والآيات من سورة الحديد إلى قوله: «وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» فمن رام وراء ذلك فقد هلك»^١.

١. أصول الكافي، ج ١ ص ٩٣، كتاب التوحيد، باب النسبة، ح ٣.

٢. الاربعون حديثاً، ص ١٦٤٩ وأيضاً، راجع: آداب الصلاة، ص ١٨٦ - ١٨٥.

﴿سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ يُخَيِّ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالْظَّاهِرُ
وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٣ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا
يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
٤ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ٥ ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي
النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٦

[رأي صدر المتألهين]

يقول الفيلسوف الكبير صدر المتألهين في خصوص الآيات الأولى من سورة
«الحديد»: «إعلم أن كل آية من الآيات الست التي أشير إليها في هذا الحديث،
تشتمل على علم غزير في التوحيد والألوهية وتتضمن معارف كثيرة من العلوم
الصمدية والربوبية، فلو ساعد الزمان وأعان الدهر عارفاً ربانياً، أو حكيماً إلهياً
الذي إستوحى علمه من مشكاة النبوة المحمدية على الصادع بها وآله أفضل
السلام والتحية، وإستقى فلسفته من أحاديث أهل العصمة والطهارة، سلام الله
عليهم، لكان من حق ذلك العارف أو الحكيم ومن حق تلك الآيات، أن يضع
لتفسير كل آية مجلداً واسعاً بل مجلدات كثيرة^١».

١. شرح أصول الكافي، ص ٢٤٨.

٢. الاربعون حديثاً، ص ٦٥١.

[المكاتة الرفيعة للسورة]

إن في الآيات الكريمة الأوائل من سورة «الحديد» دقائق من التوحيد ومعارف جليّة من الاسرار الالهية والتجريد، لا نظير لها في أيّ من الكتب الالهية او صحف اهل المعرفة واصحاب القلوب.

ولو لم يكن ما يدلُّ على صدق نبوة النبي الخاتم وكمال شريعته إلا هذه الآيات لكفى أهل الفكر والمعرفة.

وإنّ لمن أقوى الشواهد على خروج هذه المعارف عن طاقة البشر وعن دائرة الفكر الانساني، هو عدم وجود هذا النمط من المعارف لدى بني الانسان قبل نزول هذه الآيات الكريمة وامثالها من الآيات المطوية على المعارف التي يزخر بها القرآن الكريم، وعدم تمكنهم من بلوغ تلك الاسرار.

فكتب أعظم فلاسفة العالم ومصنفاتهم الموجودة حالياً - رغم تحذّر علومهم من ينابيع الوحي الالهي - إلا أنها لا تنطوي على مثل هذه المعارف والعلوم. ولعلّ من أسمى تلك الكتب والمصنفات وأدقّها كتاب «الاثولوجيا»^١ ذلك التأليف القيم الذي سطره الفيلسوف العظيم والحكيم الجليل «أرسطو طاليس»^٢

١ . الاثولوجيا: الإلهيات.

٢ . المشهور عند اهل النظر ان كتاب الاثولوجيا من كتب ارسطو، ولكن اتضح بشكل جازم بعد التحقيق الذي أجراه المتأخرون حول هذا الكتاب انه من كتب افلوطين (٢٠٥ - ٢٧٠م) مؤسس الافلاطونية الحديثة (في هذا المجال، راجع: دائرة المعارف الاسلامية الكبرى...) . وكلمة اثولوجيا تعني الربوبية او الالهيات. وقد شرح هذا الكتاب فرفوريس الصوري، وترجمة الى اللغة العربية عبد المسيح بن عبد الله الحمصي الناعمي، واعاد تنقيحه ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي وقدمه الى احمد بن المعتصم . طبع هذا الكتاب في عام ١٨٨٢، كما طبع أيضاً في

عارضاً فيه المنطق ومنظماً لقواعده، والذي طأطأ بالخضوع والتعظيم أعظم الحكماء أمثال الشيخ الرئيس ابن سينا - مع أنه هو الآخر أعجوبة الدهر ونادرة الزمان - فهو يقول عن أرسطو وعن كتابه: «منذ أن وضع هذا العظيم قواعد المنطق لم يستطع أحد أن يخذشها أو يضيف إليها».

ولكن ورغم كل ذلك، ومع أن ذلك الكتاب «الاثولوجيا» قد وضع وتفتح لمعرفة الربوبية، إلا أن المتأمل فيه لا يجد في ثناياه - من أوله الى آخره - مثيلاً للآية الكريمة الاولى من سورة «الحديد» في تعريفها لمقام الربوبية او ما يقرب من مفادها او ما يشعُّ ولو بقبس من سرِّ التوحيد العظيم الكامن فيها.

ثم اذا تأمل المتأمل في ذلك الكتاب فهل سيجد فيه نظيراً لقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^١. او هل سيجد في جميع أقوال الحكماء والفلاسفة شيئاً لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^٢. في حين إن المتعمقين واصحاب الفكر والمعرفة يدركون أئمة أسرار تطوي عليها هذه الآيات، ويعرفون بأي كلام كريم وسرّ عظيم كرم الله تعالى اهل آخر الزمان ومنّ عليهم. إن من يطالع كل ما يتعلق بالمبدأ والمعاد في ضوء المعارف التي تعرضها الأديان الرائجة في العالم والمعارف التي يطرحها كبار فلاسفتها، ويقارنها بالمعارف الموجودة في الدين الاسلامي الحنيف وبما يطرحه حكماء الاسلام

١. حاشية كتاب القيسات للميرداماد في عام ١٣١٥هـ. وهناك طبعة اخرى له اقدم من هذه ويعود تاريخها الى عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م في العالم الاسلامي، ولكن لم يرد فيها المكان الذي طبع فيه.

٢. الحديد (٥٧): ٣.

٣. الحديد (٥٧): ٤.

العظماء وعرفاء هذه الأمة الأجلاء، يدرك تماماً أن هذه المعارف هي من نور معارف القرآن الكريم واحاديث النبي الخاتم وأهل بيته (صلى الله عليهم) والتي استفادوها وأخذوها من ينبوع النور القرآني المغدق، وعندها سيفهم أن الحكمة والعرفان الاسلامي ليسا من اليونان واليونانيين، لا بل إنه لا وجه للمقارنة بينهما اصلاً. نعم! قد يكون بعض حكماء الاسلام - كالشيخ الرئيس - قد نحى منحى الحكمة اليونانية، غير أن حكمة الشيخ الرئيس لا تعدُّ من البضائع الرائجة في سوق اهل المعرفة وفي باب معرفة الربوبية والمبدأ والمعاد، فهي مما لا قيمة له عند اهل المعرفة.^١

[عمق طائفة من الآيات]

فآيات التي نراها في القرآن الكريم، والتي هي من بركات البعثة أيضاً، وفي الوقت الذي يتصور الإنسان بأنه أدرك فحواها، لم يتم اكتشافها حتى الآن: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^٢ .. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾^٣.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٤. فهذه آيات ليس بوسع المفسر أن يفهمها ولا الفيلسوف أو العارف. وكل من يدعي أنه أدرك معناها فهو غارق في الجهل.. انما يعرف القرآن من خوطب به^٥. فعن هذا الطريق «من خوطب به» سَلَّمَ إلى عدة معدودة من أولياء الله والأئمة المعصومين - عليهم السلام -، ومن خلال

١. آداب الصلاة، ص ٣٠٢ - ٣٠٤ وأيضاً، راجع: الاربعون حديثاً، ص ١٩٥ - ١٩٤.

٢. الحديد (٥٧): ٣.

٣. الحديد (٥٧): ٤.

٤. الحديد (٥٧): ٣.

٥. بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٣٤٩، تاريخ الإمام محمد الباقر، الباب ٢٠، ح ٢.

ذلك تم تفسيره بنحو يكون بوسع الإنسان أن يفهمه^١.

[لا جدوى من البحث في ما وراء هذه المعارف]

إن ما ورد في ذيل الحديث الشريف من قوله (عليه السلام): «مَنْ رَامَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ»^٢ إشارة إلى أن هذا المستوى من المعارف المذكورة في هذه الآيات الشريفة وسورة «التوحيد» المباركة، هو منتهى العلوم البشرية، وغايتها القصوى، فلو ظن أحد بأن فوق هذا المستوى من المعارف، معارف أخرى لسقط في الخطأ، كما وأن الأقل من هذا المستوى الأعلى من المعارف التي تتوفر في

١. حول معنى هذه الرواية وما اثير في هذا المجال من شبهات حول تعذر فهم القرآن، يمكن الرجوع الى هامش الآية ٨٩ من سورة النحل في توضيح كلامه والتوفيق بين ما طرحه من آراء في هذا المجال. وجاء في مقدمة التفسير، في الفصل الخامس منه تفصيل أكثر حول هذا البحث.

٢. صحيفة الامام، ج ١٧، ص ٤٣٢، من كلمة ألهاها في حشد من المسؤولين المدنيين والعسكريين والمؤسسات والمنظمات؛ صحيفة النور، ج ١٧، ص ٢٥١؛ وأيضاً، راجع: صحيفة الامام، ج ١٨، ص ٢٦١، و تفسير آية البسمللة، ص ١٨٧.

٣. اشارة الى الحديث الاربعين الذي جاء حول هذه السورة وسورة الاخلاص: « سُوِّدَ عَنْ غَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ قَالَ سَيْلٌ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْآيَاتُ مِنْ سُورَةِ الْحَدِيدِ إِلَى قَوْلِهِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ فَمَنْ رَامَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ». والنكتة يقول في آخره: وكل من يبحث في غير هذه المعارف يهلك. راجع: اصول الكافي، ج ١، ص ٩٣، كتاب التوحيد، باب النية، ح ٣.

هذه الآيات المباركة، يعد أيضاً من الهلاك والموت ومن الجهل بمقام الربوبية.^١

﴿سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^١

[التسبيح النطقي لجميع الموجودات]

أما الآية الشريفة الأولى: ﴿سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فتدل على تسبيح جميع الكائنات حتى النباتات والجمادات لله سبحانه. ومن خصّ التسبيح بذوي العقول من الموجودات، فهو نتيجة احتجاب عقول ذوي العقول. ولو فرضنا بأن هذه الآية المباركة تقبل التوجيه والتأويل لتسبيح الكائنات، ولكن هناك آيات شريفة أخرى لاتقبل التأويل والتفسير مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾^٢. وإن تأويل «التسبيح» إلى التسبيح التكويني أو الفطري، يكون من التأويل البعيد الموهون، حيث تأباه الأحاديث والآيات الشريفة. وترفضه البراهين السديدة الفلسفية، وينكره المسلك العرفاني الجميل.^٣ والعجيب من الفيلسوف الكبير، والعالم الجليل صدر المتألهين (قدس سره) الذي لا يرى التسبيح في هذه الآيات، تسبيحاً نطقياً، مفسراً نطق بعض الجمادات مثل الأحجار الصغيرة، بإنشاء النفس المقدسة للولي، الأصوات والألفاظ حسب وضع الجماد والنبات. ورأى بأن قول بعض أهل المعرفة من أن لجميع الكائنات نطقاً، مخالفاً للبرهان، وملازماً للتعطيل ودوام

١. الاربعون حديثاً، ص ٦٥٩.

٢. الحج (٢٢): ١٨.

٣. في هذا المجال راجع: ابن عربي، الفتوحات المكية، ج ٣، ص ٢٥٧.

القسر^١.

رغم أن هذا الكلام يغاير المبادئ والأصول التي ارتآها، وانطلق منها. مع العلم بأن صريح الحق ولب لباب العرفان ينسجم مع دعوى السابق من دون أن يستلزم مفسدة. ولولا خشية التطويل والتفصيل لشرحنا ذلك بكل مقدماته وملاساته. ولكننا نرتضي الإشارة الإجمالية إليها ونقتنع بها.

لقد أشرنا في الماضي إلى هذا المعنى بأن حقيقة الوجود عين الشعور والعلم والإرادة والقدرة والحياة وكافة الشؤون الحياتية، فإذا لم يكن لشيء علم ولا حياة نهائياً فليس له وجود. ومن ذاق طعم حقيقة أصالة الوجود واشترآه المعنوي، على مسلك العرفاء مثل العلم والإرادة والتكلم... وإذا بلغ مقام المشاهدة بواسطة ترويض النفس والحالات المعنوية، لشاهد بأمر عينه وسمع ذويّ تسييح الموجودات وتقديسها. ومن المؤسف أن سُكر المادة والطبيعة قد أوهن العين والسمع والحواس الأخرى، ومنعنا من الوقوف على الحقائق الوجودية والهويات العينية. فكما أن بيننا وبين الحق عز وجل حجياً من الظلام وحجياً من النور تمنعنا من مشاهدة ألطاف الحق سبحانه، فكذلك بيننا وبين الكائنات الأخرى بل بيننا وبين أنفسنا حجب تفصلنا عن إدراك حياتها وعلمها وكافة شؤوناتها. والأسوأ من كل الحجب هو حجاب إنكار حياة الموجودات وعلمها وشؤونها الأخرى انطلاقاً من الأفكار المحجوبة التي تمنع الإنسان من كل شيء. وخير وسيلة لأمثالنا المحجوبين هو التسليم والتصديق لآيات الله الكريمة وأحاديث أوليائه، وسدّ باب تفسير القرآن بالرأي، وتطبيقه على الواقع الخارجي عبر هذه العقول الضعيفة. إذا فرضنا إمكان تأويل آيات «التسيح» على

١. شرح أصول الكافي، ص ٢٤٨، كتاب التوحيد، باب النسبة، ح ٣.

أساس التسييح التكويني أو الفطري فماذا نستطيع أن نفعل مع هذه الآية المباركة: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^١ أو الآية المباركة: ﴿فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَّاءِ بِنَاءِ يُقِينِ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾^٢ أو الأخبار المأثورة عن أهل بيت الطهارة والعصمة الموجودة في أبواب مختلفة والصريحة في وعي الحيوانات والكائنات الأخرى، والتي تمتع التأويل؟ وملخص الكلام أنه لا بد من اعتبار حياة الكائنات وتسييحها عن وعي وإدراك، من البديهيات والضروريات في الفلسفة العالية، من مسلمات أصحاب الشرائع والعرفان. ولكن لكيفية تسييح كل موجود، وللأذكار الخاصة بكل واحد من الكائنات، وأن للإحسان الذكر الجامع^٣ ولكافة الموجودات أذكار تتناسب مع نشأتها وتكوينها، ولكيفية تسييح كل موجود أبحاث ودراسات: إجمالها أن

١ . النمل (٢٧): ١٨ . في هذه الآية ينقل الله عز وجل ان النملة دعت سائر النمل لدخول مساكنها مخافة ان يدوسها سليمان وجنوده من حيث لا يشعرون. وكان هذا الكلام باعضاء الجهاز الصوتي وجاء مسموعاً بحيث ان سليمان ضحك وشكر الله على ما اعطاه من قدرة على فهم كلام الحيوانات. وللاطلاع على المزيد من التفصيل، راجع: النمل (٢٧): ١٨ - ٢٠ .

٢ . النمل (٢٧): ٢٢، ٢٣ .

٣ . اشارة الى الآيات ٢٠ - ٢٤ من سورة النمل، التي جاء فيها تصوير لما قدمه الهدهد من تقرير مفصل الى النبي سليمان حول ملكة سبأ، حيث ادرك النبي سليمان ما جاء في ذلك التقرير واتخذ الخطوات اللازمة على اثر ذلك . وهنا طبعاً توجد تساؤلات اثارها المرحوم الامام حول احاطة الهدهد بأحوال ملكة سبأ وقومها . وهي مدرجة في ذيل الآية ٢٢ من هذه السورة .

٤ . أي ان الذكر الارادي والكامل الذي يحصل بمعرفة مما يختص به الانسان، بل الانسان الكامل بالذات.

هناك مقياساً علمياً وعرفانياً يرتبط بعلم الأسماء، وتفصيلها يرتبط بالعلوم التي تشهد بالعيان وتكشف على الإنسان، وهي مختصة بالأولياء الكاملين.

وقد بينا في الفصل السابق بأن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ من كل سورة، يتعلق بنفس تلك السورة المبدوءة به^١، وعليه يكون ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ من هذه السورة، سورة الحديد، متعلقاً بـ: ﴿سَبَّحَ اللَّهُ﴾. ويستفاد من الآية المباركة المذهب الحق في مسألة الجبر والتفويض، لأن فيها نسبتين: نسبة إلى اسم الله الذي هو مقام المشيئة الفعلية، ونسبة إلى الأشياء الموجودة في السموات والأرض، بصورة لطيفة تعدت منتهى كشف أرباب الشهود والمعرفة. وتقديم النسبة إلى مشية الله لأجل إفهام قيومية الحق، وتقديم حيثة «يلي الله» على حيثة «يلي الخلق»^٢.

ولولا مخافة الإطالة والإسهاب في الحديث لذكرت حقيقة التسييح وملازمته للتحميد، وأن صدور كل تسييح وتحميد من كل مسبح وحامد، يكون لأجل الحق عز وجل، وأن التسييح والتحميد يكونان باسم الله ولاسم الله، وإن إسمي: «العزیز الحكيم» مختصان بالله، ولشرح العلاقة القائمة بينهما وبين الله، والفرق الموجود بين الله في «التسمية» و«الله» المذكور في الآية الشريفة ﴿سَبَّحَ اللَّهُ﴾ والمقصود من ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيها وما في الأرض على ضوء مذاهب أهل العرفان والفلسفة، وليبنت الفرق بين ﴿هُوَ﴾ في هذه الآية الشريفة و﴿هُوَ﴾ في الآية المباركة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حسب الذوق العذب العرفاني ولكنني آليت على نفسي الاختصار والإجمال في هذا الكتاب.

١. راجع تفصيل هذا الموضوع في ذيل سورة الحمد، في ذيل بسم الله. كذلك في ذيل بسم الله من

سورة القدر وسورة قل هو الله احد.

٢. ما يتصف بالجانب الالهي وتجلي الله، وليس التعتن والحد وكونه مخلوقاً.

[ملكية واحاطة سلطة نفوذ قدرة الله]

وأما الآية الثانية الشريفة: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخَيِّ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهي إشارة إلى ملكية الحق جلّ جلاله لملكوت السماوات والأرض. ومن المعلوم أنه يتم الإحياء والإماتة والظهور والرجوع والبسط والقبض، تبعاً لهذه الملكية، والإحاطة في السلطة، ونفوذ القدرة والتصرف. وهذه النظرة تستوجب استهلاك واضمحلال جميع التصرفات وأنواع التدبير، في تصرف الحق وتدييره، الذي يكون منتهى التوحيد الفعلي. ولهذا نسب إلى نفسه: ملكية الذات المقدسه، الإحياء والإماتة - الأمرين اللذين يعدّان من المظاهر العظيمة للتصرف الملكوتي أو هما القبض والبسط - ونسبة الإحياء والإماتة إلى الملكية ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخَيِّ وَيُمِيتُ﴾ رغم أن الإحياء من شؤون الرحمانية والإماتة من الشؤون الملكية، يمكن أن تكون للتنبيه إلى أمر عرفاني جليل، وهو استجماع كل اسم لجميع الأسماء على وجه الأحدية، والجهة الغيبية^١ التي لامجال لذكرها فعلاً.

ويمكن أن يكون صدر الآية وذيلها، إشارة إلى الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة في مقام التجلي الفعلي بالفيض المقدس^٢، كما هو واضح عند أهله.

١. لكل اسم وجهتان؛ احدهما لها ارتباط بالذات وهي من هذه الجهة ترتبط بالتعيين الاحدي للذات وهي ذات طابع غيبي. وفي هذه المرتبة تكون جميع الأسماء محضرة لديها. ومن الوجهة الاخرى ترتبط بالتعيينات؛ ولهذا تكون مظهرأ لجهة خاصة.

٢. بما ان الفيض المقدس ذو تجلٍ خارجي وعيني، فهو ناظر الى الكثرة، وبما انه في الفيض الاقدس تجلٍ على الذات فهو دال على الوحدة، وبما ان الصدر والذيل يشيران الى كلا الجانبين، ففيه اشارة الى الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة.

ويعود ضمير ﴿لَهُ﴾ على ما يبدو إلى «الله» كما يحتمل إرجاعه إلى ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وعليه يختلف معنى الآية الشريفة على ضوء هذين الاحتمالين، ويتضح ذلك بالتمعن فيها لدى أهل الفلسفة والتحقيق.

وأما بيان كيفية «مالكية» الحق سبحانه، وسبب صياغة الحياة والممات في صيغة المضارع: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ الدالة على التجدد والاستمرار، وبيان مرجع ضمير ﴿هُوَ﴾، واختلاف معاني الضمير عند اختلاف مرجعه، وإن «المحيي» و«الميمت» و«القادر» من أسماء الذات أو الأوصاف أو الأفعال، فمتروك إلى محله وموضعه المناسب.

كما أن لبيان كل من كيفية الإحياء والإماتة، وحقيقة صور إسرافيل نفختي الإحياء والإماتة ودور الملك إسرافيل والملك عزرائيل وموقعهما وكيفية إحيائهما وإماتتهما، إن لكل ذلك بيانات عرفانية وبراهين فلسفية طويلة ومفصلة، لا يسع المقام ذكرها.^١

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٣

مشكلة فهم معنى هو الظاهر والباطن

فهذه الآية الشريفة ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ عندما يقرأها الانسان يتصور أن أول الخليفة هو الله وآخر الخليفة هو الله وهو الظاهر بآثاره والباطن بأسمائه.

لكن المسألة ليست ما ندركه وأدرکه ممن كانوا قبلنا، فالمسائل أكبر من

١. في هذا المجال راجع: السبزواري، الملاهادي، شرح الأسماء الحسنی، جامعة طهران، ١٣٧٢ ش، كذلك الآشتياني، السيد جلال الدين، مقدمة مصباح الهداية الإمام خميني، ص ١٢٩.

ذلك. إنه يريد نفي الظهور من غيره بقوله: ﴿هُوَ الظَّاهِرُ﴾ فالظهور له والواقع كذلك ولكن إدراك المعنى القائل بأن الظهور هو ظهوره وأن العالم وجميع ما في الحياة ليس إلا ظهوره صعباً^١.

[أهمية وجلالة الآية الثالثة من سورة الحديد]

وأما الآية الثالثة المباركة: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فقد علم العارف بالمعارف الحقّة لأصحاب المعرفة واليقين، والسالك لطريق أصحاب القلوب والسالكين، أن منتهى سلوك السالكين، وغاية آمال العارفين، هو فهم هذه الآية الشريفة المحكمة. وقسماً بذاته العزيز، لا توجد كلمة للتعبير عن حقيقة التوحيد الذاتي، اسمي وأفضل من هذا التعبير. وينبغي على كل أصحاب المعارف، السجود أمام هذا العرفان التام المحمّدي للنبي (صلى الله عليه وآله) وأمام هذا الكشف الجامع الأحمدي وهذه الآية المحكمة الإلهية، والسقوط على التراب إذلالاً لها. وقسماً بحقيقة العرفان والعشق، إن العارف المجذوب، والعاشق لجمال المحبوب، عندما يسمع هذه الآية الشريفة، تستولي عليه هزة ملكوتية، وانبساط إلهي، يقصر عن استيعابه أي موجود من الكائنات، ويعجز عن شرحه البيان. «فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ وَأَجَلُّ سُلْطَانَهُ وَأَكْرَمَ قَدْرَهُ وَأَمْنَعُ عِزَّهُ وَأَعَزَّ جَنَابَهُ!»^٢

إن الذين يأخذون على أحاديث العرفاء الشامخين، وكلمات العلماء بالله،

١. صحيفة الامام، ج ١٨، ص ٢٦١ من كلمة ألقاها بتاريخ ١ / ١٠ / ١٣٦٢.

٢. نقل دعاء قريب من هذا المضمون في أدعية شهر رمضان. راجع: بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ٧٨،

وأولياء الرحمن، - من أنهم تجاوزوا حدودهم - فمن اللياقة أن يتمعنوا في كلمات العرفاء الربانيين، والسالكين المجذوبين، ليتبينوا هل أن واحداً منهم استطاع أن يقدم، أكثر مما تضمنت هذه الآية التامة الشريفة، وهذا القرآن الكريم؟ أو أنهم عرضوا متاعاً جديداً في سوق المعارف؟ إليكم هذه الكريمة الإلهية القرآن المجيد والكتب المشحونة من عرفان العرفاء للمقارنة بين المعارف المدوّنة فيهما حتى يتبين بأنهم يستوحون من القرآن الكريم.

في حين أن هذه السورة المباركة، سورة «الحديد» وخاصة هذه الآيات المباركة الأولى منها تحتوي على معارف تقصر عنها أيادي آمال العارفين. وفي عقيدة هذا الكاتب تستبطن هذه الآية الشريفة على خصوصية تفوق الآيات الأخرى وهي: بيان أن الحق سبحانه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، حيث تقصر البلاغة عن الشرح ويعجز القلم عن الخوض فيه^١ فلنتجاوز ولنتترك إدراك واستيعاب ذلك، لقلوب الأولياء والمحبين.



[عدم مانعية الأعيان الثابتة في الظهور الذاتي]

كما أن عالم الأعيان الثابتة أيضاً غير مانع عن كون الظهور ذاتياً - وإن كان الترتيب يقتضي أن يكون الأعيان ظاهرة، إلا أنك قد عرفت أن الأعيان الثابتة لا وجود لها في الحضرة العلمية ولا كون لها إلا كون الثبوت - فحقائقها أيضاً غير

١ . حول معنى الأولية والآخريّة والظاهرية والباطنية والشرح الذي جاء على هذين الاسمين. راجع:

رحمة من الرحمن في اشارات القرآن، ج ٤، ص ٢٦٩ و الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٩٥.

حاجبة عن الظهور الذاتي و التجلّي الأسمائي و الصفاتي. فهو تعالى بلا حجاب مسدول بينه و بين خلقه ظاهر في مرآة الكلّ. كما قال، تعالى شأنه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ فأشار بلفظ «هو» إلى الحقيقة الغيبيّة المستكنة في الحضرة الأسمائيّة و الصفاتيّة، و قال: الحقيقة الغيبيّة المقدّسة عن التلبّس بالأسماء و الصفات، فضلا عن ملابسة الأكوان الزائلات الدائرات، بحقيقتها الشريفة ظاهر و باطن و أوّل و آخر. فالظهور، كلّ الظهور؛ له؛ و البطون، كلّ البطون، له. لا ظهور لشيء من الأشياء؛ و لا بطون لحقيقة من الحقائق؛ بل لا حقيقة لشيء أصلا. كما في دعاء يوم عرفة لمولانا و سيّدنا، أبي عبد الله الحسين، روجي له الفداء:

«أ يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتّى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك... إلى آخره. ا صدق وليّ الله»^٢.

[الأوّل و الآخر من الأسماء الإلهية الجامعة]

وجعل الله تبارك و تعالى أسماء يُدار تحتها عالم الشهود و الغيب و العقول و المجرّدات و النفوس و الاجسام و كلّ ما كان. و بعض هذه الأسماء يحيط بالبعض، و بعض منها مُحاط ببعض آخر. و الكلمة الجامعة و المحيطة و الإسم الأعلى المحيطة بكلّ الأسماء و بالعالم كلّه هي الكلمة المباركة: ﴿الله﴾ و ﴿الرّحمن﴾: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، و هي ما أشير إلى بعض

١. اقبال الأعمال، ص ٣٣٩، أعمال يوم عرفة.

٢. مصباح الهداية، ص ٥١ - ٥٢.

منها في الآية التالية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^١، وأشار إلى البعض الآخر منها في سورة الحشر المباركة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^٢.

وبالجملة: فإن هذه أول مرتبة ظهور من مرتبة الأسماء، وبعض هذه الأسماء محيطة مثل اسم السرمد الذي يحيط بجميع الأسماء؛ لأن كل الأسماء سرمدية "لا أول لأوله ولا آخر لآخره، العالم السرمدي، القادر السرمدي، القاهر السرمدي، الرحيم السرمدي، الكريم السرمدي، الغني السرمدي".^٣

[حصرية امهات الاسماء الإلهية]

إن الأسماء الإلهية وإن لم تكن بحسب المناكحات و الموالدات محصورة، ولكنها بحسب الأمهات محصورة، يجمعها باعتبار الأول والآخر والظاهر والباطن: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، وباعتبار الله والرحمن: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾^٤ الآية، وباعتبار الله والرحمن والرحيم؛ كما إن مظاهر الأسماء الإلهية بالاعتبار الأول غير محصورة: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَنَا

١ . الحديد (٥٧): ٣.

٢ . الحشر (٥٩): ٢٢ - ٢٤.

٣ . تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٧٥ - ٧٦.

٤ . الإسراء (١٧): ١١٠.

تُخْصُوها»^١، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾^٢؛ وبالاعتبار الثاني محصورة بالعوالم الثلاثة أو الخمسة. وقيل: «ظهر الوجود بيسم الله الرحمن الرحيم»^٣

وكذلك الاعتباران في الصفات، فإنها بالاعتبار الأول غير محصورة وبالاعتبار الثاني محصورة في الأئمة السبعة أو صفات الجلال والجمال: ﴿بَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^٤؛



[إشارة إلى المعاني الستة في اوصاف الله]

لقد أشير إلى معنى: جلوة الجلوة، جلوة من المتجلي؛ وظل الظل، ظل من ذي الظل الأصلي؛ ونور النور نور من صاحب النور الأصلي، أشير إليه ضمن ست آيات من آيات المعاد في مستهل سورة الحديد: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^١. وعلى العموم: لا يمكن القول ان السلطان لا يستطيع الجلوس مع الصعلوك، وإنما الصعلوك غير جدير بالجلوس مع السلطان. وآخر تجليات ومرتبة الوجود، غير جديرة ان تكون تجلياً لجمال الجميل من

١ . ابراهيم (١٤): ٣٤.

٢ . الكهف (١٨): ١٠٩.

٣ . الفتوحات المكية، ج ٢، ص ١٣٣.

٤ . الرحمن (٥٥): ٧٨.

٥ . شرح دعاء السحر، ص ٩٢.

٦ . الحديد (٥٧): ٣.

غير واسطة. ولهذا ينبغي ان تكون مراتب النزول، عكس المرتبة الأعلى منها حتى تصل إلى تلك المرتبة من التجلّي التي تتجلّى من غير واسطة^٢.



للقرآن ثلاث مجموعات من المخاطبين، والآية قاصدة اهل الاسرار]

يتوجه القرآن لمخاطبة الناس على ثلاثة مستويات: التلميح لذوي القلوب الحية، ومكاملة العمي، والثالث بين الأول والثاني.
يقول القرآن لذوي الأسرار: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^٣ وهو حقيقة واحدة وظهور واحد ووجود أبسط؛ فهو الأول، وهو الآخر، وهو الظاهر، وهو الباطن، ولا يتعدد. وهو العلم، وهو الإرادة، وهو المعلوم، وهو القدرة.

المستوى الآخر وفيه دلالة على ذلة بني الانسان، وذلك حين يعرفهم الله بذاته عن طريق الإبل ويقول: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ

١ . المقصود هو ان الوجودات من حيث كونها مظهرأ لها درجات ومراتب. فالوجود النازل مظهر لوجوده الأعلى، وهذا الأعلى مظهر لما هو أعلى منه، الى ان يصل الدور الى الاسم الجامع الذي هو مظهر وصورة وظل للنور ولصاحب النور الأصلي. ولهذا السبب فإن الوجود الناقص وآخر مراتب الوجود غير مؤهل لظهور جمال الجميل مباشرة ومن غير واسطة. وقد اشارت آيات سورة الحديد الى المعاني الستة: الأول والآخر، والظاهر والباطن.

٢ . تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٣٣٨.

٣ . الحديد (٥٧): ٣.

رُفِعَتْ^١ وهو خطاب إلى من ينظر إلى الكثرة، ويرى الإبل، ولا يعرف شيئاً سوى الإبل.

المستوى الثالث هو النظر الى الماهيات نظرة استقلالية والقول وفقاً لنظر العوام من الناس: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^٢ فهو يرى السماء، ويرى الأرض، ويرى التقدم والتأخر، ويرى الستة أيام والتدريج، وحسب رأي العامة الذين يرون السماء والارض.

يقول الله تعالى في سورة النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٣ وهو هنا يقصد النور، ولا يقصد النور والسماء كليهما. بل أن أصل القصد هو المضاف، ولكن طرف الاضافة هو السماء والأرض. فالنور واحد والسماء والارض مضافان إليه. والسماء والارض كلاهما يُريان بنور واحد، وليس لكل واحد منهما نور على حدة.

واما قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^٤ فالأصل فيه التوجه الى حقيقة واحدة وقد ألغى فيها التكثر، وليست للكلمات المذكورة مفاهيم في مقابل الأشياء المتعددة.

ومثل هذه الآيات موجهة فقط الى العارفين بالحقائق والمطلعين على خفايا خزائن الأسرار، وبما ان عددهم قليل، لذلك فان هذا النظر قليل في الآيات أيضاً. الذي هو من عامة الناس يرى الكثرات. ويعرف الله نفسه للأعرابي الذي لا يعرف إلا الإبل ولا يرى الا الابل، بواسطة الابل. والحدقة المحيطة بأعيننا ليست

١ . الغاشية (٨٨): ١٧ - ١٨.

٢ . الحديد (٥٧): ٤.

٣ . النور (٢٤): ٣٥.

٤ . الحديد (٥٧): ٣.

لها احاطة أكثر بحيث تكون قادرة على رؤية ما وراء عالم الطبيعة.

وفي ضوء ما سبق ذكره، نفهم معنى قول الإمام السجاد عليه السلام: "إن الله عز وجل علم انه يكون في آخر الزمان قوم متعمقون؛ فانزل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾".^١

وأما بقية الناس فيجب ان يستقوا معارفهم من السماء والارض ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ * *وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ* * *وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ*.^٢

والخلاصة هي انه يُنظر في العالم بهذه الوجودات الثلاثة:

١- النظر الطبيعي الحجابي والتوغل في احتجابات الخيال.

٢- النظر المتوسط الذي يمكن به رؤية النور وكذلك رؤية الظلمة.

٣- رؤية النور وغير النور وعدم رؤية شيء بعدئذ، والنظر الى صرف الوجود

من وراء الطبيعة وعالم الخلق والأمر وعالم الإمكان.

وقد أشار البارى تعالى الى النظر الأوّل كثيراً، وفي موارد مثل: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾^٣ و﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^٤ و﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^٥ ويقول في مرحلة أعلى منها: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٦، حيث يجعل السماوات ويقول في مقام آخر وهو مقام السر ومقام

١. اصول الكافي، ج ١، ص ٩١، ح ٤٣؛ توحيد الصدوق، ص ٢٨٣، ح ٢.

٢. الفاشية (٨٨): ١٨ - ٢٠.

٣. المُلْك (٦٧): ٢.

٤. الحديد (٥٧): ٤.

٥. الفاشية (٨٨): ١٧.

٦. النور (٢٤): ٣٥.

الكلام مع ذوي النظر: ﴿وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، شيء واحد وظهور واحد ونور واحد، وكل ما سواه باطل، وهو هوية متحققة، وغيره ليس حقيقة. هو حقيقة الوجود: فهو العلم وهو القدرة وهو الإرادة.^٢

[تحليل آخر للاولية والآخرية والظاهرية والباطنية]

وبعد ان يكون الوجود هو الواجب، وهذا الفرد الذي حقيقته التحقق والتحصّل، يصدق عليه مفهوم الوجود ومفهوم الواجب. إذاً من يكون في الوجود غير الواجب؟ قل. وما هو الشيء قبل الوجود؟ قل. إذاً فهو الواجب لا غير. ويجب ان يُسأل الممكن اين يكون الممكن؟

كلّ ما في الكون وهم أو خيال أو عكوس في المرايا أو ظلال^٣ والعالم خيال في الخيال^٤

أنا الوحدة، أنا الكثرة	أنا المعنى، أنا الصورة
أنا الأول، أنا الآخر	أنا الباطن، أنا الظاهر
أنا العلوي، أنا السفلي	أنا الدنيا، أنا العقبى
أنا النور وأنا الظلمة	أنا الخفي وأنا الجلي
أنا الغائب، أنا الحاضر	أنا الواحد وأنا الذي ليس لي نظير
أنا الحجة، أنا الدعوى	عين كل الأشياء أنا

١. الحديد (٥٧): ٣.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ١٩٠-١٩٢.

٣. راجع: نقد النصوص، ص ١٨١.

٤. فصوص الحكم، ص ١٠٤.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^١ فحيثما يكون الوجود فهو واجب. وبعد اثبات: "إن الوجود هو الواجب وإن الواجب هو الموجود وإن الموجود هو الواجب" نقول: إن الوجود عين القدرة، والوجود عين العلم، والوجود عين الإرادة.

كل الكون يسير وفق قانون سبق تصفحناه ورقة بعد اخرى
فلم نشهد فيه ولم نقرأ سوى ذات الحق وشؤونه الذاتية
﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٢ إذا يجب اثبات الممكن.^٣

[خلاصة اجمالية في موضوع تفسير الظاهر و الباطن]

نستخلص من مجموع كلامه في ما يخص بتفسير هذه الآية أنها من غرر الآيات وعنده شيء عظيم في معناه وفيه نكات فيما يلي:
هذه السورة المباركة، سورة «الحديد» وخاصة هذه الآيات المباركة الأولى منها تحتوي على معارف تقصر عنها أيادي آمال العارفين.
وفي عقيدته تستبطن هذه الآية الشريفة على خصوصية تفوق الآيات الأخرى ومن ناحية اخرى مشكلة فهم معنى كلمة: هو الظاهر والباطن، ولزوم الدقة في معناه.

إن الأسماء الإلهية وإن لم تكن بحسب المناكحات و الموالدات محصورة، ولكنها بحسب الأمهات محصورة، يجمعها باعتبار الأول و الآخر و الظاهر و

١ . الحديد (٥٧): ٣.

٢ . ابراهيم (١٤): ١٠.

٣ . تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ١٥ - ١٦.

الباطن.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، فأشار بلفظ «هو» إلى الحقيقة الغيبية المستكنة في الحضرة الأسمائية والصفاتية، وقال: الحقيقة الغيبية المقدسة عن التلبس بالأسماء والصفات، فضلا عن ملابسة الأكوان الزائلات الدائرات، بحقيقتها الشريفة ظاهر وباطن و أول و آخر.

من معانيه: الأصل فيه التوجه الى حقيقة واحدة وقد ألغى فيها التكسر. شيء واحد وظهور واحد ونور واحد، وكل ما سواه باطل، وهو هوية متحققة، وغيره ليس حقيقة. هو حقيقة الوجود: فهو العلم وهو القدرة وهو الارادة.

فحيثما يكون الوجود فهو واجب. وبعد اثبات: "إن الوجود هو الواجب وان الواجب هو الموجود وان الموجود هو الواجب" نقول: ان الوجود عين القدرة، والوجود عين العلم، والوجود عين الارادة. وهو حقيقة واحدة وظهور واحد ووجود أبسط؛ فهو الأول، وهو الآخر، وهو الظاهر، وهو الباطن، ولا يتعدد. وهو العلم، وهو الارادة، وهو المعلوم، وهو القدرة.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.



[المراد من خلق السماء والارض في ستة أيام]

وأما الآية الشريفة الرابعة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا

يَفْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾. فهي إشارة إلى خلق السماوات والأرض في ستة أيام واستوائه سبحانه على العرش.

لقد تحيرت في تفسير هذه الآية المباركة عقول أرباب العقل، واتخذ كل حسب مسلكه في العلم وهواه في العرفان تفسيراً لهذه الآية المباركة.

[١] فذهب العلماء الظاهريون إلى أن المقصود من الخلق في ستة أيام، هو أنه لو قدرنا فترة خلق السماوات والأرض وإنشائها لتطابق مع ستة أيام.^١

[٢] وذهب الفيلسوف العظيم الشأن صدر المتألهين (قدس سره) إلى تطبيق تلك الأيام الستة على أيام الربوبية، حيث يعدّ كل يوم منها، ألف سنة من سنيننا، واعتبر رضوان الله تعالى عليه منذ نزول آدم حتى بزوغ الشمس المحمّدي للنبي (صلى الله عليه وآله) ستة آلاف سنة متطابقة مع ستة أيام. وجعل ابتداء طلوع شمس صلوات الله عليه يوم الجمعة ويوم الجمع الذي هو اليوم السابع وأول يوم القيامة، وبدء استواء الرحمن على العرش. وقد تولى صدر المتألهين بيان ذلك بصورة مختصرة في شرحه على كتاب (أصول الكافي) وبصورة مفصلة في كتاب تفسيره لهذه السورة المباركة.^٢

[٣] وذهب بعض أهل المعرفة إلى أن الأيام الستة، عبارة عن مراتب سير نور شمس الوجود في مراتب ومظاهر قوس الصعود والنزول.

[٤] وأما على ضوء مسلك العرفاء - الذين يرون للوجود مراتب نازلة، حتى آخر مرتبة منها، وهي مرتبة احتجاب شمس الوجود في حجب التعينات، وهي

١. في هذا المجال راجع: تفسير مفاتيح الغيب (الكبير) الفخر الرازي، ج ٥، ص ٢٥٥، ذيل الآية ٥٤ سورة الأعراف.

٢. شرح أصول الكافي، ص ٢٤٩ - ٢٥٠، تفسير صدر المتألهين، ج ٦ ص ١٦٠ - ١٦٤، تفسير سورة الحديد.

حقيقة «ليلة القدر» وابتداء يوم القيامة من المرتبة الأولى منه إلى مرتبة رجوع الملك إلى الملكوت، وخرق حجب التعينات حتى نهاية مراتب الظهور والرجوع الذي هو الظهور التام للقيامة الكبرى^١ - فإن هذه الأيام الستة التي تمّ فيها خلق السماوات والأرض وانتهى الأمر به إلى عرش الله وعرش الرحمن الذي هو غاية غايات الاستيلاء والاستواء والقهارية للحق المتعالي، هذه الأيام الستة هي المراتب الستة الصعودية في العالم الكبير. وعرش استواء الحق، الظاهر بالقهارية التامة والملكية، وهي مرتبة المشيئة والفيض المقدس الرحماني الذي هو الظهور التام بعد انسلاخ التعينات والفراغ من خلق السماوات والأرضين. ومادامت السماوات والأرضون موجودة، لم يتم خلقها عند أهل المعرفة حسب قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^٢ وحسب عدم حصول التكرار في التجلي^٣.

وتكون المراتب الست في الإنسان الكبير والعالم الأكبر مع المرتبة السابعة اللطيفة التي هي عرش الرحمن والذي هو مرتبة القلب الحقيقي. ولولا خشية التفصيل لذكرت بصورة مسهبة ومستفيضة بأن الأفضل من كل الوجوه هو هذا الوجه المذكور. ومن المعلوم أن علم الكتاب الإلهي موجود لدى الحق المتعالي

١. يرى العرفاء ان القيامة في هذا العالم وفي حالة التوطن في الكثرات، في الوضع الذي يرجع فيه العارف الى الملكوت، ويزيح الحجب والتعينات، ويعتبر سبب زوال التعينات تجليات الحق، ولما كانت القيامة رجوع كل فرع الى أصله؛ فان ظهور الموجودات في القيامة ظهور تام. راجع: الأشتباني، شرح مقدمة القيصري، ص ٧٨٣.

٢. الرحمن (٥٥): ٢٩.

٣. اشارة الى قاعدة عرفانية في ظهور خلق العالم بتجليات شتى، وهذه التجليات تأتي في كل مرة بظهور وبروز جديد، ولا يمكن اعتبار أي من التجليات تكراراً لصورتها السابقة، وانها في كل مرة تظهر صورة جديدة لله في مرآة تجليات الموجودات.

وخاص بمن خوطب به، ولكننا نتحدث على أساس المناسبات والاحتمالات بعد تعذر حمل الآية على ظاهرها.

[٥] وهنا احتمال آخر لا يتنافى مع ما ذكره العرفاء، وهو ينسجم مع نظرية العلوم الحديثة في علم الهيئة، التي فندت ودحضت آراء بطليموس في علم الهيئة، وهو أن وراء منظومتنا الشمسية، منظومات شمسية أخرى كثيرة، لا يحصى عددها إلا الله كما ورد بيان ذلك في الكتب الحديثة من علم الأفلاك. فيكون المقصود من السماوات والأرض هذه المنظومة الشمسية وكواكبها وأفلاكها، ويكون المقصود من ستة أيام المحددة في الآية الكريمة، الأيام الستة على ضوء منظومة شمسية أخرى.

وهذا الاحتمال أقرب إلى الظاهر والفهم من كافة الاحتمالات الأخرى من دون أن يتضارب مع الاحتمالات العرفانية، لأنه يعتبر بطناً من بطون القرآن.



[علم الله بجزئيات مراتب الوجود]

وأشير في نهاية الآية المباركة بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى علم الحق المتعالي بكل جزئي من مراتب الوجود في سلسلة عالم الغيب والشهود في قوس النزول والصعود. وأشير بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ إلى المعية القيومية للحق سبحانه. ولا يعرف أحد كيفية علم الحق سبحانه بالجزئيات، الذي يكون على أساس الإحاطة الوجودية، والسعة القيومية، وكذلك لا يعرف أحد إدراك حقيقة هذه القيومية للحق سبحانه، إلا الخواص من أوليائه تعالى.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ٥

[ملكية الله ورجوع الموجودات إليه]

وأما الآية المباركة الخامسة: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فهي إشارة إلى مالكية الحق، وعود كل نظام دائرة الوجود إليه عز وجل، كما تكون إشارة إلى أن نظام الوجود راجع ومرتبط باسم «المالك». كما ذكر في سورة «الحمد» المباركة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

ويحتاج تفسير كل واحد من ذلك وتفصيل الكلام فيه إلى مجال آخر.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٦

[حكمة اختلاف الليل والنهار]

وأما الآية الشريفة السادسة: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. فهي إشارة إلى اختلاف الليل والنهار وأن القدر الذي ينقص من أحدهما يضاف إلى الآخر، وأن كل ما يضاف على أحدهما ينقص من الآخر، وأن في هذا الاختلاف منافع كثيرة، يوجب ذكرها الخروج عن وظيفتنا. وللآية الشريفة معنى عرفاني آخر امتنعنا عن ذكره.

[المقام الذاتي والفعلية للأسماء]

إعلم أن لمشيئة الحق المتعالي جلّت عظمته، بل لكل الأسماء والصفات مثل العلم والحياة والقدرة وغيرها مقامين:

أحدهما: مقام الأسماء والصفات الذاتية. وقد ثبت بالبرهان أن الذات

المقدسة الواجبة الوجود بحيثية واحدة، وجهة بسيطة محضة، مستجمع لجميع الأسماء والصفات، وعين كل الكمالات. وإن جميع الكمالات والأسماء، وصفات الجمال والجلال يعود إلى حثية الوجود البسيطة. وكل ما هو وراء الوجود فهو نقص وقصور وعدم. وحيث أن ذاته المقدسة صرف الوجود، ووجود صرف كان صرف الكمال وكمال صرف «عِلْمٌ كُلُّهُ، قُدْرَةٌ كُلُّهُ، حَيَاةٌ كُلُّهُ».

[اشارة الآية إلى المقام الذاتي والفعلي]

ثانيهما: مقام الأسماء والصفات الفعلية، الذي هو مقام الظهور بالأسماء والصفات الذاتية، ومرتبة التجلي بالصفات الجمالية والجلالية. وهذا المقام هو مقام «معية القيومية». ﴿هُوَ مَعَكُمْ﴾ و﴿مَا مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾^١. ومقام وجه الله ﴿أَيْنَمَا تُولُوا فَانْجِبُوا وُجْهَ اللَّهِ﴾^٢. ومقام النورية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٣. ومقام المشيئة المطلقة ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^٤. «خَلَقَ اللَّهُ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ وَخَلَقَ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا»^٥، ولهذا المقام اصطلاحات وألقاب أخرى على السنة أهل الله.

وقد أشير إلى هذين المقامين في الآية الشريفة من الكتاب الإلهي: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ

١ . المجادلة (٥٨) : ٧ .

٢ . البقرة (٢) : ١١٥ .

٣ . النور (٢٤) : ٣٥ .

٤ . الدهر (٧٦) : ٣٠ .

٥ . أصول الكافي، ج ١ ص ١١٠، كتاب التوحيد، باب الإرادة وأنها من صفات الفعل، ح ٤ .

وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴿١﴾

[محدودية الإنسان تبعث على المحدودية في تعريف الخالق]

وكذلك إذا تحدثوا أمام من لا يملك عيناً تبصر الحقيقة، عن حرارة يوم القيامة، يقول: انها أشد قليلاً من حرارة جو الصيف هنا. وإذا تحدثوا عن الافاعي والعقارب هناك يظن انها أطول قليلاً من عقارب وأفاعي الدنيا.

وبما اننا عمي، لم يكن أمام المعرف بدء من تعريف الوجود بالبعير، فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^١، أو أن يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^٢، وماذا كان للرسول ان يعمل في مقام تعريف الله لجماعة لم تكن تعرف سوى الإبل وما كانت تقوم وتقعده إلا معها؟ ينبغي طبعاً تعريف الله لهم بهذا النحو.

ولكن كم البؤس شاسع بين هذا وبين التعريف الذي يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^٣، أو ما جاء في الآيات الأولى من سورة الحديد وآخر سورة الحشر حيث يقول: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^٤ ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^٥ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ

١ . الاربعون حديثاً، ص ٥٩٨.

٢ . العاشية (٨٨): ١٧.

٣ . ابراهيم (١٤): ١٩.

٤ . الفرقان (٢٥): ٤٥.

٥ . الحديد (٥٧): ٣ - ٤.



[انتزاع المفاهيم الكمالية من الوجود المنبسط لله تعالى]

رغم ان التشخيص يكون متكرراً ومتغائراً في المفهوم، غير انه في العين الخارجية واحد مصداقاً. وسوف يأتي في الإلهيات ان شاء الله مبحث يُقال فيه: ان انتزاع المفاهيم المتكثرة المتوافقة من الشيء الواحد البسيط، ممكن. كما سنتزع المفاهيم الكمالية من الوجود البسيط لوجود الخيرات ولكونه مصداقاً خارجياً للخيرات بكونه: هو العلم، هو القدرة، هو الحياة، هو الارادة، هو البقاء، وان ما هو موجود هو كل العالم، كل القادر، كل الحي، كل المرید، كل البقاء، كل القديم ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^٣، ﴿هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^٤ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^٥ وبالجملة: فان الوجود عين التشخيص^٦.



١ . الحشر (٥٩): ٢٢ - ٢٤.

٢ . تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٢٢٤.

٣ . الحديد (٥٧): ٣.

٤ . الحشر (٥٩): ٢٢.

٥ . البقرة (٢): ١٣٧.

٦ . تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٢٦٣.

[الله حاضر في كل مكان]

البرهان العقلي قائم على أن الله في كل مكان. البرهان يقول بذلك، وجميع الأنبياء صرّحوا به: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾. هذا القرآن، إنه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، أينما تكونوا، فهو ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾. لقد سمعنا جميعاً ذلك من القرآن والبرهان يثبت ذلك^١.

[غموض مفهوم المعية والقرب]

ما معنى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، و ﴿نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾^٢. فما هذه المعية؟ وما معنى هذا القرب؟ هل هو جنب إلى جنب؟ وهل هذا القرب يعني أننا شخصان أحدهنا بجانب الآخر أم شئ آخر^٣؟ هذه مسائل تقصر أيدينا عن الوصول إليها تقريباً^٤.



١. صحيفة الامام، ج ١١، ص ٣٨٣، من كلمة ألقاها في حشد من العاملين في قسم الأخبار وجهاد البناء في الاذاعة والتلفزيون؛ صحيفة النور، ج ١١، ص ٩٨٢ وأيضاً، راجع: شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٦٣.

٢. الواقعة (٥٦): ٨٥

٣. اشارة الى الجواب الذي قدمه الفلاسفة لهذا الموضوع وهو ان كون الله مع الانسان (المعية) من سنخ الكون القيومي.

٤. صحيفة الامام، ج ١٩، ص ٢٢٥، من كلمة ألقاها بحضور رئيس الجمهورية، ورئيس مجلس الشورى الاسلامي واعضاء الحكومة ومجاس صيانة الدستور،...؛ صحيفة النور، ج ١٩، ص

﴿نقد رأي الفلاسفة في المعية﴾

ومعنى قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ الذي ورد في هذه الآيات هو أنه معنا فهو هنا ونحن هنا وهذه المعية التي يسميها الفلاسفة المعية القيومية لا تحل المشكلة. فهل هي من قبيل العلة والمعلول؟ أم أنها معية التجلي وصاحب التجلي؟ إن الأمور ليست هذه.^٢

﴿الآيات الأولى من سورة الحديد ناظرة إلى وحدة العالم﴾

يمكن النظر الى العالم من ثلاث زوايا: الزاوية الأولى من حيث الكثرة فنرى العقل والنفس والطبيعة. وفي هذا النظر هناك المضاف والمضاف إليه والاضافة. فالماهيات مضاف إليه والوجود المنبسط اضافة وذات الحق مضاف. والاضافة هنا ليست اضافة مقولية طبعاً بحيث تكون ذات طرفين لكي تُتنزع الاضافة وتحقق، ويكون كلا طرفي الاضافة أصيلين، وإنما الاضافة هنا إشراقية ويكون للمضاف سمة ومنصب قيومية وقيومة المضاف إليه، ويكون المضاف متقدماً والاضافة متأخرة عنه، والمضاف إليه في الرتبة الأخيرة. وفي هذا النظر يكون الفيض المقدسي اطلاقاً، أي نور الوجود المنبسط وشعاع نور العالم الذي هو تجلّي وجودي لمبدأ النور علم وقدرة وحياة، وتكون الماهيات معلومة ومقدورة. إذ ففي هذا النظر ثلاثة أشياء هي: المتجلّي، والجلوة، والمتجلّي به. والزاوية الاخرى من النظر الى العالم هناك الجلوة والمتجلّي واما الماهيات

١ . سورة الحديد: ٤.

٢ . صحيفة الامام، ج ١٨، ص ٢٦٢، من كلمة ألقاها في حشد من كبار المسؤولين المدنيين والعسكريين ومختلف شرائح ابناء الشعب؛ صحيفة النور، ج ١٨، ص ١٩٠.

فليست شيئاً.

وأما الزاوية الثالثة من النظر الى العالم فهي نظر الوحدة التي يقول فيها الصوفي والعارف: ليس في الدار غير ديار^١ ويرى الجلوة فانية في المتجلي. وفي هذا النظر إذا شملت التأييدات الإلهية، تلاحظ مراتب وجود شؤونه، لا أن تكون في العالم غيرية.

ولعلّهُ قد أُشير في الآيات الشريفة الى هذه الانظار، نذكر من ذلك منها ان في الآية الشريفة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^١ إشارة الى النظر الأول الذي فيه "الهوية" و"المعية" و"الكَمِيَّة"، حيث ان "هو" إشارة الى غيب الغيوب، و"المعية" اضافة إشراقية و"كُمْ" مضاف إليه.

وفي آية اخرى تقع في أول سورة الحديد وهي: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^٢ جعل النظر أدق معلناً عدم وجود شيء غير الوحدة.^٣

[المَعِيَّة، الوجود في محضر الله]

موعظتي لكم أيها السادة هي أنكم في حضرة الله، وكلنا في حضرته. فهنا ونحن جالسون نتحدث سوية هنا حضرة الله. كلنا أمام عين الله، كلنا في علم الله، انه حاضر في كل مكان: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾. فعندما تلقن أنفسنا هذا المعنى بشكل صحيح ونفهم أننا مسؤولون وأن من ألقى على عاتقنا هذه

١ . الحديد (٥٧): ٤.

٢ . الحديد (٥٧): ٣.

٣ . تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٧، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

المسؤولية حاضر، ليست كالمسؤوليات الأخرى حيث المحاسب غائب ويستطيع الإنسان أن يتخلف عن ذلك، فلا يحدث أي تقصير لا يعلمه، فأى عمل نعمله في حضرته ويسجل. كل هذا العالم هو دفتر لتسجيل أعمالنا، أي إن هذه الأمواج التي تحدث عن طريق ما نتكلم به وتحدث هذا التموج فإن أقوالنا وأفكارنا تسجل كذلك ونحن بهذا الشكل في حضرته، فلا يجب أن نرتكب أية مخالفة في حضوره.^١

[تلخيص للآيات الأولى من سورة الحديد]

عندما يأتي سماحة الامام الخميني على تفسير وتحليل رسالة الآيات في ما كتبه من تفسيرات نلاحظ وجود اسلوبين؛ أحدهما اسلوب الآية الواحدة، والآخر هو اسلوب الطائفة من الآيات. في الاسلوب الاول يأخذ آية أو مقطوعاً من آية ويضعه على بساط التحليل والتفسير والاستناد والاستشهاد لأجل التركيز على الموضوع المقصود وبحثه وهذا الاسلوب يمثل الوجه الغالب على البحوث القرآنية لسماحته.

واما الاسلوب الآخر فيتناول فيه طائفة من الآيات ويجعلها في موضع التفسير والتحليل والتأويل، وان كان هناك تركيز على آية واحدة على وجه الخصوص. وما كتبه في تفسير سورة الحديد، والحشر، والاحلاص، والقدر، والحمد، يمثل الاسلوب الثاني من تفسيراته. والميزة البارزة فيه هي النظرة الكلية الى مجموعة الآيات. ومن غرر آيات القرآن الكريم، الآيات الاولى من سورة الحديد، وهذه

١. صحيفة الامام، ج ١٤، ص ٣٩٦، من كلمة ألقاها في حشد من اعضاء هيئة التحرير والعاملين في صحيفة كيهان؛ صحيفة النور، ج ١٤، ص ٢٥٧؛ وأيضاً، راجع: صحيفة الامام، ج ١٤، ص ٣٤٩.

الآيات ذات مغزى عميق الى درجة ان فهمها التام قد اوكل الى الاجيال اللاحقة، وقسم من بطون القرآن تنحصر معرفته في من خوطب بالقرآن. وأما أهمية وعمق هذه الآيات في تحليل الامام الخميني فيعود الى الاسباب التالية:

١. هذه الآيات جاءت في بيان علم التوحيد والالوهية، وبيان محكمات العقائد وخاصة احكام صمدية الله وربوبيته.
٢. تم تبين هذه المعارف بصورة شفافة وعميقة وكشفت عن جوانب فذة لم يسبق لها مثل في الاديان السماوية الاخرى.
٣. ان مستوى الموضوعات فيها على درجة رفيعة. وبعبارة اخرى ان المعارف الالهية ذات درجات مختلفة، كما ان البشرية تمر بمسيرتها نحو التكامل، والافكار المطروحة في هذه الآيات تقع خارج استيعاب فكر الافراد العاديين. ولهذا السبب لم يكن لدى البشر اطلاع على مثل هذه المعارف الى ما قبل نزول هذه الآيات، ولم يكن لدى بني الانسان سبيل لمعرفة هذه الخفايا.
٤. قسم من هذه المعارف على درجة من العمق بحيث لا يدركها الا اولياء الله. وهذا ما يجعلها مستعصية الفهم حتى على الفلاسفة والمفسرين والعرفاء. وهذا ما يستدعي الأخذ بمعارف اهل البيت من اجل الكشف عن مغزى هذه الآيات.

وفي ضوء ما ذكرناه من ملاحظات، نشير في ما يلي الى أهم الامور والنقاط التي جاءت في تفسير وتأويل هذه الآيات أو الاقتباس منها، في المقاطع المتناثرة من تراث الامام الخميني.

١. اشير في أول آية من هذه السورة الى تسبيح جميع الموجودات، وقد ارجعها بعد تحليل مفصل الى التسبيح المنطقي، وانتقد رأي القائلين بأن هذا

التسبيح انشاء النفس المقدسة.

٢. الآية الثانية اشارة الى ملكية الله وتبعاً لها ملكية واحاطة سلطانه ونفوذ قدرته وتصرف الاحياء والامانة والظهور والرجوع والبسط والقبض. ومفهوم هذا الكلام هو جميع الحركات والافعال وتدبير العالم والانسان تحصل بتدبير الله، وهو منتهى التوحيد الفعلي.

٣. اهم رسالة للآية الثالثة بيان أولية الله وآخريته وظاهرته وباطنيتها. وهذه من امهات اسماء الله، وكل الاسماء تعود الى هذه الاسماء. واذا كانت أسماء الله الاخرى لا نهاية لها فهذه الأسماء محدودة. واذا كانت الأسماء تُقسم الى قسمين؛ ذاتية وفعلية، فهذه الآية تشير الى كلا المقامين. واذا جاء بيان الآية بهذه الصورة فالسبب في ذلك يُعزى الى ضيق فهم الانسان ومشكلة الحجب المتركمة عليه.

٤. الآية الرابعة تسترعي الانتباه من جانبيين: الاول طبقاً لتفسير علماء الظاهر يُشير الى خلق السموات والارض، والى معنى خلقهما في ستة أيام، ومفهوم الاستواء على العرش. واما الجانب الآخر فيأتي وفقاً لمسلك العرفاء. وهناك كلام كثير بين العرفاء في تأويل هذه الآية، ومن ذلك تأويل الستة أيام بمراتب سير نور شمس الوجود في مرآة النزول والصعود، وكذلك مراتب نزول الوجود الى المرتبة الاخيرة من النزول وهي مرتبة الاختفاء في نورانية الوجود لأجل التكررات والتعينات.

٥. في نهاية الآية الرابعة رسالة اخرى حول علم التوحيد، وهو علم الله تعالى بجزئيات مراتب الوجود في الجوانب المختلفة في سلسلة الغيب والشهود والنزو والصعود. وكذلك توضيح معنى معية الله للانسان.

٦. رسالة الآية الخامسة النظر الى ملكية الله عز وجل وان جميع الموجودات

تعود إليه، وهذه العودة باسم ملكية الله؛ وكذلك يبين هذه المسألة في مالك يوم الدين.

٧. رسالة الآية الاخيرة من هذه المجموعة من الآيات تشير الى اختلاف الليل والنهار ومدى اهمية هذه الظاهرة للانسان. ويوجد طبعاً عدا هذا المعنى الظاهري معنى عرفاني آخر، الا انه امتنع عن ذكره.

والآية الرابعة اكثر ما تسترعي الاهتمام من بين هذه الآيات حيث طرحنا بين ثناياها قضايا ومسائل مختلفة، مثل معنى الاول والآخر، وبأي شيء يكون الله ظاهراً، وفي اي المواضيع يظهر ذاته؟ واذا كان له ظهور وبروز في الموجودات، فبأي شيء يُفسر، وهل هو ذاتي أم عرضي؟ والى اي تشير كلمة «هو» الواقعة في اول الآية؟ هل تشير الى الذات أم الى الأسماء؟ واذا كانت تشير الى الذات، فالى اي قسم منها؟

والقضية المهمة التي يشير اليها في بحث الاولية والآخرية هي ما يشير إليه من اختلاف الآراء بين الحكماء والعرفاء وبين المحدثين في ما يخص مفهوم هذين الاسمين خشية ان يُظن ان الاول بأن الله كان ولم يكن هناك شيء سواه. وفيض الله مقرون مع وجوده والموجودات لها حدوث ذاتي، الا ان بعض الموجودات ليس لها حدوث زمني. والاولية والآخرية لتعيين الفيض، بأن المبدأ والمنتهى منه. وهذا الوصف متزعزع من الوجود المنبسط لله. لعل المعنى الآخر لهذه الجملة ان كونه مظهراً للموجودات هو باختلاف المراتب والدرجات. وكونه اولاً وآخرأ يعني ان الوجود النازل أو الوجود العالي كلها اشعاع له. واذا كانت صفات الله ذات معان متفاوتة، ففي هذه الآية اشارة اليها.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ



[سبب امر أهل الإيمان بالخشوع]

أما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ﴾ فلعله اشارة الى الإيمان الصوري، اي الاعتقاد بما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) وإلا فإن الإيمان الحقيقي ملازمٌ لمرتبة من الخشوع. أو لعل المراد من الخشوع في الآية الشريفة هو الخشوع بمراتبه الكاملة، كما يطلق وصف «العالم» أحياناً على مَنْ عبر حدَّ العلم وبلغ حدَّ الإيمان، ولعلَّ الآية الشريفة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^٢ تشير الى هذه الفئة من العلماء.^٣

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ لِي فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْفُرُورِ﴾^٢



١ . المقصود هو ان هذا العلم يكون سبباً وداعياً الى الايمان، كما تقول الآية الشريفة ان العلماء من

بين العباد يخشون الله . وهذا احتمال ثالث في توجيه معنى هذه الآية.

٢ . فاطر (٣٥): ٢٨.

٣ . آداب الصلاة، ص ١٤ - ١٥.

[المعنى والتفسير الفلسفي لكون الدنيا لهواً ولعباً]

واما القول: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾^١ فلا يعني أن كل أعمال الدنيا عبث ولغو ولا غاية لها وليست فيها ثمرة عقلانية. ولكن بما ان مبدأها هو الناطق الإلهي، وما فوق أفق عالم الطبيعة والدنيا التي هي دار زوال، فهي في نظره ليست ذات أهمية؛ وهو يريد الدوام والوفاء والروحانية والعشق والكمال، ولهذا وصف الدنيا باللغو واللهو، وليس المعنى المراد هنا هو ان الأعمال الدنيوية لا ترتب عليها علل غائية شهوانية وعقلانية ولذائذ وثمرات. بل هناك غاية في كل عامل من العوامل الهابطة من الأعلى إلى الأسفل، وحتى ذلك الهيولي الذي يقع في آخر مرتبة الوجود، بل وحتى ذلك الجماد والحجر الذي يسير في حركته نحو المركز، ولكن بما يتناسب مع حال كل واحد منها، فسرى إليها العلم بالصلاح الأتم والأكمل والأصلح الذي هو في المبدأ الأعلى، فصار ذلك العلم بالصلاح موجوداً لدى جميع الموجودات، غير انه قد تنزل. وحتى في حركة الحجر نحو المركز كان ذلك العلم بالصلاح، ولكن بمرتبة أضعف وبقوة طبيعية.

وخلاصة الكلام هي ان كل فعل من الافعال التي تصدر من الإنسان حتى وان كان ذلك في عالم المنام لا بد وأن يكون عن إرادة ومتلازم مع غاية. ولا بد من الالتفات طبعاً إلى المبدأ الذي يصدر عنه هذا الفعل. فهل تظن ان حركة الحيوانات لا غاية لها؟ كلاً طبعاً فحركة الحيوان باتجاه المزرعة فيها لذة بالنسبة له. وهل تظن ان فعل الطفل يخلو من غاية؟ كلاً طبعاً ولا بد ان يكون ذا غاية. ولكن لأن الطفل لا يحمل غاية فكرية، تظن ان فعله يخو من غاية. والا فان مبدأ الفعل الذي هو الشهوة الطبيعية يترتب عليه.

وعلى العموم فإنَّ المبدأ مهما كان لا بد وان تكون الغاية متناسبة معه. فغايات المبدأ الشيطاني لا تكون روحانية. وهل تتوقع من العقرب فعلاً غير اللدغ؟! الا إذا كانت طبيعته ومبدأ حركاته شيء آخر غير اللدغ!^١

﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ٢١

[معنى كَوْن الدنيا عريضة وطويلة]

أقوى الشبهات التي تُثار في باب نفي المعاد الجسماني هو المكان الذي تكون فيه الجنَّة والنار، وهذا ما يشره الجاحدون ويطلبون من المعتقدين بالمعاد اثباته، ويقولون: اين مكانهما؟ فان كان فوق الافلاك ومحدد الجهات حيث مكان من غير جهات - ولا خلأ ولا ملأ - فهناك لا مكان ولا جهة. وان كان مكانهما على الارض، فليس على الارض أثر من جنة أو نار. وان كان بين طبقات السماوات، فلا بد إذاً من القول ان هناك بين الافلاك فراغ في حين من الحال وجود فراغ بين الافلاك. واما ان تكون الجنَّة والنار متداخلتين مع الافلاك، وهذا مما يستلزم تداخل الأجسام.^٢

وقع المتكلمون في حيص وبيص عند محاولتهم الرد على هذه الشبهة،^٣ وطبقاً لضرورة وجود عالم الآخرة لم يستطيعوا القول أنهما غير موجودتان حالياً؛ وذلك

١. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٣٠٥-٣٠٦.

٢. شرح المواقف، ج ٨، ص ٣٠١-٣٠٢؛ شرح المقاصد، ج ٥، ص ١٠٨.

٣. شرح المواقف، ج ٨، ص ٣٠٢؛ شرح المقاصد، ج ٥، ص ١١١-١١٢.

لأن وجود ذلك العالم ثابت الى درجة لا يمكن معها انكاره؛ كما جاء في رواياتنا: «ان الجنة قيعان»، أي انها قفر وجرداء، واما حدائقها وقصورها فهي تأتي نتيجة للأعمال الحسنة لأحساب تلك القصور والحدائق. وبالإضافة الى كل ذلك إن قالوا حيثما تكون فلا سعة لها: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^١ كما تنص الآية الشريفة.

وعلى أية حال فإن سؤال الجاحدين عن مكانهما في ضوء الأوصاف التي يقول بها المعتقدون بالجنة والنار، سؤال محق وهو مبني على فكرة ان ذلك العالم ومكانه وجنسه من سنخ هذا العالم ويقع في عرضه، وفيما إذا كان هذان العالمان متساويين في المرتبة وفي درجة الوجود.

ولكن بناء على القول الحق فإن جنس الجنة والنار ليس من جنس هذا العالم، بل وهما فوقه من حيث درجة ومرتبة الوجود. ولهذا فإن السؤال عن مكان الجنة والنار غلط واضح؛ لأن ذلك العالم فوق المكان والزمان. ان ذلك العالم واسع الى درجة ان هذا العالم رغم سعته التي تمتد من الغبراء الى ذروة آخر سماء، يمكن ان يكون شديد الصغر وفي غاية الضآلة أمامه. فذلك العالم تام، والعالم التام لا مكان له.^٢

[الله يعامل الناس بفضله لا بعذله]

القوا الآن نظرة على الآخرة، حيث وعد القرآن بمتي نعمه من تلك النعم، وقارنوا بين أعمال الإنسان وما وعدت به الكتب السماوية، ولاسيما القرآن، من جزاء، وانظروا، هل يخرج ذلك عن حدود العدالة أم أنه ينبغي الاعتراف بأن

١. عوالي اللثالي، ج ٤، ص ٨ ح ١٠؛ بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ١٧٤، ح ٢١.

٢. الحديد (٥٧): ٢١.

٣. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥٩٥-٥٩٦.

هبات الله لا علاقة لها بما يقدمه البشر من أعمال غير ذات قيمة؟...
 ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ
 آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^١

[مكانة التوبة]

فهل يمكن مقارنة ما نقوم به من أعمال تافهة خلال عمرنا القصير بنعم الإله
 التي لا حدود لها؟

لقد صرحت جميع الأديان وصرحت آيات القرآن بأن الإنسان دوماً في
 النعيم، وأنه مخلد بالنعمة، فهل يمكن مقارنة أعمال الإنسان بهذه النعم الدائمة؟^٢

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
 فَخُورٍ﴾

[علامة الزهد وآثاره]

في الوسائل أن رجلاً سأل علي بن الحسين عليه السلام عن الزهد فقال: ألا وإن
 الزهد في آية من كتاب الله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^٣،
 ... والقلب الذي خلا من محبة الدنيا وأعرض عنها وانصرف، لن يتأسف عن
 أدبارها ولن يفرح بإقبالها.

ويحصل للقلب الزاهد حالة التساهل وعدم الاهتمام بحيث لا يتوجه إلى

١. الحديد (٥٧): ٢١.

٢. كشف الاسرار، ص ١٦٨ - ١٧٠.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١٢، الباب ٦٢ من ابواب جهاد النفس، ح ٦.

الدنيا وزخارفها فكيف بالتأسف على فوتها والفرح من إتيانها.^٢



[تعظيم الزهد]

إننا في أنفسنا لا نملك شيئا، فكل ما لدينا أمانات قد وهبنا إياها الله. إننا لله: نحن جميعاً لله، ملكه والعاقة أننا سوف نرجع إليه... وأذكركم بجملتين من كتاب الله ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾. فهذا ما علمه الله تبارك وتعالى للإنسان من الأول حتى الآخر بحيث أنه عندما تحدث حادثة ما وفيها ضرر لكم بحسب الظاهر فلا تحزنوا، فهذا ليس بضرر لكم ولا تتأسفوا عليه ولا تحزنوا لأجل ما فقدتم لأنه وبحسب الظاهر وحسب ما تراه عيونكم التي لا ترى إلا الظاهر ضرر وخسارة. لا تحزنوا فليس ذلك بضرر. لا تحزنوا ولا تأسو على ما فقدتموه. ظاهر الامر انكم فقدتموهم ولكن في الواقع إنهم باقون، وقد حققوا لكم الشرف والعزة، ولا تفرحوا لما تكسبون من الدنيا لأن ما هو من الدنيا فهو فان وما يقدم لله باق وأبدي.^٣

١. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣٠٥.

٢. جاء تفصيل هذا البحث في ذيل الآيتين ٧٩ و ٨٠ من سورة القصص ويمكن الاطلاع على توضيح مفاد الزهد والمقام الأول في الزهد عدم الاهتمام بالدنيا وتحصيل العلم الالهي. وقد واصل هذا الحديث في كتاب شرح حديث جنود العقل والجهل، الفصل الرابع، ص ٣٠٠، في بيان ان الرغبة في الدنيا توجب الاحتجاب عن الله. وفي ص ٣٠٥ يطرح المباحث الآنف ذكرها مع الاشارة الى هذه الآية.

٣. صحيفة الامام، ج ١٤، ص ٢٥٦ - ٢٥٧، من كلمة ألقاها في حشد من اسر الشهداء ومعاقبي الحرب

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ٢٥

١ اقامة النظام العادل اهم وظائف الانبياء

قد كان أهم ما كلف به الأنبياء هو اقرار النظام العادل في المجتمع وتنفيذ الاحكام. وقد استفاد ذلك كله من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

فقد كان الهدف الحقيقي من بعثة الأنبياء هو اقامة العدل والقسط في الناس، وتنظيم حياتهم بموجب الموازين الشرعية، ولا يتم ذلك إلا بالحكومة التي تنفذ الاحكام، وهذه الحكومة كما تتمثل في شخص النبي أو الرسول، تتمثل كذلك في الائمة (عليهم السلام) وفي الفقهاء العلماء المؤمنين العدول من بعدهم.

[سعى النبي الدائم لبسط العدالة]

أي يوم من حياة الرسول خلا من القضايا السياسية والاجتماعية ومن الحرب؟ ألم يكن يعلم الرسول بأن عدداً من الناس سيقتلون في غروة الأحد وفي فلان سيموت عدد من الأحباب. ولكن هذا كان الواجب كان الله قد قال ذلك ولم

يكن الرسول ليخالف الأمر الالهي، لقد أرسل الله تعالى البيئات والميزان والحديد: ﴿لَيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^١.

[الغاية من ارسال الرسل]

يقول الله تبارك وتعالى بأننا أرسلنا الأنبياء وأعطيناهم البيئات وكذلك أعطيناهم الآيات والميزان ﴿لَيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ فإن الغاية هي أن يقوم الناس بالقسط وأن تكون العدالة الاجتماعية قائمة ويزول الظلم والاضطهاد وأن يتم الاهتمام بالفقراء وأن يكون القيام بالقسط ويقول بعده ﴿وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾، ما هي المناسبة؟ إن المناسبة هي أن هذه الأمور يجب أن تتم بالحديد تتم هذه الأمور بالبيئات والميزان وبالحديد ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي إذا أراد شخص أو جماعة إفساد المجتمع أو إفساد حكومة عادلة لا بد من الحديث معهم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وإن لم يسمعوا فبالموازين أي الموازين العقلية وإن لم يسمعوا فبالحديد.^٢

[الكي آخر الدواء، والمرحلة الأولى الموعظة]

لقد عمل الأنبياء العظام بكل جدية على استئصال جذور الظلم من بين البشر وذلك بالموعظة والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾

١. صحيفة الامام، ج ١٥، ص ٢١٦، من كلمة ألقاها في حشد من ائمة الجماعة في خراسان وعلماء

شهرري؛ صحيفة النور، ج ١٥، ص ١٤٨.

٢. صحيفة الامام، ج ١٥، ص ٢١٣، من كلمة ألقاها في حشد من ائمة الجماعة في خراسان وعلماء

شهرري؛ صحيفة النور، ج ١٥، ص ١٤٦.

فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴿١﴾ فَإِنَّ «آخِرَ الدَّوَاءِ الْكَيْ» ، فعندما لم تنفع النصيحة والموعظة فكان آخر الدواء أن يكوى فالسيف آخر الدواء.^٢

[اتجاه الاستفادة من الحديد]

فقد تحدث القرآن في مواطن كثيرة عن العلم والعالم وطلب العلم^٣ ، وعندما تحدث عن الحديد^٤ أخذ مسألة نفعه للناس بعين الاعتبار: ﴿أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ فَإِنَّ قِيَمَةَ ﴿الْحَدِيدِ﴾ هي بمقدار نفعه للناس، وأما لو سقط بأيدي الطغاة والقوى الكبرى وتحول إلى أداة للدمار والضرر، فعندها يفقد قيمته، وقس على ذلك جميع الأشياء الأخرى.^٥

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٧. إشارة الى المثال الذي يسوقه امير المؤمنين ويبيّن فيه ان الحل الأخير للمعاصي و الجرم و طريق المنع منه هو العقاب، مثلما ان الدواء الاخير للامراض هو الكي.
٢. صحيفة الامام، ج ١٨، ص ٥٠٠، من كلمة ألقاها في حشد من المسؤولين المدنيين والعسكريين ومختلف شرائح ابناء الشعب؛ صحيفة النور، ج ١٩، ص ٢٠.
٣. على سبيل المثال راجع: النساء (٤): ٨٣، القصص (٢٨): ٧٥، النساء (٤): ١١٣، يونس (١٠): ٥٥، البقرة (٢): ١٥١، النحل (١٦): ٤٣، الأنبياء (٢١): ٧، التكاثر (١٠٢): ٥، طه (٢٠): ١٣٥، الحج (٢٢): ٥٤، العلق (٩٦): ٥، البقرة (٢): ٢٣٠، سبأ (٣٤): ١٤، الزمر (٣٩): ٩، فصلت (٤١): ٣، البقرة (٢): ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٩، وغير ذلك من الآيات الأخرى التي تتناول هذا الموضوع واهميته.
٤. المراد من الحديد القوة والمعدّات العسكرية والسلاح؛ وذلك بتناسب الحكم والموضوع؛ أي الحديد الذي يبعث على الخوف ويستخدم لحماية العدالة. وبالنتيجة ينبغي ان تكون هناك ادوات ووسائل من هذا المعدن بصور واشكال مختلفة لاتخاذها وسائل للدفاع وصلة الأعداء.
٥. صحيفة الامام، ج ١٣، ص ٤٥٠، من كلمة ألقاها في حشد من المسؤولين والمشاركين في ندوة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٢٨

[الإيمان بالنبي جزء من الدين]

قلنا ما تقدم على فرض أن النبوة والإمامة ليستا جزءاً من الدين. لكن ثمة آيات من القرآن، وأقوال من النبي، تدلل على أنهما جزء من الدين، فالآيات التي تعتبر النبوة جزءاً من الدين كثيرة منها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١

ولو لم يكن الإيمان بالنبي جزءاً من الدين، فإن هذه الآية لا قيمة لها، وإن النبي ينبغي أن ينسى من الأذهان.^٢



محو الامية؛ صحيفة النور، ج ١٣، ص ٢٣٠.

١ . الحديد (٥٧): ٢٨.

٢ . كشف الاسرار، ص ١٧٦.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[فضيلة السورة]

[قال في فضيلة قراءة السورة]: إقرأ سورة الحشر المباركة حيث تحتوي على خزان المعرفة والتربية، وهي تستحق أن يتدبر فيها انسان طول عمره ليكسب منها زاد الآخرة بالعون الالهي.

﴿مَا أَلَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَمَا لَا يَكُونُ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾

[طاعة النبي ونسبتها مع التفويض]

بالسُّنْدِ الْمَتَّصِلِ... عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سمعته يقول: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُوصَفُ، وَكَيْفَ يُوصَفُ وَقَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^١ فَلَا يُوصَفُ بِقَدَرٍ إِلَّا كَانَ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ. وَإِنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لَا يُوصَفُ، وَكَيْفَ يُوصَفُ، وَكَيْفَ يُوصَفُ عَبْدٌ اخْتَجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِسَمْعٍ وَجَعَلَ طَاعَتَهُ فِي الْأَرْضِ كَطَاعَتِهِ فِي السَّمَاءِ فَقَالَ: ﴿وَمَا آتَيْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ وَمَنْ أَطَاعَ هَذَا فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَاهُ فَقَدْ عَصَانِي، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ...»^٢.



[معنى تفويض الأمر إلى رسول الله]

إعلم أن «التفويض» معنى مذكوراً في أبحاث الجبر والتفويض وهو أن الحق سبحانه قد عزل نفسه - والعياذ بالله - عن التصرف القيومي في كل أمر من الأمور من أقصى عالم من عوالم الغيب المجردة حتى منتهى النهايات من عالم الخلق والتكوين، وفوض أمر ذلك إلى موجود سواء كان كاملاً وتاماً وروحانياً وصاحب اختيار وإرادة، أو كان طبيعياً مسلوب الشعور والإرادة، يتصرف - هذا الموجود بصورة تامة ومستقلة. ومثل هذا «التفويض» لا يمكن أن يكون لأحد، لا

١. الحج: ١٧٨، الزمر: ٦٧.

٢. أصول الكافي، ج ٢ ص ١٨٢، كتاب الإيمان والكفر، باب المصافحة، ح ١٦.

٣. الأربعون حديثاً، ص ٥٣٩.

في عالم التكوين ولا في عالم التشريع وسياسة العباد وتأديبهم، وذلك من أجل أن هذا التفويض يستلزم النقص والإمكان في الوجود الواجب، ونفي الإمكان والحاجة في الممكن.

ويقابل التفويض هذا «الجبر» الذي يكون عبارة عن نفي الآثار الخاصة عن مراتب الوجود ونفي الأسباب والمسببات نهائياً، وإلقاء الوسائط بصورة كلية. وهذا أيضاً باطل ومرفوض ومخالف للبراهين المحكمة. وهذا المعنى من الجبر المرفوض لا يختص أيضاً بأفعال المكلفين، بل يعم عالم التكوين والتشريع كما هو المشهور. فإن رفض الجبر والتفويض بهذا المعنى الذي ذكرناه هو سنة الله الجارية في كافة مراتب الوجود، ومظاهر عالم الغيب والشهود. والتحقيق في ذلك خارج عن نطاق هذا الكتاب. والروايات التي تنفي الجبر والتفويض إنما تنفيهما حسب المعنى المذكور. وأما الأخبار التي تقر التفويض في بعض الأحكام التشريعية مثل ما نقل عن الكافي بإسناده إلى أبي جعفر (عليه السلام) قال: «وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) دِيَةَ الْعَيْنِ وَدِيَةَ النَّفْسِ وَحَرَّمَ التَّيْبِذَ وَكَلَّ مُسْكِرًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ جَاءَ فِيهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَعْصِيهِ»^١.

ومثل تلك الروايات الأخرى التي تقول بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أضاف بعض الركعات على الصلوات^٢، وجعل الصيام في شهر شعبان مستحباً وصيام ثلاثة أيام من كل شهر مستحباً^٣ أو قُوِّضَ إليه صلوات الله وسلامه عليه أمر الخليفة مثل ما نقله الكافي:

١. أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب التفويض إلى رسول الله (ص) وإلى الأنمة (ع)، ح ٧.

٢. وسائل الشيعة، ج ٣، كتاب الصلاة، الباب ١٣ من أبواب أعداد الفرائض، الأحاديث ١٢، ١٤.

٣. وسائل الشيعة، ج ٧ ص ٣٦١، الباب ٢٨ من أبواب الصوم المندوب، ح ٥.

ياسناده عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) وأبا عبد الله (عليه السلام) يقولان: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوَّضَ إِلَى نَبِيِّهِ أَمْرَ خَلْقِهِ لِيَنْظُرَ كَيْفَ طَاعَتُهُمْ؛ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا أْتِيَكُمُ الرَّسُولُ فَاخَذُوهُ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَاتَّقُوا﴾!»^١.

وروايات أخرى مأثورة بهذا المعنى أيضاً. وأما هذه الأخبار فقد فسرت على وجه آخر غير المعنى المرفوض.^٢

[الوجوه والاحتمالات التي قيلت حول تفويض الأمر إلى النبي]

وذكر لها علماؤنا الأعلام وجوهاً^٣: منها ما نقله المحدث الخبير المجلسي (رحمه الله) عن ثقة الإسلام الكليني^٤ وأكثر المحدثين وهو: «أنه تعالى لما أكمل نبيه بحيث لم يكن يختار من الأمور شيئاً إلا ما يوافق الحق والصواب ولا يحلّ بباله ما يخالف مشيئته سبحانه في كل باب، فوَّضَ إليه تعيين بعض الأمور كالزيادة في ركعات الفرائض وتعيين النوافل من الصلاة والصيام وطعمة

١. أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب التفويض إلى رسول الله (ص)، ح ٣.

٢. المقصود هو أن الروايات إن كان قد جاء فيها ما يشير إلى أن الله عز وجل قد فوّض الأمور إلى النبي، فذلك لا يعني أنه تخيّل عن الأمور وغداً مسلوب الإرادة، وإن النبي قد اضحى تام الاستقلالية والتصرف. فهذه الكلمة لم ترد بهذا المعنى الاصطلاحي ويجب حملها على معنى آخر.

٣. لاستعمال التفويض في الروايات.

٤. محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي، المعروف بثقة الاسلام، (٣٢٨ يا ٣٢٩ هـ). من جملة مؤلفاته: الكتاب الشريف المعروف باسم اصول الكافي الذي يقسم إلى ثلاثة أقسام وهي: الاصول، والفروع، والروضة. ومن كتبه الاخرى أيضاً: كتاب الرجال، رسائل الائمة، كتاب الرد على القرامطة، تفسير الرؤيا.

الجد وغير ذلك مما سيأتي بعضها في هذا الكتاب - مرآة العقول - إظهاراً لشرفه وكرامته عنده، ولم يكن أصل التعيين إلا بالوحي ولا الاختيار إلا بالإلهام ثم كان يؤكد ما اختاره (صلى الله عليه وآله) بالوحي^١.

وقد ذكر المرحوم المجلسي وجوهاً أخرى مثل تفويض أمور الخلق إليهم - الأنبياء - من سياستهم وتأديبهم وتكميلهم وتعليمهم. ومثل تفويض بيان العلوم والأحكام إليهم بما أرادوا أو رأوا المصلحة فيها بسبب اختلاف عقولهم وأفهامهم أو بسبب التقية^٢.

[نقد رأي العلماء في باب تفويض الأمر]

ولكن لم يتحدث هؤلاء الإجلاء في الوجوه المحتملة التي استعرضوها عن كيفية تفويض الأمور إليهم على أساس قاعدة محددة لم تتناف مع الأسس الصحيحة التي ينطلقون منها. كما أنهم لم يشرحو الفرق بين التفويض الممكن عندهم والتفويض المستحيل. بل يظهر من كلام العلماء وخاصة المرحوم المجلسي رضوان الله تعالى عليه أن الإيمان «بالتفويض في الخلق والرزق والتربية والإمامة والأحكام إلى غير الحق سبحانه، كفر صريح ولا يسترب عاقل في كفر من قال به»^٣ وجعلوا الكرامات والمعجزات من قبيل استجابة الدعاء وأن الحق سبحانه هو الفاعل لكل هذه الأمور. ولكنهم أجازوا التفويض إليهم من تعليم الناس وتربيتهم وفي منع

١. مرآة العقول، ج ٣ ص ١٤٤، كتاب الحجّة، باب التفويض إلى رسول الله (ص)، ح ١.

٢. مرآة العقول، ج ٣ ص ١٤١، كتاب الحجّة، باب التفويض إلى رسول الله (ص)، ح ١.

٣. وهنا يثار هذا التساؤل وهو ان كان التفويض محالاً والقاتل به كافر، فكيف يمكن النظر إلى كرامات ومعجزات الأنبياء والصالحين؟ وهذا ما يجب عنه في البحوث اللاحقة.

الناس من «الأنفال» و«الخمس» أو الدفع إليهم وفي تشريع بعض الأحكام .
وهذا البحث من الدراسات التي يقلّ التوغل فيها من قبل الباحثين، حتى
يكون له إطار عام دقيق، وإن تناولوا غالباً طرفاً من البحث وتحدثوا عنه .
وأنا - الكاتب - أيضاً مع قصور الباع، ونقص في العلم والاستعداد، والقلم
المتعثر، والقرطاس الممزق، لأستطيع أن أتوغل في هذه الفلاة المترامية
الأطراف بصورة مفصلة. ولكنني مضطر لكي أشير إجمالاً إلى هذا الموضوع
على شكل نتيجة البرهان، ولا مهرب من عدم إظهار الحق.

[الجمع بين التفويض وقيومية الله]

لابد من معرفة أنه لافرق أبداً في «التفويض» المستحيل المستلزم لمغلولية يد
الله^١ وفاعلية قدرة العبد وإرادته بصورة مستقلة بين الأمور العظيمة أو الحقيرة.
كما أن أمر الإحياء والإماتة، والإيجاد والإعدام، وتحويل عنصر إلى آخر
لا يمكن أن يفوض لموجود، حتى أن تحريك قشة أيضاً، لم يمكن أن يفوض لا
إلى ملك مقرب ولا إلى نبي مرسل ولا إلى كائن ابتداءً من العقول المجردة
القاطنة في الجبروت الأعلى إلى المادة: الهيولى الأولى. وإن ذرات الكائنات
بأسرها مسخرة تحت إرادة الحق سبحانه الكاملة، ولا استقلالية لها في أي عمل
أبداً، وأن جميع الكائنات في وجودها وكمالها وحرركاتها وسكناتها وإرادتها
وقدرتها وكافة شؤونها محتاجة وفقيرة، بل هي فقر خالص وخالص فقر.

١. إشارة إلى عقيدة كانت لدى اليهود الذين يقولون ان الله بعدما خلق الخلق تركهم، وبقي هو
مغلول اليدين يتفرج على ما يجري في هذا العالم. ويقول القرآن الكريم في هذا المجال:
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا رَبَّنَا قَالُوا﴾. (المائدة: ٥) : (٦٤).

إنفي استقلال العباد وعدم وجود فارق بين الامور الكبرى والصغرى]

كما أنه لافرق أبداً في قيمية الحق، وعدم استقلال العباد، وظهور إرادة الله ونفوذها وتغلغلها في كل شيء بين الأمور الكبيرة والصغيرة. وكما إننا العباد الضعاف قادرين على الأعمال البسيطة مثل الحركة والسكون وأفعال أخرى صغيرة، فإن العباد المخلصين لله سبحانه والملائكة المجردين، قادرين على أعمال عظيمة من الإحياء والإماتة والرزق والإيجاد والإعدام. وكما أن ملك الموت يقوم بالإماتة، وعمله هذا لا يكون من قبيل استجابة الدعاء، وإن إسرافيل موكل بالإحياء، وإحياءه لا يكون من قبيل استجابة الدعاء والتفويض الباطل فكذلك الولي الكامل، والنفوس الزكية القوية، مثل نفوس الأنبياء والأولياء، قادرة على الإعدام والإيجاد والإماتة والإحياء، بقدرة الحق المتعال، وليس هذا من التفويض المحال، ويجب أن لانعتبره باطلاً. ولامانع من تفويض أمر العباد، إلى روحانية كاملة، تكون مشيئته فانية في مشيئة الحق، وإرادته ظلال لإرادة الحق، ولا يروم إلا ما يريد الحق، ولا يتحرك إلا إذا كان موافقاً للنظام الأصلح، سواء كان في الخلق والتكوين أو التشريع والتربية، كما وردت الإشارة إلى ذلك في حديث ابن سنان^١ المذكور في الفصل القادم بعد أسطر.

وملخص الكلام: أن التفويض بالمعنى الأول لا يكون جائزاً في أي مجال من المجالات وأنه مخالف للبراهين القاطعة. وأما التفويض بالمعنى الثاني فجائز في كافة الأمور بل إن النظام العام للعالم، لا يقوم إلا على أساس الأسباب والمسببات

١. اصول الكافي، ج ١، ص ٤٤١، كتاب الحجّة، باب مولد النبي ووفاته، ج ٧ و شرحه في كتاب

«أبى الله أَنْ يُجْرِيَ الْأُمُورَ إِلَّا بِأَسْبَابِهَا»^١.

واعلم بأن كل ما يبيانه على سبيل الاختصار فهو من ثمار الأدلة والبراهين ومتطابق مع المقاييس الصحيحة الفلسفية، والمسلك العرفاني والأخبار الشريفة والله الهادي.^٢

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْتَظِرْ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِقَدِّهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ﴾ ١٨

[آثار قراءة هذه الآيات في تعقيب الصلوات]

كان شيخنا العارف الجليل^٣ يقول: إن المثابرة على تلاوة آخر آيات سورة الحشر المباركة، من الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْتَظِرْ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِقَدِّهِ...﴾ إلى آخر السورة المباركة، مع تدبر معانيها، في تعقيبات الصلوات، وخصوصاً في أواخر الليل حيث يكون القلب فارغ البال، مؤثرة جداً في إصلاح النفس، وفي الوقاية من شر النفس والشیطان.^٤

[أيضاً في فضيلة القراءة]

فلو قرأ مع حضور قلب الآيات الشريفة في آخر سورة الحشر وتفكر فيها من

١. أصول الكافي، ج ١ ص ١٨٣، كتاب الحجّة، باب معرفة الامام والرد اليه، وكذلك في بصائر

الدرجات، ص ٢٦ الجزء الاول، الباب ٤، ح ٢.

٢. الاربعون حديثاً، ص ٥٤٨ - ٥٥١.

٣. المرحوم الشاهابادي، ح ١، ص ٤٤، الهامش ١.

٤. الاربعون حديثاً، ص ٢٠٨.

قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ وهي الآية ﴿١٨﴾ إلى آخر السورة المشتتة على التذكر ومحاسبة النفس والمحتوية على مراتب التوحيد، والأسماء، والصفات في وقت فراغ النفس من المشاغل الدنيوية، في آخر الليل أو بين الطلوعين، يرجى - إن شاء الله - أن يصل إلى النتائج الحسنة. وهكذا في الأذكار الشريفة، حيث إن الذكر الشريف «لا إله إلا الله» هو أفضل الأذكار وأجمعها. فيأتي بهذا العمل مع حضور قلب، فيرجى أن يأخذ الله سبحانه بيده. ولا بد أن لا يغفل في كل حال عن نقصه وعجزه، ولا عن رحمة الحق وقدرته ويمد يد الحاجة إلى الذات المقدسة، ويطلب منها المدد. فإذا اشتغل مدة بهذا العمل، تعود النفس على التوحيد ويتجلى نوره في القلب، ولا بد أن لا يغفل عن شرائط الذكر العامة، ولقد ذكرنا في كتاب (آداب الصلاة) أكثر شرائط قراءة القرآن، وهي شرائط الذكر أيضاً^١.

[المراد من الأمر بالتقوى في مخاطبة المؤمنين]

هذه الآية الصغيرة لفظاً الكبيرة معنى تحتل أفكاراً ببناء تنبه الإنسان منها:

[مخاطبة اصحاب المرتبة الأولى]

أولاً: يمكن أن تخاطب الذين هم في المرحلة الأولى من الإيمان، مثل إيمان عامة الناس، ففي هذا الاحتمال، فإن الأمر بالتقوى هو الأمر بأول مراتبها. وهي تقوى العامة وهي تجنب مخالفة الأحكام الظاهرية الالهية وتعلق بأعمال الأعضاء والجوارح. وعلى هذا الاحتمال فإن جملة: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ

لَفِدٍ ﴿ تحذر من تبعات أعمالنا وهي تشهد على أن ما نقوم به من أعمال تنتقل إلى النشأة الأخرى وسوف تصل إلينا وقد وردت في ذلك آيات وأخبار كثيرة. ' إن التفكير في هذا الأمر يكفي القلوب الواعية؛ بل يوقظ القلوب المستعدة لذلك وقد يكون دليلاً على المراتب الأخرى والمقامات الأسمى. والظاهر هو أن تكرار الأمر بالتقوى تأكيد وإن كانت تحتل أمراً آخر أيضاً. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تحذير جديد من أن أعمالكم لن تخفى على الله تعالى إذ أن العالم محضر الحق تعالى.



[مخاطبة الثابتين من أهل الإيمان]

ثانياً: يمكن أن تخاطب الآية ممن أوصلوا الايمان إلى قلوبهم. فربما يؤمن انسان بالشهادتين حسب الظاهر ولكن قلبه يكون غافلاً عنها، وأن يكون عالماً معتقداً بالأصول الخمسة دون أن يبلغ هذا العلم والايمان قلبه، وقد يكون الجميع كذلك إلا الخواص من المؤمنين. وإن المعاصي التي تصدر عن بعض المؤمنين تأتي من ذلك، فإذا كان القلب واعياً بيوم الجزاء والعقاب مؤمناً به، يستبعد أن تصدر عنه المعصية والعصيان. ومن آمن قلبه بعدم وجود إله إلا الله سوف لن يميل إلى غير الحق تعالى ولا يمدح الآخرين ولن يخاف غيره...

١. مانند الزلزلة (٩٩): ٧-٨، المؤمنون (٢٣)، ١٢-١٦ و تفصيل البحث جاء في تقريرات فلسفة

الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥٢٣ فما بعدها.

٢. المقصود من الاصول الخمسة: اصل التوحيد، والنبوة، والمعاد، والعدل والامامة في اصول عقايد

وكم من أصحاب البراهين العقلية والاستدلالات الفلسفية، يقعون في شرك إبليس والنفس الخبيثة أكثر من غيرهم. إن لأصحاب الاستدلال أرجلاً خشبية^١ وإن هذه الخطوة البرهانية العقلية تتحول إلى خطوة روحانية إيمانية عندما تبلغ مقام القلب من أفق العقل حتى يصدق القلب ما أثبتته الاستدلال عقلياً...

فلو احتملت الآية أن يكون الخطاب فيها لمن بلغ الايمان قلوبهم فإن الأمر بالتقوى لهؤلاء يختلف كثيراً عن الاحتمال الأول. إن هذه التقوى ليست تقوى عن الاعمال غير الصالحة بل هي التقوى عن الالتفات نحو غير الحق، والتقوى عن الاستعانة بغير الحق والعبودية لغيره، والتقوى عن السماح لغيره - جلّ وعلا - للدخول في قلبه. والتقوى عن الاعتماد والتوكل على غير الله. إن ما تراه يعاني منه الجميع من أمثالنا وإن ما يثير خوفنا وخوفك^٢ من الاشاعات ونشر الأكاذيب، يشبه خوفنا من الموت والخلاص من الطبيعة يجب تجنبه. ففي هذه الحالة فإن المراد من قوله: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ هو الأعمال القلبية التي لها صورة في الملكوت وصورة أخرى فيما فوقه. وإن الله خير بخطر القلوب.

ولا يعني ذلك أن تتخلى عن أي نشاط وتهمل الأمور وتعزل الجميع وتترك كل شيء وتعش في العزلة إذ أن ذلك يخالف سنة الله وسيرة الانبياء العظام العملية وسيرة الأولياء الكرام. إنهم - عليهم صلوات الله وسلامه - قد بذلوا مساعيهم اللازمة للأهداف الالهية الإنسانية، ولكن لم يكونوا مثلنا إذ نلتفت إلى الأسباب مع الاستقلال، بل كانوا يعتبرون كل شيء في هذا المقام الذي هو من

١. اشارة إلى شعر جلال الدين الرومي المولوي:

پای استدالیان چوبین بود پای چوبین سخت بی تمکین بود

المثنوي، ج الأول، ص ٩٧، هرمس.

٢. خطاب الی ولده السيد احمد.

مقاماتهم العادية، منه - جلّ وعلا - وكانوا يرون الاستعانة بأي شيء الاستعانة بمبدأ الخلق، وهذا أحد الفروق الموجودة بينهم وبين الآخرين. إننا وامثالنا نغفل عن الحق بالنظر إلى الخلق والاستعانة بهم. وكان هؤلاء يعتبرون الاستعانة منه حسب الواقع وإن كانت في الظاهر استعانة بالأدوات والأسباب، وكانوا يعتبرون الأحداث منه وإن هي عندنا حسب الظاهر ليس كذلك. ولذلك فإن الأحداث مهما كانت مؤلمة لنا تعتبر عذبة في مذاق نفوسهم...



[مخاطبة اصحاب الإيمان وخواص أهل المعرفة]

ثالثاً: وهناك احتمال آخر وهو أن يكون الخطاب موجهاً إلى اصحاب الايمان من الخواص من اهل المعرفة المتيمين بمقام الربوبية وعشاق جمال الجميل الذين يرون الكائنات تجلياً للحق بعين القلب والمعرفة الباطنية ويشاهدون نور الله في المرئيات حيث أدركوا بالمشاهدة المعنوية والسير القلبي معنى الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١ رزقنا الله وإياكم.

وعلى هذا الاحتمال فإن الأمر بالتقوى لهذه الطائفة من العشاق والخواص يختلف كثيراً من الآخرين وقد تكون التقوى عن مشاهدة الكثرة^٢ وشهود المرئيات والرآني، وأن تكون تقوى من الالتفات إلى الغير ولو كان في قالب الالتفات إلى الحق عن الخلق أو التقوى عن «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله

١ . النور (٢٤): ٣٥.

٢ . يعني في مقام الكثرة وفي الرجوع الى الخلق يكتسب السالك التقوى ويتجنب الاهتمام بغير الله.

ومعه وبعده^١ فهو مقام اعتيادي للمخلصين من الأولياء؛ إذ أن فيه أثراً من «شيء» وقد يكون تقوى عن مشاهدة: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والتقوى من مشاهدة ﴿هُوَ مَعَكُمْ﴾^٢ أو ﴿وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي لَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٣ أو تكون تقوى عن تجلي جمال الحق في الشجرة من قبيل ما هو عائد إلى مشاهدة الحق في الخلق.

فعلية، فإن الأمر بالنظر إلى (قدمناه لغد) هو حالات مشاهدة الحق في الخلق والوحدة في الكثرة حيث تأخذ صورة مناسبة لها في العوالم الأخرى.



[مخاطبة الخَلَص من الأولياء]

رابعاً: احتمال أن يكون الخطاب موجهاً إلى المخلصين من الأولياء الذين اجتازوا مرحلة مشاهدة الحق في الخلق ومشاهدة جمال الوحدة في الكثرة الحالية، وليس في مرآة مشاهداتهم أثر لغبار الخلق حيث تخلصوا في هذه المرحلة من الشرك الخفي ولكن سلموا قلوبهم لتجليات أسماء الحق وأصبحوا

١. يُحتمل ان تكون هذه الجملة قد جاءت اصطلياداً من الروايات ومنها كلام امير المؤمنين (ع) الذي جاء في الخطبة ٧٩ من نهج البلاغة، ويحتمل ان تكون مستقاة من كلام بعض السالكين كما قال الفيض الكاشاني في عين اليقين، ص ٣٠٥. ونُسب هذا الكلام في كتاب علم اليقين إليه (ع). في هذا المجال، راجع: الاسفار الاربعة، ج ١، ص ١١٧؛ علم اليقين، ج ١، ص ٧٠، (باختلاف ضئيل)؛ الكلمات المكنونة، ص ٣.

٢. الحديد (٥٧): ٤.

٣. الأنعام (٦): ٧٩.

عشاقاً للأسماء حيث جعلتهم التجليات الأسمائية يفنون عن غير الله ولا يشاهدون إلا تجليات الأسماء. ففي هذا الاحتمال إن الأمر بالتقوى هو اتقاء مشاهدة الكثرات الأسمائية والتجليات الرحمانية والرحيمية وسائر أسماء الله وكأنها تناديهم أن ليس هناك منذ الأزل إلى الأبد، الا تجلٍ واحد ويتم تأويل سائر الفقرات بمناسبة هذا الأمر وبعد هذا لا يوجد شاهد ومشاهدة وشهود ويكون الفناء في (هو المطلق) ولا هو إلا هو.



[لهذه الالفاظ معنى اطلاقى]

خامساً: إن أشمل الاحتمالات هو حمل كل لفظة مثل ﴿آمَنُوا﴾ و﴿اتَّقُوا﴾ و﴿انظروا﴾ و﴿ما قدمت﴾ بمعانيها المطلقة وهي كلها مراتب تلك الحقائق التي تعتبر الألفاظ عناوين للموضوع لمعاني غير مقيدة ومطلقة عن الحد والحدود. فلو وجدت احتمالات أخرى فهي تدرج في هذا الاحتمال وهي من مراتبه. ولذلك فهي تشمل كل مجموعة أو طائفة من المؤمنين بمعناها الحقيقي وهي مصاديق للعنوان المطلق وإن هذا الكلام دليل لفهم كثير من الاخبار التي حاولت تطبيق آيات على جماعة أو شخص مما يسبب توهم الاختصاص وهي ليست كذلك؛ بل هي عبارة عن ذكر المصداق أو المصاديق كما ذكر، فإنها من الاحتمالات الدالة على فهم الآية المباركة: ﴿وَلَا تُكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ التي تأتي بعد الآية الكريمة المتقدمة.

وحسب الاحتمالات المتقدمة؛ فإن في هذه الآية الشريفة توجد احتمالات مختلفة المراتب ومتحدة الحقيقة وتناسبها احتمالات ليس هنا مجال لتفصيلها. واكتفى بذكر مسألة واحدة؛ وهي أن نسيان الحق يؤدي إلى نسيان الأنفس سواء كان النسيان يعني عدم التذكر أو الترك، فكلاهما تحذير شديد. إن من ضرورات نسيان الحق تعالى، هي أن ينس الانسان نفسه أو قل يدفعه الله تعالى إلى نسيان نفسه وهو ينطبق على جميع المراحل السابقة، ففي مرحلة العمل فإن من نسى الله وحضوره - جل وعلا - يصاب بنسيان نفسه أو سياق إليه، وينسى عبوديته ويساق إلى نسيان مقام العبودية. وأن يحل الشيطان فيه مكان نفسه وهو الذي لا يدري ما هو ومن هو، ما هو واجبه وما هي عاقبته. إن الشيطان عامل العصيان والطغيان وإن لم ينتبه الانسان وانتقل من هذا العالم في حالة الطغيان والعصيان قد يتحول إلى شيطان مطرود من الحق تعالى. وبمعناه الثاني أي الترك، فإنه أكثر إيلاماً؛ إذ لو أدى ترك طاعة الحق وترك الحق إلى أن يتركه الحق ويكله إلى نفسه وقطع عنه عناياته، لا شك في أن ذلك ينتهي إلى خذلانه في الدنيا والآخرة. وإننا نلاحظ في الأدعية الشريفة المرورية عن المعصومين أنهم يدعون إلى ألا يكلمهم إلى أنفسهم^١ إذ أنهم - عليهم السلام - كانوا يعلمون تبعات هذه المصيبة ونحن عنها غافلون.^٢

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَلْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ١٩

١. جاء في الأدعية: اللهم ولا تكلمني إلى نفسي طرفة عين أبداً. المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٣٨٤ و ج ٨٣، ص ٢٤٣ وكثير من الروايات الأخرى التي نقلها المجلسي في بحار الأنوار.
٢. صحيفة الامام، ج ١٨، ص ٥١٣ رسالة وجهها الى ولده السيد أحمد الخميني؛ نصائح اخلاقية - وعرفانية.

[نسيان النفس]

اعلم أن الإنسان بسبب حب النفس والإعجاب بها يغفل عن نفسه، وربما يرى النقائص والعيوب الموجودة فيها كمالاً وحسناً، والإشتباه بين صفات النفس كثيرة جداً، وقل من يقدر على التمييز بينها تمييزاً صحيحاً، وهذا أحد معاني نسيان النفس، أو أحد مراتبها، الذي يحصل من نسيان الحق تعالى.

وقد أشار إلى ذلك في سورة الحشر الآية ١٩ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^١



[ضرورة معرفة النفس للوقاية من النسيان]

فيجب على الإنسان السالك طريق الحق والطالب للسعادة والنجاة ما دام في هذه الأيام القليلة التي هي عمره الدنيوي، وبمثابة مهلة له، وموضع للتغيير والتبديل ونشأة الاختيار ونفوذ الإرادة ولم يبق منها إلا القليل أن يجد ويسعى ويعرض صفحة نفسه على كلام الله وأحاديث المعصومين عليهم السلام وهما موازين الحق والباطل، وطرق تمييز السعادة والشقاوة حتى يعرف نفسه وباطن حاله من أي حزب هو وفي أي جند؟ أمن حزب الرحمن وجند العقل، أم من حزب الشيطان وجند الجهل؟ فلو جرب نفسه وعرضها على هذا الحديث الشريف الذي نحن بصدد شرحه^٢ ووجد أنها من جنود العقل بأن رأى جنود العقل في

١ . شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١٣١.

٢ . المقصود بهذا الحديث، حديث جنود العقل والجهل (اصول الكافي، ج ١، ص ١٥، باب ١، ح

مملكة روحه هي الغالبة، يشكر الله تعالى ويسعى أن يطهرها من جنود الجهل، وينفذ فيها حكم العقل وجنوده ولا يغتر أبداً بكماله الباطني أو جماله لأن الغرور من أكبر شباك إبليس التي تعيق السالك عن طريق الحق لا بل ترده القهقري.

والمعلوم أن الإنسان ما دام في هذه الدنيا وفي دار الغرور فلو بلغ أي مرتبة من مراتب الكمال والجمال الروحانيين والعدالة والتقوى فقد يرجع ويتغير كلياً، وتنتهي عاقبة أمره إلى الشقاوة والخذلان. إذن لا بد أن لا يغتر بكماله، ولا يغفل عن نفسه ولا يهمل مراعاة أحوالها وأن لا يغفل من جميع الأحوال عن التمسك بالغايات الخفية للحق تعالى، ولا يعتمد أبداً على نفسه وسلوكه ورياضته وعلمه وتقواه حيث إنها من أكبر المهالك الإنسانية والوساوس الشيطانية التي تنسي السالك حتى نفسه، كما قال الحق تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ولو أحس بأن جنود الجهل، وحزب الشيطان هم الغالبون في باطن ذاته ومملكة روحه فلا بد أن يخرجهم بالجد والرياضة، ويفرغ نفسه منهم، ويقطع يد الشيطان اللعين عن التصرف بها. وسنعرض - بمشيئة الله تعالى وتوفيقه - في هذه الأوراق تفسير جنود العقل والجهل ونبين كيفية علاج النفوس، وتطهير القلوب، وتنزيه الأرواح بالمقدار الميسور والمناسب لهذا المختصر.

فليكن معلوماً أنه لا بد لأي إنسان أن يكون هو معالج قلبه وطبيب روحه فإن

١٤، وهو فصل مشيع من كتاب الاربعون حديثاً، وقد كتب المرحوم الامام كتابه شرح حديث جنود العقل والجهل في شرح هذا الحديث بشكل مفصل. في هذا المجال، راجع: الامام الخميني، شرح حديث جنود العقل والجهل، آغاز كتاب، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني.

المريية لن تكون أرحم من الأم. ولا يترك أيام الفرصة والمهلة والتوسعة نفوت منه، فيستيقظ من الغفلة في وقت الاضطرار والضحك والضيق حيث لا ينفعه أي دواء.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢١ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ٢٢

والإنسان المسكين الغافل يهتم بالأمر الدنيوية الزائلة، وهو يعلم ويرى كل يوم أن أهل الدنيا يتركونها ويذهبون متحسرين ومع ذلك يبذل جهده في جمعها وتحصيلها، ويواجه كل ذلة ومشقة، ومحنة وتعب، ولا يحترز من أي عار أو عيب، ولكنه واهن وكسول في تحصيل الإيمان، المتكفل بسعادته الأبدية، ورغم مواعظ الأنبياء والأولياء والكتب السماوية، فهو لا يترك الوهن والتساهل، ولا يتفكر في أيام مصيبته وذلته ومشقته، ولا تؤثر في قلبه القاسي مواعظ القرآن، ووعده ووعيدته، بينما تؤثر في الحجر الصلب وتخضع لها جبال العالم.

نعم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

أيها الإنسان القاسي القلب: فكر وانظر ما هو المرض الذي جعل قلبك أقسى من الحجر الصلب؟ ولا يقبل قرآن الله الذي نزل لنجاتك من العذاب والظلمات. نعم إن حبات الشيطان التي تجلت في نظرك في صورة الدنيا بأصفرها وأحمرها

١. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٥١.

٢. سورة الحشر: ٢١.

قد سدت طريق سمعك وبصرك، وجعلت قلبك منكوساً^١.



[نزول القرآن مقروناً بالحجب]

قال صدر الحكماء المتألهين و شيخ العرفاء الكاملين، قدس سره، في الاسفار: «اعلم أيها المسكين، ان هذا القرآن انزل من الحق الى الخلق مع الف حجاب، لأجل ضعفاء عيون القلوب و اخافيش ابصار البصائر. فلو فرض ان باء «بسم الله» مع عظمتها التي كانت له في اللوح نزل الى العرش لذاب و اضمحل، فكيف الى السماء الدنيا. و في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَلْزَمْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ إشارة الى هذا المعنى.. انتهى ما اردنا من كلامه، رفع الله مقامه. و هذا الكلام صادر عن معدن العلم و المعرفة مأخوذ من مشكاة الوحي و النبوة.

و انا اقول: ان الكتاب التكويني الإلهي و القرآن الناطق الرباني ايضاً نازل من عالم الغيب و الخزينة المكنونة الإلهية، مع سبعين الف حجاب لحمل هذا الكتاب التدويني الإلهي، و خلاص النفوس المنكوسة المسجونة من سجن الطبيعة و جهنمها، و هداية غرباء هذا الديار الموحشة الى اوطانها، و إلابان تجلى هذا الكتاب المقدس و المكتوب السبحاني الأقدس بإشارة من اشاراته و غمزة من غمزاته يرفع بعض الحجب النورية للسموات و الارضين لأحترقت اركانها او للملائكة المقربين لاندكت إتياتها. و نعم ما قيل:

احمد ار بگشايد آن پرّ جليل تا ابد مدهوش ماند جبرئيل^١
 فهذا الكتاب التكويني الإلهي و اوليائه، الذين كلهم كتب سماوية، نازلون
 من لدن حكيم عليم و حاملون للقرآن التدويني. و لم يكن احد حاملاً له بظاهره
 و باطنه إلا هؤلاء الأولياء المرضيين، كما ورد من طريقهم، عليهم السلام.
 فمن طريق الكافي عن أبي جعفر، عليه السلام، انه قال: «ما يستطيع احد أن
 يدعي أن عنده جميع القرآن كله، ظاهره و باطنه، غير الأوصياء»^٢
 و من طريق الكافي ايضاً عن جابر قال: «سمعت ابا جعفر، عليه السلام، يقول:
 «ما ادعى احد من الناس انه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب. و ما جمعه و
 حفظه كما انزله الله تعالى الا علي بن ابي طالب و الأئمة من بعده، عليهم
 السلام»^٣. و منه ايضاً عن أبي عبد الله عليه السلام، انه قال: «و عندنا - و الله -
 علم الكتاب كله»^٤.

١. المشوي المعنوي، ج الرابع، ص ٢٧٦.

٢. اصول الكافي، ج ١، ص ٢٢٨، كتاب الحجّة، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة (ص)، ح ٢.

٣. المصدر السابق، ص ٢٢٨، ح ١. المقصود من الجمع والحفظ ليس الجمع والحفظ الظاهري الذي
 يطرح في اصطلاح علوم القرآن؛ وذلك لأن ثمل هذا الجمع حصل بداية في عهد النبي وبعد
 وفاة علي يد الامام علي عليه السلام (أو على يد الخلفاء بناءً على بعض الأقوال، ولا معنى للقول بأن
 الأئمة اللاحقين قاموا بذلك، وانما المقصود بهذا الكلام انهم نهضوا بمهمة حفظ القرآن وصيانه
 وتبينه وتفسيره، كما جاء في الرواية السابقة التي عبرت عن هذا المعنى بلفظي ظاهره و باطنه.
 وللإطلاع على مزيد من التفصيل حول هذا الحديث والشبهات التي وردت في هذا المجال،
 راجع: كاوش در جمع قرآن = (بحث حول جمع القرآن) لكاتب الهوامش.

٤. المصدر السابق، ص ٢٢٩، ح ٥.

٥. شرح دعاء السحر، ص ٥٧.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٢٣ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٢٤

[جامعية اسم الله على سائر الأسماء]

إياك و أن تظنّ من قولنا: إنّ مرتبة الاسم ﴿الله﴾ الأعظم أقرب الأسماء إلى عالم القدس و أوّل مظاهر الفيض الأقدس باعتبار اشتماله على كلّ الأسماء و الصفات، أنّ سائر الأسماء الإلهية غير جامعة لحقائق الأسماء، ناقصة في تجوهر ذاتها. فإنّ هذا ظنّ الذين كفروا بأسماء الله و يلحدون فيها، فحجبوا عن أنوار وجهه الكريم. بل الإيمان بها أنّ تعتقد أنّ كلّ اسم من الأسماء الإلهية جامع لجميع الأسماء مشتمل على كلّ الحقائق. كيف، و هي متّحدة الذات مع الذات المقدّسة، و الكلّ متّحد مع الكلّ؛ و لازم عينيّة الصفات مع الذات و الصفات بعضها مع بعض ذلك. و أمّا قولنا: إنّ الاسم الكذائي من أسماء الجلال، و ذلك من أسماء الجمال، و هذا «الرحيم الرحمن»، و ذلك «القهار الجبار»، باعتبار ظهور كلّ فيما اختصّ به، و أنّ ما يقابله باطن فيه: ف «الرحيم» تكون الرحمة فيه ظاهرة، و السخط باطنا فيه. و الجمال ظهور الجمال بطون الجلال؛ و الجلال بالعكس. و «الظاهر» مختف في الباطن، و «الباطن» مستكنّ في الظاهر. و كذا «الأوّل» في الآخر، و «الآخر» في الأوّل. و أمّا اسم «الله» الأعظم، ربّ الأسماء و

١ . شرح دعاء السحر، ص ٥٧.

٢ . الاشارة الى آية الشريعة: ﴿...و ذُرُوعًا الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ...﴾، (الأعراف (٧): ١٨٠). و هذه

الأرباب، فهو في حدِّ الاعتدال والاستقامة؛ وله البرزخية الكبرى^١: لا الجمال يغلب جلاله، ولا الجلال جماله؛ لا الظاهر حاكم على باطنه، ولا الباطن على ظاهره. فهو الظاهر في عين البطون، والباطن في عين الظهور، والأول بعين الآخرة، والآخر بعين الأولية. فاعرف ذلك، فإنه باب واسع للمعرفة... فانظر، أيها السالك سبيل الحق، إلى الآيات الشريفة في أواخر «الحشر» وتدبر فيها بعين البصيرة. وهي قوله تبارك و تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

صدق الله العلي العظيم. فانظر كيف حكم، تعالى شأنه، في الآي الثلاثة الشريفة باتحاد حضرة الإلهية مع غيب الهوية باعتبار اندكاكها في ذاته و استهلاكها في إتيته. ثم، حكم، تعالى شأنه، باتحاد الصفات الجمالية والجلالية و الأسماء الذاتية والصفاتية و الأفعالية على الترتيب المنظم مع الذات الأحادية.

١. المقصود بالبرزخية الكبرى، هو ان يكون هناك تعادل بين الأسماء وتوازن، مثلما ان البرزخ يقع

كحد وسط بين الدنيا والآخرة، وفيه بعض من اوصاف واحوال هذه، وبعض من اوصاف واحوال

ففيها إشارة لطيفة إلى ما قدمنا لمن «ألقى السمعَ وَهُوَ شَهِيدٌ»^{٢١}.

[تقسيم الأسماء الإلهية]

قد اورد بعض مشايخ اهل المعرفة^٤ في كتاب «انشاء الدوائر» تقسيماً للاسماء الى «اسماء الذات» و«اسماء الصفات» و«اسماء الافعال»...
وقد قيل في شأن المعيار في هذا التقسيم: ان الاسماء وان كانت جميعاً اسماء للذات ولكنها تسمى اسماء ذاتية بلحاظ ظهور الذات، وتسمى صفاتية وافعالية بلحاظ ظهور الصفات والافعال.
اي ان الاسم يتبع الاعتبار الأظهر، لذا قد يحدث أن يجتمع في بعض الاسماء

١. ق (٥٠): ٣٧.

٢. موضوع الاسماء الالهية التي طرحت في هذه الآية أصبحت مشاراً لبحوث معمقة في العرفان النظري؛ وذلك لأن العرفاء يعتقدون ان مقام الذات لا يخضع للمعرفة ويقع وراء الفكر والشهود. وهذه الأسماء هي التي تعكس صورة من المعنى وتمثل تجلياً لله وتقع في مرتبة متأخرة عن الذات. ومن جانب آخر فان هذه الكلمات مهما تعددت فهي تشير في الواقع الى صفة واحدة من صفات الله، وهذا يعني انها ليست ذات مفهوم واحد (وان كانت الذات واحدة) وانما ذات رابطة ثنائية؛ فهي مرتبطة بالذات من جهة، ومن جهة اخرى ترتبط بالتكثر والتنوع والظهور وابداء المظاهر في العالم، وهي تبيّن الجوانب المختلفة للفيض الالهي. حول هذا الموضوع، راجع: رحيمان، سعيد، مجموعة آثار، مؤتمر الأفكار الأخلاقية العرفانية، ج ٤، ص ٢١٠.

٣. مصباح الهداية، ص ١٩ - ٢١.

٤. المراد به الشيخ الاكبر محيى الدين العربي صاحب كتاب فتوحات المكية، و مؤسس عرفان النظري.

٥. ابن عربي، محيى الدين، انشاء الدوائر، ص ٢٨.

اعتباران او أكثر، فيكون الإسم احياناً من الاسماء الذاتية الصفاتية الافعالية، او من نوعين منها كما هو الحال مثلاً مع اسم «الرب» - كما تقدم ذكره ..
 وإني لا أستسيغ هذا الرأي، كما أنه لا يطابق الذوق العرفاني، وما يمكن ان يقال بشأن هذا التقسيم: هو ان المعيار في هذه الاسماء يعتمد على تحقيق الفناء الافعالي للسالك بقدم المعرفة، إذ إن الحق تعالى سيتجلى بعدها في قلبه تجليات بأسماء الأفعال.

أما بعد الفناء الصفاتي، فإنه تعالى سيتجلى بالتجليات الصفاتية.

وكذا فإنه تعالى سيتجلى له بتجليات اسماء الذات بعد الفناء الذاتي.

فاذا كان قلبه قادراً على الحفظ، فإن ما يخبر عنه - بعد الصحو من المشاهدات الافعالية - هو اسماء الافعال، وما يخبر عنه في المشاهدات الصفاتية، هي اسماء الصفات، وهكذا هو الحال مع اسماء الذات. وفي المقام تفصيل يخرج عن وسع هذه الصفحات.

يبقى أن نقول بأن المذكور في «انشاء الدوائر» لا يصح بناءً على نفس المعيار الذي وضعه صاحبه، كما يتضح ذلك من خلال ملاحظة الاسماء.

ويمكن القول بأن القرآن الكريم، قد اشار الى هذا التقسيم - الى «الاسماء الثلاثة» - وذلك في الآيات الأواخر من سورة الحشر الشريفة. يقول تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ...﴾ الآيات.

فعل أولى الآيات - المقصودة - تشير الى الاسماء الذاتية، وثانيها، تشير الى الاسماء الصفاتية، وثالثتها تشير الى الاسماء الافعالية.

وتقديم ﴿الذاتية﴾ على ﴿الصفاتية﴾، والاخيرة على ﴿الافعالية﴾، انما هو بحسب ترتيب الحقائق الوجودية والتجليات الالهية، لا بحسب ترتيب مشاهدات اصحاب المشاهدة، والتجليات الحاصلة في قلوب ارباب القلوب.

وتجدر الإشارة الى ان في هذه الآيات الكريمة أسراراً اخرى لا يناسب ذكرها المقام. اما كون الآية الثانية تشير الى الاسماء الصفاتية والثالثة الى الأسماء الالغالية فأمر واضح. اما كون ﴿الْمُغْتَبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ و﴿الرَّحْمَنُ﴾ و﴿الرَّحِيمُ﴾ من الاسماء الذاتية، فيستند الى كون ﴿الْمُغْتَبِ﴾ و﴿الشَّهَادَةِ﴾ عبارة عن الاسماء الباطنة والظاهرة، وان «الرحمانية» و«الرحيمية» هي من تجليات «الفيض الاقدس» وليس «الفيض المقدس»^١.

وتخصيص هذه الاسماء «بالذكر» رغم أن «الحي» و«الثابت» و«الرب» وامثالها تبدو أقرب للاسماء الذاتية، لعلها ناشئة من إحاطتها، إذ إنها من أمهات الاسماء والله العالم.^٢

[الله، من الأسماء الإلهية الجامعة]

وجعل الله تبارك وتعالى أسماءً يُدار تحتها عالم الشهود والغيب والعقول والمجردات والنفوس والاجسام وكل ما كان. وبعض هذه الأسماء يحيط

١. الفارق بين الفيض الأقدس والفيض المقدس هو أن احدهما التجلي العلمي لله، والآخر يمثل التجلي العيني والخارجي للهِز وبعبارة اخرى ان تجلي الذات على الذات الذي يبعث على تحقق الأسماء والصفات هو الفيض الاقدس، والتجلي الذي يضمن العينية على الموجودات هو الفيض المقدس. وفي الفيض الاقدس ليست ثمة شائبة للكثرة الوجودية. ولهذا اذا كان للرحمانية والرحيمية طابعاً كلياً ومرتباً بالذات، وغير دال على الكثرات الخارجية، فهو من تجليات الفيض الاقدس. وبما ان هاتين الصفتين بالنحو الذي لا يدع فاصلاً بين المُفِيض وملتقى الفيض، فهي تحصل عليها من تجليات الفيض الاقدس. وللمزيد من التفصيل، راجع: مصباح الهداية، مقدمة السيد جلال الدين الآشتياني، ص ١٧ - ٢٠.

٢. آداب الصلاة، ص ٢٥٨؛ وأيضاً، راجع: تفسير آية البسملة، ص ١٦٤ - ١٥٧ - ٣٩ - ٣٧.

بالبعض، وبعضُ منها مُحاط ببعضٍ آخر. والكلمة الجامعة والمحيطة والاسم الأعلى المحيط بكلّ الأسماء وبالعالم كلّهُ هي الكلمة المباركة "الله" و"الرحمن" و"الأوّل" و"الآخر" و"الظاهر" و"الباطن"، وهي ما أُشير إلى بعض منها في الآية التالية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾،^١ وأشير إلى البعض الآخر منها في سورة الحشر المباركة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.^٢

وبالجملة: فإن هذه أوّل مرتبة ظهور من مرتبة الأسماء، وبعض هذه الأسماء محيطة مثل اسم السرمد الذي يحيط بجميع الأسماء؛ لأنّ كلّ الأسماء سرمدية "لا أوّل لأوّلِهِ ولا آخر لآخرِهِ"^٣، العالم السرمدي، القادر السرمدي، القاهر السرمدي، الرحيم السرمدي، الكريم السرمدي، الغني السرمدي.^٤



١ . الحديد (٥٧): ٣.

٢ . الحشر (٥٩): ٢٢ - ٢٤.

٣ . إشارة إلى مسألة يقول به الفلاسفة الالهيون وهي ان الله عز وجل هو الاول، الا ان هذه الاولية لا تُعزى إلى أوليّته؛ وذلك لأن لا يمكن وصف موجود بأنه كان ولكنه لم يكن شيئاً . فالله تعالى دائم الفيض . واذ وصفناه بالأوّل الذي لا أوّل غيره فنحن نقول بقبض الفيض، وكذلك الآخر ولكن ليس من آخر ينقضي فيضه، والا لكان يفترض ان تصور بد الله مغلوله. وهذا ما ينفيه القرآن الكريم صراحة: ﴿بَدَأَ اللَّهُ مَقْلُوبَةً عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ . وللإطلاع على المزيد حول هذا الموضوع، راجع ما جاء في ذيل الآية.

٤ . تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٧٥ - ٧٦.

محدودية الإنسان تؤدي إلى المحدودية في التعريف بالخالق ومعرفة

وكذلك إذا تحدثوا أمام من لا يملك عيناً تبصر الحقيقة، عن حرارة يوم القيامة، يقول: انها أشد قليلاً من حرارة جو الصيف هنا. وإذا تحدثوا عن الافاعي والمقارب هناك يظن انها أطول قليلاً من عقارب وأفاعي الدنيا.

وبما اننا عُمي، لم يكن أمام المعرف بدء من تعريف الوجود بالبعير، فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^١، أو أن يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^٢. وماذا كان للرسول ان يعمل في مقام تعريف الله لجماعة لم تكن تعرف سوى الإبل وما كانت تقوم وتقعده إلا معها؟ ينبغي طبعاً تعريف الله لهم بهذا النحو. ولكن كم اليأس بين هذا وبين التعريف الذي يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^٣، أو ما جاء في الآيات الأولى من سورة الحديد وآخِر سورة الحشر حيث يقول: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^٤ ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^٥ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْقَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^٦.

١. الفاشية (٨٨): ١٧.

٢. ابراهيم (١٤): ١٩.

٣. الفرقان (٢٥): ٤٥.

٤. الحديد (٥٧): ٣ - ٤.

٥. الحشر (٥٩): ٢٢ - ٢٤.

٦. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٢٢٤.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ ٤

[مقام المجاهد في سبيل الله مقام الحب]

﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أنى يكون لفكر البشر الضنين إدراك هذا الأجر العظيم الذي خطته يد القدرة الالهية ووعد به العظيم المطلق، وكان هذا الأجر الكبير يتمثل بحب الله تعالى، كما جاء في سورة الصف المباركة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾. أي فيلسوف بارع قدير أو عارف حكيم خبير باستطاعته أن يعي مقدار الحب والقرب الالهي ليفوه بكلمة عن ذلك أو يطلق العنان لقلمه ليعبر عما يخالجه ويجول في فكره؟ هل إن حب الناقل الناتج عن التقرب

الى البشر يوصله الى الملكوت الأعلى، فيصبح الحق تعالى سَمِعَهُ وبصره وقلبه بجاذبيته الغيبية، ولا يرى إلا يبصر الحق ولا يسمع إلا بسمعه ولا يعلم إلا بعلمه، فيرتفع الحجاب ويرى الأشياء كما هي، كما هو المنقول: «اللهم أرني الأشياء كما هي»،^١ أو إن القرب فريضة يفنى فيها الشخص و يحصل الصعق^٢ فتزول الذات حينئذ وترحل الكثرة بكل ما لكلمة الرحيل من معنى، فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا يبقى باطن ولا ظاهر، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^٣، ثم لا يبقى وجود لسبيل الله ويعفى أثره.^٤

﴿وَأُخْرَىٰ تُجِوِلُهَا نَصْرًا مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحَ قَرِيبًا وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٣

[معنى الفتح القريب]

فما دامت الأعضاء والقلب في تصرف الشيطان أو النفس فمعبد الحق والجنود الإلهية مغضوب، ولا تتحقق عبادة الحق تعالى فيه، وتقع العبادات للشيطان أو النفس، وبمقدار ما تخرج من تصرف جنود الشيطان تقع مورداً لتصرف الجنود الرحمانية حتى تقع الفتوحات الثلاثة يعني الفتح القريب وهو عندنا فتح الأقاليم السبعة بإخراج الجنود الشيطانية منها ونتيجته التجلي بالتوحيد

١. راجع: عوالى اللثالي، ج ٤، ص ١٣٢، كذلك الأملي، السيد حيدر، المحيط الاعظم، ج ١، ص ٣٠٣ و الشيرازي صدر المتألهين، تفسير القرآن الكريم، ج ٢، ص ٣٤٢. وهذه الجملة لم ترد في المصادر الحديثية المعتبرة، واكثر ما تناقلتها الكتب العرفانية.

٢. الصعق بمعنى الاغماء من شدة الدهشة المعنوية او الرهبة من سماع الاصوات المرعبة. والعرفاء يستعملون الصعق عندما يحصل التجلي ويسلب منه الانتباه الى عالم الناسوت.

٣. الحديد (٥٧): ٣.

٤. صحيفة الامام، ج ٢٠، ص ٣٩٠ - ٣٩١.

الأفعالي: ﴿نُصِرْ مِنْ اللَّهِ وَفُتِحَ قَرِيبٌ﴾^١ والفتح المبين وهو فتح كعبة القلب بإخراج الشيطان الموسوس فيها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^٢ والفتح المطلق وهو ترك الرسوم الخلقية وإفناء التعينات الشهادية والغيبية: ﴿إِذَا جَاءَ نُصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^٣ وبعد هذا الفتح، تكون جميع التصرفات إلهية وتحصل نتيجة قرب النوافل.^٤

[في نظر العرفاء فتح ابواب المعارف فتح قريب]

إن ﴿الْفَتْحُ﴾ في مشربهم عبارة عن فتح أبواب المعارف والعارف والعلوم والمكاشفات على الإنسان من قبل الحق سبحانه بعد أن كانت موصدة في وجهه ومغلقة عليه. فمادام الإنسان في البيت المظلم للنفس، وأنه مشدود بالتعلقات والرغبات النفسية، تكون أبواب المعارف والمكاشفات عليه مسدودة، وعندما يغادر هذا البيت المظلم ببركة ترويض النفس، وأنوار الهداية، وإجتياز منازل النفس، تنفتح أبواب قلبه عليها - العلوم والمكاشفات - وتلقى المعارف في قلبه، ويصبح من ذوي مقام «القلب» ويدعى هذا الفتح «بالفتح القريب»، لأنه أول الفتوحات وأقربها. ويقال بأن الآية المباركة: ﴿نُصِرْ مِنْ اللَّهِ وَفُتِحَ قَرِيبٌ﴾^٥ تشير إلى هذا الفتح.

١ . الصف (٦١): ١٣.

٢ . الفتح (٤٨): ١.

٣ . النصر (١١٠): ١.

٤ . سر الصلاة، ص ٦٠.

٥ . يعني فتح الاقاليم السبعة واخراج جنود الشيطان من القلب في سير السالك، ونتيجته التجلي بالتحديد الأفعالي. في هذا المجال راجع: سر الصلاة، ص ٦٠.

ومن الواضح أن هذا: ﴿الْفَتْحُ﴾ وكافة الفتوحات تتم بعون الله وإمداده ونور الهداية وجاذبية الذات المقدسة سبحانه عز وجل.^١





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْبُحُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ١

[المراد من تسبيح جميع الموجودات]

إعلم أنه قد تقرر في محله أن حقيقة الوجود، عين جميع الكمالات والأسماء والصفات، كما أن الوجود الخالص المحض عين الكمال المحض الخالص. ولهذا حيث أن الحق المتعالي جل شأنه يكون وجوداً صرفاً، فهو كمال صرف، وأنه سبحانه عين جميع الأسماء والصفات الجمالية والجلالية. وفي الحديث «عِلْمٌ كُلُّهُ، قُدْرَةٌ كُلُّهُ»!

وقد ثبت بالبرهان أن حقيقة الوجود، في المرابا - العالم - عين جميع

١ . جاء هذا التعبير في الأدعية المنقولة عن اهل البيت، مثل لك العز كله ولك السلطان كله، ولك القدرة والجبروت كُلُّهُ . راجع: بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ١٧٩ و ٢٩٨ وكذلك يقول الفارابي يقول في الفصوص: وجود كُلُّهُ، قدرة كُلُّهُ، ص ٢٥٣ و ٤١٦.

الكمالات، وإنه لا يمكن البتة تجريد الكمالات من الوجود، لكنّ ظهور الكمالات، يكون بقدر سعة وضيق الوجود، وصفاء وكدورة المرآة. ولهذا تكون كافة الكائنات الوجودية، آيات ذاته تعالى ومرآة أسمائه وصفاته. وهذا الموضوع رغم أنه مبرهن عليه، بل قلّما تجد مسألة فلسفية تبلغ مستوى الموضوع المبحوث عنه هنا في الإحكام والقوة، واتقان الدليل. فهو مطابق لمشاهدات أصحاب الشهود، ومذاق أرباب المعرفة، وموافق مع الآيات الكريمة، وأخبار أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام). كما أشار كتاب الله سبحانه في عدة مواضع، إلى تسييح الموجودات بأسرها: ﴿يَسِّحُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ﴾^١.

ومن الواضح جداً أن التسييح والتقديس والثناء، يتطلّب العلم والمعرفة لمقام الذات المقدسة - للحق جلّ شأنه - ومن دون العلم والمعرفة لا يمكن التسييح والتقديس والتحميد. وقد تولّت الأحاديث بيان هذا الموضوع الشريف بكل صراحة ووضوح لا يقبل أي توجيه وتأويل. ولكن ذوي الحجاب والمحجوبين من المعارف الإلهية، من أهل الفلسفة التقليدية وذوي الجدل، قد أولوا كلام الله، تأويلاً باهتاً، فمضافاً إلى أنه مخالف لظاهر الآيات الكريمة ونصوص القرآن الكريم^٢،

١. في هذا المجال تحدث محي الدين بن عربي حول هذا الموضوع بالتفصيل ونقد آراء الحكماء وخاصة في مسألة التسييح. راجع: الفتوحات المكية، ج ٣، ص ٢٥٧. وفي نقد الحكماء، الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٢٩٠.

٢. الأسراء (١٧): ٤٤.

٣. المقصود من النصوص من الآيات، الآية ﴿أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (حم السجدة (٣٢))، (٢١) التي تنص على نطق جميع الموجودات.

يكون حديثهم بعض الموارد، مثل قصة تكلم النمل في سورة «النمل»^١ المباركة، مخالفاً للنصوص الكثيرة الواردة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام)^٢ ومخالفاً لبراهين الحكمة القوية أيضاً. ولا يتناسب ذكر البراهين مع مقدماتها وحجم هذا الكتاب المختصر. فتسييح الموجودات للحق المتعالي يكون عن وعي وشعور. وفي الحديث عن الباقر (عليه السلام) قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله):

«إِنِّي كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْإِبِلِ وَالغَنَمِ وَأَنَا أَرْعَاهَا - وَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ - فَكُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا [قَبْلَ النَّبُوَّةِ] وَهِيَ مَتَمَكِّنَةٌ فِي الْمَكِينَةِ مَا حَوْلَهَا شَيْءٌ يُهَيِّجُهَا حَتَّى تَذَعَرَ فَتَطِيرُ، فَأَقُولُ: مَا هَذَا؟ وَأَعْجَبُ حَتَّى جَاءَنِي جِبْرِئِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الْكَافِرَ يُضْرَبُ ضَرْبَةً مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئاً إِلَّا سَمِعَهَا وَيَذَعَرُ لَهَا إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»^٣.

ويقول أهل المعرفة أن الإنسان أكثر الموجودات بعداً وحجاباً عن الملكوت مادام هو منهمك بعالم الملك وشؤونه، لأن اشتغاله أكثر من الكل وأقوى، فيكون احتجابه أكثر من الجميع، وحرمانه عن الوصول إلى عالم الملكوت أعظم.^٤

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

١. اشارة إلى الآيات ٢٠-٢٤ من سورة النمل التي قدم فيها الهدهد تقريراً مفصلاً حول ملكة سبأ الى النبي سليمان، وفهمه النبي سليمان وقام باجراءات بناء عليه. ونفهم من هذه القصة ان الحيوانات تستطيع التسييح وتسييحها بالنطق. في هذا المجال راجع: الطباطبائي، الميزان، ج ١٩، ص ١٤٤، كذلك جمع محمود محمود غراب من آثار محيي الدين بن عربي، رحمة من الرحمن في اشارات القرآن، ج ٢، ص ٥٤٤. تفسير الجامع لاحكام القرآن؛ القرطبي، ج ١٣، ص ١٦٩ - ١٧٦.

٢. من باب المثال، راجع: تفسير العياشي، ج ٢، ص ٣١٦، ح ٧٩-٨٤.

٣. الفروع من الكافي؛ ج ٣، ص ٢٣٣، ح ١.

٤. الاربعون حديثاً، ص ٤١٦ - ٤١٧.

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾

[الغاية من بعث النبي ومعنى كونه أمياً]

يذكر سبحانه وتعالى الدافع والهدف من البعثة في هذه الآية؛ وهو أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل رسولا من بين هؤلاء ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ الذين لا عهد لهم بالتربية والتعليم الإلهي حتى يتلو آيات الله عليهم، ويقوم بتربيتهم وفق التعاليم الإلهية، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. تشتمل هذه الآية على مواضع كثيرة حول أهمية تربية المعلم وأهمية التعليم والتعلم - ففي قوله «هو الذي» دلالة واضحة على مدى أهمية هذا الموضوع وعظمته حتى نسبه إلى نفسه إذ يقول: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا﴾ من بين الناس، وجميع الناس أميون، حتى الذين تعلموا وعرفوا حسب الظاهر بعض العلوم والصناعات ومطلعين على بعض المسائل، لكن في الحقيقة جميعهم أميون وجميعهم في ضلال مبين طالما أنهم لم يتلقوا بعد التربية السليمة من قبل الله وذلك من خلال أنبيائه ورسله.^١

[المغزى من تقدم التزكية على التعليم]

[في آية الشريفة: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾] قدم التزكية على تعليم الكتاب والحكمة، ياناً عن سمو قدرها في الحياة على كل شيء. وآيات القرآن الشريفة زاخرة بفرائد المعاني في كل ذرة من ذراتها، وليست مثل أثر

١. صحيفة الامام، ج ١٣، ص ٥٠٤ - ٥٠٣، من كلمة ألقاها في حشد من طلبة كلية التربية في شيراز،

واصفهان، وارك، ويزد؛ صحيفة النور، ج ١٣، ص ٢٦٥.

كاتب بلا غاية من الممكن ألا
يراعي فيه التقديم والتأخير.^{٢١}

[التزكية عمل الأنبياء]

جاء الأنبياء ليصلحوا الناس، ليزكوا نفوس الناس ويطهروها .. هذا هو عمل

١ . قدم الله تبارك وتعالى التزكية على العلم في ثلاثة مواضع، هي: الآية ١٥١ من سورة البقرة، والآية ١٦٤ من سورة آل عمران، وقال في الآية ٢ من سورة الجمعة: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾. واما في الآية ١٢٩ من سورة البقرة فقد قدم تعليم الكتاب والحكمة على التزكية وقال: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾. ولكن لماذا جاء كلام الله على هذا النحو؟ وهل في التقديم والتأخير معنى خاصاً؟ أم لا يحمل أي مغزى ولا يدل على تقديم أي منها على الآخر؟ أم ان التزكية مقدمة على التعليم؟ لقد دار كلام كثير حول هذا الموضوع.

ويبدو ان الآية الواردة في سورة البقرة تركّز على جوانب معينة من الموضوع، وهو ما يختلف المفسرون بشأنه، الا ان المرحوم الامام كان له رأيه في هذا الموضوع وقد بيّنه صراحة في ذيل الآية ١٦٤ من سورة آل عمران، وأعلن ان التزكية مقدمة وان لهذا التقديم مغزاه.

وفي هذه الحالة لعل سبب اختلاف الآية الواردة في سورة البقرة عما سواها يعزى الى ان النبي ابراهيم قد دعا الله ليعت انبياء في ارض مكة، الا ان الله عز وجل بيّن هذا الطلب مقروناً بالمنّ على المؤمنين وصحح الدعاء بما يتطابق مع ما فيه الصلاح ويتصف بالأهمية. ولهذا فلا ضرر في مثل هذا التقديم في موضعين، وحصول خلاف ذلك في موضع آخر. ولاجل الاطلاع على المزيد من التفصيل حول هذا البحث راجع ما كتبت في ذيل الآية ١٦٤ من سورة آل عمران.

٢ . صحيفة الامام، ج ٨، ص ٢٥٤، من كلمة ألقاها في حشد من نساء مدينة لنغروود، ومتسبي حرس الثورة الاسلامية في همدان؛ صحيفة النور، ج ٧، ص ١٧٩.

[تَقَدَّمَ التَّرْكِيزُ عَلَى التَّعْلِيمِ]

تعتبر مسألة التربية أعظم وأكثر أهمية من مسألة التعليم... ان مسألة تزكية النفس أكثر أهمية من مسألة تعليم الكتاب والحكمة، وهي مقدمة لأن يقع الكتاب والحكمة في نفس الإنسان.^٢

اذ إنَّ جميع القضايا من أجل المعنويات. والأنبياء الذين جاءوا ونشروا الأحكام إنما فعلوا ذلك من أجل تزكية الناس.^٣



[عاقبة عدم الاهتمام بالتزكية]

غاية البعثة هذه التزكية، فغاية مجيء الأنبياء هي التزكية وبعدها التعليم. فلو أن النفوس لم تزك ولم ترب ثم دخلت أي ساحة، في ساحة التوحيد، في ساحة المعارف الإلهية، في ساحة الفلسفة، في ساحة الفقه، في ساحة السياسة، في أي ساحة دخلت، الأشخاص الذين لم يزكوا نفوسهم ولم تصفو ولم يتحرروا من

١. صحيفة الامام، ج ٩، ص ١٣٦، من كلمة ألقاها في حشد من اعضاء الانحاد الاسلامي في الصحة والرفاه الاجتماعي؛ صحيفة النور، ج ٨، ص ١٦٢؛ وأيضاً، راجع: صحيفة الامام، ج ٩، ص ٣٣٥ - ٣٣٤.

٢. صحيفة الامام، ج ١٣، ص ٥٠٥، من كلمة ألقاها في حشد من طلبة كلية التربية في شيراز، واصفهان، وارك، ويزد؛ صحيفة النور، ج ١٣، ص ٢٦٦.

٣. صحيفة الامام، ج ١٩، ص ٥١، من كلمة ألقاها في حشد من المسؤولين العسكريين والمدنيين ومختلف ابناء الشعب؛ صحيفة النور، ج ١٩، ص ٥٥.

هذا الشيطان الباطني، فإن خطرهم على البشر هو خطر كبير. فيجب على الأشخاص الذين يريدون أن يربوا آخرين في هذا العالم، أن يكونوا قد زكوا أنفسهم سابقاً وربوها ويجب على الأشخاص الذين يأخذون زمام الأمور إذا لم يريدوا أن يطفوا ولا يفعلوا أعمالاً شيطانية، أن يزكوا أنفسهم، والبعثة كانت لتزكية الجميع.

إن هذا التهذيب ضرورة أكثر لرجال الدولة وللسلاطين ولرؤساء الجمهوريات وللدول وللمسؤولين أكثر من الناس العاديين^١... فالحروب الكبيرة التي حصلت في الدنيا، كالحرب العالمية الأولى والثانية، كانت؛ لأن الطغيان كان في تلك الطبقات العليا. تلك الطبقة العليا التي لم تكن مهذبة طغت...^٢

[المعرفة وحدها لا تؤذي إلى التزكية]

إنّ العلم لا يهذب الإنسان، بل قد يبعث به إلى جهنم، وعلّم التوحيد قد يرسل الإنسان كذلك إلى جهنم، وعلّم العرفان قد يرسل الإنسان إلى جهنم أحياناً، وأحياناً يرسل علم الفقه الإنسان إلى جهنم، وقد يرسل علم الأخلاق

١. يركز سماحة الامام على الضبط الداخلي للنفس في ما يخص السلطة واهمية تزكية النفس بالنسبة الى رجال الدولة والحكم. وبغض النظر عما كان يتصف به من رؤية حساسة تجاه مخاطر السلطة، فهذا مما يُفصح عن فكره الاجتماعي في التفسير ويسلط الضوء على هذه المسألة وهي انه مهما تعددت الطرق والاساليب الخارجية لمراقبة السلطة مثل حرية الصحافة، والانتخابات الحرة والتنافسية، والاستناد الى رأي الشعب، والنظام الديمقراطي، تبقى مسألة تهذيب النفس والوازع الداخلي امراً وان كان لا يتي ذكر القلب مباشرة.

٢. صحيفة الامام، ج ١٤، ص ٣٩٢-٣٩١، من كلمة ألقاها في حشد من مختلف اهالي تبريز؛ صحيفة النور، ج ١٤، ص ٢٥٥-٢٥٤؛ وأيضاً، راجع: صحيفة الامام، ج ١٤، ص ٣٨٨-٣٨٦.

الإنسان إلي جهنم. فالإنسان لا يصلح بالعلم؛ بل بالتزكية، فالتزكية مقدمة على كل شيء.^١

[يجب اقتران العلم ببناء الذات]

إن العلم وحده ليس له أية فائدة. فالعلم الذي لا يرتبط بالتربية والتزكية ليس له فائدة... فكذلك حال الذين يخزنون شتى أنواع العلوم والمعارف في باطنهم دون أن يقوموا بتربية نفوسهم وتزكيتها، فهؤلاء علومهم ليست لها أية فائدة، بل إنها في جميع الأحيان مضرّة...

العلماء الذين يجلبون الدمار للبشرية هم أسوأ من الناس العاديين وضررهم أكثر من أي شخص آخر.^٢

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِنَسٍ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥

١ . صحيفة الامام، ج ١٩، ص ١٣٤، من كلمة ألقاها بحضور رئيس الجمهورية والمشاركين في المؤتمر الثالث للفكر الاسلامي؛ صحيفة النور، ج ١٩، ص ٩٢؛ وأيضاً، راجع: صحيفة الامام، ج ٩، ص ٣، ج ١٢، ص ٤٩٢.

٢ . صحيفة الامام، ج ١٣، ص ٥٠٥، من كلمة ألقاها في حشد من طلبة كلية التربية في شيراز، واصفهان، واراك، ويزد؛ صحيفة النور، ج ١٣، ص ٢٦٧.

[تمثيل لمعرفة علماء السوء]

ثم يذكر الله تعالى علماء السوء الذين تعلموا العلم ولم يعملوا به، وينعتهم سبحانه في كتابه العزيز بأسوأ الصفات حيث يقول عز من قائل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

فعندما لا يتأثر الإنسان بالعلم الذي تعلمه يخرج عن إنسانيته، فالذين تعلموا ولم يعملوا بعلمهم ولم ينفعهم علمهم بشيء، مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل الكتب على ظهره. فالعالم الذي لا يترتب عليه التزاماً ونمواً فكرياً ولا يدعو الى هداية الناس، فإن حامله كمن يحمل على ظهره كتباً مثلما يفعل الحمار. فهنا ذكر تعالى ضرورة أن يميز الناس بين عالم السوء وعالم الخير الذي يعرف مهامه في هذا الزمن ويقوم بها.

[ثم العالم بلا عمل]

إن من يعرف نفسه على أنه مصباح الهداية، وشمع محفل العرفان، والهادي إلى السعادة، ومعرف طرق الآخرة، ثم لا يعمل - لاسمح الله - بما يقول، ويختلف باطنه عن ظاهره، يكون في زمرة أهل الرياء والنفاق، ويحسب مع علماء السوء، ويكون عالماً بلا عمل. وهذا عقابه أكبر وعذابه أشد. وقد أشار الله سبحانه إلى أمثال هذا في القرآن بقوله:

﴿بئسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

١. صحيفة الامام، ج ٩، ص ٣٣٥، من كلمة ألقاها في حشد من ابناء الشعب الايراني؛ صحيفة النور، ج ٨، ص ٢٦٥؛ وأيضاً، راجع: كشف الاسرار، ص ٢٢٠.

إذا؛ من أهم التزامات أهل العلم هو أن يحافظوا على هذه الأمور وهذه المقامات، وأن يطهروا أنفسهم كل التطهير من هذه المفساد، لكي يصلحوا بهذا أنفسهم والمجتمع، وتكون مواعظهم مؤثرة، وتقع نصائحهم موقعها من القلوب. إن فساد العالم يؤدي إلى فساد الأمة.^١ ومن البديهي أن الفساد الذي يتسبب في مفساد أخرى والخطيئة التي تزيد خطايا أخرى وتعظمها تكون أعظم عند وليّ النعم من الفساد الجزئي الذي لا يتعدى إلى غيره.^٢



[شرط حملة القرآن الحقيقيين]

ورؤي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «حملة القرآن عرفاء أهل الجنة».^٣ ولا يخفى أن المراد من هذا «الحمل» هو حمل معارف القرآن، الأمر الذي سيجعل الانسان في الآخرة من أهل المعرفة واصحاب القلوب، وإلا فإنه لو حمل ظاهر القرآن دون الاتعاض بمواعظه وإدراك معارفه وحكمه والعمل بأحكامه وسننه، فيكون مصداقاً من مصاديق الآية الشريفة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا

١. هذا التعبير مضمون رواية جاء فيها: اذا فسد العالم فسد العالم. وقد جاء هذا المعنى بتعابير مختلفة في الروايات. ويمكن لمن أراد الاطلاع عليها الرجوع الى: بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٣٣٦ و ٣٤٠، ج ٢، ص ٨٩ و ٤٩، ج ٧٤، ص ١٣٨.

٢. الاربعون حديثاً، ص ١٥١.

٣. معاني الاخبار، ص ٣٢٣، باب معنى عرفاء اهل الجنة؛ الخصال، باب الواحد، ح ١٠٠، ج ١،

التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا^١.

[الحكمة من التمثيل للعلماء بلا عمل بحملة الكتاب]

لقد أنزل الله عز وجل لتنبه العلماء الآية الشريفة ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ﴾ حتى يعلموا أن جمع العلوم - حتى علوم الشرائع والتوحيد- لن تزيل الحجب؛ بل تزيدها وتجره من الحجب الصغار إلى الحجب الكبار.

لا أقول لك دعي العلم والعرفان والفلسفة وعيشي جاهلة لأن ذلك انحراف بل أقول حاولي واجتهدي أن يكون الدافع الهياً ولأجل الحبيب وإن عرضت شيئاً فليكن لله ولتربية عباده وليس للرياء والتظاهر إذ تصبحين - لاسمع الله - من علماء السوء، الذين تؤذي رانحتهم التنتة أهل جهنم.^{٢٢}

[خطر الغرور على التطور العلمي باستثناء التهذيب]

إن الانسان الذي يعتبر نفسه محور الخلق - وهو صحيح بالنسبة للانسان الكامل - قد لا يكون كذلك في نظر سائر الكائنات، والانسان الذي لم يبلغ الكمال ليس كذلك: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ﴾

١ . آداب الصلاة، ص ٢١٢.

٢ . الكافي، ج ١، ص ٤٤، ح ١. كذلك بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٥، ح ٣٧. إن أهل النار ليتأذون من نثر ربح العالم التارك لعلمه.

٣ . صحيفة الامام، ج ١٨، ص ٤٥٠؛ رسالة وجهها الى فاطمة الطباطبائي، زوجة ابنه احمد؛ نصائح اخلاقية - وعرفانية؛ صحيفة النور، ج ٢٢، ص ٣٤٦.

فهذا يشمل التطور العلمي الذي يفتقر إلى التهذيب فقد ورد في وصف هؤلاء قوله عز من قائل: ﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^١.



١. إشارة الى الآية الشريفة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَاقِلُونَ﴾ (الأعراف (٧): ١٧٩).

٢. صحيفة الامام، ج ١٨، ص ٤٤٥؛ رسالة وجهها الى فاطمة الطباطبائي؛ نصوص اخلاقية - وعرفانية؛ صحيفة النور، ج ٢٢، ص ٣٤٤.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ بِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ﴾ ١

[شهادة المنافقين لا تتطابق مع ما في قلوبهم]

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ﴾ والظاهر أن تكذيبهم لعدم موافقة
شهادتهم لقلوبهم^٢.

١. بما ان المعيار في الايمان والمعنوية والدين هو القلب وليس اللسان (خلافاً للإسلام)، فشهادة القرآن هنا على كذب المنافقين لا تشير الى ما في ألسنتهم، وإنما تكشف عما في قلوبهم، ولهذا الإخبار غايته، وهناك من ورائه هدف، وهو كشفهم، حتى وان لم يذكر القلب صراحة.

٢. كتاب الطهارة، ج ٣، ص ٤٦٧.

مدينة

سورة الطلاق

٦٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ ٣

[الأمر بكسب العيش لا يتنافى مع تقدير الرزق]

ولابد من معرفة أن أمثال هذه الأحاديث الشريفة الظاهرة في أن الرزق مقسوم ومقدر، كما هو المستفاد من الآيات القرآنية المباركة^١، هذه الأحاديث لا تتنافى مع الأخبار التي تحث على طلب الرزق وتؤكد على الكسب والتجارة^٢،

١ . من باب المثال، راجع: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٠٦، ح ٤ و ص ٣٧٨، ح ٤،

٢ . المقصود هو الآية أعلاه وآيات أخرى مثل البقرة (٢): ٢١٢، آل عمران (٣): ٣٧، النور (٢٤): ٣٨،

يونس (١٠): ٣١، النمل (٢٧): ٦٤.

٣ . في هذا المجال راجع: الفروع من الكافي، ج ٥، ص ٧٧، ح ٢؛ التهذيب، ج ٦، ص ٣٢٣، ح ٨٨٧

وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٢٤، باب كراهة ترك الرزق، من ابواب مقدمات التجارة.

والتي ترى كراهة شرعية في ترك العمل والإحجام عن تحصيل الرزق، وتلوم على التخلي عن الكسب، وجاعلة التارك للاشتغال بالعمل التجاري ممن لا يستجاب دعاءه، ولا يبعث الله رزقه. والأحاديث بهذا الصدد كثيرة. ونحن نقتصر على حديث واحد منها:

عن محمد بن الحسن شيخ الطائفة (قدس سره) بإسناده عن علي بن عبد العزيز قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام):

«مَا فَعَلَ عَمْرُ بْنُ مُسْلِمٍ؟ قُلْتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ أَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَتَرَكَ التَّجَارَةَ. فَقَالَ: وَيْحَهُ، أَمَا عَلِمَ أَنَّ تَارِكَ الطَّلَبِ لَا يَسْتَجَابُ لَهُ دَعْوَةٌ؟ إِنَّ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أَغْلَقُوا الْأَبْوَابَ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْعِبَادَةِ وَقَالُوا: قَدْ كُفِينَا، قَبْلَ ذَلِكَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا حَمَلَكُمُ عَلَى مَا صَنَعْتُمْ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَكْفُلُ اللَّهُ بِأَرْزَاقِنَا فَأَقْبَلْنَا عَلَى الْعِبَادَةِ، فَقَالَ: مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ، عَلَيْكُمْ بِالطَّلَبِ».

ووجه عدم المنافاة بين الأخبار هو أن طلب الرزق، من الإنسان، وأما بعده من الأرزاق والأمور الأخرى التي تحف بالرزق، ففي يد قدرة الحق المتعالي ولا يكفي طلبنا لوحده مستقلا في جلب الرزق، فإن طلب الرزق من وظيفة العباد، وأما تنظيم الأمور وترتيب الأسباب الظاهرية وغير الظاهرية التي تخرج عن اختيار العباد غالباً فيكون بتقدير من الباري تعالى.

فالإنسان الذي يتمتع بيقين صحيح، والذي يكون واقفاً على مجاري الأمور، يجب عليه في اللحظة التي لا يفتر فيها عن طلب الرزق، بل ينهض بوظائفه

العقلية والشرعية في الاكتساب، ولا يوصد أبواب الطلب على نفسه، يعرف إن كل شيء من الذات المقدسة للحق المتعالي، وأنه لا يؤثر موجود آخر في الوجود ولا في كمالات الوجود، إن الطالب والطلب والمطلوب، منه سبحانه^١.

[مفهوم التوكل على الله]

بالسند المتصل إلى الشيخ الجليل ثقة الإسلام محمد بن يعقوب عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن غير واحد، عن علي بن أسباط، عن أحمد بن عمر الحلال، عن علي بن سويد، عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال: سألتُه عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ فقال: «التَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ دَرَجَاتٌ، مِنْهَا أَنْ تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا فَمَا فَعَلَ بِكَ كُنْتَ عَنْهُ رَاضِيًا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَأْلُوكَ خَيْرًا وَقَضَاءً وَتَعْلَمُ أَنَّ الْحُكْمَ فِي ذَلِكَ لَهُ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ بِتَفْوِضِ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَتَقَرُّ بِهِ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا»^٢.

الشرح: «الحلال» بتشديد اللام: بائع الجل، وهو دهن السمسم. و«أبو الحسن الأول» هو الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام). ويكنى أيضاً «بأبي الحسن» المطلق. و«أبو الحسن الثاني» هو الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، و«أبو الحسن الثالث» هو الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام). و«التوكل» كما في اللغة، هو إظهار العجز والاعتماد على طرف آخر:

١. أي انه هو الذي يوجد الأرضية للطلب ويأتي بالطالين ويخلق الاستعدادات التي تكون بحاجة الى بعض الأشياء وفقاً للفرصة والارادة. وهذا يعني ان وجود الطالب، وكذلك موضوع الطلب، والاستعداد وطلب الفرصة من الله.

٢. الاربعون حديثاً، ص ٥٥٩ - ٥٦٠.

٣. أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٥ كتاب الإيمان والكفر، باب التفويض إلى الله والتوكل عليه، ح ٥.

واتكلت على فلان في أمر، اعتمدته. وأصله: اوتكلت. و«حسبه» أي مُحسبه كافيه. و«يألوك» من: ألا، يألو، ألوا. ويعني التقصير. وقد قال بعضهم: إذا عدّي هذا الفعل إلى مفعولين تضمن معنى المنع^١ وهذا حسن، لأن المعنى يكون أسلس، وان لم تكن ثمة حاجة إلى ذلك، فمعنى التفسير وحده يكفي، كما يستفاد خلاف ذلك من «الصحاح» الذي جاء فيه: «ألا، يألو: أي قصر. وفلان لا يألوك نصحاً»^٢. فيتبين من ذلك أن المعنى واحد حتى مع المفعولين.

و«التوكل» غير «التفويض»، وكلاهما غير «الرضا» وغير «الوثوق» كما سيأتي بيانه...



[معاني التوكل ودرجاته]

إعلم أن للتوكل معاني متقاربة، ولكن بتعبيرات مختلفة، بحسب المسالك المختلفة، كما يقول صاحب «منازل السائرين»: «التَّوَكَّلُ كَلَّةُ الأَمْرِ كُلِّهِ إِلَى مالِكِهِ وَالتَّغْوِيلُ عَلَى وَكَالَتِهِ»^٣ ويقول بعض أصحاب العرفان: «التَّوَكَّلُ طَرْحُ البَدَنِ فِي العُبُودِيَّةِ وَتَعَلُّقُ القَلْبِ بالرُّبُوبِيَّةِ»^٤ وقال آخرون: «التَّوَكَّلُ عَلَى الله انْقِطَاعُ العَبْدِ فِي جَمِيعِ مَا يَأْمُلُهُ مِنَ المَخْلُوقِينَ»^٥.

١. مرآة العقول، ج ٨ ص ٢٣ كتاب الإيمان والكفر، باب التفويض، ح ٥.
٢. الجوهري، صحاح اللغة، ج ٦، ص ٢٢٧٠، يعني قصر، وان فلاتاً لم يقصر في النصح لك.
٣. منازل السائرين، ص ٢٣، قسم المعاملات، الباب ٢٧.
٤. نقل هذا الكلام عن أبي تراب النخشي في الرسالة القشيرية، ج ١ ص ٤٦٨.
٥. قريب من هذا المضمون راجع: السلمي، حقايق التفسير، ج ٢، ص ٣٣٢.

وهكذا تجد هذه المعاني متقاربة، ولا حاجة للبحث في المفهوم. وكل ما يتطلب القول هو أن للتوكل درجات مختلفة بحسب اختلاف مقامات العباد. ولما كانت معرفة درجات التوكل مبنية على العلم بدرجة معرفة العباد برؤية الحق جلّ جلاله، كان لا بدّ من الإشارة إلى ذلك.

فاعلم، أن أحد أصول معارف السالكين ومقاماتهم، التي لا تكون إلا به، هو العلم برؤية الحق تعالى، ومالكيته، وكيفية تصرف الذات المقدسة في الأمور. إننا لاندخل هذا البحث من الناحية العلمية، لأن ذلك يتطلب التحقيق في «الجبر والتفويض» وذلك ما لا يتناسب مع هذه السطور. وإنما نفتصر على ذكر درجات الناس في معرفة ذلك.

وعليه، نقول إن الناس في معرفة الربوبية مختلفون متباينون إلى حدّ كبير: فالموحدون عموماً يعرفون أن الحق تعالى هو خالق مبادئ الأمور، وكليات الجواهر، وعناصر الأشياء، ويرون بأنّ تصرفه محدود، ولا يقولون بإحاطته الربوبية^١. فهؤلاء تراهم تارة يقولون: مقدر الأمور حق؟ وهو المتصرف في كل شيء، فما من كائن يكون إلا بإرادته المقدسة. ولكنهم ليسوا أصحاب هذا المقام، لاعلماء، ولا إيماناً، ولا شهوداً، ولا وجداناً.

إن هذا الفريق من الناس - والظاهر أننا منهم - ليس لهم علم كامل برؤية الله بل يكون توحيدهم ناقصاً، حيث حجبت عنهم ربوبية الحق وسلطته لعلل وأسباب ظاهرة، وليس لهم مقام التوكل وهو ما يدور كلامنا عليه إلا لفظاً وادعاءً. لهذا، فإنهم في الأمور الدنيوية، لا يعتمدون على الحق سبحانه، بأيّ

١. عدم القول بالاحاطة الربوبية لله تعالى بمعنى عدم ادراكهم لوجود الله وتأثير قدرته في الامور والأفعال، فيظنون ان الله له تأثير له في خلق الافعال، ولكن لا شأن له باستمرارها وتفصيلها ومجرياتها.

شكل من الأشكال، ولا يتشبثون إلا بالأسباب الظاهرية والمؤثرات الكونية. وإذا ما اتفق أحياناً أن توجهوا إلى الحق تعالى وطلبوا منه حاجة، أو رجوا منه رجاء، فذلك من باب التقليد، أو من باب الاحتياط، لأنهم لا يرون في ذلك ضرراً عليهم، بل ربما يحتملون فيه فائدة. وفي هذه الحال توجد رائحة التوكل. ولكنهم إذا رأوا الأسباب الظاهرة ملائمة ومطابقة لأهوائهم، غفلوا كلياً عن الحق تعالى وعن تصريفه للأمر. إن المقولة القائلة بأن التوكل لا يتنافى مع العمل والتكسب، صحيحة، بل هي مطابقة للبرهان وللنقل، ولكن الاحتجاب عن ربوبية الحق وتصريفه للأمر واعتبار الأسباب مستقلة، يتنافى والتوكل.

إن هؤلاء الذين لا يتمسكون حتى بأدنى درجات التوكل في أعمالهم الدنيوية، يتحدثون فيما يتعلق بالأمر الأخرية عن التوكل بزهو ومباهاة، وإذا ما ظهر منهم أيّ تهاون وضعف وكسل في العلم أو في تهذيب النفس والعبادات والطاعات، بادروا إلى إظهار اعتمادهم وتوكلهم على الحق تعالى وفضله. وكأنهم يريدون بمجرد تلفظهم بأن «الله عظيم» و«إننا متوكلون على فضل الله» أن ينالوا الدرجات الأخرية! فإنهم يقولون في الشؤون الدنيوية: إن السعي والعمل لا يتنافيان مع التوكل على الله، وفي الأمور الأخرية يرون السعي والعمل ينافيان الاعتماد والتوكل عليه. وما هذا إلا من مكائد النفس والشيطان. فهؤلاء ليسوا متوكلين على الله، لا في الأمور الدنيوية، ولا في الأمور الأخرية، ولا هم يعتمدون عليه في أي أمر من الأمور. ولكنهم، لاهتمامهم بالأمور الدنيوية، يتشبثون بالأسباب، دون الاعتماد على الحق تعالى وتصريفه للشؤون في العالم. وعلى العكس من ذلك، فهم، لعدم اهتمامهم بأمور الآخرة، وعدم إيمانهم إيماناً صادقاً بيوم المعاد وتفصيله، يصطنعون لذلك الأعذار. فمرة يقولون: «الله عظيم»، ومرة يظهرون الاعتماد على الله وعلى شفاعاة الشفعاء، مع أن هذا كله ليس سوى

لقلقة لسان لأساس لها من الحقيقة في شيء.

[العمل بالتوكّل بدون الإيمان به]

وثمة فريق ثان من الناس اقتنعوا، إما بالبرهان وإما بالنقل، وصدّقوا بأن الحق تعالى هو مقدر الأمور، ومسبّب الأسباب، والمؤثر في الوجود، ولا حدود لقدرته وتصرفه، هؤلاء يتوكلون على الحق سبحانه عن طريق العقل، أي إن أركان التوكّل تامة عندهم، بحسب الأدلة العقلية والنقلية ولهذا فهم يرون أنفسهم من المتوكلين، وقيمون الدليل أيضاً على لزوم التوكّل، لأنهم أثبتوا أركان التوكّل، والتي هي أمور:

- أن الحق تعالى عالمٌ بحاجات العباد.

- أنه قادر على تلبية تلك الحاجات.

- أنه ليس في ذاته المقدسة بخل.

- أنه رحيم بالعباد ورؤوف بهم.

وإذا؛ يجب التوكّل على عالم قدير كريم رحيم بالعباد، قائم بمصالحهم، لا يفوت عليهم شيئاً فيها، حتى وإن لم يميزوا هم بين ما ينفعهم وما يضرهم. هؤلاء وإن كانوا من المتوكلين عملياً، إلا أنهم لم يبلغوا مرتبة الإيمان. فهم لهذا مضطربون في اتخاذ أمر من أمورهم، وعقولهم مغلوبة في الصراع مع قلوبهم، لأنها بالأسباب متعلقة، وعن تصرف الحق سبحانه في الأشياء محجوبة.

أما الطائفة الثالثة، فهم الذين توصلوا بقلوبهم إلى معرفة تصرف الحق تعالى في الكائنات، فأمنت تلك القلوب بأن مقدر الأمور، والسلطان ومالك الأشياء، هو

الحق تعالى، وكتبوا بقلم العقل على ألواح القلوب أركان التوكل. هؤلاء هم أصحاب مقام التوكل. غير أن هؤلاء أيضاً يختلفون من حيث مراتب الإيمان ودرجاته اختلافاً كبيراً، قبل أن يصلوا إلى درجة الاطمئنان الكامل. وعند ذلك تظهر في قلوبهم درجة التوكل الكاملة، ولا تتعلق بالأسباب، بل تنشبت بمقام الربوبية، فطمئن إليه وتعتمده، كما وصف العارف المتقدم، التوكل قائلاً إنه: «طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية»^١ وكل ما قلناه يعود إلى ما إذا كان القلب في مقام الكثرة الاعالية^٢، وإلا فإنه يتجاوز مقام التوكل ويخرج عن المقصود.

إذاً؛ فقد اتضح أن للتوكل درجات. ولعل الدرجة التي تعرض لها الحديث الشريف^٣ هي توكل الطائفة الثانية. إذ أنه جعل العلم من مبادئه، وربما أشار أيضاً إلى درجات أخرى ذات اعتبارات مختلفة. إذ أن للتوكل درجات أخرى في تقسيمات مختلفة، مثلما هي الحال في درجات سلوك أصحاب العرفان والرياضات، حيث يصلون من مقام الكثرة إلى مقام الوحدة تدريجاً، فلا يحصل فناء أفعالي مطلق، دفعة واحدة، بل يشاهد أولاً في مقامه، ومن ثم في سائر

١. ابو تراب النخشي، راجع: الرسالة القشيرية، ج ١، شرح المقامات، باب التوكل (١٧)، ص ٤٦٨.

٢. الكثرة الاعالية للسالك في السير والسلوك هي رؤية الملك والملوكوت، والاهتمام بها وابقاؤها في القلب. ومن المتعذر على مثل هذا الشخص الاستمرار في السير. وعلى العارف ان يندرج في هذه المراحل خطوة بعد اخرى حتى يتمكن من الوصول الى مقام الفناء في الفناء. يمكن الاطلاع على هذه المراحل بالتفصيل في: الاربعون حديثاً، ص ٢٠٦، شرح الحديث الثاني عشر.

٣. المقصود بهذا الحديث الشريف، ما رواه علي بن سويد عن الامام الكاظم، وهو ما أشير اليه في بداية البحث. راجع: الكليني، اصول الكافي، ج ٢، ص ٦٥، كتاب الايمان و الكفر، ح ٥.

٤. راجع: الاربعون حديثاً، ص ٢٠٦.

الكائنات. فكَذَلِكَ يحصل التوكل والرضا والتسليم وسائر المقامات بالتدرج أيضاً. وربما يبدأ أول الأمر بالتوكل على الأسباب الغائبة والخفية، ومن ثم يصل إلى مقام المطلق تدريجاً، سواء أكانت له أسباب ظاهرة جلية، أم أسباب باطنة خفية، وسواء أكان ذلك في أعماله هو أم في أعمال أقربائه ومقربيه. ولذلك جاء في الحديث: «إِنْ مِنْ دَرَجَاتِ التَّوَكُّلِ أَنْ تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ»^١.

{ الفرق بين التوكل والرضا }

إعلم أن مقام «الرضا» غير مقام «التوكل»، وهو أسمى منه وأرفع. وذلك لأن المتوكل يطلب الخير والصلاح لنفسه، فيوكل الحق تعالى، بصفته فاعل الخير، للحصول على الخير والصلاح. أما الشخص «الراضي» فيكون قد أفنى إرادته في إرادة الله، فلا يختار لنفسه شيئاً. ولقد سئل أحد أهل السلوك: «ما تريد؟» فقال: «أريدُ أن لا أريد»^٢.

فمطلوبه هو مقام الرضا. أما ما جاء في الحديث الشريف: «فَمَا فَعَلَ بِكَ كُنْتُ عَنْهُ رَاضِيًا» فإنه لا يعني مقام الرضا، ولذلك جاء بعد ذلك قوله: «تَعَلَّمَ أَنَّهُ لَا يَأْلُوكَ خَيْرًا وَفَضْلًا»، وكأنه (صلى الله عليه وآله) أراد أن يوجد في السامع مقام التوكل، وذلك بوضع المقدمات، فقال أولاً: «تَعَلَّمَ أَنَّهُ لَا يَأْلُوكَ خَيْرًا وَفَضْلًا» ثم قال: «تَعَلَّمَ أَنَّ الْحَكْمَ فِي ذَلِكَ لَهُ»^٣ طبعي أن من يعلم أن الله تعالى قادر على كل شيء وأنه

١. راجع: الكافي، ج ٢، ص ٦٥.

٢. هذا الكلام نقل عن أبي يزيد البسطامي في شرح منازل السائرين، ص ٨٩ القسم الرابع في الأخلاق، من باب الرضا.

٣. الكليني، اصول الكافي، ج ٢، ص ٦٥.

لا يفوت على نفسه خيره وفضله، فإن مقام التوكل يحصل له، وذلك لأن ركني التوكل الأساسيين قد ذكرهما، بينما لم يذكر الركنين أو الثلاثة الأخرى لوضوحهما. إذًا؛ تكون نتيجة المقدمات المذكورة المطوية والمعلومة هي أن ما يفعله الحق تعالى يبعث على الرضا والسرور. إن أن فيه الخير والصلاح، وبذلك يحصل مقام التوكل. ولهذا فرع (عليه السلام) في الحديث الشريف قوله: «فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ».



[الفرق بين التفويض والتوكل والثقة]

ثم أعلم أن «التفويض» أيضاً غير «التوكل»، وأن «الثقة» غيرهما. ولذلك فقد أشير إليهما في مقامات السالكين بصورة منفصلة.

يقول الخواجه عبد الله الأنصاري: «التَّفْوِيضُ الْطَفُّ إِشَارَةٌ وَأَوْسَعُ مَعْنَى مِنَ التَّوَكُّلِ. ثُمَّ قَالَ: التَّوَكُّلُ شُعْبَةٌ مِنْهُ»^١ وذلك لأن التفويض هو أن لا يرى العبد في نفسه حولا ولا قوة، ولا يجد أن له التصرف في شيء، ويرى الحق تعالى هو المتصرف في كل الأمور. أما في التوكل فليس الأمر كذلك، لأن المتوكل يجعل الحق سبحانه قائماً مقامه في التصرف واجتلاب الخير والصلاح. وأما أن التفويض أوسع، لأن التوكل فرع منه، لأن التوكل يكون في المصالح، والتفويض يكون في الأمور كافة.

ولأن التوكل لا يكون إلا بعد وقوع سبب يستوجهه، أي عند وجود أمر يتوكل

فيه العبد على الله، مثل توكل النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه على الله في أن يحفظهم من المشركين، حينما قيل لهم: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^١ وأما التفويض فيكون قبل وقوع السبب، كما جاء في الدعاء المروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَالْجَبَاتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، وَفَوْضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ»^٢ وقد يكون بعد وقوع السبب، مثل تمثيل مؤمن آل فرعون.^٣

إن ما ذكرناه يكون حاصل ترجمة شرح العارف المعروف «عبد الرزاق الكاشاني» للتوكل والتفويض مأخوذاً من كلام العارف الكامل «الخواجة عبد الله» مع شيء من الاختصار^٤ وفي كلام الخواجة ما يدل على ذلك. ولكن في اعتبار التوكل شعبة من التفويض يستدعي النظر.

كما أن في جعل التفويض من التوكل مسامحة واضحة. وكذلك ليس ثمة دليل على أن التوكل يقع بعد وقوع السبب. إذ في كلتا الحالتين - قبل وبعد وقوع السبب - يصح معنى التوكل. أما الحديث الشريف الذي يقول: «فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ يَتَّقِيضَ ذَلِكَ إِلَيْهِ» فيمكن القول بأنه لا توكل إلا مع رؤية تصرفه بنفسه، ولهذا يتخذ لنفسه وكيلاً في أمر من أموره الخاصة به. إلا أن الرسول الأكرم أراد أن يرفع ذلك من مقام التوكل إلى مقام التفويض، ويفهمه أن الحق تعالى لا يقوم مقامك في التصرف، بل هو المتصرف في ملكه ومملكته. وقد تبه على ذلك

١. آل عمران (٣): ١٧٣.

٢. من لا يحضره الفقيه، ح ١٣٥١.

٣. إشارة إلى اتمام الحجة التي ألقاها مؤمن آل فرعون وهي قوله: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْتَصِرْنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾. (غافر (٤٠): ٢٩).

٤. شرح منازل السائرين، ص ٧٨ باب المعاملات، باب التفويض.

الخواجة نفسه في «منازل السائرين» بشأن الدرجة الثالثة من درجات التوكل^١.
وأما «الثقة» فهي غير «التوكل» و«التفويض»، كما يقول الخواجة: «الثقة سَوَادُ
عَيْنِ التَّوَكُّلِ، وَتُقَطَّعُ دَائِرَةُ التَّفْوِيضِ، وَسُوَيْدَاءُ قَلْبِ التَّسْلِيمِ»^٢.
أي أن المقامات الثلاثة لا تحصل من دون «ثقة»، بل أن روح تلك المقامات
هي الثقة بالله تعالى. فما لم يثق العبد بالحق تعالى، لا يمكن أن ينالها.

فتبين السرّ في قول رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد التوكل والتفويض، «ثِقْ
به فيها وفي غيرها»^٣.

﴿لَيُنْفِقَنَّ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ
نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾^٤

اجريان أصل البراءة على الامور التي لا يعلم الشخص حكمها

قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾^٥. والاستدلال بها يتوقف على
كون المراد من الموصول التكليف، ومن الإيتاء الإيصال والإعلام، أو كون
الموصول والإيتاء مستعملين في معنى أعمّ شامل للتكليف والإيصال.
وأنت خبير بأن إرادة خصوص التكليف منه مخالف لمورد الآية وما قبلها
وبعدها، وهو قوله تعالى: ﴿لَيُنْفِقَنَّ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا

١. منازل السائرين، ص ٣٤، القسم الثالث في باب المعاملات، باب التوكل.

٢. منازل السائرين، ص ٣٥ قسم البدايات، باب الثقة.

٣. الكليني، اصول الكافي، ج ٢، ص ٦٥، ح ٥.

٤. الاربعون حديثاً، ص ٢١٣ - ٢١٩.

٥. الطلاق (٦٥): ٧.

آتاه الله لا يكلفُ الله نفساً إلا ما آتاها سيجعلُ الله بعدَ عسرٍ يُسرًا ﴿وهو - كما ترى -
آب عن الحمل المذكور.

نعم الظاهر أن قوله: ﴿لا يكلفُ الله نفساً إلا ما آتاها﴾ هو الكبرى الكليّة بمنزلة
الدليل على ما قبلها، وهي أن الله - تعالى - لا يكلفُ نفساً إلا بشيء أعطاه
وأقدرها عليه، كما يظهر من استشهاد الإمام - عليه السلام - بها حين سُئل عن
تكليف الناس بالمعرفة فإنّ العرفان بالله - وهو العلم الشهودي الحضوريّ
بوجوده الخارجي - لا يمكن للعباد إلا بأقداره وتأييده - تعالى -
ومطلق العلم بوجود صانع للعالم - الذي هو فطريّ - لا يكون معرفة وعرفاناً،
والتعبير عن الإقدار - لإعطاء الكبرى - بالإتياء الذي بمعنى الإعطاء، لا يبعد أن
يكون للمناسبة والمشاكله مع قوله - قبيل ذلك - : ﴿فَلْيَتَّقِ اللَّهَ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾.

وأما كون الموصول أعمّ من التكليف فالظاهر عدم إمكانه ؛ لأنّ نحو تعلق
الفعل بالمفعول المطلق - أعمّ من النوعيّ منه وغيره - يُبين نحو تعلقه بالمفعول
مع الواسطة ؛ أي المنصوب بنزع الخافض أو المفعول به ؛ لعدم الجامع بين
التكليف والمكلف به بنحو يتعلّق التكليف بهما على نعت واحد، فإنّ البعث
لا يصير مبعوثاً إليه، ولا العكس، وفي قوله - تعالى - : ﴿لا يكلفُ الله نفساً إلاّ ممّا
آتاها﴾ تكون كلمة النفس مفعولاً به، والموصول منصوباً بنزع الخافض - على
الظاهر - أو المفعول به، ولا يمكن أن يكون الموصول هو المعنى الأعمّ الشامل
له وللمفعول المطلق - نوعياً كان أو غيره - لأنّ المفعول المطلق هو المصدر أو ما
في معناه المأخوذ من نفس الفعل - إمّا نوعاً منه أو غيره - والمفعول به ما يقع

١ . اصول الكافي، ج ١، ص ١٦٣ / ٥ باب البيان والتعريف ولزوم الحجّة من كتاب التوحيد؛ توحيد

الصدوق، ص ٤١٤ / ١١ باب ٦٤ في التعريف والبيان والحجّة .

الفعل عليه، ولا جامع بينهما، كما لا جامع بين المفعول المطلق والمنصوب بنزع الخافض في المقام.



[تأمل في ارادة المعنى الجامع للتكليف]

و العجب من بعض أهل التحقيق حيث زعم رفع الإشكال: بأن الموصول لم يستعمل إلا في معناه الكلّي العامّ، وأن إفادة الخصوصيّات إنّما هي بتوسيط دالّ آخر خارجيّ، وكذا في تعلق الفعل بالموصول حيث لا يكون إلا نحو تعلق واحد، والتعدّد بالتحليل إلى نحو التعلّق بالمفعول به و المفعول المطلق لا يقتضي تعدّده بالنسبة إلى الجامع - أي الموصول - غاية الأمر يحتاج إلى تعدّد الدالّ والمدلول انتهى.

و أنت خبير بما فيه، فإنّ مباينة نحو تعلق الفعل بمفعول به - أي المبعوث إليه - و بمفعول مطلق بحيث يكون أحدهما مفروض الوجود قبل الفعل، و الآخر من كميّات نفس الفعل، تمنع عن إرادتهما باستعمال واحد. و المراد من تعدّد الدالّ و المدلول إن كان دالّين آخرين و مدلولين آخرين غير مفاد الآية، فهو كما ترى، و إن كان القرينتين الدالّتين على المعنى المراد منها، فمع عدم إمكان إرادتهما منها معاً لا معنى لإقامة القرينة و الجامع بينهما مفقود، بل غير ممكن حتّى تكون الخصوصيّات من مصاديقه.

نعم لو كان المراد من التكليف هو المعنى اللغوي - أي الكلفة و المشقّة - لأمكن تعلّقه بالحكم تعلق المفعول به، فيرتفع الإشكال كما أفاد».

لكن بعد إمكان إرادة الجامع الانتزاعي لا يجوز التمسك بالإطلاق على

المطلوب، لا لما أفاد من أن القدر المتيقن في مقام التخاطب مانع منه، فإنه غير مانع، كما حُقِّق في محله»^١.



[أدلة الآخريين على عدم التمسك بالاطلاق والآية ونقدها]

وعلى هذا الاساس فان عدم جواز التمسك بالاطلاق، لا من جهة ما أفاد أيضا - تبعاً للشيخ النصاري - من أن مفاد الآية مساوق لحكم العقل بقبح العقاب بلا بيان، فلا يضر الأخباري لإثباته الكُلف من جهة جعل إيجاب الاحتياط؛ لأن جعل الاحتياط لأجل حفظ التكاليف الواقعية ينافي سوق الآية حيث من الله تعالى على المكلفين بأن لم يجعلهم في الضيق والكلفة [من جهة التكليف] إلا مع الإيصال، والاحتياط ضيق بلا إيصال بالضرورة لأنه لم يكن طريقاً إلى الواقع، فلاحتيال في الشبهات البدوية - على فرض وجوبه - كلفة من قبل الله من غير إيصال الواقعات، وهو منافر للآية.

ولا لما أفاد ثالثاً: بأن سوق الآية يكون مساق قوله: «إن الله سكت عن أشياء لم يسكت عنها نسياناً» فكانت دلالتها ممحضة في نفي الكلفة عما لم يوصل علمه إلى العباد لمكان سكوته وعدم بيانه، ضرورة أن ذلك بعيد عن مساق الآية غاية البعد، بل تعرض لمثل ما هو ضروري، فيرجع مفاد الآية: بأن: الله لا يكلف نفساً بما هو ساكت عنه ولم يكلف العباد، وهو كما ترى.

١ . تجدر الإشارة الى ان هذه المواضع كان المؤلف قد أوردها في كتاب انوار الهداية، ص ٢٩ - ٣٠ .
ولكننا ادرجناها هنا في نصوص الكتاب لأجل الانتباه اليها ولتحاشي تداخلها مع هوامش هذا الكتاب.

بل عدم جواز التمسك بالإطلاق لأن الاحتجاج بالإطلاق إنما هو بعد ظهور اللفظ ودلالته، وحينئذ لو جعل طبيعة دالة على معنى موضوعاً لحكم، واحتملنا دخالة قيد في الحكم بحسب اللبِّ والجدة، لدفع الاحتمال بأصالة الإطلاق، وفي مثل المقام الذي لا يثبت ظهور اللفظة - وأنه هل أراد المعنى الجامع الانتزاعي الذي نحتاج في تصوّر إرادته إلى تكلف، أو أراد أحد المعاني الأخرى؟ - لا مجال للتمسك بالإطلاق، كما لا يخفى.

[نطاق دلالة الآية محدودية التكليف في حدود استطاعة الإنسان]

مضافاً إلى أن مجرد الإمكان لا يوجب ظهور اللفظ، ولا إشكال في أن الظاهر - بمناسبة الصدر والذيل في الآية الشريفة - هو أن [مفاد] قوله: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ أنه لا يكلف نفساً إلا بما أقدرها عليه وأعطاه.

وبما ذكرنا يظهر النظر فيما أفاده بعض أعظم العصر - رحمه الله - من أن المراد بالمتوصل خصوص المفعول به، ويكون مع ذلك شاملاً للتكليف وموضوعه، وأن إتياء كل شيء بحسبه، وأن المفعول المطلق النوعي والعددي يصح جعله مفعولاً به بنحو من العناية، وأن الوجوب والتحريم يصح تعلّق التكليف بهما باعتبار مالهما من المعنى الاسم المصدرية^١ فراجع كلامه فإنه

١. من الواضح أن هذا الكلام لا فائدة فيه - لأنه لا معنى لتعلّق البحث بموضوع صيغة المفعول به وفصلاً عن ذلك فإنه يستلزم الجمع بين العتبارين متنافيين؛ وذلك لأن حاصل المصدر متأخر من حيث الرتبة عن المصدر، وللمفعول به اعتبار أكثر من اعتبار المصدر؛ لأنه يضاف إليه، والذي يستلزمه كلامه أن ما يكون اعتباره أقل ومتأخراً، إن تقدّمه مع كونه متأخراً. فتأمل. (وهذا الهامش لسماحة الامام الخميني نفسه).

لا يخلو من تكلف أو تكلفات .

وأما ما أفاده بقوله: ثانياً: في مقام الإشكال على دلالة الآية من الخدشة في دلالتها - بعد تسليم كون الموصول بمعنى التكليف، والإيتاء بمعنى الإيصال والإعلام - بأن أقصى ما تدلّ عليه الآية هو أن المؤاخذة لتحسن إلا بعد بعث الرسل وتبليغ الأحكام، وهذا لا ربط له بما نحن فيه من الشك في التكليف بعد البعث والإنزال وعروض اختفاء التكليف بما لا يرجع إلى الشارع، فالآية لا تدلّ على البراءة، بل مفادها مفاد قوله - تعالى - : ﴿مَا كُنَّا مَعْذِبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾^١ .
فقد عرفت ما فيه عند تقرير دلالة هذه الآية . مع أنه بعد التسليم المذكور في الآية يكون دلالتها على البراءة ظاهرة غير محتاجة إلى ما قررنا في آية: ﴿مَا كُنَّا مَعْذِبِينَ ..﴾ من إلقاء الخصوصية وغيره من البيان، كما لا يخفى.^٢

[معنى خلق مثل للسموات والارض]

ان الذين يقولون بالمعاد لا يعلمون أنهم لا يقولون به. كما ان بعض المحدّثين اضطروا الى القول بأنه سيُخلق في المعاد مثل لهذه الأبدان، ويأتون بدليل على ذلك من القرآن الكريم، وهو قول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^٤
وهذا الاستدلال من باب الاضطرار، وإلا فان ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ تدل على انه خلق

١ . الإسراء (١٧): ١٥ .

٢ . فرائد الأصول ٣: ٣٣٣ .

٣ . انوار الهداية، ج ٢، ص ٢٦ - ٣١ .

٤ . الطلاق (٦٥): ١٢ .

السموات والارض، وقادر على أن يخلق مثلهن.^١



١ . هناك وجهان في تفسير هذه الآية وهما: مثلما ان الله قد خلق سبع سماوات فقد خلق سبعة اراضين أيضاً . والذين يقولون بجسمانية المعاد على غرار جسمانية الانسان في هذه الدنيا ويذهبون الى القول بنوع من التناسخ، فمثلما ان الله قد خلق السماوات والارض فانه سيخلق هذا البدن بهذه الخصائص تماماً وعلى النحو الذي يقول به اصحاب التناسخ . وقد اجاب صدر المتألهين عن هذا الاشكال الذي اثاروه . (في هذا المجال، راجع: الاسفار الاربعة، ح ٩، ص ٣٢) . والوجه الآخر في تفسير هذه الآية هو ان هذه الآية في مقام اثبات قدرة الله على خلق الانسان والاشياء اخرى، مثلما خلق السماوات وما يماثلها من الارض . والدليل على هذا الرأي هو ما جاء في تمة الآية من قوه تعالى: ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ . ويرجع الامام الوجه الثاني.

٢ . تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٢٠٢.

سورة التحريم

مدنية

٦٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِذْ أَسْرَ التَّيْبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ
وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ٣

[إخبار النبي بالغيب]

إن هؤلاء المشاغبين يقولون: إن القرآن قال في مواضع عديدة بأن النبي لا يعلم الغيب، فلماذا إذاً ينسب المتدينون إلى النبي العلم بالغيب؟
في القرآن آيات نزلت عن علم النبي بالغيب...

﴿وَإِذْ أَسْرَ التَّيْبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ
بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾^١
بل قد ثبت لمريم ام عيسى علم الغيب، وهو ما سنأتي على ذكره لاحقاً.^٢

١ . التحريم (٦٦): ٣.

٢ . المقصود هنا قصة حمل السيدة مريم وما تلاه من الاحداث التي ذكرها القرآن الكريم، وأنبا

فهل ترتؤون رفع هذه الآيات من القرآن حتى تصدق أراجيفكم أو أن تعرفوا بأخطائكم حتى يزول الزلل والخلل؟^١

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ٦

[نتيجة اجتناب الاثم والاستعاذة من الشيطان الوصول إلى مقام الملائكة]

اذن، فأنت اذا جعلت الصورة الملكية الانسانية خالصة لله، وألجأت جيوش النفس الظاهرية الدنيوية - وهي القوى المنتشرة في ملك البدن - الى حصن الحق، وطهرت الأقاليم الأرضية السبعة - وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والقدم - من قذارات المعاصي، وجعلتها تحت تصرف ملائكة الله - وهم الجيش الإلهي - اصبحت هذه الاقاليم تدريجياً حقانية الهية وراحت تتحرك تبعاً لسلطة الحق، حتى تصبح هي ذاتها من ملائكة الله ايضاً، أو كملائكة الله الذين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

وهنا تتحقق المرتبة الاولى من الإستعاذة^٢ فيغادر الشيطان وجيوشه مملكة الظاهر ويتوجهون نحو مملكة الباطن، ليهاجموا القوى النفسانية الملكوتية.^٣



مريم بما سيحصل لها . راجع: سورة آل عمران، الآيات ٤٢ - ٤٨.

١ . كشف الاسرار، ص ٤٩ - ٥٠.

٢ . للاستعاذة مراتب.

٣ . آداب الصلاة، ص ٢٢٤.

[من الممكن ان يصير الإنسان مثل الملائكة]

إن العبادات والمناسك والأذكار تعطي نتائجها كاملة عندما تصبح صورة باطنية للقلب ويعجن بها باطن ذات الانسان، وعندما يكتسب القلب صورة العبودية، ويخرج من حالة الإعتداد والتمرد. وذكرنا سابقاً أن أحد أهداف العبادات وفوائدها هو تقوية إرادة النفس وبسط سلطتها على الطبيعة وتسخير قوى تلك الطبيعة لقدرة النفس وسلطانها، والى الحد الذي تصبح إرادة النفس الملكية نافذة في ملك البدن بحيث تصبح قوى مملكة النفس كالملائكة حيال

الباري تعالى فهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^١.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْمَىٰ بَيْنَ أُيُودِهِمْ وَأَبْيَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^٨

[التوبة النصوح ومفهومها]

إعلم أن هناك تفسيرات مختلفة في بيان المقصود من ﴿التوبة﴾ ﴿النصوح﴾. ومن المناسب أن نذكرها هنا بصورة مجملة. ونحن نكتفي بنقل كلام المحقق الجليل الشيخ البهائي قدس الله نفسه.

نقل المحدث الخبير المجلسي (رحمه الله) عن الشيخ البهائي^٢ أنه قال:

١. آداب الصلاة، ص ٣٢.

٢. الأربعين، الشيخ البهائي، ص ٣٣٢، ح ٣٨. مرآة العقول، ج ١١ ص ٢٩٥، كتاب الإيمان والكفر،

باب التوبة، ح ١.

«ثم اعلم أن المفسرين اختلفوا في تفسير التوبة النصوح على أقوال: منها: أن المراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى أن يأتوا بمثلها لظهور آثارها الجميلة في صاحبها أو ينصح صاحبها فيقلع عن الذنوب ثم لا يعود إليها أبداً.

ومنها: أن «النصوح» ما كانت خالصة لوجه الله سبحانه من قولهم غسل «نصوح» إذا كان خالصاً من الشمع، بأن يندم على الذنوب لقبحها، وكونها خلاف رضى الله تعالى للخوف النار مثلاً. وحكم المحقق الطوسي في التجريد بأن الندم من الذنوب للخوف من النار، ليس بتوبة.

ومنها: أن «النصوح» من «النصاحة» وهي الخياطة؛ لأنها تنصح من الدين ما مزقته الذنوب، أو يجمع بين التائب وبين أوليائه وأحبائه كما تجمع الخياطة بين قطع الثوب.

ومنها: أن «النصوح» وصف للتائب وإسناده إلى التوبة من قبيل الإسناد المجازي، أي توبة تنصحون بها أنفسكم بأن أتوا بها على أكمل ما ينبغي أن تكون عليه حتى تكون قالعة لآثار الذنوب من القلوب بالكلية. ويكون ذلك

بذوب النفوس بالحسرات ومحو ظلمات القبائح بنور الأعمال الحسنة.^١



١ . كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص ٢٦٤، المقصد السادس، في وجوب التوبة.

٢ . الاربعون حديثاً، ص ٢٨٢.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١

[سبب الوقوع في فخ الرياء]

إيه عزيزي، إن العلوم جميعاً علوم عملية، حتى علم التوحيد هو ممارسات قلبية وقالبية، فالتوحيد «تفعيل» يُعبر عن ارجاع «الكثرة» الى «الوحدة»، وهو من الممارسات الروحية والقلبية وما زلت واقعاً في الكثرات الأفعالية جاهلاً بالمسبب الحقيقي، لست على بصيرة تؤهلك رؤية الحق، لم تر الله في الطبيعة

١ . على السالك الى الله والعارف بالله ان يسقط الاضافات والتعينات والكثرات، وكل ما يراه في العالم . ولا ينظر اليها بوصف التعين والكثرة بل يراها فانية في الله . وفي تلك الحالة يصل الى المرتبة الواقعية للتوحيد: راجع: الاربعون حديثاً، ص ٣٢٧.

بعد، ولم تدرك أن الكثرات الطبيعية وغير الطبيعية فانية في الحق وأفعاله، وما لم ترفرف راية سلطان وحدة فاعلية الحق في قلبك^١ فأنت بعيداً تماماً عن الخلوص والاخلاص والصفاء والتصفية، قصي^٢ عن التوحيد. وكافة أنماط الرياء الافعالي وأغلب أشكال الرياء القلبي، تنشأ من ضعف التوحيد الافعالي^٣. ومن يعتبر هؤلاء البشر - الضعفاء المساكين - ذوي تأثير في دار التحقق ولهم سلطة في مملكة الحق، كيف يمكنه الاستغناء عن السعي في استمالة قلوبهم، وكيف يوفق في تصفية عمله وتخليصه من شرك الشيطان!؟

فعليك يا عزيزي أن تسعى في تصفية المنبع الاصلي لتحصل على ماء زلال صاف، وإلا فكيف يمكن لعين كدرة ان تسيل ماءً نقياً؟ فلو أنك اعتقدت بأن قلوب عباد الله محكومة بسلطة الحق تعالى، وتذوقت بقلبك معنى «يا مقلب القلوب» وأوصلته مسمع القلب، ما سعت الى استمالة القلوب وانت بهذا الضعف والعجز، ولو أنك أفهمت قلبك حقيقة: ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^٤ و﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾^٥ و﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾^٦ لما شعرت بالحاجة لجذب القلوب، ولما اعتبرت نفسك محتاجاً لقلوب هذه المخلوقات الضعيفة، ولتحقق لك «الغنى القلبي». فأنت تحسُّ في نفسك احتياجاً، ولما ظننت بقدرة الناس على تلبية ذلك الاحتياج أصبحت محتاجاً لاستمالة القلوب، ولما توهمت بأنك بالتلبس بالقداسة يمكنك

١. العلم بالوحدة الفاعلية لله من التلقيات الاخرى للعارف حيث ينبغي ان يطهر قلبه من التوجّه الى غير الله، ويعلم ويؤمن ان كل ما يقع في العالم تعود اسبابه إليه، وما من فعل يقع الا بارادته.
٢. في مقام المعرفة والعمل، عند رؤية احد آخر، والقول بنوع من الوجود له والشأئية في الافعال، فمن الواضح ان ذلك ينبثق من نقص عقيدته التوحيدية، وان التوحيد لم يرسخ في قلبه تماماً.

٣. يس (٣٦): ٨٣

٤. الزمر (٣٩): ٦؛ التغابن (٦٤): ١.

التأثير في القلوب، صرت محتاجاً للرياء. ولو أنك رأيت أن الحق هو المؤثر الحقيقي، وأنت لستَ ذا سلطة في الكون لما وجدت نفسك محتاجاً لهذه الأنماط من الشرك.^١

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ٢

[مفهوم العمل الاحسن]

بالسند المتصل إلى الشيخ الثقة الجليل محمد بن يعقوب الكليني (قدس سره)، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن سفيان بن عيينة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال: «لَيْسَ يَغْنِي أَكْثَرُكُمْ عَمَلًا وَلَكِنْ أَصْوَبُكُمْ عَمَلًا. وَإِنَّمَا الْإِصَابَةُ خَشْيَةُ اللَّهِ وَالنِّيَّةُ الصَّادِقَةُ وَالْخَشْيَةُ...»^١.

الشرح: البلاء بمعنى الاختبار والتمحيص. كما في الصحاح: «بَلَوْتُهُ بَلَوِي: جَرَّبْتُهُ وَاخْتَبَرْتُهُ، وَبَلَاهُ اللَّهُ بَلَاءً وَأَبْلَاهُ إِبْلَاءً حَسَنًا وَابْتَلَاهُ أَيَّ اخْتَبَرَهُ»^٢.

و﴿أَيُّكُمْ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ بعد تضمين يبلو معنى العلم حسب كلام المجلسي. وهو ليس بصحيح. لأن أي الاستفهامية تعلق الفعل عن العمل - فلا تعمل يبلو ولا تتعدى إلى مفعولين - والصواب أن: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ جملة مبتدأ وخبر، وفي المعنى مفعول لفعل «يبلوكم» - المعلق عن العمل - ولو جعلنا «أي» موصولة لكان لكلام المرحوم المجلسي وجه، ولكنها في الاستفهامية

١. آداب الصلاة، ص ١٧١ - ١٧٢.

٢. أصول الكافي، ج ٢ ص ١٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الأخلاص، ح ٤.

٣. الجوهري، صحاح اللغة، ج ٦، ص ٢٢٨٥، كلمة بلاء.

أظهر... إن ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ - في الحديث الشريف - إشارة إلى قوله تعالى ﴿بِسَارِكِ
الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

قال المحقق المجلسي (قدس سره) تدلّ هذه الآية الشريفة على أن الموت أمر
وجودي. والمراد منه إما الموت الطارئ على الحياة، أو العدم الأصلي. انتهى^١.
إن دلالة الآية الشريفة - على أن الموت أمر وجودي - تتوقف على تعلق
الخلق والتكوين

بالموت، بالذات، وأما إذا كان التعلق بالعرض، فلاتصح تلك الدلالة^٢، كما
يصرّح بذلك المحققون. وعلى فرض دلالتها، فلاوجه لجعل الموت - في الآية
الشريفة - عدماً أصلياً؛ لأن اعتبار العدمي الأصلي، وجودياً من الجمع بين
التقيضين^٣. مع أنه مع نفسه لايصح تفسير الموت بالعدم الأصلي.

١. مرآة العقول، ج ٧، ص ٧٧، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص، ح ٤.

٢. المقصود هو التعلق الذاتي للخلق بالموت؛ أي ان الله عز وجل قد خلق الموت الذي يعني انعدام
الحياة. ولكن اذا قطع اسباب استمرار الحياة وقام بما يجعل هذا الموجود غير قادر على البقاء قيد
الحياة، يكون خلق الموت امراً عرضياً. وهنا ينتقض ما ذهب إليه المرحوم المجلسي بكون
الموت وجودياً.

٣. المقصود هو العدم الأصلي في مقابل العدم التبعي. ان لفناء الاشياء حالتين: احدهما الفناء المطلق
والاخرى الفناء المضاف والتبعي. من ذلك مثلاً ان الموت عدم تبعي؛ أي انه يحصل نتيجة
لانعدام اسباب استمرار الحياة (كوقوع المرض)، وهنا ينقطع استمرار الحياة. ولكن هناك اشياء
عدمية بمعنى انها لم تخلق في العالم اصلاً حتى يقال مثلاً لماذا زالت وانعدمت؟ فاذا قيل ان
الموت عدم أصلي فهذا لا يتفق مع كونه وجودياً؛ إذ من المعلوم ان حصول الموت للموجودات
تبعي. وكونه تبعياً يتناقض مع كونه وجودياً، ويكون بمثابة الجمع بين التقيضين.

انظرة اخرى إلى مسألة الموت والحياة

وملخص القول: إن مقتضى التحقيق هو أن «الموت» عبارة عن الانتقال عن النشأة الظاهرية الملكية - الدنيا - إلى النشأة الباطنية الملكوتية. أو أن الموت عبارة عن الحياة الثانية الملكوتية بعد الحياة الأولى الملكية الدنيوية. وعلى كل تقدير يكون الموت أمراً وجودياً بل هو أتم من الوجود الملكي، لأن الحياة الملكية الدنيوية مشوبة بالمواد الطبيعية الميتة التي تكون حياتها عرضية وزائلة. في حين أن الحياة الذاتية الملكوتية التي تحصل هناك تبعث على استقلالية للنفوس، وتكون تلك الدار، دار حياة ومن لوازم الحياة. وأن الأبدان المثالية البرزخية قائمة بالنفوس قياماً صدورياً - مثل قيام المعلول بالعلة - كما هو مقرر في محلّه المناسب. وبالجملة إن الحياة الملكوتية - التي يعبر عنها بالموت حتى لا يكون ثقبلاً على السمع - متعلق للجعل والتكوين وتحت قدرة الذات المقدسة.



في معنى الاختيار والامتحان والابتلاء، وتوجيه نسبة ذلك إلى

الله

وقد تقدّم منا معنى «الاختبار» والامتحان وكيفية نسبه إلى الحق المتعال جلّ جلاله...، على نحو لا يستلزم الجهل على الذات المقدسة، ومن دون حاجة إلى تكلف وتأويل، ولا بد من الإشارة إليه بصورة مجملّة، هي:
إن نفس الإنسان في بدء فطرتها وخلقتها تتمتع بالاستعداد المحض والقابلية

الصفرة، وهي خالية عن كل فعلية من ناحية السعادة والشقاء، وبعد حصول الحركات الطبيعية الجوهرية، والأفعال الاختيارية تتحول الاستعدادات إلى الفعلية وتنجم التشخيصات والتمييزات. فانفراد السعيد عن الشقي والغث عن السمين، يحصل في هذه الحياة الملكية. والهدف من تكون الحياة الملكية هو تمحيص النفوس والتفرقة بين السعيد منها والشقي. وعليه تتضح الغاية المنشودة من وراء اختبار الناس. وأما «خلق الموت» فهو أيضاً دخیل في هذا الفرز والتفريق بين السعيد والشقي، بل هو الجزء الأخير من العلة، لأن المقياس في الفعليات هي الصور - الملكوتية - الأخيرة التي ينتقل بها الإنسان من هذا العالم.

وخلاصة الكلام أن المقياس في التفرقة هو الصور الأخروية الملكوتية، وهي لا تحصل إلا بواسطة الحركات الجوهرية والأفعال الاختيارية الدنيوية الملكية. فأنضحت الغاية المنشودة من الامتحان والاختبار المترتب على خلق الموت والحياة من دون بقاء جهل في ذلك. نعم تفصيل ذلك لأجل دحض كل الملاحظات، يرتبط ببيان العلم «الذاتي» لله قبل الإيجاد، وعلمه «الفعلية» لدى الإيجاد، وهو أكبر من نطاق هذا الكتاب. وقوله سبحانه: ﴿أَيْسَرُكُمْ أَعْمَالًا﴾ الذي ربط نتيجة الامتحان بأحسن «الأعمال» يعود أيضاً إلى هذا المعنى المذكور. وعليه يفسر الحديث الشريف، لأنه فسر ﴿أَحْسَنُ﴾ «بالأصوب»، والأصوب «بخشية» الله و«النية الصادقة» وهي الصور الباطنية للنفس، والباعثة على التفرق الحقيقي للأرواح، أو أنها من المظاهر للاختلافات الجوهرية الغيبية للنفس. بل بناء على تأثر القلب والباطن من الأعمال الظاهرية... يحصل التفرق عبر الأعمال أيضاً، فامتحان الأعمال، اختبار للذاتيات أيضاً.

وإذا فسّرنا الآية المباركة حسب ظاهرها، وقطعنا النظر عن تفسير الإمام (عليه السلام)، كان الاختبار أيضاً بهذا المعنى المذكور، لأن نفس الحضور في هذه النشأة الدنيوية ﴿وَخَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ﴾، باعشان على فرز الأعمال الحسنة عن الأعمال السيئة. أما سببية خلق الحياة في ذلك فمعلوم، لأنها سبب النهوض والحركة والعمل. وأما خلق الموت، فمع العلم بعدم استقرار الحياة الدنيوية، وتيقن حصول الارتحال من هذه النشأة الفانية، تختلف الأعمال من إنسان لآخر، ويتم الفرز بين صالحها وطالحها.^١

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ١٤



كَوْنَهُ عَلِيماً وَخَبِيراً دَلِيلٌ عَلَى كَوْنِهِ بَسِيطاً وَمَجْرَداً]

ولعل ما يشير إلى برهان: «كل مجرد عاقل» بل بوجه «بسيط الحقيقة كل الكمال» قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^٢.

١. أي يفسر بالآكثر عملاً. ولا يكون الابتلاء بالأفضل عملاً، وإنما يتعلق بحضور الشخص واداء التكليف.

٢. الاربعون حديثاً، ص ٣٢١ - ٣٢٤.

٣. سورة الملك، الآية ١٤.

٤. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٠٦.

[علم الله بالاشياء علم تفصيلي]

الله تعالى عالم بجميع الأشياء علماً تفصيلاً من أزل الآزال إلى أبد الآباد، دون ان يستلزم هذا كثرة في ذات الباري تعالى البسيطة. وسوف نثبت أيضاً: إن كان لله علم معقول فلديه علم محسوس أيضاً، وانه عالم بجزئيات الأفراد كما هي: ﴿لَا يَغْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ﴾^١ ﴿أَلَّا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^٢. ومن شعب هذا القول، القول بعدم الزيادة^٣.

[السير الإنسان الكامل اتجاه مستقيم]

لابد من معرفة أنه قد ثبت بكل وضوح في العلوم الفلسفية العالية والمعارف الإلهية الحقّة أن حقيقة الوجود، هي حقيقة النور، وإنهما عنوانان يحكيان عن

١. سبأ (٣٤): ٣.

٢. الملك (٦٧): ١٤.

٣. اشير في المقطع السابق اجمالاً الى ان الآية الشريفة المذكورة آنفاً تدل على برهان: كل مجرد عاقل، وبرهان: بسيط الحقيقة كل الكمال، بل تشير إليه على وجه الاحتمال. ولكن هنا وفي هذا المقطع تسلط الضوء بمزيد من التوضيح بأن الموجود إن لم يكن مادة، حتى يكون محدوداً وعاقلاً، والله الذي خلق الموجودات وهو يعلم حالها، فمثل هذا الموجود مجرد وعاقل، بل بما ان الله حقيقة بسيطة ويتصف بكل الكمالات، ومن هذه الكمالات كونه عليماً وخبيراً، الذي جاء في هذه الآية وهو يشير الى كلا الامرين. ويمكن الاطلاع على مزيد من التفاصيل بالرجوع الى كتاب: الاربعون حديثاً، ص ٦٠٧، ٦١٥؛ شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٠٦؛ والأسفار الأربعة، الملا صدرا، ج ٢، ص ٣٦٨ و ج ٦، ص ١١٠.

٤. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ١٦١.

حقيقة بسيطة واحدة، من دون أن يكون هناك تكثُر وتعدّد. ' وثبت أيضاً أن كل ما يُعد كمالاً وتاماً فهو عائد إلى الوجود بعينه. وهذا من المبادئ الأساسية المباركة التي من تشرف بها واستوعبها، تفتح عليه أبواب المعارف. وأما نفوسنا الضعيفة، فهي قاصرة وعاجزة حقاً عن إدراك تلك الحقيقة، اللهم إلا إذا توفرت له نجدة غيبية، وتوفيق أزلّي إلهي.

ومن الواضح أيضاً، أن الإيمان بالله من نوع العلم ومن الكمالات المطلقة، وحيث أنه من الكمالات، فهو أصل الوجود، وأصل حقيقة النور والظهور، ومالا يكون من الإيمان وتوابعه، فهو خارج عن نطاق الكمالات النفسية الإنسانية، وملحق بظلمات الأعدام والماهيات.

﴿أَلَمْ نَمْنِيْ مُكَيِّبًا عَلٰى وَجْهِهِ أَهْدٰى أَمْ نَمْنِيْ سَوِيًّا عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾ ٢٢



[في معنى الصراط و مصاديقه]

إذن؛ تبين أن قلب المؤمن أزهر... وأنه أيضاً يسلك ﴿صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾، وينتهج في سيره الروحاني الجادة السوية الإنسانية. وذلك:
 أولاً: لم يخرج قلب المؤمن من الفطرة التي فطرها الله والتي عجنها الحق المتعالي بيديه الجمالية والجلالية فترة أربعين صباحاً، وخمراً، فيسير لامحالة

١. اشارة الى قاعدة: بسيط الحقيقة كل الاشياء و كمال الاشياء، التي جاء شرحها في الاربعون حديثاً وفي تفسير الآيات. راجع: شرح دعاء السحر، ص (١٢١)، شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٠٦.

على ضوء فطرة التوحيد التي هي التوجه والانشداد إلى الكمال المطلق والجمال التام، ولامحالة يكون هذا السير الروحاني من مرتبة الفطرة المخمّرة حتى منتهى الكمال والمطلق من دون أدنى إعوجاج وإنحراف. وهذا هو الطريق الروحاني المستقيم، والجاذبة المستوية الغيبية. وأما القلوب الأخرى، فهي خارجة عن فطرتها ومجانبة للسبيل المستقيم. وقد نقل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه رسم على الأرض خطاً مستقيماً ثم رسم خطوطاً متقاطعة من حول الخط المستقيم، ثم قال: أن الخط المستقيم هو صراطي ومنهجي^١.

وثانياً: إن المؤمن يتبع الإنسان الكامل. ولَمَّا كان الإنسان الكامل مظهراً لجميع الأسماء والصفات، ومربوباً للحق المتعالي بالإسم الجامع، لم تكن لإسم غلبة على آخر في التصرف في الإنسان الكامل، وكان - الإنسان الكامل - مثل ربه المتعالي وجوداً جامعاً من دون تفوق مظهرية اسم على آخر. وإحتوى على مقام الوسطية والبرزخية الكبرى، وتم سيره على ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الطريق الوسط الذي هو الاسم الجامع.

وأما الكائنات الأخرى، فيكون كل واحد منها مظهراً لإسم من الأسماء المحيطة أو غير المحيطة، ومتصرفاً فيه، ويكون مبدئه ومعاده نفس ذلك الإسم. وأما الإسم المقابل له، ففي الغيب والباطن، ولا يتصرف في ذلك الكائن إلا من خلال أحدية جمع الأسماء، ولا يسمع لنا المقام شرح ذلك. فإذا الحق المتعالي

١. الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ٢٣٩، السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير المأثور، ج ٣، ص ٣٥٨، ذيل الآية ١٥٣ سورة الأنعام. وكذلك، صدر الدين الشيرازي، تفسير القرآن الكريم؛ ج ٤، ص ٥٢، تفسير آية الكرسي؛ الفيض الكاشاني، علم اليقين؛ ج ٢، ص ١١٧٨.

في مقام الإسم الجامع وربّ الإنسان، على الصراط المستقيم، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^١ بمعنى مقام الوسطية والجامعية من دون غلبة صفة على أخرى، وظهور أسم دون آخر.

ويكون مربوب الذات المقدسة الموجود في مقام الوسطية والجامعية على ﴿الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أيضاً، من دون ترجح مقام على مقام، وشأن على شأن. كما يطلب هذا المربوب، في معراج الصعودي الحقيقي، ولدى منتهى وصوله إلى مقام القرب، بعد عرضه العبودية على الذات المقدسة، وإرجاع كل عبادة وعبودية من كل عابد إلى الذات المتعالية، وحصر الإعانة في جميع مقامات القبض والبسط في ذاته جل جلاله بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يطلب هذا المربوب قائلاً: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وهذا الصراط هو الصراط الذي يهيم عليه ربّ الإنسان الكامل، على وجه الربوبية والظاهرية - الإظهار والخلق - ويكون دور الإنسان الكامل، المربوبية والمظهرية - المخلوق - وأما الموجودات الأخرى، والسائرون إلى الله، فلا تنتهج ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، بل تنزع إما نحو جانب اللطف والجمال، أو نحو جانب القهر والجلال.

وأما المؤمنون فلما كانوا تابعين في مسيرتهم للإنسان الكامل وواضعين خطاهم في موضع أقدامه وسائرين على ضوء نور هدايته ومعرفته، ومستسلمين للذات المقدسة للإنسان الكامل، غير معتمدين على أنفسهم خطوة واحدة في سيرهم الروحاني إلى الله، فلما كان المؤمنون كذلك يسلكون أيضاً الصراط المستقيم، ويكون حشرهم مع الإنسان الكامل، ووصولهم تبعاً لوصول الإنسان

الكامل، شرط محافظتهم على صفاء قلوبهم من تصرف الشياطين والإنية والأناية، بل ويستسلمون في المسير كلياً للإنسان الكامل ومقام الخاتمة... ولا بد من معرفة أن المؤمن لما كان سيره في هذا العالم معتدلاً، وقلبه سوياً، وتوجهه نحو الله وصراطه مستقيماً، كان في ذلك العالم أيضاً صراطه مستقيماً وواضحاً، وجسمه معتدلاً وصورته وسيرته وظاهره وباطنه في صورة الإنسان وهيته.

[لسير المشرك اتجاه منكوس]

وعند مقارنة قلب المشرك مع قلب المؤمن، نستطيع أن نفهم موقع قلب المشرك ومصيره، فحيث أن قلبه قد خرج عن الفطرة الإلهية، وانحرف عن النقطة المركزية للكمال، وعن بجوحة النور والجمال، وابتعد عن التبعية للهادي المطلق والولي الكامل، وانشغل بأنيته بالدنيا وزخارفها، لم يحشر المشرك في العوالم الأخرى في سيرة الإنسان وصورته المعتدلة، وإنما يحشر في صورة حيوان منكوس الرأس، لأن الهيئة والصورة في ذلك العالم تتبع القلوب، وأن الظاهر هناك ظل لباطن الإنسان هنا، وأن القشر انعكاس للباطن وأن مواد ذلك العالم لاتأبى الأشكال الملكوتية الغيبية، كما هو شأن المواد في هذا العالم التي لاتقبل الأشكال المختلفة. وقد ثبت كل ذلك في محله بالدليل والبرهان.

فالقلوب التي أعرضت عن الحق والحقيقة، وخرجت عن فطرتها المستقيمة وأقبلت على الدنيا، ألفت بظلالها على ذلك العالم حيث يخرج أصحابها هناك من الاعتدال ويكونون منكوسين، ومتجهين نحو عالم الطبيعة والدنيا التي تعتبر

أسفل السافلين^١.

فمن المحتمل أن يمشي بعض مكباً على وجهه وتكون ساقاه نحو الأعلى ويمشي بعض على بطنه، وبعض على يديه ورجليه، كما كان اتجاهه في هذا العالم: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَم مَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فمن الممكن أن هذا الاستعمال المجازي في هذا العالم المجازي، يتحول إلى واقعية وحقيقة في عالم الحقائق والظهور للروحانيات والغيبيات.^٢



[مصداق الصراط المستقيم]

لقد فسرت الأحاديث الشريفة: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ المذكور في نهاية هذه الآية المباركة بالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة المعصومين (عليهم السلام):

١. بحث الظل كناية عن الأثر الوجودي وتعبير عن شخصية الانسان. ومثلما ان الظاهر ظل للباطن، والقشرة تمثل جانباً من اللب والحقيقة. والقلب الذي يتمرد على الحق والحقيقة ويميل الى الدنيا والشهوات، تخرج صورته وهيته عن المسار الفطري وينقلب. والخروج عن مسار الحق انقلاب في الموضوع الذي ينكّب فيه على الدنيا. ومن هنا يمكن القول ان الآية الشريفة موضع البحث عبارة عن تكتية وتبيين بالتشبيه شخصية الانسان المنحرف.

٢. اذا مشى الناس على الارجل والايدي كالحوانات خلافاً للسلوك المتداول، فهذا كناية عن نوع السلوك الحيواني للناس المنحرفين في عالم المجاز وهو الدنيا، وان سلوكه كسلوك الحيوانات، لانه في الواقع يمشي على يديه ورجليه في هذا العالم. وهذا السلوك في عالم الحقيقة، الظهور والبروز الروحاني لذلك العالم، ولا يعني انهم في الآخرة يمشون مثلما تمشي الحيوانات، وانما يعيشون حياة كحياة الحيوانات والزواحف.

عن الكافي، بإسناده عن أبي الحسن الماضي (عليه السلام) قال: «قلت: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؟ قال: إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا، مَنْ حَادَّ عَنْ وِلَايَةِ عَلِيٍّ (عليه السلام) كَمَنْ يَمْشِي عَلَىٰ وَجْهِهِ لَا يَهْتَدِي لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ مَنْ تَبِعَهُ سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام)»^١.

وعن الفضيل قال:

«دَخَلْتُ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَهُوَ مُتَكِيٌّ عَلَيَّ فَنظَرَ إِلَى النَّاسِ وَتَحَنَّنَ عَلَيَّ بِابِ بَنِي شَيْبَةَ فَقَالَ يَا فَضِيلُ هَكَذَا كَانُوا يَطُوفُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَعْرِفُونَ حَقًّا وَلَا يَدِينُونَ دِينًا يَا فَضِيلُ أَنْظِرْ إِلَيْهِمْ مُكَيِّبِينَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقٍ مَسَخَهُمُ رَبُّهُمْ مُكَيِّبِينَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يَعْنِي عَلِيًّا (عليه السلام) وَالْأَوْصِيَاءَ (عليهم السلام)»^٢.



١. أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب فيه نكت ونف من التنزيل في الولاية، ح ٩١.
٢. جاء في روايات أخرى بهذا المضمون وهو: يعني محمداً وذريته صلوات الله عليهم، ولكن في هذه الرواية لم يرد اسم أمير المؤمنين، وإن كان اسمه قد جاء منفرداً في روايات أخرى. (راجع: تفسير البرهان، ج ١، ص ١١٨ - ١١٩، ذيل سورة الحمد). ومع ذلك فإن ذكر الاسم هنا والتفسيرات جاء من باب ذكر المصداق للآية وليس لتفسيرها.

٣. الروضة من الكافي، ص ٢٨٨، ح ٤٣٤.

٤. الاربعون حديثاً، ص ٥٣٠ - ٥٣٤.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ١

[المراد من كلمة: ن والقلم]

إعلم أن ملائكة الله على أصناف وأنواع كثيرة كلهم جنود الحق المتعالي، ولا يعلمهم أحد إلا الذات المقدسة علام الغيوب ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^١. صنف منهم ملائكة مهيمون - عاشقون - مجذوبون، لا يلتفتون نهائياً إلى عالم الوجود، ولا يعرفون بأن الله قد خلق عالماً أم لا، وإنما هم مستغرقون في جمال الحق وجلاله، ومنصهرون في كبرياء ذاته المقدسة^٢. ويقال بأن كلمة: ﴿ن﴾ المباركة في الآية الشريفة: ﴿ن * وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ إشارة إلى هذا الصنف من الملائكة^٣.

١. المدثر (٧٤): ٣١.

٢. علم اليقين، ج ١ ص ٢٥٦، المقصد الثاني، الباب الأول، الفصل الأول.

٣. الاربعون حديثاً، ص ٤١٤.

[النسبة بين «ن» والقلم ومقام: أو ادنى]

و هذا مقام ﴿أَوْ أَدْنَى﴾^١ اخيرة المقامات الانسانية؛ بل لم يكن هناك مقام ولا صاحب مقام. و هذا مقام الهيمن المشار اليه بقوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^٢ على بعض الاحتمالات.^٤ يعني في قوس الصعود^٥

﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^٤



١. اشارة الى الآية الشريفة ٩ سورة النجم التي تتحدث عن معراج النبي وسيره المعنوي: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.

٢. وهو اشارة الى مقام «أو ادنى». وهو نقل حول «النون» و اشارة الى الملائكة وجاء كمستند للقول. بديهي ان الوصف الهندسي لملائكة خاصين رغم كونهم من المجرّدات، يقصد به معناه المجازي و اشارة الى حقيقة وتصوير للوجه الملكوتي والالهي لهذه الطائفة من الملائكة. تشبيه لسريرة الانسان وظهور أعماله من الداخل الى الخارج في عالم التكوين والمثال البارز له الكوز الذي ينضح بما فيه من ماء عذب أو مالح. ويعبر عن هذا المعنى قولهم: فكلُّ اناء بالذي فيه ينضح. أي في قوس الصعود. و له مقام آخر، هو مقام الجمع بين الوحدة والكثرة و البقاء بعد الفناء بالحق. منه عفي عنه.

٣. فان «ن» على ما افاد شيخنا العارف اشارة الى الملائكة المهيمنة، الذين استغرقوا في ذاته تعالى، و يكون لهم بمشاهدة جلاله و تجليات ذاته هيمن و دهشة. ولهذا كانت صورتها الكتيبة اقرب الى الدائرة التامة، وكان طرفاها متوجهاً الى السماء، وكانت كالمتحير حول النقطة المركزية. منه عفي عنه.

٤. شرح دعاء السحر، ص ١٥ - ١٦.

٥. هذا القسم كان في هامش الكتاب وانتقل الى المتن، وهو اشارة الى مقام «أو ادنى».

[لابد من خلق عظيم لمقصد عظيم كالرسالة]

وبالجملة إن الرفق والمداراة في تقدم المقاصد أكثر تأثيراً من كل شيء. وكما هو الأمر في المقاصد الدنيوية، فكذلك هو في المقاصد الدينية من قبيل الإرشاد وهداية الناس، فبدون الرفق والمداراة في المهمات لا يتحقق هذا المقصد الشريف...

وهذا دستور كلي لجميع هداة طريق الحق، الذي يفتح أمامهم الطريق لفتح القلوب كما أن الله تعالى ينهي على رسوله الأعظم ﷺ بقوله: ﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^١ ولمقصد كبير مثل هذا يلزم الخلق العظيم لا محالة، بحيث تكون لديه القدرة على مقاومة جميع الأمور غير الملائمة، وعدم الخروج من ميدان إرشاد الخلق صفر اليدين، إن أعظم تعب وأشد مشقة لهداة طريق الحق كان ولا يزال معاشره الجاهلين ودعوة الحمقى.^٢

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ٤٢

[العلاقة الوثيقة بين الروح والظاهر]

الرابط بين الروح والباطن الملكوتين مع الظاهر وقوى النفس الملكية بشكل أن الظاهر والباطن يتأثر كل منهما بالآخر ويسري كمال كل منهما ونقصه وصحته وفساده إلى الآخر.

١. سورة القلم (٦٨): ٤.

٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣١٦ - ٣١٧.

كما أن الروح السالمة الكاملة تظهر سلامتها وكمالها من منافذ القوى الملكية، كالكوز يترشح الماء الصافي من منافذه التي هي من منافذ القوى الظاهر والباطن ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^١ وهكذا فالروح العلية الناقصة التي غلبت عليها الشقاوة والمسكنة، ووقعت تحت تصرف الشيطان، وفقدت السعادة والكمال الفطريين، واحتجبت بأنواع الحجب، تعطي صبغتها من منافذ قواها، التي هي روابط بين الملك والملكوت، وهي صبغة الشيطان في مقابل صبغة الله، وتجعل ظاهر قواه الملكية على شكله وشاكلته، كالكوز الذي يظهر الماء المر والمالح وغير السائغ من باطنه إلى الظاهر، بواسطة منافذه التي هي روابطه. ويتفق نادراً أن تكون نفس قوة الروح الماسكة للنفس وروحانيتها قوية وقدرة التحفظ للروح شديدة، وتمنع من أن يطلع أحد على أسرار روحه، وهذا الإمساك والحفظ حيث إنه قسري وعلى خلاف الطبيعة ينقطع لا محالة يوماً ما، إما في الدنيا، في أوقات خروج النفس عن حالتها الطبيعية، أو بشدة الغضب وهو الأكثر وقوعاً، وإما بغلبة الشهوة وهذه أقل.

وإذا لم يظهر في الدنيا إما اتفاقاً أو لشدة القوة الماسكة أن يبرز أخلاقه الروحية، ففي الآخرة وهو يوم بروز الحقائق وكشف السرائر تغلب قدرة النفس التي كانت قسرية على الماسكة، فيكون ما في الباطن ظاهراً، وما في السر علناً، لا من طريق الشرح والسريان التي كانت في الدنيا، بل من طريق العلية والمعلولية، وكون إرادة الروح أحدية التعلق: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾^٢ ﴿يَوْمَ

١ . سورة الاسراء (١٧): ٨٤

٢ . سورة القلم (٦٨): ٤٢.

تُبْلَى السَّرَائِرُ^١. فلا يمكن هناك الإمساك والتمنع عن الإظهار، لأنه في ذلك العالم تظهر جميع الروحانيات وتعلن جميع السرائر، فتظهر الحسنات، كما أن السيئات تظهر أيضاً وتعلن، وتتصور الأشكال الملكوتية لأنواع الملكوتين، والتناسخ الملكوتي الذي وقع في الدنيا واستعصى على الطبيعة يظهر واقعه هناك.^٢

﴿فَدَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٤
 ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ٤٥ ﴿فَدَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ
 مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٤ ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ٤٥

[سنة الامهال والاستدراج]

إن هذه الدار، دار امتحان وتفريق بين الشقي والسعيد والمطيع والعاصي، وعالم ظهور الفعليات وليس بدار تبين نتائج الأعمال والملكات. وإذا انتقم الحق المتعالي من ظالم نادراً، لأمكننا القول بأن عناية الحق عز وجل قد شملته. وإذا ترك أهل الموبقات والظلم في ضلالهم وغيهم، كان ذلك «استدراجاً». كما يقول الله سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

ويقول: ﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلْمَأُتَمِنِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا لَأْمَلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^٣.

١. سورة الطارق (٨٦): ٩.

٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

٣. آل عمران (٣): ١٧٨.

وفي مجمع البيان عن الإمام الصادق (عليه السلام): أنه قال: «إِذَا أَحَدَتْ الْعَبْدُ
ذَنْبًا جَدَّدَ لَهُ نِعْمَةً قَدِغَ الْإِسْتِغْفَارَ فَهُوَ الْإِسْتِدْرَاجُ»^١.

١ . مجمع البيان، تفسير سورة القلم، ج ٥ ص ٣٤٠.

٢ . الاربعون حديثاً، ص ٢٤٥.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ١

[شأن نزول آية سؤال السائل]

عندما سمع النعمان بن الحارث بأن النبي نصب في يوم الغدير أمير المؤمنين إماماً، جاء النبي قائلاً: لقد أمرتنا - من قبل الله - أن نشهد بوحدانية الله، وبرسالتك، وأمرتنا بالجهاد والحج والصيام والصلاة؛ فقبلنا بذلك، فلم تكتف بذلك، حتى نصبت هذا الصبي إماماً، وقلت: "من كنت مولاه فإن علياً مولاه"، هل جنت بذلك من عندك أم من عند الله؟ فأقسم النبي بأنه من عند الله، فأدار النعمان وجهه، وقال: رباه، لو كان هذا صحيحاً فابعث لنا صخرة من السماء. فأرسل الله في الحال صخرة أصابت رأسه وقتلته. ثم نزلت هذه الآية.

وقد نقل ذلك الإمام الثعالبي في "التفسير الكبير"، والعلامة المصري الشبلنجي

١ . الكشف والبيان، ج ١٠، ص ٣٥، بيروت، دار احياء التراث العربي. مسند احمد، ج ١، ص ٨٤ و ج ٥،

في كتاب نور الابصار، والحلي في الجزء الثالث من «سيرته» في حجة الوداع، والحاكم في المستدرک، ص ٥٠٢ من الجزء الثامن، وهؤلاء جميعاً من مشاهير أهل السنة.^٣

١. لقد ذكر الشيخ الشلنجي في لفظة المولى ما يلي، ص ١٣٨: «قال العلماء: لفظ المولى يستعمل بإزاء معان متعددة، ورد بها القرآن العظيم، فتارة يكون بمعنى: «أولى» قال الله تعالى في حق المنافقين: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾، أي: أولى بكم. وتارة بمعنى: الناصر، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾، أي: لا ناصر لهم. وبمعنى: الوارث، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾، أي: عصيتي. وبمعنى: الصديق قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً﴾. وبمعنى السيد والمعتمد...» وقد يستعمل بمعنى الامام كما يستدل الشيعة بقول الله عزوجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ بقرينة قرب الله ورسوله.

٢. تفسير الثعلبي: الكشف والبيان، ج ١٠، ص ٣٥؛ مسند احمد، ج ١، ص ٨٤ و ج ٥، ص ٣٤٧؛ مصنف ابن أبي شيبة، ج ٧، ص ٤٩٥؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ١١٠، نقلاً عن سعيد بن جبیر . مما يجدر قوله ان بعض المصادر المذكورة لم ترد فيه اشارة الى حديث الغدير، ولم تبيّن موضوعه . والسورة مكية طياً . وسياقها يتناسب مع موضوع المعاد . واذا كانت هناك روايات قد جاءت في هذا المجال فيمكن ويحتمل انها جاءت من باب ذكر المصداق، الا ان المسألة التي تثير التساؤل هي لماذا حذفت هذه التمة في النسخ الأخيرة، ومن غير المعلوم لدينا هل حذفتها النساخ أم الناشرون الذين صاروا في السنوات الاخيرة يحذفون كل ما لا يتماشى مع معتقداتهم فحذفوا هذه الروايات. وقد سمعت انا شخصياً من ناشر ان الحكومة السعودية لا تسمح بدخول ونشر تفسير الكشف والبيان الا اذا حذفت اقسام منه . وقد فعلت ذلك. كما توجد اختلافات في كتب الحديث والتفسير من حيث قلة او زيادة الأحاديث المذكورة فيها، وهو ما يقوم به المحقق أو الناشر بناءً على رغبته وغالباً ما يكون ذلك تلبية لطلب اصحاب السلطة.

﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى﴾ ١٥ ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾ ١٦ ﴿تَدْعُوا مِن أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ ١٧ ﴿وَ
 جَمَعَ فَأَوْعَى﴾ ١٨ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ١٩ ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ ٢٠
 ﴿وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ٢١

[مفهوم الحرص]

وحيث علمت حقيقة التوكل ومدانحه فيعلم الحرص وهو ضده، وتعلم
 ذمائه وهو أحد جنود الجهل العظيمة وجنود إبليس، وقلما تؤثر مصيدة من
 مصائد إبليس على بني آدم كآثيره.

وهو يحصل من الجهل للحق تعالى والتوحيد والأسماء والصفات ومجاري
 القضاء الإلهي.

وصاحب هذا الخلق القبيح والخاصة المهلكة غافل عن الحق تعالى وقدرته
 ونعمه، وله دخل في سلوك أهل المعرفة في حد الشرك والكفر لأن جميع
 مقدماته وأسسها وضعت على الجهل. والجهل هو احتجاب الفطرة كما ذكر
 سابقاً، ولهذا يعد من لوازم الفطرة المحجوبة ومن جنود الجهل. وهذا الخلق
 الفاسد يوجه الإنسان إلى الدنيا ويمكن جذور حياها في قلبه، ويزين زخارفها فيه،
 ويورث الأخلاق والأعمال غير المرضية، كالبخل والطمع والغضب ومع الحقوق
 الإلهية الواجبة وقطيعة الرحم، وترك صلة الاخوة المؤمنين وأمثالها، حيث كل

١ . وكيف يأتي الحرص من الجهل بالله وبالتوحيد ومن الجهل بالأسماء والصفات ومجاري القضاء
 الإلهي ولا يدري الشخص انه مهما سعى وحاول فانه لا ينال سوى ما قُدِّر له.

منها سبب مستقل لهلاك الإنسان، وسنذكر الآن بعض الآيات الكريمة والأخبار الشريفة الواردة في هذا الباب لعله يحصل منها التنبيه للنفس الحريصة على الدنيا:

يقول الله تعالى: ﴿كَلَّمَآ إِنهَآ لَطَى * نَزَاعَةَ لَلشَّوَى * تَدْعُو مِن آذَنٍ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى * إِنَ الْإِنسَانَ خَلِقَ هَلُوعَا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعَا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعَا﴾^١.

سبحانه وتعالى لا يمكن أن يبين هذا الكلام المعجز، ويلبس لباس الترجمة لقامة هذه الألفاظ لأنه لو بين بأي بيان لنقص من لطافته وتأثيره في النفس.

﴿كَلَّمَآ﴾ مربوطة بالآيات السابقة بمعنى لا يمكن لشيء أن ينجي الإنسان في ذلك اليوم الموحش من العذاب، ولو فدى نفسه بعياله وأولاده، وكل ما هو في العالم فلا ينجيه.

إن نار جهنم لملتهبة، وبلهبها فإن اللحم والجلد، والعصب والعروق تنفصل عن العظم مراراً ثم تنبت من جديد. وتلك الشعلة تدعو من أذبر عن الحق، وتولى وجمع فأوعى، فالإنسان خلق حريضاً إذا مسه الشر يجزع، وإذا مسه الخير يمنع، ولا يعطي الحقوق الإلهية والخلقية.

وليعلم أن الفطرة حيث هي محجوبة فقد صارت طبيعة ثانية^٢ للإنسان، ولذلك قال: ﴿إِنَ الْإِنسَانَ خَلِقَ هَلُوعَا﴾ ولا يتنافى هذا مع خلق الفطرة على السلامة كما هو واضح. والروايات الشريفة في هذا الباب كثيرة، ونحن نقتصر بذكر قليل منها:

١ . سورة المعارج (٧٠): ١٥ - ٢١.

٢ . المراد من الطبيعة الثانوية الحالة التي يفقد فيها الانتباه الى الفطرة والادراكات الاولية من معرفة الخالق والحسنات، وتصبح السيئات والقبايح ملكة له الى درجة ان هذه الامور تصبح سعادة ولذة عنده فيطلبها ويسمى اليها . ولهذا عبر عن هذا المعنى بالفطرة المحجوبة.

في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أبو جعفر عليه السلام مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز كلما ازدادت من القز على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً». قال: (وقال أبو عبد الله عليه السلام: «أغنى الغنى من لم يكن للحرص أسيراً»^١.

وعن الصادق عليه السلام في الوسائل أنه قال: «الحريص محروم من خصلتين، وملازم لخصلتين، محروم من القناعة فتسلب منه الراحة، ومحروم من الرضا فيفتقد منه اليقين»^٢.

وفي مستدرك الوسائل عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يشيب ابن آدم، وتشيب فيه خصلتان: الحرص على المال، والحرص على العمر»^٣.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل: «أي ذلة أكثر؟ قال الحرص على الدنيا»^٤.
وعن تحف العقول عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في وصيته للحسين عليه السلام:
«أي بني الحرص مفتاح التعب، ومطية النصب، وداع إلى التفحم في الذنوب والشره جامع لمساوي العيوب»^٥.

١. اصول الكافي، ج ٢، ص ٢٣٨، الباب ١١٦، ح ٧.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٠، الباب ٦٤، ح ٤.

٣. المستدرك على الصحيحين، ج ١٢، ص ٥٩، الباب ٦٤، ح ٢.

٤. نفس المصدر، ص ٥٩، ح ٤.

٥. تحف العقول، ص ٦٠.

٦. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٢٤ - ٢٢٧.

سورة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا﴾ ٢٦ ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْنَاهُمْ
يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾ ٢٧

[حتمية قتل المفسدين]

ان قتل اولئك الذين لا يمكن اصلاحهم، هو رحمة في حالة الغضب ونعمة في حالة النعمة، وبالإضافة إلى ذلك، رحمة بالمجتمع، ذلك لان العضو الذي يجر المجتمع إلى الفساد هو كالعضو في بدن الانسان ان لم يقطع، فانه يجره إلى الهلاك.

وهذا هو ما مطالبه نبي الله نوح - صلوات الله وسلامه عليه - ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذُبَابًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَظِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاَجْرًا كَفَّارًا﴾^١.

١ . صحيفة الامام، ج ١٦، ص ٢١٧، رسالة وجهها الى السيد احمد الخميني؛ مواعظ ونصائح أخلاقية - عرفانية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ١٨

[المراد من المساجد الاعضاء السبعة اللازمة للسجود]

فإن قلت: إن ما دلَّ على أن السجود على سبعة أعظم:

كصحيحة حماد بن عيسى، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، وفيها «وسجد على ثمانية أعظم؛ على الكفين، والركبتين، وأنامل إبهامي الرجلين، والجيبة، والأنف، وقال: سبعة منها فرض يسجد عليها، وهي التي ذكرها الله عز وجل في كتابه، فقال: ﴿وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وهي الجيبة والكفان والركبتان والإبهامان، ووضع الأنف على الأرض سنة^١ إلى آخرها.

وعن العياشي في تفسيره: «أن المعتصم سأل أبا جعفر الثاني (عليه السلام)

١. الكافي، ج ٣، ص ٣١١ / ١٨١ الفقيه، ج ١، ص ١٩٦ / ٩١٦؛ تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٨١ / ٣٠١؛

وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٤٥٩ - ٤٦١؛ كتاب الصلاة، أبواب أفعال الصلاة، الباب ١، ح ١ و ٢.

- وفيها في الحجّة على وجوب قطع يد السارق من مفصل أصابع -
قال:

قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «السجود على سبعة أعضاء: الوجه، واليدين، والرُّكبتين، والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبقَ له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، وما كان لله لم يُقطع...»^١ إلى آخره.

دالّ على التفصيل بين الإخلال بها وبين الإخلال بغيرها، فإنّ قوله: «السجود على سبعة أعضاء»، أو «أعظم» - كما في الأخرى - يدلّ على أنّ السجدة عبارة عن السجود عليها، فيفتح موضوع حديث «الاتعاد» تحكيماً عليه.

وإنّ قوله: «سبعة منها فرض يسجد عليها، وهي التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه، فقال: ﴿وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾» دالّ على أنّ السجود عليها من فرض الله، فتخرج عن ذيل «الاتعاد»، فتفرض الفريضة الفريضة.

قلت: دعوى دلالتها على أنّ السجدة - بحسب الماهية ولو عند الشارع - عبارة عن ذلك، ممنوعة، فإنّها لا تدلّ إلاّ على أنّ الواجب السجود عليها؛ أيّ وضعها على الأرض، ولهذا قال: «سبعة منها فرض يسجد عليها...» إلى آخره، ومن المعلوم أنّ إطلاق السجود توسّع في غير الجهة، فما في بعض الروايات من أنّ للكفّين - مثلاً - سجدة مجاز، وغير دالّ على المدعى.

١. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣١٩ / ١٠٩؛ مستدرک وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٤٥٤، كتاب الصلاة، أبواب السجود، الباب ٤، ح ١؛ جامع أحاديث الشيعة ٥، ص ٤٨٦، كتاب الصلاة، أبواب السجود، الباب ٢، ح ١١.

وكذا دعوى دلالة الآية الكريمة على كون الفرض السجدة عليها، ممنوعة أيضاً؛ إذ نفس الآية لا دلالة فيها على تلك الأعضاء، فضلاً عن كون السجود عليها فرضاً في الصلاة^١.

﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفَهُ رَصَدًا﴾ ٢٧

[إخبار الأنبياء بالغيب]

في القرآن آيات نزلت عن علم النبي بالغيب، نورد البعض منها لكي تتوضح الأمور للقراء، وينفضح الأعداء:

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفَهُ رَصَدًا﴾^٢.



[التفاوت بين العلم الربوبي وعلم الأنبياء]

إن منشأ «البداء» هي حضرة الأعيان التي لا يعلمها إلا هو والاطلاع على العين الثابتة^٤ الذي يتفق لبعض الأولياء، كالإنسان الكامل، يعدّ من العلم الربوبي،

١ . الخلل في الصلاة، ص ٣٠٩ - ٣١١.

٢ . الجن (٧٢): ٢٦ - ٢٧.

٣ . كشف الاسرار، ص ٥٠.

٤ . المراد من عين الاثبات الصورة العلمية وماهيات الاشياء . وتعتبر الاعيان الثابتة صورة للاسماء الالهية والامور المعقولة لعلم الله.

دون علم الأنبياء و الرسل؛ كما ورد في العلم الغيبي أنه لا يعلم الغيب: ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ و قال أبو جعفر، عليه السلام: «و الله، محمد ممن ارتضاه».^١ ٢

١ . اصول الكافي؛ ج ١، ص ٢٥٦، كتاب الحجّة، باب نادر فيه ذكر الغيب، ح ٢.

٢ . مصباح الهداية، ص ٣١.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ ٤

[الترتيل من آداب القراءة]

ومن آداب القراءة التي توجب التأثير في النفس أيضاً، ويجدر بالقارئ ان يلتزم بها ويتأثر عليها، الترتيل في القراءة، وهو كما جاء في الحديث عبارة عن الحد الوسط بين السرعة والاستعجال فيها وبين التأتني والفتور المفرط الذي يجعل الكلمات متفرقة ومتناثرة عن بعضها.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ، قَالَ؛ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾. قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - تَبَيَّنَتْ بَيَانًا؛ ﴿خ ل: تَبَيَّنَتْ﴾ وَلَا تُهَذِّوْهُ هَذَا الشَّعْرُ وَلَا تَنْشُرْهُ نَشْرَ الرَّمْلِ؛ وَلَكِنْ أَفْرَعُوا قُلُوبَكُمْ الْقَاسِيَةَ وَلَا يَكُنْ هَمٌّ أَحَدَكُمْ آخِرَ السُّورَةِ.^١

١. اصول الكافي، ج ٢، ص ٦١٤، كتاب فضل القرآن، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن، ح ١.

قال سألت الامام الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ مُخْتَلِفاً﴾. اذأ على الانسان الذي يريد ان يقرأ كلام الله، ويداوي قلبه القاسي بآيات الله، ويشفي بالكلام الالهي الجامع أمراضه القلبية، ويدرك بنور الهداية لهذا المصباح الغيبي المنير وهذا «النور على نور» السماوات، طريق الوصول الى المقامات الاخروية والمدارج الكمالية، عليه ان يوفر اسبابه الظاهرية والباطنية وآدابه الصورية والمعنوية.^١



١. الاربعون حديثاً، ص ٥٠٣ - ٥٠٤؛ وأيضاً، راجع: آداب الصلاة، ص ١٩.

سورة المدثر

٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ١ ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ٢ ﴿وَرَبِّكَ لَكَبِيرٌ﴾ ٣ ﴿وَيَا بَنِكَ فَطَهِّرْ﴾ ٤

[الوحدة في بداية البعثة]

لما بدأ الأنبياء دعوتهم كانوا وحيدين. فموسى كان وحيداً، والرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما أمر بالدعوة كان وحيداً ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ أي انهض وادع الناس، لقد بدأ الدعوة من نفسه. عندما أعلن نبوته آمن به امرأة واحدة وصبي، لكن الاستقامة - وهي من ضروريات قيادة الأنبياء الكرام - كانت متجسدة وبشكلها الكامل في الرسول الأكرم ﴿اسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ﴾ انهض واستقم.

إن هذين الأمرين كان لهما دور كبير في نجاح نبي الإسلام بتحقيق أهدافه الكبيرة: النهوض والاستقامة... فقد كان سر انتصار جيش الإسلام في صدر الإسلام رغم عدم امتلاكهم للعدة الحربية يكمن في القيام لله، فالنهوض لله

والإيمان بالله هو الذي جعل النبي الأكرم ينتصر. إن عدم اليأس والاستقامة في سبيل الله كانتا وراء انتصار النبي.^١



[المفهوم العرفاني للقيام في آية: "قم فانذر"]

وهو عند الخاصة إقامة الصلب في الحضرة المقدسة للحق وتشمير الذيل^٢ لإطاعة الأمر والخروج من التدنار والقيام بالإنذار^٣ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبُّكَ فَكَبِّرْ، وَتِيَابُكَ فَطَهِّرْ﴾^٤ والاستقامة في الأخلاق والعدل في الملكات وعدم الميل إلى الإفراط والتفريط... ومن أعلى مراتب الإيمان الوقوف بين يدي الله على نحو لا يغلب الخوف على الرجاء ولا الرجاء على الخوف...

وعند أهل السلوك الاستقامة في مقام الإنسانية والخروج عن تفريط التهود وإفراط التنصر^٥ ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾^٦

١ . صحيفة الامام، ج ٧، ص ٢٤٤، من كلمة ألقاها في حشد من عشائر ممسني وطلاب المعهد العالي

في يزدا؛ صحيفة النور، ج ٦، ص ١٤١.

٢ . تشمير الذيل يعني الاستعداد والتأهب للقيام بما يمليه الواجب امام الله . وإقامة الصلب بمعنى الثبات والصمود والجلد في أمر ما.

٣ . الخروج من التدنار بالمعنى الظاهري هو الانسلاخ من فراش النوم و ثياب النوم، ويعني بالمعنى العرفاني الخروج من الحُجب وازاحة الموانع التي تمنع الحركة، عن طريق السالك.

٤ . المدثر (٧٤) : ٤.

٥ . بما ان التهود واليهودية يفيدان معنى الإفراط في الانكباب على الدنيا، والتنصر والنصرانية يعنيان المبالغة في الرهبانية، لذلك فان اهل السلوك ينتهجون الطريق الوسطي، والاستقامة على الطريق واجتناب الافراط والتفريط . وفي النظرة العرفانية تحاشي المبالغة في السلوك وأتباع الطريق الوسط.

٦ . آل عمران (٣) : ٦٧.

وفي الحديث الشريف إن رسول الله صلى الله عليه وآله رسم خطأ مستقيماً
ورسم خطوطاً حوله وقال هذا الخط المستقيم طريقي.^{١ ٢}

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ﴿٥﴾

[شرط الطهارة في الصلاة من الفرائض القرآنية]

وما ورد في ذيل «لاتعاد»^٣: من أن القراءة والتشهد سنة، ولاتنقض السنة
الفريضة، المستفاد منه: أن ما يصلح لنقضها هو الفريضة؛ أي ما يستفاد
شرطيتها من الكتاب، لا الواجب الذي يستفاد من السنة؛ بدعوى: أن شرطية
الطهور من الخبثية أيضاً مستفادة من الكتاب؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ فَكَبِّرْ،
وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^٤؛ بدعوى: أن المراد هو التكبير في الصلاة،
وتطهير الثوب فيها، والهجر للقدارة فيها، فيكون عامّاً للبدن أيضاً، واستفادة ذلك

١. الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ٢٣٩ و ج ١، ص ٣١٨، ذیل تفسیر سورة
الأنعام وكذلك راجع: علم اليقين؛ ج ٢، ص ١١٧٨، (قريب من هذا المعنى) ومصادر حدیثية
اخرى مثل السيوطي، الدر المنتور، ج ٣، ص ٣٨٥، ذیل الآية ١٥٣ من سورة الأنعام؛ الا ان هذا
الحديث بعينه جاء في الكشف والبيان للتعلبي، ج ١، ص ١٢١.

٢. سر الصلاة، ص ٧٢.

٣. الخصال، ص ٢٨٤ / ٣٥؛ وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٤٧٠، كتاب الصلاة، أبواب أفعال الصلاة،

الباب ١، ح ١٤.

٤. المدثر (٧٤): ٣-٥.

من الكتاب لا تقصر عن استفادة جزئية الركوع والسجود لها، فيكون مقتضاه البطلان مطلقاً. لكن يمكن القول بالصحة مع الجهل بالنجاسة لقاعدة الطهارة، فإن قوله (عليه السلام): «كل شيء نظيف حتى تعلم أنه قذر»^١ محقق لموضوع أدلة الشرطية، كقوله (عليه السلام): «لا صلاة إلا بطهور»^٢، وقوله (عليه السلام): «لاتعاد...»^٣ إلى آخره، وإطلاق التنزيل أو الادعاء في القاعدة يشمل كل من لم يعلم؛ سواء كان شاكاً في نجاسة شيء، أو قاطعاً بطهارته، أو ظاناً بذلك - لدليل اجتهادي - مع نجاسته واقعاً، فإن كل ذلك داخل فيمن لم يعلم بالنجاسة، وإن كان جهله مركباً، ومقتضى عموم الآثار تحقق الشرط للصلاة وصحتها واقعاً، وعدم قصورها عن الصلاة في الطاهر الواقعي.^٤

١ الأمر باجتنب الرجز لا يشمل جميع الموارد

ويتلوهما في عدم صحة التمسك بها للمطلوب قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فإن كونه بمعنى النجاسة المعهودة غير ظاهر، كما لم يحتمله الطبرسي في تفسيره، ولم ينقل احتماله من المفسرين.^٥ وعلى فرضه لا يبعد أن يكون المراد من هجره، الهجر في الصلاة، كما لعله الظاهر من قوله تعالى قبلها: ﴿وَيَا بَكَ﴾

١. تهذيب الأحكام، ج ١، ص ٢٨٤ / ٨٣٢ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٤٦٧، كتاب الصلاة، أبواب النجاسات، الباب ٣٧، ح ٤.
٢. سبق ذكر هذا الموضوع في الهامش الاول من كتاب الخلل في الصلاة، ص ١٩٢.
٣. سبق ذكر هذا الموضوع في الهامش الاول من كتاب الخلل في الصلاة، ص ١٥.
٤. الخلل في الصلاة، ص ٢٢٠ - ٢٢١.
٥. راجع: الطبرسي، مجمع البيان، ج ٩ - ١٠، ص ٥٧٨ - ٥٨١.

فَطَهَّرْ ﴿١﴾ فيكون من قبيل ذكر العام عقيب الخاص.^١
﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ٥



[عدم دلالة الآية على حرمة الانتفاع من النجس]

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، بنحو ما تقدّم من التقريب.^٢
وفيه: أنه لم يتضح أن المراد بالرجز الرجس، فإنه بمعان، منها: عبادة الأوثان،
وفي المجمع: «أنه بالضم اسم صنم فيما زعموا. وقال قتادة: هما صنمان: أساف
وتائلة».^٣ انتهى. ولعل الأقرب أن يكون الأمر، بهجر الأوثان أو عبادتها، وأما
النجس المعهود، فمن البعيد إرادته في أول سورة نزلت عليه (صلى الله عليه وآله
وسلم) - على ما قيل -^٤ أو بعد إقرأ، قبل تأسيس الشريعة، أصولاً وفروعاً، على ما
يشهد به الذوق السليم. ولهذا لا يبعد أن يكون المراد بقوله: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ﴾،
غير تطهير اللباس، بل تنزيه نسائه، أو أقربائه عن دنس الشرك - على ما قيل - أو
غير ذلك مما فسّر.^٥ هذا حال الآيات.^٦

١. المكاسب المحرمة، ج ١، ص ٢٠.

٢. راجع: المكاسب المحرمة، ج ١، ص ٢٠.

٣. راجع: مجمع البيان، ج ٩-١٠، ص ٥٧٨ و ٥٨١.

٤. راجع: مجمع البيان، ج ٩-١٠، ص ٥٧٩، والتبيان ١٠، ص ١٧١ في تفسير السورة.

٥. راجع: مجمع البيان، ج ٩-١٠، ص ٥٨٠ و ٥٨١.

٦. المكاسب المحرمة، ج ١، ص ٥٢.

[معنى عرفاتي لهجر الرجز]

النجاسة هي البعد عن محضر الأنس والمهجورية عن مقام القدس، وهي تنافي الصلاة التي هي معراج وصول المؤمنين ومقرب أرواح المتقين، والنجاسة عند العامة القذارات المعهودة. وعند الخاصة القذارات المعنوية وعند أهل المعرفة وأصحاب القلوب جميع العالم بحيثته السوائية التي هي مظهر الشيطان الرجس النجس. وقد ورد في آداب بيت الخلوة «بسم الله وبالله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم»^١. وقال تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^٢.

فجنب نفسك ما ينافي محفل أنس المحبوب ومجلس قرب الحبيب، واجعل نفسك محجوراً عنه واهجر الرجس الظاهري بتنظيف البدن واللباس وبتخلية الجوف من أذى رجز الشيطان الذي هو فضول المدينة الفاضلة. واهجر الرجس الباطني المفسد للمدينة العظمى وأم القرى بالتخلية التامة والتصفية الكاملة واهجر أصل الأصول والشجرة الملعونة^٣ للخباثت بالهجرة عن الإنية والأنانية، وترك الغير والغيرية... قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^٤.

﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ ٤٨

١. وسائل الشيعة، ج ١، ص ٢١٧، كتاب الطهارة، ابواب احكام الخلوة، الباب ٥، ح ١٨ من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٩.

٢. المدثر (٧٤): ٥.

٣. اشارة الى الآية: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾، (اسراء (١٧): ٦٠).

٤. النساء (٤): ١٠٠.

٥. سر الصلاة، ص ٥٤.

[تجسيد شفاعة الشافعين]

إن أولياء الله لم يخلدوا إلى الراحة أبداً، وكانوا دائمي الخوف من هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر. إن حالات علي بن الحسين (عليه السلام)، الإمام المعصوم، تثير الحيرة. وأنين أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، الولي المطلق، تبعث على الدهشة. ما الذي جرى لتكون على هذا القدر من الغفلة؟ من الذي جعلنا نطمئن؟ إنه لا يغرينا أحد بتأجيل عمل اليوم إلى الغد إلا الشيطان. إنه يريد أن يزيد من أعداد أنصاره وأعوانه، وأن يجعلنا نتخلى بأخلاقه حتى نحشر مع أتباعه. إن ذلك الملعون هو الذي يسعى دائماً إلى تهوين أمور الآخرة في أعيننا، وبتذكيرنا «لرحمة الله» و﴿شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ يريد أن ينسينا ذكر الله وطاعته. ولكن يا للأسف! فهذه كلها أمنيات باطلة، وهي من أحابيل مكر ذلك الملعون وحيله.

إن رحمة الله تحيط بك الآن، رحمته في صحتك وسلامتك وحياتك وأمنك وهدايتك وعقلك وفرصتك وإرشادك إلى إصلاح نفسك وأن آلاف الرحمة الإلهية المختلفة تحيط بك من جميع الجهات، ولكنك لا تنتفع بها، بل تطيع أوامر الشيطان.

فإذا لم تستطع أن تستفيد من رحمت هذه الدنيا، فاعلم أنه لن تنال في العالم الآخر رحمت الله اللامتناهية وتحرم من ﴿شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^١.

١. معنى قوله لا تنفعكم شفاعة الشافعين هو حتى لو شفعا لكم لا تؤثر شفاعتهم. وذلك لأن التأثير يتحقق حين تتوفر له الأرضية والأسباب. فالهداية في الدنيا لا تنفع مع وجود الحُجُبِ وحبِّ الدنيا. وبما ان الهداية لم تكن مؤثرة في الدنيا فلن يكون لها تأثير في الآخرة حيث تظهر الآثار والنتائج. ولكن لا يفهم من هذه الآية نفي الشفاعة تماماً. في هذا المجال، راجع: الميزان، ج ١،

{ المعنى الواقعي للشفاعة }

إن مظهر ﴿شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ في هذه الدنيا، هو الإهداء بهداهم، وفي ذلك العالم فإن باطن الهداية هو الشفاعة. فإذا حرمت الهداية هنا، حرمت الشفاعة هناك. وعلى قدر اهتدائك تكون لك الشفاعة. إن شفاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله). مثل رحمة الله المطلقة تنال من هو جدير بها. فإذا انتزع الشيطان - لاسمح الله - وسائل الإيمان من يدك، فلن تكون جديراً بالرحمة والشفاعة.^١

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ يَكُ لَطْفًا مِنْ مَنِي يُغْنِي ﴾ ٣٧ ﴿ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً لَخُلُقٍ لَسْوَى ﴾ ٣٨

[علاقة رأي الحكماء حول خروج المنى واثبات المعاد]

هناك اختلاف بين الحكماء حول المنى وهل انه كان في كل أجزاء البدن، وعند الخروج يتسرب من كل الاعضاء والاجزاء والعضلات؟ أم له أوعية خاصة به يتكون ويتجمع فيها؛ كأن يجتمع في الخصيتين مثلاً؟ وعند الخروج يتدفق من تلك الأوعية؟ أم يخرج من كل العروق والمجاري؟

الكثير من الحكماء يقولون ان المنى منتشر في جميع الاعضاء ولا أوعية خاصة له. وعند الخروج يكون الانزال منها كلها؛ وذلك لأن المنى يأتي كنتيجة للهضم الرابع وفضول ذلك الهضم، حيث يطرح ما يتبقى في كل الاعضاء بعدما يصبح كبديل لما يتحلل بالقدر اللازم. وعلى هذا فالمنى في الحقيقة مثل الطل والندي الذي يكون في جميع الاعضاء، وهذه الاجزاء المنبئة التي اصابها الطل

تتجمع بحكم الله وقدرته من اجزاء البدن المختلفة وتصير في نهاية الأمر على شكل انسان^١.

[سير مراحل خلق الإنسان دليل على المعاد]

وهكذا الحال بالنسبة الى المعاد؛ فحينما يتحوّل بدن الانسان الى تراب وتناثر اجزائه وذراته في العالم، تُجمع تلك الاجزاء المنبثّة من كلّ الكرة الأرضية ومن الهواء مثلما تجتمع الاجزاء المنوية من اعضاء البدن، وتتكون على شكل وهيئة ذلك الشخص، وتلقى الروح فيه بنفخة. وهم يستدلّون على ذلك بالآية الشريفة: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾^٢، كما يستدلّون عليه أيضاً بالآية الشريفة: ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾^٣، على هذا النحو وهو أننا نعلم ان الماء لو حده أو التراب لو حده يُفسد البذور؛ فالبذر إذا بقي في التراب مدة ولم يصله ماء أو رطوبة، يفسد ويتحلل ويتعفن. وكذلك إذا ألقى في البحر فهو يتعفن هناك ويتحلل في الماء. وإذا اجتمع سبب الافساد سوية فان الضرورة العقلية تقضي بان يعمل على افساده اسرع، الا ان القدرة الإلهية تقضي ان تتحلل القشرة المحيطة بالبذرة، ويخرج من وسطها شيء حي وفيه حياة نباتية. اذاً الله قادر على ان يخرج من الاجزاء الفاسدة جسماً حياً. وهذا العمل في الحقيقة احياء لميت ترابي. ويستشهد على هذا بآيات اخرى أيضاً^٤.

١. راجع: الأسفار الأربعة، ج ٨، ص ١١٠.

٢. القيامة (٧٥): ٣٧ - ٣٨.

٣. الواقعة (٥٦): ٦٤.

٤. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥٠٩ - ٥١٠.

سورة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ ١

[النظر إلى ماضي الإنسان]

أيها الإنسان الضعيف المسكين في اليوم الذي كنت فيه مكتوماً في العدم ومخفياً في غيابة جبهه، فلا أثر منك ولا من آباءك من قبل أن يخلق الكرم: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾، فأي قدرة كاملة، ورحمة واسعة أنجتك من تلك الظلمة غير المتناهية؟ وأي يد قادرة أعطتك خلعة الوجود، ونعمة الكمال والجمال؟

ذاك اليوم الذي أتوا فيه بك بعد طي المراحل والمراتب إلى أصلاب الآباء،

وكنت ذرات وسخة وقذرة، أي يد قدرة هدتك إلى رحم الأم، وأعطت هذه المادة الواحدة البسيطة هذه الأشكال العجيبة؟ بأي خدمة وعبادة صرت جديراً بالصورة الإنسانية؟ وبأي جد حصلت هذه النعم الظاهرة والباطنة، وبأي جد وطلب منك ربّيت في عالم الرحم، وهديت إلى ميدان هذا العالم؟^١

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ٢

[المراد بالنطفة الأمشاج]

ولعل المراد من النطفة الأمشاج في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ هو هذه الامتزاجات والاختلاطات التي تكون في نوع الأفراد، وقلما تكون النطفة غير ممزجة ولا مختلطة من مواد مختلفة.^٢

١ هل كان المنى في كلّ أجزاء البدن ويتسرّب من كلّ الاعضاء

هناك اختلاف بين الحكماء حول المنى وهل انه كان في كلّ أجزاء البدن، وعند الخروج يتسرّب من كلّ الاعضاء والاجزاء والعضلات؟ أم له أوعية خاصة به يتكون ويتجمع فيها؛ كأن يجتمع في الخصيتين مثلاً؟ وعند الخروج يتدفق من تلك الأوعية؟ أم يخرج من كلّ العروق والمجاري؟

الكثير من الحكماء يقولون ان المنى منتشر في جميع الاعضاء ولا أوعية خاصة له. وعند الخروج يكون الانزال منها كلّها؛ وذلك لأن المنى يأتي كنتيجة للهضم الرابع وفضول ذلك الهضم، حيث يطرح ما يتبقّى في كلّ الاعضاء بعدما

١. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

٢. انوار الهداية، ج ١، ص ٨١ - ٨٢.

يصبح كبديل لما يتحلل بالقدر اللازم. وعلى هذا فالمني في الحقيقة مثل الطلّ والندى الذي يكون في جميع الاعضاء، وهذه الاجزاء المنبئة التي اصابها الطلّ تتجمع بحكم الله وقدرته من اجزاء البدن المختلفة وتصير في نهاية الأمر على شكل انسان.^{٢١}

[سبب اطلاق السميع والبصير على الله على خلاف سائر الحواس]

نظراً الى ضعف تجرّد اللمس والذوق والشم وقربها الى المادة، لذلك فهي لا تُطلق على الله. ولكن صفتي السميع والبصير تُطلقان على الله. كما انه منّ على الانسان باعطائهما له وقال: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.^{٢٢}

وعلى العموم: بما أن تجرّد السمع والبصر أقوى، فهما قادران على جامعية الكثرة، بينما القوى الظاهرية الاخرى لا تتصف بمثل هذا النحو من التجرّد، ولهذا فهي غير قابلة للكثرة على نحو الجمعية، وعندما يضع الانسان يده على جسم بارد، وتبرد يده، يحسّ بلمس في الملمسين. وطبعاً برودة اليد ليست ادراكاً للبرودة، بل ان النفس بعد ذلك تشعر بالبرودة في مقامها.

في مقام إحصاء النعم التي في خلق الانسان، ينطوي فيها ذكر القوى الظاهرية له عدا السمع والبصر؛ لأنه تعالى قال: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.^{٢٣}

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^{٢٤}

١. راجع: الأسفار الأربعة، ج ٨ ص ١١٠.

٢. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥٠٩ - ٥١٠.

٣. الانسان (٧٦): ٢.

٤. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٦٠٩ - ٦١٠.

[دخول عالم التجرد قهري لكل طوائف الناس]

حينما يغادر الانسان عالم الطبيعة، من الممكن ان يكون عند المغادرة مجرداً عقلياً أو مجرداً شيطانياً. وبالنتيجة اما ان يكون الانسان مجرداً أو مجرداً شقيماً. ان الذهاب الى عالم التجرد قهري، ولكن في هذا السفر غير الاختياري، قد ينتفع أحد وقد يتضرر آخر ولكن باختيار كل واحد منهما. ولهذا فهو يكون شيطاناً مجرداً أو انساناً مجرداً.

وهذا هو معنى الآية الشريفة: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^١ والمعنى هو أننا نهديهم الى الطريق القهري التجردى للحركة الجوهرية، فأما ان يكونوا كفورين وشيطانيين، وأما ان يسيرون على الطريق الذي يكونون فيه أناساً وشكورين ومؤمنين.

[التفاوت بين الناس في اكتساب الفضائل]

ولا يحظى طبعاً ان الحال ليس كذلك في ما يتعلق بكسب الفضائل بحيث يكون الناس سواسية ولا فرق بينهم؛ لأنه بمحض الخروج عن عالم الطبيعة يكون التجرد العقلائي غير تام، وإنما يكون هناك برزخ ولا بد من اجتيازه ذلك البرزخ بالحركة الجوهرية أيضاً من اجل الدخول في التجرد العقلائي الصرف. اذا فالبرزخ للجميع، ولأهل البرزخ وجود برزخي - يقع بين الوجود التجردى العقلائي والوجود الجسماني الطبيعي - ولهذا تكون جنة السعداء جنة برزخية وجهنم الاشقياء جهنم برزخية.

ان عالم البرزخ مرحلة قهرية من مراتب الوجود؛ ولهذا فهي قهرية للجميع.

غير ان من اكتسبوا في هذا العالم مطالب عقلانية وفضائل يكون طريقهم البرزخي قصيراً وسرعان من يصلون الى عالم التجرد العقلائي وسيهم البرزخي أقل، وتحدث حكمتهم الجوهريّة البرزخية أسرع؛ وذلك لأنهم أكثر أهلية واستعداداً بفضل ما اكتسبوا من فضائل عقلانية لنيل خلة التجرد العقلائي. وكذلك الذين اكتسبوا الرذائل يدخلون جهنم التجردية الكاملة أسرع. بينما البعض يطول بقاؤهم في جهنم البرزخ. ولهذا فقد قال ذلك الرجل: حين سقطت من السلم، سقطت في جهنم. والعياذ بالله!

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنَاتِنَا وَيَتِيمَاتِنَا وَأَسْرَارًا﴾ ٨ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ ٩



دور المحبة والاخلاص في الأعمال

الإيثار إخلاصاً أهم من كل شيء عند الله، كما يصف تبارك وتعالى في سورة: ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ أهل بيت العصمة بقوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ...﴾ فالإطعام في حد ذاته ليس شيئاً مهماً، خاصة عندما يكون بقرص من خبز الشعير، بل المهم ان يكون ذلك: ﴿عَلَىٰ حَيْثُ...﴾

انكم تضحون بأرواحكم، وهناك الكثيرون يفعلون ذلك في أمور منحرفة، فالعمل واحد في الشكل لكن المعنى والفحوى يختلفان، والمعيار هو فحوى العمل وليس شكله. فالسيف الذي جرده علي بن أبي طالب - سلام الله عليه -

وضرب به ذلك الشخص وقتله. هو ما يقع في كل مكان وقد فعل ذلك كثير من الناس ويفعلون. والقيمة ليست هنا، بل القيمة هي ما كانت في قلب علي أبي طالب عليه السلام وما كان يدور في ذهنه ودرجة الإخلاص الذي كان في عمله. ان درجة الإخلاص هي التي جعلت تلك الضربة أفضل من عبادة الثقلين أي عبادة الإنس والجن.^{٢١}

القصد الإلهي والباطني للعمل

كمال عمل الأولياء عليهم السلام إنما كان بواسطة الجهات الباطنية وإلا فصورة العمل ليست لها الأهمية الكثيرة، فإن نزول عدة آيات من السورة المباركة هل أتى مثلاً في مدح علي عليه السلام وأهل بيته الطاهرين ليس بسبب إعطاء قرص من الخبز وإيثارهم به بل كان للجهات الباطنية ونورانية صورة العمل كما أشار إلى ذلك في الآية الشريفة حيث يقول: ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرُؤْفَةِ اللَّهِ لَا لِنُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾.^٣ بل إن ضربة علي عليه السلام التي هي أفضل من عبادة الثقلين^٤ ليست أفضليتها بصورتها الدنيوية بحيث لو صدرت من غيره لكانت أفضل أيضاً وإن كان نفس العمل بلحاظ موقعه. وفي حين تقابل الكفر والإسلام كان مهماً ولعل الأمر لولا تلك الضربة كان سيؤول إلى تمزق حبيكة جند

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٢، تاريخ امير المؤمنين، الباب ٧٠، ح ١.

٢. صحيفة الامام، ج ١٦، ص ١٩٧، من كلمة ألقاها في حشد من المقاتلين في الجهات الجنوبية

والطلاب الايرانيين الذين يدرسون في الخارج؛ صحيفة النور، ج ١٦، ص ١٣٠.

٣. الإنسان (٧٦): ٩.

٤. لضربة علي خير من عبادة الثقلين، بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٢، تاريخ امير المؤمنين، الباب ٧٠، ح

الإسلام ولكن العمدة في فضيلتها وكمال عمله عليه السلام إنما كان بسبب حقيقة الخلوص وحضور قلبه ^{عَلَيْهِ} في إتيانه هذه الوظيفة الإلهية.^١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١ ﴿عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾ ٢

[مصداق النبأ العظيم]

في كتاب الكافي الشريف بسنده إلى الإمام الباقر- روي لتراب مقدمه
الفداء- في تفسيره (عليه السلام) للآية الشريفة: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾
قائلاً: «هي في أمير المؤمنين، كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: مَا لَلَّهِ
تَعَالَى آيَةٌ هِيَ أَكْبَرُ مِنِّي، وَلَا لَلَّهِ مِنْ تَبَأٍ أَعْظَمُ مِنِّي»^١.
﴿لَا بَيِّنَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ٢٣



١. أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب أن الآيات التي ذكرها الله في كتابه، ح ٣.

٢. الاربعون حديثاً، ص ٦٣٥.

[درجات المكوث في جهنم]

فقد ورد في تفسير الآية الكريمة: ﴿لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، إن هذه « الحُصْب » هي لأهل الهداية والذين يكون أصل إيمانهم محفوظاً. إنها تنطبق علينا أنا وأنت. وما طول الحقة ؟ الله أعلم، لعلها آلاف السنين. المهم أن نعمل لئلا يصل الأمر بنا إلى مرحلة لم تعد تنفع فيها هذه المعالجة، فنكون بحاجة إلى آخر الدواء من أجل استحقاق ولياقة النعيم المقيم. ويكون من اللازم - لا سمح الله - أن يذهب الإنسان فترة في جهنم وأن يحترق بنارها لكي يتطهر من الرذائل الأخلاقية والتلوثات الروحية والصفات الشيطانية الخبيثة، ويصبح لائقاً ومستعداً للتعلم بـ ﴿جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^٢.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ كَقُرْآنٍ قَرِيمٍ يَوْمَ يُنظَرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ

تُرَابًا﴾ ٤٠

[كيفية يوم الحساب]

إنها فضيحة ذلك اليوم، وما أدراك ما تلك الفضيحة، والله العالم أية ظلمات تلي تلك المهانة في ذلك المحضر! إن ذلك اليوم - كما يقول الله تعالى في كتابه

١. أورد العياشي بأسناده عن حمران قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الآية: لا يشين فيها أحقاباً، فقال: هذه في الذين يخرجون من النار. مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٢٤، في تفسير الآية ٢٣ من سورة النبا.

٢. هذا التعبير في كثير من الآيات ومنها: سورة المجادلة: ٢٢.

٣. الجهاد الأكبر، ص ٣٤ - ٣٥.

- يتمنى الكافر فيه قائلاً: ﴿يَا أَيَّتُهَا كُنْتُ تُرَاباً﴾ ولكن لا جدوى لهذا التمني.^١



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ ١٧

[اللجاج وانكار الله مع وجود الأئمة الواضحة عليه وسببه]

إن في كل مفطور فطرة الانتقال من أي نظام بديع إلى منظمه وصانعه، وفطرة التحسس عن مبدع اي صفة دقيقة وعجبية، ولا يخطر بباله أي شك أو تردد في أن هذه الصفة العجبية تحتاج إلى الصانع، فاكتشاف قوة الكهرباء واختراع الراديو، والهاتف واللاسلكي وغيرها من المصنوعات العجبية يخضع الإنسان بأصل فطرته وجبلته لصانعها ومستكشفها، ويذكره بتعظيم وإجلال شاء أم أبي... ورغم هذا الوصف يوجد في البشر ظالمون جاهلون ليس في قلوبهم خضوع لساحة العظمة، وتعظيم الصانع وربّه وموجده وقد غلب على قلوبهم القاسية غبار الشك والشبهة، وكدورة التردد، بنحو صاروا معه غافلين عن الأمور الفطرية،

وغير خاضعين للضروريات والبد依يات العقلية: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^١ وهذا ليس إلا بسبب اشتغال الإنسان بعالم الطبيعة وخضوعه لسلطة الوهم والشيطنة ففقد نورانية الفطرة، وانقطعت علاقته بالحقائق، كما قال الله تعالى في سورة: (الاحقاف) الآية ٢٠ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْمْ طَبِيبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

ولعل إحدى الطيبات الطاهرة التي أذهبها الكفار في حياتهم الدنيا، فتمتعوا بالدنيا، واستغرقوا في الشهوات، هي نور فطرة الله التي نزلت من حضرة القدس بالطهارة والنظافة، وكان هذا النور من موائد الإنسان السماوية، وقد افتقده بسبب التوجه إلى الدنيا والتمتع بها.^٢

[المنكر بلجاج جدير باللعن]

إن كل هذا الخلق المتقن الذي يعجز عقل الإنسان عن فهمه، لم يظهر عبثاً وتلقائياً! فلنعم عين القلب التي لا ترى الله، ولا تشاهد جمال جميله في هذه المخلوقات! وللمحق الذي يبقى في الشك والتردد بعد كل هذه الآيات والآثار؟ ولكن ما الذي يستطيع هذا الإنسان المسكين عمله بالأوهام...؟

فإذا وُصفَ الذي يُخْرِجُ نظام هذه الساعة من قاعدة العلة والمعلول، بأنه مجنون ويجب أن يحرم من حقوق العقلاء فما الوصف المناسب الذي يجب أن يوصف به من يزعم أن نظام هذا العالم، لا بل هذا الإنسان ونظام روحه وجسمه

١. سورة عبس (٨٠): ١٧.

٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١١٦ - ١١٧.

قد ظهر تلقائياً؟ هل يجب إبقاؤه في زمرة العقلاء؟ ترى أي بله أشد من هذا؟
﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^١

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ٢٤

[معنى آخر للطعام]

والعلم غذاء العالم. فكما أن الغذاء لا بد أن يكون مناسباً مع المتغذي، كما برهن في باب اتحاد العالم والمعلوم، والعاقل والمعقول، وحيث يقول الله تبارك وتعالى في السورة المباركة (عبس) الآية ٢٤: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾. فلا بد للإنسان أن ينظر حتماً إلى طعامه، وفي الكافي عن زيد الشحام عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ قال: قلت ما طعامه، قال: «علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه»؟

وروى الشيخ المفيد. (رضوان الله عليه) رواية بهذا المضمون عن الباقر عليه السلام.



١. الاربعون حديثاً، ص ١٩٧ - ١٩٨.

٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١١٦ - ١١٧.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٩

عدم تنافي تعلق ارادة الله مع كون الإنسان فاعلاً ومختاراً

ان علمه و إرادته تعلقاً بالنظام الكوني على الترتيب العليّ و المعلولي، و لم يتعلّق بالعلّة في عرض معلوله و بالمعلول بلا وسط حتّى يقال: إنّ الفاعل مضطّرّ في فعله. فأوّل ما خلق الله تعالى هو حقيقة بسيطة روحانيّة بوحدتها كلّ كمال و جمال^١ و جفّ القلم بما هو كائن و تمّ القضاء الإلهي بوجوده، و مع ذلك لمّا كان نظام الوجود فانياً في ذاته ذاتاً و صفّةً و فعلاً، يكون: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^٢....

١. اشارة الى قاعدة: بسيط الحقيقة كل الاشياء، التي سبقت الاشارة اليها في ما مضى. راجع: الأسفار

الأربعة، ج ٢، ص ٣٦٨ و ج ٦، ص ١١٠.

٢. الرحمن (٥٥): ٢٩.

فمن عرف كيفة ربط الموجودات على ترتيب سببي و مسببي إليه تعالى، يعرف أنها مع كونها ظهوره تعالى تكون ذات آثار خاصة فيكون الإنسان مع كونه فاعلاً مختاراً ظلّ الفاعل المختار و فاعليته ظلّ فاعليته تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. فتحصل من جميع ما ذكرنا أنّ تعلق إرادته تعالى بالنظام الأتم لا ينافي كون الإنسان فاعلاً مختاراً كما أنّ كون علمه العنائي منشأ للنظام الكياني لا ينافيه بل يؤكده، هذا^١.



[في معنى الأمر بين الأمرين]

أنه بعد ما علم أنّ التفويض و هو استقلال الممكن في الإيجاد و الفاعلية، و الجبر و هو سلب التأثير عن الموجود و مزاولته تعالى للأفعال و الآثار مباشرة و بلا وسط، مستحيلان، أتضح سبيل الأمر بين الأمرين و هو كون الموجودات الإمكانية مؤثرات لكن لا بالاستقلال، و فيها الفاعلية و العلية و التأثير لكن من غير استقلال و استبداد. و ليس في دار التحقق فاعل مستقل سوى الله تعالى، و سائر الموجودات كما أنّها موجودات لا بالاستقلال بل روابط محضة و وجودها عين الفقر و التعلق و محض الربط و الفاقة تكون في الصفات و الآثار و الأفعال كذلك. فمع أنّها ذات صفات و آثار و أفعال لم تكن مستقلات في شيء منها... فمن عرف حقيقة كون الممكن ربطاً محضاً عرف أنّ فعله مع كونه فعله فعل الله سبحانه. فالعالم بما أنه ربط صرف و تعلق محض ظهور قدرة الله و إرادته و

علمه و فعله، و هذا عين المنزلة بين المنزلتين و الأمر بين الأمرين.^١ و لعلّه إليه أشار في قوله و هو الحقّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^٢ حيث أثبت الرمي من حيث نفاه فقال: «رميت و ما رميت»، فإن الرمي كونه منه لم يكن بقوته و استقلاله؛ بل بقوة الله و حوله، و قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^٣ فأثبت المشيئة لله من حيث كونها لهم، لا بأن يكون المؤثر مشيئتين أو فعلين بالاشتراك؛ بل بما أنّ مشيئة الممكن ظهور مشيئته تعالى و عين الربط و التعلّق بها.^٤



١ . إشارة الى الأحاديث التي جاءت في هذا المعنى عن طريق اهل البيت، راجع: اصول الكافي، ج

١، ص ١٥٩، ح ٩ و ١١؛ عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٢٤، ح ١٧.

٢ . الأنفال (٨): ١٧.

٣ . كيف تكون المشيئة ممكنة الظهور و المشيئة عين الربط و التعلّق؛ لأن ما لديه ليس من عنده، و كل

فعل يفعله انما هو بقدره الله.

٤ . الطلب و الإرادة، ص ٣٦.

سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ ٦

[المعيار في احوال الافراد، كونهم في النعيم والجحيم]

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«جاء رجلٌ إلى أبي ذرٍّ فقال: ... قال: فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: إعرضوا أعمالكم على الكتاب، إن الله يقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ قال: فقال الرجلُ: فأين رحمة الله؟ قال: رحمة الله قريبٌ من

المُحْسِنِينَ^١...^٢

لا يخفى أن حديث أبي ذر رضوان الله تعالى عليه في هذا المقام، حديث جامع، وكلام متين، لا بد من المحافظة عليه. فإنه - أبو ذر - لما قال: اعرضوا أعمالكم على الكتاب الكريم حيث يقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ تمسك الرجل بالرحمة قائلاً: فأين رحمة الله؟ قال أبو ذر لا تكون رحمة الحق من دون قيد ولا شرط^٣ بل هي قريبة من المحسنين.^٤



١ . الأعراف (٧): ٥٦.

٢ . أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٥٨، كتاب الإيمان والكفر، باب محاسبة العمل، ح ٢٠.

٣ . المقصود من ان رحمة الله ليست اعتبارية هو ان رحمة الله لا تحصل بغير حساب ودون النظر الى أعمال الأشخاص . أي من غير الممكن ان يفعل الشخص ما يشاء من الأعمال ويقترف ما يريد من الذنوب ثم يتوقع في الوقت ذاته أن تشمله رحمة الله، بل ان رحمة الله تشمل المحسنين الذين يتفاضى الله عن ذنوبهم ومعاصيهم لإحسانهم.

٤ . الاربعون حديثاً، ص ٣٥٧ - ٣٦٣. طبعاً بعد تجزئة المقاطع وذكر المطالب المناسبة لموضوع الآية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ١ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ ٢ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ
أَوْ وُزُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ٣ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ١ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
يَسْتَوْفُونَ﴾ ٢ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ٣

[الاستفادة من ظاهر الآية ان الكيل يقع في مقابل الوزن]

فقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا
كَالُوهُمْ أَوْ وُزُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ظاهر في أن الكيل في قبال الوزن، ولاسيما مع
المطف بـ«أو». وهذا يظهر من الأخبار أيضاً، ففي صحيحة معاوية بن وهب
قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الرجل يبيع البيع قبل أن يقبضه . فقال:
«ما لم يكن كيل أو وزن فلا تبعه حتى تكيله أو ترزنه...» إلى آخرها.^١

١ . تهذيب الاحكام، ج٧، ص٣٥، ح١٤٦؛ وسائل الشيعة، ج١٨، ص٦٨، كتاب التجارة، ابواب

احكام العقود، الباب ١٦، ح ١١.

٢ . كتاب البيع، ج ٣، ص ٣٦٨.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ١٤

[معنى الرين وصدأ القلب وتأثير صفاته في العبادة]

يظهر من الرجوع إلى الكتاب الإلهي وأخبار الأنبياء والأولياء وآثارهم أن الاهتمام بتطهير القلوب أكثر منه بتطهير الظواهر، بل جميع الأعمال والأفعال الظاهرة مقدمة لتطهير القلوب كما أن تطهير القلوب مقدمة لتكميلها....

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما من عبد إلا وفي قلبه نقطة بيضاء فإن أذنب ذنباً خرج في تلك النقطة نقطة سوداء فإن تاب ذهب ذلك وإن تمادى في الذنوب زاد في السواد حتى يغطي البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً وهو قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^١.

وبالجملة من المهمات التي لا بد للإنسان أن يقوم بها بكلّ عِدَّةٍ وعُدَّةٍ وبكل رياضة ومجاهدة ويخلص نفسه من قبورها وعارها، تطهير القلوب من القذارات المعنوية والأوساخ الخلقية، فإنه إن قام في المحضر الربوبي بدون ذلك التطهير المعنوي فلا ينال غير صورة الصلاة

١ . المطففين (٨٣): ١٤.

٢ . الكافي؛ ج ٣، ص ٣٧٤؛ كتاب الايمان والكفر، باب الذنوب، ج ٢٠.

وقشرها وسوى التعب والمشقة.^١

﴿كَأَلِإِثْمِهِمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّخُجُوبُونَ﴾ ١٥

[معنى حجاب الله على قلوب جماعة من الناس]

مثلما قلنا سابقاً ان السعادة تختلف تبعاً لاختلاف الاشخاص وكذا الشقاء مختلف أيضاً. مثلاً شقاء رجال الدين يختلف عن شقاء العوام من الناس، مثلما ان سعادتهم مختلفة أيضاً؛ لأن هناك فريق من البشر شبيه بالحيوانات كالشعوب البدائية التي كانت تعيش في أمريكا وفي افريقيا. فهؤلاء لا معرفة لهم بالمبدأ والمعاد وهم محرومون من الامور الاعتقادية ولا يدركون الجوانب المعنوية، والأشياء التي تخطر على قلوبنا لا تخطر على أذهانهم أصلاً، وهم يعيشون في غفلة تامة. وهذا يعني أنهم محرومون من سعادة الاعتقاد الحق من جهة، ومن

١. السؤال الذي يثار هنا هو لماذا قال الله سبحانه وتعالى في المواضع التالية من كتابه الكريم: ٧٩

البقرة، ١٢٩ الأنعام: ١٩٦ الأعراف: ٨٢ و ٩٥ التوبة: ٨ يونس و ٦٥ يس و ١٧ فصلت و ١٤ الجاثية: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وبين ان سبب الويل، وتولي الظالمين، والأخذ بالعذاب، والبكاء، ودخول جهنم، والشهادة على الأعال، ونزول الصاعقة والعذاب، يعود الى أعمال الفرد والى ما كسبت يده، وان أعماله هي سبب بلائه وعذابه، بينما هنا علل الرين بحرف الباء، وقال «بما» ولم يجعلها تعليلاً وإنما معلولاً؟ ولعل السبب في ذلك هو ان الأعمال نفسها والرین هو نفسه، أي ان ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. كان دعاءً للرین؛ أي بمثابة الظرف والمظروف، لان الرین جاء بسبب ما كسب من أعمال. فالرین جاء في وعاء وظرف ما عمل. ومما يؤيد هذا المعنى ما جاء في الآية ٥٠ من سورة الزمر: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. والآية ٨٤ من سورة الحجر، بهذا المضمون، وهو ان ما يكسبه اصحاب المعاصي لا يغني عنهم شيئاً.

شقاء الاعتقاد الباطل من جهة اخرى. وهؤلاء مثلهم كمثل الحيوانات التي تكتمل فيها جوانب حيوانيتها فقط مثل الغضب والحقد والسبعية. اذاً فهؤلاء الذين يكونون كالحيوانات وتكتمل قواهم الحيوانية ويكسبون الملكات الحيوانية، لهم في الآخرة تجرد برزخي حيواني فقط، وستعمل ملكاتهم وفقاً لنفوسهم البرزخية.

هؤلاء سيكونون في شقاء لهذا السبب؛ إذ سيوجدون من داخل النفس وطبقاً للملكات؛ موجبات الألم. وبما ان انشاءات النفس تأتي وفقاً للملكات، لذلك فان أمثال هؤلاء سيعذبون؛ لأنهم لم تكن لهم أية صورة اعتقادية ولم تكتسب قلوبهم نور التوحيد بحيث تظهر بعد مدة، ولم يحصلوا على النور التوحيدي بالصورة الاعتقادية ولو بشكل كامن ومضمر لكي تتسنى لهم النجاة عن هذا الطريق بعد مدة. نعم رغم انهم ليست لديهم صورة اعتقادية توحيدية، ولكن بما ان أصل التوحيد الفطري وهو حب الكمال موجود لدى الجميع، فهم موجود لديهم أيضاً ولا فارق في هذا بين من هو متحضر أو غير متحضر، ولا بين الافريقي والأوربي والآسيوي، أو الاسود والابيض. وبالنتيجة يُحتمل ان يتجلى نور التوحيد الفطري هذا.

ورغم انهم وفقاً لملكاتهم سيخلدون في نار جهنم التي في داخل ذاتهم، ولكنهم لا يُحرقون في نار خارجية جزاءً على عصيانهم وتمردهم، ويحتمل ان يظهر نور التوحيد الفطري، وعلى أثر ظهوره لا يكون للنار الداخلية تأثير، وان كانوا سيقون في نيران ملكاتهم، الا ان نور التوحيد الفطري يغلب ويحبط تأثير تلك النيران. ولعل ما ورد في بعض الاخبار: «يتلاعبون فيها بالنار»^١ ينطبق على

هؤلاء الأشخاص.

وعلى العموم فإن هذه الفئة من الأشخاص عندما كانوا في الدنيا، كانوا ﴿عَن رَبِّهِمْ يُؤْفِكُ لِمَخْجُوبُونَ﴾^١، ولم يكتسبوا المعارف، ولم يستمدوا من الخارج بذر التوحيد - يعني التوحيد الفطري - ولم يرفدوا بذر التوحيد هذا بالمدد لكي ينمو ويتعرع ويورق ويضرب بجذوره في القلب وتمتد اغصانه وفروعه الى كلّ البدن، بحيث تتفرّع هذه البذرة التي نبتت في القلب واخضرت فيه، الى جميع الاعضاء والجوارح والقوى فتثيرها وتصبغها بصبغتها التي هي صبغة الله.

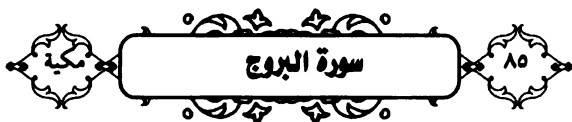
وعلى العموم، فإن هذه الفئة من الناس مثل تلك الفئة من الحيوانات التي ليست لها جهنم موعودة ولا جنة موعودة، وإنما هناك ملكاتها فقط وأمرها يتوقف على طبيعة تلك الملكات.^٢



١ . تفسير القرآن الكريم، صدر المتألهين، ج ١، ص ٣٧٤.

٢ . المطففين (٨٣): ١٥.

٣ . تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٤٧٥ - ٤٧٦.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ ١٤

[الإنسان غير محيط بالله ولكن الله محيط بالإنسان]

معنى "تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله" هو بما ان ذاته صرف الوجود، والوجود بسيط بصرف البساطة، وتعريف ذات الشيء ممكن حين يكون لذلك الشيء جنس وفصل، والوجود لا جنس له ولا فصل؛ لأنه جنس موضع شراكة وليس في العالم شيء غير الوجود ليكون شريكاً له في شيء.^٢

١ . بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ٣٤٨، ح ٤٣.

٢ . الله ليس له جنس؛ لأن ما له جنس يجب ان تكون له مشتركات مع اشياء اخرى، في حين ان العالم لا شيء فيه سوى الوجود . كما انه لا فصل له؛ وذلك لأنه لا جنس له، وما لا جنس له لا

والوجود مساوق مع الوحدة، والفصل للتمييز، وليس في صفحة الوجود شيء غير الوجود ليلزم التمييز. وعلى هذا الأساس فمن غير الممكن تعريف الوجود. وفي الوقت ذاته في أعلى مرتبة التجلّي ويقع في مرأى ومسمع كل شيء. اذاً "لا تفكروا في ذات الله" ليس نهياً شرعياً، بل نهى ارشادي مؤذاه ان لا يتكلف العقل مشقة من غير طائل؛ لأنه لا سبيل له إلى معرفة حقيقة الوجود، ومقام حقيقة الوجود أعلى من أن يحيط بها العقل، وإنما هو المحيط بكل الأشياء: ﴿وَاللّٰهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾^١.

أصحاب الوجوه الجميلة طلق محياهم، فهل وجهك المخفي، قبيح إن صاحب هذا الوجه الجميل لم يُخف وجهه؛ بل ان أعيننا قد اغمضت لشدة نور جماله^٢. وبالجملة لا ينبغي القول: ان التفكر في ذات الله منهي عنه. بل هناك في الاخبار حث وترغيب على معرفة الله^٣.



فصل له، اذ ان الفصل مبين لمميزات جنس على جنس آخر .

١ . البروج (٨٥): ٢٠.

٢ . هذه الآية في سياق بيان حالات الكفار، الا انها في احد الأوجه تشمل أيضاً حال المحجوبين الذين يحيط بهم الله من كل جانب.

٣ . راجع: توحيد الصدوق، ص ٢٨٣، الباب ٤٠، ح ١ - ٥٥ بحار الأنوار، ج ٣٠، ص ٢٦٧، الباب ١٠.

٤ . تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ١٦٠.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ ٨ ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ ٩

[فهم وتصوير كشف السرائر في القيامة]

إن الإنسان عاجز - ما دام في هذا العالم الدنيوي - عن إدراك حقيقة ملكاته، لأنها غير ظاهرة باستثناء عدد محدود منها، فما دمنا في العالم نرى صور الجميع وأعمالهم على وفق الهيئة الإنسانية المتعارفة.

ولكن إذا كشفت هذه الصفحة، ظهرت صفحة الباطن: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾، عندها تظهر حقيقة ملكات الإنسان في دائرة عالم خاص هو عالم الملكوت وعالم الغيب، فنحن الآن لا نعرف ملكاته (الملك) الباطنية ولا ملكات غيره، سواء أولي الملكات الفاضلة أو الملكات الخبيثة. فهذا الأمر غير ممكن في العالم...

فلا يستطيع أحد معرفة حقيقة أي إنسان بصورة كاملة...

يقول أهل الباطن والعارفون بما فوق إدراكاتنا الظاهرية والذين حصلوا على

شيء من حقائق عالم الوحي: - إن ملكات الإنسان غير الظاهرة هنا ستظهر في الصفحة اللاحقة - وهي صفحة ظهور السرائر - في اشكال مناسبة لها، فمثلاً إذا كانت ملكات أحد الأشخاص - الذي يظهر في هذا العالم بهيئة إنسان - سيئة للغاية، فهو في حقيقته الباطنية حيوان متوحش، وليس إنساناً، فإذا رحل عن هذا العالم، ظهر في العالم الآخر بصورة حيوان متوحش، وزالت صورته الظاهرية الحالية (كإنسان)، وظهر بحقيقته الباطنية كحيوان متوحش حتى في شكل هيئته الظاهرية.

فلنر باطن هذا الشخص بأي الحيوانات المتوحشة أشد شبهاً هو، فإذا كان أشبه بالنمر، ظهر بهيئته، أو أشبه بالذئب، ظهر بهيئته وإذا كان أشد وحشية منهما، ظهر بصورة أشد وحشية منهما.

[كيفية كشف السرائر]

ويتفق نادراً أن تكون نفس قوة الروح الماسكة للنفس وروحانيتها قوية وقدرة التحفظ للروح شديدة، وتمنع من أن يطلع أحد على أسرار روحه، وهذا الإمساك والحفظ حيث إنه قسري وعلى خلاف الطبيعة يتقطع لا محالة يوماً ما، إما في الدنيا، في أوقات خروج النفس عن حالتها الطبيعية، أو بشدة الغضب وهو الأكثر وقوعاً، وإما بغلبة الشهوة وهذه أقل.

وإذا لم يظهر في الدنيا إما اتفاقاً أو لشدة القوة الماسكة أن يبرز أخلاقه الروحية، ففي الآخرة وهو يوم بروز الحقائق وكشف السرائر تغلب قدرة النفس

١. صحيفة الامام، ج ٥، ص ٣٦٧، من كلمة ألقاها في حشد من الطلاب والاييرانيين المقيمين في

التي كانت قسرية على الماسكة، فيكون ما في الباطن ظاهراً، وما في السر علناً، لا من طريق الشرح والسريان التي كانت في الدنيا، بل من طريق العلية والمعلولية، وكون إرادة الروح أحدية التعلق ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾^١ ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾^٢ فلا يمكن هناك الإمساك والتمنع عن الإظهار، لأنه في ذلك العالم تظهر جميع الروحانيات وتعلن جميع السرائر، فتظهر الحسنات كما أن السيئات تظهر أيضاً وتعلن، وتتصور الأشكال الملكوتية لأنواع الملكوتين، والتناسخ الملكوتي الذي وقع في الدنيا واستعصى على الطبيعة يظهر واقعه هناك.^٣



١. سورة القلم (٦٨): ٤٢.

٢. سورة الطارق (٨٦): ٩.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣٨٩.

سورة الأهل
٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ١٤ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ١٥

[آثار التزكية في السلوك الفردي والاجتماعي]

لو أن المسلمين دخلوا في ضيافة الله بشكل جماعي في شهر رمضان المبارك وهذبوا أنفسهم، لما كان بوسعهم القبول بالظلم. إن القبول بالظلم كالظلم نفسه يأتي عن عدم تهذيب النفس. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ من المستحب تلاوة هذه السورة في صلاة العيد ففيها أمر بالتزكية وذكر اسم الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.

إن التزكية وذكر اسم الله والصلاة هذه مراتب لو كنا وصلنا إليها، لما كنا

خائفين ولما قبلنا بالظلم ولا نظلم أحداً. إن ذلك كله يأتي من عدم التزكية. إن الحكومات غير مهذبة وظالمة. كما أن الشعوب التي لم تتهذب ستحمل الظلم. لا عذر للشعوب في القبول بالظلم.^١



١ . صحيفة الامام، ج ١٨، ص ٤٩٩، من كلمة ألقاها في حشد من المسؤولين العسكريين والمدنيين ومختلف الشرائح الاجتماعية؛ صحيفة النور، ج ١٩، ص ١٩.

سورة الفاشية

٨٨

مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ١٧ ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ ١٨ ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ ١٩ ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٢٠ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ٢١

التوجه إلى الجمل قهراً نوعاً من الهبوط بالحقائق والمعاني
بالنسبة إلى الإنسان]

فقدم الأولياء عبرت بالسلوك المنازل وأدركوا المسألة وشاهدوها ولكنهم لا يستطيعون أن يبينوا مشاهداتهم للناس.

والقرآن أيضاً نزل وتنزل حتى وصل إلى مخاطبة هؤلاء الأسرى في حفرة الضلالة النبي الأكرم ﷺ أيضاً لا يستطيع أيضاً بيان الحقيقة الواقعية للناس إلا بأن ينزلها أيضاً، بيان الحقيقة الواقعية للناس إلا بأن ينزلها أيضاً من هنا كانت

للقرآن مراتب سبعة بطون أو سبعون^١ تنزل عبر هذه البطون حتى وصل إلى درجة مخاطبتنا نحن وأن يعرف الله نفسه بالإبل: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^٢ وهذا من بواعث الأسف... عندما يعرف الله نفسه لنا بالإبل تتضح المرتبة التي نحن فيها مرتبة نفس الحيوان كما تتضح طبيعة المعرفة التي نحصل عليها عن هذا الطريق معرفة هي غاية في النقص.^٣



[محدودية الانسان تؤدي إلى المحدودية في التعريف بالخالق]

وكذلك إذا تحدثوا أمام من لا يملك عيناً تبصر الحقيقة، عن حرارة يوم القيامة، يقول: انها أشد قليلاً من حرارة جو الصيف هنا. وإذا تحدثوا عن الافاعي والعقارب هناك يظن انها أطول قليلاً من عقارب وأفاعي الدنيا.

وبما اننا نعلمي، لم يكن أمام المعرّف بدّ من تعريف الوجود بالبعير، فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^٤، أو أن يقول: ﴿أَلَمْ نَرَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٥. وماذا كان للرسول ان يعمل في مقام تعريف الله لجماعة لم تكن تعرف سوى الإبل وما كانت تقوم وتقعّد إلا معها؟ ينبغي طبعاً تعريف

١. قال النبي ﷺ: إن للقرآن ظهراً وبتناً ولبطنه بطنٌ إلى سبعة ابطن. تفسير الصافي، ج ١، ص ٣١، المقدمة الرابعة.

٢. الغاشية (٨٨): ١٧.

٣. تفسير آية البسملّة، ص ١٣٦.

٤. الغاشية (٨٨): ١٧.

٥. ابراهيم (١٤): ١٩.

الله لهم بهذا النحو.

ولكن كم البؤس شاسع بين هذا وبين التعريف الذي يقول: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^١، أو ما جاء في الآيات الأولى من سورة الحديد وآخر سورة الحشر حيث يقول: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَمَا كُنْتُمْ﴾^٢ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^٣.



١ التوجه إلى الجمل نظر طبيعي وتوغل في الاحتجاجات مع الخيال

يتوجه القرآن لمخاطبة الناس على ثلاثة مستويات: التلميح لذوي القلوب الحية، ومكاملة العمي، والثالث بين الأول والثاني.

يقول القرآن لذوي الأسرار: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^٤، وهو حقيقة واحدة وظهور واحد ووجود أبسط؛ فهو الأول، وهو الآخر، وهو الظاهر، وهو الباطن، ولا يتعدد. وهو العلم، وهو الإرادة، وهو المعلوم، وهو القدرة.

١ . الفرقان (٢٥): ٤٥.

٢ . الحديد (٥٧): ٣ - ٤.

٣ . الحشر (٥٩): ٢٢ - ٢٤.

٤ . تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٢٢٤.

٥ . الحديد (٥٧): ٣.

المستوى الآخر وفيه دلالة على ذلة بني الانسان، وذلك حين يعرفهم الله بذاته عن طريق الإبل ويقول: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾^١ وهو خطاب إلى من ينظر إلى الكثرة، ويرى الإبل، ولا يعرف شيئاً سوى الإبل.

المستوى الثالث هو النظر الى الماهيات نظرة استقلالية والقول وفقاً لنظر العوام من الناس: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^٢ فهو يرى السماء، ويرى الأرض، ويرى التقدم والتأخر، ويرى الستة أيام والتدرج، وحسب رأي العامة الذين يرون السماء والارض.

يقول الله تعالى في سورة النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٣ وهو هنا يقصد النور، ولا يقصد النور والسماء كليهما. بل أن أصل القصد هو المضاف، ولكن طرف الاضافة هو السماء والأرض. فالنور واحد والسماء والارض مضافان إليه. والسماء والارض كلاهما يُريان بنور واحد، وليس لكل واحد منهما نور على حدة.

واما قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ فالأصل فيه التوجه الى حقيقة واحدة وقد أُلغى فيها التكثير، وليست للكلمات المذكورة مفاهيم في مقابل الأشياء المتعددة.

ومثل هذه الآيات موجهة فقط الى العارفين بالحقائق والمطلعين على خفايا خزائن الأسرار، وبما ان عددهم قليل، لذلك فان هذا النظر قليل في الآيات أيضاً.

١ . الغاشية (٥٨): ١٧ - ١٨.

٢ . الحديد (٥٧): ٤.

٣ . النور (٢٤): ٣٥.

الذي هو من عامة الناس يرى الكثرات. ويعرف الله نفسه للأعرابي الذي لا يعرف إلا الإبل ولا يرى إلا الأبل، بواسطة الأبل. والحدقة المحيطة بأعيننا ليست لها احاطة أكثر بحيث تكون قادرة على رؤية ما وراء عالم الطبيعة.

وفي ضوء ما سبق ذكره، نفهم معنى قول الإمام السجاد عليه السلام: «ان الله عز وجل علم انه يكون في آخر الزمان قوم متعمقون؛ فانزل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾»^١.

وأما بقية الناس فيجب ان يستقوا معارفهم من السماء والارض ﴿وَأَلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾^٢.

والخلاصة هي انه يُنظر في العالم بهذه الوجودات الثلاثة:

١- النظر الطبيعي الحجابي والتوغل في احتجاجات الخيال.

٢- النظر المتوسط الذي يمكن به رؤية النور وكذلك رؤية الظلمة.

٣- رؤية النور وغير النور وعدم رؤية شيء بعدئذ، والنظر الى صرف الوجود

من وراء الطبيعة وعالم الخلق والأمر وعالم الإمكان.

وقد أشار البارئ تعالى الى النظر الأول كثيراً، وفي موارد مثل: ﴿الَّذِي خَلَقَ

الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾^٣ و﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^٤ و﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى

الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^٥. ويقول في مرحلة أعلى منها: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ

١. اصول الكافي، ج ١، ص ٩١، ح ٣؛ توحيد الصدوق، ص ٢٨٣، ح ٢.

٢. الغاشية (٨٨): ١٨ - ٢٠.

٣. الملوك (٦٧): ٢.

٤. الحديد (٥٧): ٤.

٥. الغاشية (٨٨): ١٧.

وَالْأَرْضِ ﴿١﴾، حيث يجعل السماوات ويقول في مقام آخر وهو مقام السر ومقام الكلام مع ذوي النظر: ﴿وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾،^٢ شيء واحد وظهور واحد ونور واحد، وكل ما سواه باطل، وهو هوية متحققة، وغيره ليس حقيقة. هو حقيقة الوجود: فهو العلم وهو القدرة وهو الإرادة.^٣

[الملاحظة في جمع تفسير آيات النظر الى الابل]

الملاحظة الجديرة بالملاحظة في هذه المقاطع من تفسير الامام الخميني وتأكيده، ليست في السبب الذي جعل الله يضرب مثلاً بالابل، وقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ وقال: « وهذا من بواعث الأسف... عندما يعرف الله نفسه لنا بالابل تتضح المرتبة التي نحن فيها مرتبة نفس الحيوان كما تتضح طبيعة المعرفة التي نحصل عليها عن هذا الطريق معرفة هي غاية في النقص» وغرضه بيان هذه النكتة: لماذا نحن محدودون الى هذه الدرجة، ولماذا لا يرتقي الانسان نحو الكمال لكي يستفيد من الآيات الاخرى التي طرحت معارف سامية، مثل سوره الحشر و الحديد والا فما يزال هذا السؤال يُطرح هنا وهو ما العلاقة بين الابل والسماوات والجبال والارض بحيث يُطرح هذان الى جانب بعضهما ويُشار اليهما كآية من آيات خلق الله؟ وقد طرحت في هذا المجال اجابات شتى^٤. وهكذا يأتي الجواب بتنوع المخاطبين و الموضوعات

١. النور (٢٤): ٣٥.

٢. الحديد (٥٧): ٣.

٣. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ١٩٠-١٩٢.

٤. ويمكن لمن اراد الاطلاع عليها الرجوع الى كتابي: جهرة بيوسته قرآن (= الصورة المتواصلة

وسعتها أو ضيقها انطلاقاً من اختلاف المتلقين واختلاف ظروف واحوال السامعين.

﴿إِنْ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ﴾ ٢٥ ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾ ٢٦

[غاية سير الإنسان الوصول والفناء في الله]

فالإنسان إذن مخلوق لأجل الله ومصنوع لذاته المقدسة، وهو المصطفى المختار من بين جميع الموجودات، وغاية سيره الوصول الى باب الله والفناء في ذات الله والاعتكاف في فناء الله، وان معاده الى الله ومن الله وفي الله وبالله. يقول تعالى: ﴿إِنْ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ﴾^١.

اما الموجودات الأخرى فترجع الى الحق تعالى بتوسط الانسان، بل ان مرجعها ومعادها الى الانسان كما وردت الاشارة في الزيارة الجامعة الكاشفة لنفحة من مقامات الولاية، يقول: «وإياب الخلق اليكم وحسابهم عليكم»^٢ ويقول: «بكم فتح الله وبكم يختم»^٣.

[رجوع الإنسان إلى الله وتجليات منه]

كما يقول تعالى في الآية الكريمة: ﴿إِنْ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ * ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾

للقرآن) السيد محمد علي ايازي، ص ١٧٩ .

١ . الغاشية (٨٨): ٢٥ .

٢ . عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٧٢، الزيارة الجامعة الكبيرة.

٣ . المصدر السابق.

وفي العبارة التي اوردها من الزيارة الجامعة: «إياب الخلق اليكم وحسابهم عليكم»^١ سيرٌ من اسرار التوحيد وإشارةً الى ان الرجوع الى الانسان الكامل هو رجوعٌ الى الله، لان الانسان الكامل هو الفاني المطلق والباقي ببقاء الله، فليس له تعينٌ وإنيةٌ وانانيةٌ من ذاته، بل هو من الاسماء الحسنى والاسم الاعظم. وقد ورد كثير من الاشارات الى هذا المعنى في القرآن الكريم والاحاديث الشريفة^٢.



-
- ١ . هذه الجملة من المقاطع التي وردت في الزيارة الجامعة، والدعاء يُنسب الى الإمام علي الهادي عليه السلام. وفي الحقيقة ابراز لأمثلة من رجوع الانسان الى الله عن طريق الانسان الكامل وبفعل هدايته . راجع: عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٧٢ . الزيارة الجامعة.
 - ٢ . في هذا المجال راجع: تفسير العياشي، ج ٢، ص ٤٥، ح ١١٩، ذيل الآية ١٨٠ سورة الأعراف، الكافي، ج ١، ص ١١١، ح ٤، البحراني، البرهان، ج ٣، ص ٢٤٩، ح ٢ و ٣.
 - ٣ . آداب الصلاة، ص ٢٦٣.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ ﴿٨٩﴾

﴿ازجبي إلى ربك راضية مرضية﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿فادخلي في عبادي﴾ ﴿٩١﴾

{ الطمأنينة ثم مقام الرضا }

اعلم أنه، حيث إن مقام الرضا من آثار المعارف الإلهية وشؤونها، - وكذلك سائر مقامات الخاصة - فلا تخلو المناسبة من الإشارة إلى بعض مبادئه فنقول: بما أن مبدأ الرضا من الحق تعالى هو معرفة العبد بأن أفعاله تعالى جميلة، فسنين مقام جمال الحق ذاتاً وصفة وفعالاً...

اعلم أن أول مرتبة ينالها العبد هي العلم بأن الحق تعالى جميل ذاتاً وصفة وفعالاً باعتبار البرهان العلمي الحكمي...

المرتبة الثانية: أن يوصل هذه المرتبة التي هي جمال الحق تعالى وجمال أوصافه وأفعاله إلى القلب، بحيث يؤمن بأن الحق تعالى جميل... وهذا مقام الإيمان...

المرتبة الثالثة: أن يصل العبد السالك إلى درجة الإطمئنان، والإطمئنان كمال الرضا، فإذا حصل اطمئنان النفس إلى مقام جمال الحق تعالى تكون مرتبة الرضا أكمل، ولعل الآية المباركة في سورة الفجر تشير إلى هذا المعنى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾^١ فجعل الرجوع إلى الرب - وهو من المقامات الكاملة - لأهل الإخلاص أصحاب النفوس المطمئنة الراضين والمرضيين، وقطع طمع المتسخط...

المرتبة الرابعة، مقام المشاهدة. وهي لأهل المعرفة واصحاب القلوب، الذين يصرفون قلوبهم عن عالم الكثرة والظلمة، وكنسوا قلوبهم من غبار الأغيار، وأزاحوا عنها غبار الكثرة^٢، إذأ فهو تعالى يتجلى لقلوبهم بجلوات متناسية مع قلوبهم، ويؤنس قلوبهم به ويصرفها عما سواه.^٣

[نو النفس المطمئنة جدير بالرجوع إلى الرب]

ولعل الآية الشريفة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً *

١ . سورة الفجر (٨٩): ٢٧ - ٢٨.

٢ . المقصود من جلاء غبار الكثرة بالنسبة الى السالك هو عدم رؤية هذه التعينات وهذا وذاك من الموجودات وصبّ الاهتمام كآله على الله . وهذا هو أيضاً معنى كنس دار القلب من الأغيار، وهو ان لا يفسح في قلبه موضعاً للآخرين، وان لا تتراحم فيه محبة الله أية محبة اخرى.

٣ . شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١٧٠ - ١٧٢.

فَأَدْخُلِي لِي عِبَادِي * وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿١﴾ تشير أيضاً إلى مقام هؤلاء الأشخاص والكمّل من الأولياء، لأن صاحب النفس المطمئنة خوطب بالرجوع إلى ربه وهو الحق تعالى، من دون صبغة الأسماء. وكونها: ﴿رَاضِيَةٌ مُرْضِيَةٌ﴾ هي جذبة الحبيب والمحبيب، وهي مركب السير إلى الله. ونتيجة الدخول في حزب عباد الله، ومبرأة من جميع الصبغ، وموصوفة بحقيقة الإخلاص، وثمرته الدخول في جنة الذات وهي جنة اللقاء.^٢

[شرف الشهداء وضيافتهم لقاء الله]

إن ما يشرف شهداء طريق الحق الكبار هو «الحياة عند الرب» والدخول في «ضيافة الله».

إن الأقلام المحطمة كقلمي عاجزة عن وصف هذه الحياة وهذه الضيافة. إن هذه الحياة وهذه المعيشة غير الحياة في الجنة والعيش فيها. إنها لقاء الله وضيافته. ليس ذلك مما ورد بحق أصحاب النفوس المطمئنة: ﴿فَأَدْخُلِي لِي عِبَادِي وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ وإن أبرز هؤلاء العباد هو سيد الشهداء - سلام الله عليه - فإذا كان كذلك فأى بشارة أكبر لشهداء طريق الحسين - عليه سلام الله - الذي هو سبيل الله، من أنهم يدخلون الجنة التي يدخلها ذلك العظيم الذي إستشهد في سبيل الله ويحلو ضيوفاً بجواره. فهي مختلفة عن الضيافات الأخرى في الجنة مما

١ . سورة الفجر (٨٩): ٢٧ - ٣٠.

٢ . شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٤١٥.

لأنستطيع تصورها.^١

[عشق القدرة المطلقة أسمى من كل أنواع العشق]

يعشق القدرة المطلقة. إذا سخر جميع هذا العالم وجميع المجرات وجميع السيارات والثواب وكل ما هو موجود إذا سخر جميع هذا تحت سلطة شخص واحد فإنه لا يقنع به لأن هذه الأشياء ليست الكمال المطلق. وإذا لم يصل إلى حيث يتصل ببحر الكمال المطلق ولم يغن هناك فلن يحصل له اطمئنان. ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^٢ لا برئاسة الجمهورية ولا برئاسة الوزراء ولا بقوة القوى الكبرى ولا بملكية كل الملك والملكوت.

ما يطمئن وما يخرج النفس من التزلزل الموجود عندها والرغبات التي عندها هو ﴿ذَكَرِ اللَّهَ﴾. ليس ذكر الله باللفظ وأن نقول لا إله إلا الله. ذكر الله الذي يحصل في القلب، ذكر الله التوجه إليه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ثم تقول آيات آخر ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

لو أراد الإنسان أن يذكر خصوصيات هذه الآيات الشريفة فسيطول به الأمر. أشير فقط إشارة إليها. وهو أن ﴿النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ هي النفس التي لا رغبة

١. اقتباس من شعر مولانا جلال الدين الرومي:

بار ديگر از ملك قربان شوم آنچه اندر وهم نايد آن شوم

لمثنوي المعنوي، ج الثالث، ص ٥٠٨، تحقيق نيكلسون، هرمس.

٢. صحيفة الامام، ج ١٨، ص ٣٢٥، من كلمة ألقاها في حشد من اسر الشهداء، والمفقودين،

والمعاقين والأسرى؛ صحيفة النور، ج ١٨، ص ٢٢٣.

٣. الرعد (١٣): ٢٨.

عندها. ليس إنه عندما يصير الإنسان رئيساً للوزراء يقول هذا قليل يجب أن أصبح رئيساً للجمهورية. صار رئيساً للجمهورية يقول هذا قليل يجب أن أصبح رئيساً لجمهورية البلاد الإسلامية؛ إذا وصل إلى ذلك يقول هذا قليل وسيقول ذلك أينما وصل. لو جعل العالم كله لقمة واحدة ووضعت في متاوله فإنه عندما يفكر يرى أن فيه نقصاً ما يطلبه غير هذا ويطمئن عندما يصل إلى الكمال المطلق. الكمال المطلق هو أن يكون هو ولا غيره.

[نيل ذكر الله والكمال المطلق غاية الآمال]

لا اهتمام له بالرئاسة ولا اهتمام له بالسلطنة ولا اهتمام بالمادة ولا اهتمام له بالعوالم الأخرى، لا الغيب، ولا الشهادة، ولا شيء مطلقاً. الذكر ينحصر بذكر الله. هناك تطمئن النفس. عندها ستكون هي المعنية بالخطاب: يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك، الآن ليس لك أي شيء ارجعي إلى ﴿رَبِّكَ﴾ رب النفس المطمئنة. فادخلي في ﴿عِبَادِي﴾ ليس ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ ليس ﴿العباد الصالحين﴾. ﴿عِبَادِي﴾ مع هذا التدقيق عندما صرت في عبادي عندها ﴿وَأَدْخِلِي جَنَّتِي﴾ وليس «الجنة». تلك الجنة للآخرين تلك الجنة بكل عرضها وطولها لـ «العباد الصالحين» وليس لـ ﴿عِبَادِي﴾. ما هو لعبادي هو ما ليس شيئاً سوى العبادة وهي أيضاً عبادة ﴿هُوَ﴾. عندما وصلتني إلى هناك ﴿وَأَدْخِلِي جَنَّتِي﴾ جنة اللقاء جنة الذات؛ ليس جنة الآخرين. جنتكم التي تدخلونها إن شاء الله جميعاً تختلف عن هذه الجنة. تلك جنة «العباد الصالحين»، «عباد الله الصالحين» أما هذه الجنة التي لا تنتسب لأي مكان إلا به ﴿هُوَ﴾. في ذلك الوقت دخلت ﴿النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ في نبع النور وفي كمال مطلق ووصلت إلى الشيء الذي كانت تعشقه يتخيل أنه يعشق أي شيء!

[فطرية طلب القدرة]

القوى الكبرى تتخيل أن الوصول إلى قدرات الأرض وكل ما هنا لا يكفيهم. والدليل هو أنهم يرون أن في فطرة الجميع أن تكون لديه قدرة لا حد لها. إذا قيل له حسناً الآن لديك كل قدرة الملك والملكوت ولكن هناك قدرة أخرى تريدها أم لا فإن الجواب سيكون بالاجاب! [إذا] قيل أعطيت جميع القوى الموجودة في العالم عالم الملك والملكوت لكن هناك شيء آخر أعلى من هذا تريده أم لا؟ يقول أريد.

الفطرة الإنسانية تقول أريد. لا أحد منكم يقول أنا لا أريد عندما تعرض عليه. لا يوجد شخص عالم بجميع علوم الدنيا والآخرة وجميع العلوم توجد في جمعبته ثم يقال له هناك علوم أخرى في عالم آخر هل تريدها أم يكفيك ما عندك، سيقول ليها كانت عندي وليتي نلتها. تلك المرحلة التي ينتهي فيها كل شيء هي المرحلة التي فيها يبلغ الإنسان العلم المطلق وتفنى هذه القطرة في ذلك البحر.

إذا أنتم الذين في هذا العالم وتتصورون أن الشيء الفلاني لو كان عندي لأكتفيت، إعلموا أنه لن يكفيكم. من الممكن أن يكون الشيء الذي تتخيلون أنكم تريدونه قليلاً، والشخص العادي يقول يكفيني منزلٌ وحياة بحيث أسد بها رمقي فهو قبل أن يبلغها يتخيل أنه يطلب ذلك فقط لا أكثر. ولكنه عندما يبلغها يطلب شيئاً آخر، ما لم تصلوا إلى منصب رئاسة الجمهورية تقولون نريد هذا المنصب. وعندما تصلون إليه تقولون: لا، ليس هذا ما نريد، ما نريده شيء آخر. أريد شيئاً أعلى، ومن بلغ مناصب أعلى من ذلك فهو يقول ذلك أيضاً. ترون مثلاً أن الرئيس الأميركي لديه نصف القوة في هذا الكوكب الأرضي وهو يتخيل أن هذا قليل وما أريده ليس هذا ويتخيل لو أنه غلب الاتحاد السوفياتي وحاصره

وصار كل هذا الكوكب تحت سلطته فإن ذلك يكفيه. ولكنه لا يفهم أن الأمر ليس كذلك. لا يفهم أنه يعشق الله وليس يعشق الدنيا. والدليل هو أنه عندما يصل إلى هناك يرى أنه: ليس كافياً. إذا قيل له أن في كوكب المشتري أشياء أيضاً هل تريد الوصول إليها؟ لا يمكن أن يقول: لا؛ يقول: نعم. لا يشبع الإنسان أبداً. لا تتخيلوا أننا وصلنا إلى هنا والحمد لله! الاختلافات التي تظهر هي لأن هناك أخطاءً. خطأ في الهدف. ليس هدفنا الفطرة. لم نر؛ لا نعلم، لم نقرأ كتاب الفطرة. ولأننا لسنا عالمين بكتاب الفطرة نتخيل أننا نريد أن نصل إلى قوة تكون خاصة بنا. وعندما تصلون ترون أن ما كنا نريده ليس موجوداً. ما يزال هناك اضطراب في القلب. والاضطراب في تزايد أي أننا لو فرضنا أنه لو قيل لرئيس الجمهورية الفلاني في أمريكا حسناً ماذا تريد الآن؟ ماذا تعشق؟ ماذا تريد أن تفعل؟ كل همه هو أن الاتحاد السوفياتي الذي هو كالشوكة في عينه أن لا يكون. ولو قيل للثاني سيقول إن أمريكا كالشوكة في عيني وأريد أن لا تكون. لا يفهم هؤلاء أن تلك القوة ليست آمالاً. لا، تلك القوة شيء آخر. في فطرة جميع البشر بلا استثناء، في جميعها يوجد العشق للكمال المطلق؛ العشق لله. العذاب هو لأجل أننا لا نفهم، لأننا جاهلون ونفهم الأشياء مقلوبة. إذا سرنا على هذه الفطرة نصل للكمال المطلق.

إن ما سيعذب الإنسان هو أنه أخطأ في الكمال، يتخيل أن الكمال هو في أن يصير رئيساً، رئيساً لإدارة عندما يصبح رئيساً لإدارة يرى أن هذه الإدارة قليلة عليه، ما هذه الإدارة؟ يجب أن يصير رئيس بلد عندما يصل إلى رئاسة بلد يفكر في بلد آخر. وعندما يصل إليه يفكر في بلد آخر. ولو أعطي العالم كله فإنه لا يشبع أيضاً لأن أمل الإنسان هو الكمال المطلق. لأن فطرة الإنسان هي ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ

التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا^١. هذه فطرة التوحيد. فطرة الكمال المطلق. ومالم تبلغوه فإنكم في حالة بحث دائم عنه. أنتم تبحثون عن ضائع، وتشتبهون فيما تبحثون عنه. نحن جميعنا نخطئ. كل شخص يتخيل أن ما هو موجود عند الآخر ليته كان عندي. وإذا ذهبت إلى الثاني، فهو يقول ليت ما عند فلان كان عندي. ولو وصل كلاهما إليه سيريان أن لا ليس هذا هو. أنتم تبحثون عن شيء هو الكمال المطلق أي أن الله في فطرة الجميع، وهذا يثبت أن مثل هذا الكمال المطلق له تحقق.

[الاطمننان، القضية الأساسية للعاشق]

العشق الحقيقي مستحيل بدون عاشق حقيقي ومعشوق حقيقي. وهذا من الأدلة المحكمة لثبوت الكمال المطلق. لا تبحثوا وراء هذه الأوراق وتلك الأوراق وخلف هذه الجبهة وتلك الجبهة، لا تتبعوا أنفسكم لن تشبعوا. ابحثوا عن شيء يمنحكم النضارة وَيُطْمِنُ أنفسكم. كلما ازداد ما يصل لأيديكم يزداد تزلزلكم. الإنسان فطرته هي هكذا. لأنه يريد الكمال المطلق ولكنه أخطأ الهدف وعندما يحصل على هذا يرى أنه ليس هو ما يريد بل يريد شيئاً أكثر. رئيس الجمهورية في أمريكا لم يعد قانعاً ببلد أو اثنين أو عشرة بلدان. أنتم ترضون أن يعطوكم إدارة أخرى لأنكم الآن لا تعلمون. ولكن لو أن أياً منكم جعل مكان رئيس أمريكا أو رئيس الاتحاد السوفياتي فإن الاضطراب الذي في قلوبهما وهو كثير سينقل إلى قلبكم الذي اضطرابه الآن أقل مما في قلوبهما. وإذا أعطيتم الدنيا بكاملها فإن الاضطراب يزداد في قلبكم ويزداد التزلزل.

[العلاقة بين الاطمئنان وذكر الله]

إن ما يُخرج الإنسان من حالة التزلزل هو ذكر الله. وبذكر الله يتم القضاء على التزلزل والحصول على الاطمئنان. وعندما يحصل الاطمئنان ويحصل ذكر الله عندها يخاطب الإنسان بهذا الخطاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾.

وفي رواية أنه خطاب لسيد الشهداء^١ عندها يقال لكم: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾. ليس في عباد الله؛ ليس في «عباد» أخرى. ﴿فِي عِبَادِي﴾ عناية خاصة، هذا الإنسان له! عندما يحصل هذا فجته تختلف أيضاً عن الجنان الأخرى. لا تتخلوا أن جنانكم وحناننا مثل جنة رسول الله. لا ذلك وضع آخر، جنة الرسول من نوع ﴿جَنَّتِي﴾. الجنة للجميع إن شاء الله ولكن عندما تصل الأمور إلى هناك، ﴿جَنَّتِي﴾ شيء آخر. القلب عندها لا يصل لمكان آخر. إذا تسعون وراء أي شيء أنتم؟ تسعون بقلمكم وبلسانكم لتحصلوا على شيء آخر. تتخلون الحصول عليه. عندما تحصلون عليه هل تطمنون؟ لا! عندما تحصلون عليه يزداد تزلزلكم ويزداد قلقكم. مثلاً، ذلك الدرويش الذي جلس في زاوية ووجد لقمة عيشه فرضاً؛ انشغال باله أقل من الرئيس الأمريكي، وباله أكثر اضطراباً من ذلك

١. تفسير القمي؛ ج ٢، ص ٤٢٢. عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ يعني الحسين بن علي.

٢. لا يقصد من كلامه هذا انه ﷺ كان سبياً لتزول هذه، وانما المقصود ان شأنة هذه الآية ومصادقها ينطبقان عليه هو. والدليل على ذلك ما ورد في هذا التفسير من روايات اخرى تبين مصاديق اخرى لهذه الآية.

الدرويش. وباله أقل راحة وأكثر تزلزلاً وأكثر قلقاً^١.

الابد من العناية الازلية في سير الوصول إلى الإنسان الكامل

إذا لابد في السير المستقيم من العناية الأزلية والعطف والمرحمة السرمدية والأوضاع السليمة والاجواء النقية والكرامات التامة، وهذه السعادة لا تحصل لي ولأمثالي. فالذين نالوا العناية الخاصة والتوجهات الربانية والكرامات التامة، امتدت إليهم يد الأزل بالعون والمساعدة وأعطوا الأصل الطاهر والطينة اللانثقة لمنصب الإمامة من آدم وحتى النبي الخاتم، وساروا منذ النقطة الأولى على الطريق القويم ومرّوا عبر الأصلاب الشامخة والارحام المطهّرة، وساروا تحت تربة شمس الشموس بذات الطهارة التي جاءوا بها من نقطة المشرق، واجتازوا الطبيعة بسلام، وفي وقت انطفأت فيه نائرة الطبيعة ومقتضيات الشهوة وخمدت نار الطبيعة ونامت عفاريت البر: "جزناها وهي خامدة"^٢ حتى بلغوا مطلع المشرق ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^٣.

وهذه هي السلامة في السير: ﴿لَمْ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^٤
﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً

١. صحيفة الامام، ج ١٤، ص ٢٠٦، من كلمة ألقاها بحضور رئيس مجلس الشورى الاسلامي

وأعضاء المجلس؛ صحيفة النور، ج ١٤، ص ١٣٥.

٢. علم اليقين، ج ٢، ص ٩٧١.

٣. القدر (٩٧): ٥.

٤. النجم (٥٣): ٨ - ٩.

٥. الرعد (١٣): ٢٨.

مَرْضِيَّةٌ ﴿١﴾ فكان سفرهم بمنتهى السعادة وكما يرتضي ويريد المحبوب، وخرجوا من نقطة المطلع ويعودون إلى تلك النقطة ويدخلون على الاستقامة في اسم الله الأعظم ولفظ الجلالة "الله" وهو الاستقامة التي لا عوج فيها. كما قال رسول الله ﷺ: «طريقي مستقيم والطرق الأخرى معوجة»^٢ لآنه من المحال رسم أكثر من خط مستقيم بين نقطتين. إذا فالواصل الذي لم يتوقف في أية محطة واستمر على حركته الاستكمالية التي لا تنقطع في قوسين صعودي ونزولي، هو الإنسان الكامل ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾.

ولهذا فإنّ للملائكة مقام معين وهو: "ومنهم قائم ومنهم ساجد ومنهم راعع"^٣. والموجود الوحيد الذي لا حد ولا مقام لسيره هو الإنسان الكامل الذي يتصف بالاستعداد للسير في قوس الترقى والاستكمال هذا، ويبلغ مقاماً لا توهمه العقول.

ثم أصير بعدها فداءً من الملائكية وأبلغ ما لا تبلغه الأوهام^٤

والإنسان الكامل هو النور الأنور الأحمدى المحمّدي الذي هو الإنسان الكامل "خلقتك لأجلي"^٥، لقد خلق الله بني آدم لأجله، وليس المقصود طبعاً هو بني آدم الذي لم يبلغ بعد مرحلة النضج، بل ذلك الإنسان الذي بقي سليماً وصار

١ . الفجر (٨٩): ٢٧ - ٢٨.

٢ . اشارة إلى الآية (١٥٣)، سورة الأنعام (٦).

٣ . لم نعثر على هذه الرواية بهذا النص في المصادر الحديثية. راجع: نهج البلاغة، ص ٤١، الخطبة الأولى.

٤ . المشنوي المعنوي، ص ٥١٢، ج الثالث، البيت ٣٩٠٦.

٥ . علم اليقين، ج ١، ص ٣٨١.

﴿مَطْلَعُ الْفَجْرِ﴾:

لقد رأينا أنا وإياك "خلقتك لأجلي"، ونقول: اننا قد خلقنا لأجل الله، ولكن غفلنا ولم نسير بالفطرة على الاستقامة، وبما ان الوقفة في عالم الترقى والاستكمال محالة، اذا فنحن قد تحركنا ولكن استكملنا حركتنا بالشيطنة. وكل شيء ناقص يكون في حركة حتى يكتمل؛ لأن التوقف محال. ولكننا في هذه الحركة غدونا اشقياء بالكامل. ابو جهل ترقى أيضاً ولكن في الشيطنة. وخلاصة الكلام هي ان كل شخص يتوجه نحو الكمال لكي يكون جاذباً لأي شيء؟ أياً كان، فهو مجذوب إلى كل ما يجذب إليه.

وأهل النار جاذبون لأهل النار وأهل النور طلب لأهل النور^١
ونقول بايجاز:

وكل ذرة مما في الأرض والسماء جاذبة لجنسها كل منها كأنها الكهرمان^٢

٣



[تبويب مطالب الناس حتى أهل الجنة]

وهناك طائفة اخرى من الناس تعيش في حواضر وفي مراكز المدنيات وتعرف الدين والآخرة، الا انها لا تخرج من دائرة الحيوانية، وتبقى في حالة التجرد البرزخي. ورغم ان افراد هذه الطائفة يتبعون الأنبياء، ولكنهم يقون

١. المشوي المعنوي، ص ١٨٤، ج الثاني، البيت ٨٣

٢. المشوي المعنوي، ص ١٠٥٠، ج السادس، البيت ٢٩٠٠.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٣٢٥-٣٢٧.

متعلقين بالجانب الحيواني ويريدون التخلص من النار ونيل المذات. وهؤلاء ينالون السعادة التي أخبر عنها في ظاهر الشريعة، وهي ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^١ والكمثرى والتفاح والهور والقصور، ولكن هذا لا يؤدي الى نيلهم سعادة تفوق السعادة البرزخية الحيوانية؛ لأنه لا يمكن القول أنهم افضل من سائر الحيوانات لأن جماعهم يطول خمسمائة سنة مثلاً فهم أرقى وافضل من سائر الحيوانات، بل ان توغّلهم في الحيوانية أكثر. ولهذا لا يمكن القول ان الجمال والكلاب افضل من مرتبة الحيوانية لأن جماع الجمال يطول ساعة أو ساعتين مثلاً ولأن جماع الكلاب أطول من ذلك. وهذه الطائفة تنال كمال السعادة الحيوانية ولكنها لا تحصل على السعادة العقلية. وبما ان أكثر الناس لا يرتقون فوق هذه المرتبة، وبما ان معظم كلام القرآن مع أكثر الناس نوعاً ما، لذلك فهو يعدهم بمثل هذه النعم والجنان. ولكنه يعد جماعة اخرى - ولكن افراد هذه الجماعة في غاية الندرة - على نحو الرمز والتلميح ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَاذْخُلِي جَنَّتِي﴾^٢ و﴿جَنَّتِي﴾ هذه تختلف اختلافاً شاسعاً عن ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^٣.



[رجوع النفس المطمئنة، رجوع إلى الله ونوع من التجرد]

إذا كانت بعض الآيات يستفاد منها بالمعاد الروحاني، وآيات اخرى يُستفاد منها المعاد الروحاني، فلا تنافي بين الآيات؛ لأن كل طائفة منها ناظرة الى جانب.

١. آل عمران (٣): ١٩٨.

٢. الفجر (٨٩): ٢٧ - ٣٠.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٤٨٤ - ٤٨٥.

هناك طائفة من الآيات مثل آيات الرجوع ومنها: ﴿وَالَّذِينَ يُرْجَعُونَ﴾^١، ﴿تُرْجَعُونَ لِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^٢، ﴿إِنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعِي﴾^٣، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَأِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^٤، ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^٥، كل هذه الآيات تدل ظاهراً على النشأة أعلاه وعلى التجرد الوجودي، وان النشأة الأخرى الرجوع الى الله والعودة من سفر الطبيعة والذهاب الى قرب الله، والاقتراب الى ظل الحق. ان عالم الطبيعة هذا بعيد عن التجرد، وفي ذلك العالم يكون هناك كلام وتواصل بين الاشخاص وملائكة الله، مثل التواصل الذي نعيشه حالياً مع بعضنا.

هناك اخبار وأحاديث تدل على ان ملائكة الله تسحب الانسان النار وتكلمه،^٦ وهناك أيضاً احاديث تدل على كلام أهل الجنة مع ملائكة الله واطاعة الملائكة لأوامر المؤمنين،^٧ مع ان الملائكة لا تستطيع معايشة هذا الوجود الطبيعي الذي نحن عليه.^٨

[تلخيص لآية: يا ايها النفس المطمئنة]

يستفاد من مجموع ملاحظات واستنتاجات الامام الخميني بما يتناسب مع

١ . آل عمران (٣): ٨٣

٢ . البقرة (٢): ٢٨١.

٣ . العلق (٩٦): ٨.

٤ . البقرة (٢): ١٥٦.

٥ . الفجر (٨٩): ٢٧ - ٣٠.

٦ . بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٨١ - ٢٨٢، ح ٣.

٧ . بحار الأنوار، ج ٨، ص ١٢٦ - ١٣٠، وص ١٥٣، ح ٩١.

٨ . تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥٤٣.

الآيات ٢٧ - ٣٠ من سورة الفجر، التي اشارت الى موضوع مقام الاطمئنان من مراتب اهل السلوك، الامور التالية:

١. ان مبدأ رضا الله هو توفيق معرفته، وهذا يتطلب اتباع منهج السلوك والطريقة لأجل امكان حصول المعرفة. والمرتبة الثالثة من هذا السير الوصول الى درجة الاطمئنان التي اشير اليها في هذه الآية الشريفة وهي أعلى مراتب كمالها. وفي هذه المرتبة يحصل الرجوع الى الرب؛ لأن الرجوع من المقامات الكاملة لأهل الاخلاص. وهم أصحاب النفوس المطمئنة والراضين والمرضيين عند الله.

٢. السالك الذي يسير على طريق الله يواجه لججاً من الابتلاء والتمحيص، وهنا عليه ان يصبر ويجهد في طاعة الله. وهذه الحالة تتطلب الوصول الى مقام الاطمئنان.

٣. الشهداء الذين ضحّوا بأنفسهم في سبيل الله حقاً وصلوا الى مقام الاطمئنان؛ وذلك انهم وجدوا الحياة عند ربهم، ولو لم تكن لهم مثل هذه الدرجة لما دخلوا في عباده وجنته. وتدلّ على هذا المعنى الروايات التي تنصّ على ان الامام الحسين عليه السلام مصداق لهذا المقام.

٤. يعيش المرء في حياته رغائب وتمنّيات لا نهاية لها ولا يمكن اشباعها ابداً ولا يصل ابداً الى مرحلة الاطمئنان، الا بالاطمئنان بقاء الله والوصول الى درجة من القرب الالهي، وفي هذه الحالة يحصل الاطمئنان الحقيقي والأبدي.

٥. هناك فارق بين الجنة والعبودية في الضيافة والاستقبال العام، وبين جنة العباد الخاصين الذين وصلوا الى مقام الاطمئنان. والشاهد على هذا الادعاء، هو التفاوت المائل بين تعبير «عبادي» و«جنتي» في هذه الآيات.

٦. الاطمئنان هو الموضوع الأساسي للعاشق الواقعي. ومن يريد نيل الاطمئنان

حقاً، عليه ان يرتبط بالكمال المطلق.

٧. في سير الوصول الى مقام الانسان الكامل ومقام الاطمئنان، لابد طبعاً من العناية الأزلية. ولا يمكن طبعاً بلوغ هذه الغاية ما لم يحص هذا العون والمؤازرة.

٨ هذه الآية من الشواهد على الاهتمام بالمعاد الروحاني فضلاً عن المعاد الجسماني؛ وذلك انها تتحدث عن نعيم وثواب لا تتسع له الهياكل الجسمانية، ولا تستوعبه اللذائذ المادية.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ٧ ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ
زَكَّاهَا﴾ ٩ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ١٠

[حساسية التزكية وكونها شيئاً أساسياً]

إن القرآن يؤكد ذلك أكثر من غيره من المواضيع هناك عدة آيات فيها القسم يأتي بعدها ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ٩ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ وهذا يجعلنا ندرك أن أساس المسائل التي تصلح الأمور بها هو التهذيب وأن أساس جميع الانحرافات من عدم التهذيب وإن تعبير دسّي هو في نفس الإنسان وهو الشيطان. لذلك يجب أن نضع هذا الأمر على رأس أولوياتنا.^١

١. المقصود هو التزكية وتهذيب النفس.

٢. صحيفة الامام، ج ١٥، ص ٥٠٥، من كلمة ألقاها في حشد من ائمة الجمعة في محافظتي اصفهان، وجهارمحال و بختياري؛ صحيفة النور، ج ١٦، ص ٩.



سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ١١

[حديث نعمة الرب]

لقد منَّ الله تعالى على العالم بنعم كثيرة لا تحصى، ولكن ﴿أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ إلى الحد الذي نقدر عليه. ومن أطفاف الله تبارك وتعالى الكثيرة على شعبنا، انقاذه من ذلك الانحطاط الثقافي والأخلاقي والسمو به في مدارج الأخلاق والثقافة، وتحقيق الانتصارات تلو الانتصارات في جبهات القتال، والأسمى من كل ذلك الانتصار على النفس الذي تحقق لشبابنا في شرائح كثيرة. وآمل أن يتحقق لنا جميعاً المزيد من هذا النصر المعنوي والتحكم بالنفس ودحر شيطانها. فنحن اليوم غارقون في النعم الإلهية وليس بوسعنا شكر كل هذه النعم إلا بصورة إجمالية.. لقد أنعم الله تبارك وتعالى على شبابنا وعلى نساتنا بأن أنقذنا من ذلك المستنقع الذي أوجدوه لهم. وإن الشباب الذين كادوا يضيعون

من يد الاسلام ومن يد المسلمين، أعادهم الله تعالى إلينا وجعلهم على درجة من الايمان والالتزام بحيث أخذوا يتطوعون اليوم للشهادة حيث تتعالى أصواتهم بالتكبير في جبهات القتال وهم يقاتلون عدوهم، ويحيون الليل بالصلاة والتهجد يناجون ربهم.. فكل هذا من النعم التي ينبغي أن نشكر الله تعالى عليها.
لقد أنقذ الله النساء مما كان يخطط لهن ومما كان يروج له الاستكبار وعبيده.
وها هي نساؤنا اليوم غارقات في نعم الله تعالى التي لا تحصى.^١



١ . صحيفة الامام، ج ١٧، ص ٣٦٨، من كلمة ألقاها في حشد من أبناء الشعب الايراني؛ صحيفة النور، ج ١٧، ص ٢١٤.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ١ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ ٢

[معنى عرفاتي لشرح الصدر عند الأنبياء]

ان الانبياء والمرسلين هم الذين يستطيعون بما أوتوا من قوة الوجود وشرح الصدر، ان يشاهدوا عالم الشهادة في ذات الوقت الذين يشاهدون فيه عالم الغيب. وان الوحدة والبساطة التي يشاهدونها من عالم الغيب وحدة وبساطة حقيقية، وليست وحدة وبساطة مفهومية. والكثرات التي يدر كونها على نحو التفصيل، لا نستطيع نحن ادراكها بصفحة القلب بذلك التفصيل.

ولعل شرح الصدر لدى الأنبياء مناسب لهذا التعبير: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾. وهذا المعنى ان حفظ الوحدة الغيبية وحفظ مراتب عالم الغير مع حفظ كثرات عالم الطبيعة أمر تكويني ومرتبط بشرح الصدر وبقوته،

هو مناط النبوة؛ وهو ان كلّ من يستطيع ان يكون على هذه الشاكلة بحيث لا يمنعه عالم الغيب عن عالم الطبيعة، ولا عالم الطبيعة قادر على ثنيه عن المشاهدة الغيبية وعند مشاهدات ذلك الجانب؛ وكلّ من كان وجهها قلبه على هذا النحو فهو نبي^١.



١. ان لشرح الصدر وشدة التحمّل أبعاداً كثيرة وأوضح مراحلها سعة الصدر والقدرة الفائقة على تحمّل المصائب، ويملك القوة على مجابهة المشاكل والتعنّت ويتحلّى بروح التعامل المناسب مع مختلف التيارات المعارضة الداخلية والخارجية، وسعة الصدر التي يستطيع بها اداء مسؤولية الرسالة والتبليغ.

وفي رأي الامام الخميني هناك بُعد آخر لشرح الصدر، وهو الجمع بين عالم الغيب والشهادة وحفظ الوحدة الغيبية وعالم الغيب مع حفظ كثرات عالم الطبيعة. أي في ذات الوقت الذي يكون فيه على ارتباط بعالم المعنى والظواهر الغيبية كالوحي والملكوت، يؤدي أيضاً أعمالاً أرضية وناسوتية، ويهتم بالشؤون الحياتية اليومية. ومثل هذا الجمع وحفظ الوحدة لا يقدر عليه الا الانبياء، واما الآخرون فلا بد ان يقعون عند السير على هذا الطريق، في منزلقات الافراط والتفريط والأعمال المثيرة للاستهزاء، وتفلت من الستهم شطحات وكلمات غير مترّنة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤

﴿لَمْ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ٥ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ

مَمْتُونٍ﴾ ٦

[الحجاب الظلماتي اسفل المسافلين بسبب التوجه إلى غير الله]

إن التوجه إلى غير الله تعالى يحجب الإنسان بحجب « ظلمانية » وحجب « نورانية ». فالأمور الدنيوية بأجمعها إذا ما تسببت في انشداد الإنسان إلى الدنيا وغفلته عن الله تبارك وتعالى، فإنها تبعث على الحجب « الظلمانية ». وعندما تكون الدنيا وسيلة التوجه إلى الله تعالى والوصول إلى دار الآخرة، التي هي « دار التشريف »، فإن حجب الظلام هذه تتبدل بحجب النور. وإن « كمال الانقطاع » هو تبدد كل الحجب النورانية منها والمظلمة، لكي يمكن الورد إلى الضيافة الإلهية التي هي « معدن العظمة » ولذا نرى في هذه « المناجاة » يطلبون من الله تعالى، البصيرة والنور القلبي حتى يتسنى لهم خرق حجب النور وبلوغ معدن

العظمة: «حتى تحرق أبصار القلوب حُجب النور فتصل إلى معدن العظمة». ولكن الإنسان الذي لم يبدد بعد حجب الظلام؛ الإنسان الذي ماتزال كل توجهاته إلى عالم الطبيعة ومنحرفاً عن الله - والعياذ بالله - ويجهل أساساً عما وراء الطبيعة والعالم الروحي وهو منكوس إلى الطبيعة، ولن يفكر - في أي وقت - بتهديب نفسه والاستفادة من القوى الروحية والمعنوية الذاتية لإزالة ما ران على قلبه من ظلمة الذنوب.. إن إنساناً هذا شأنه هو في الحقيقة في أسفل سافلين، الذي هو أدنى حجب الظلام وأشدّها: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾؛ في حين إن الله سبحانه خلق الإنسان في أسمى مرتبة ومقام: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^١.



[نور الفطرة تفسير لأحسن تقويم]

اعلم أن للقلب - وهو مركز حقيقة الفطرة - وجهتين: إحداهما إلى عالم الغيب والروحانية، والثانية إلى عالم الشهادة والطبيعة، وبما أن الإنسان هو وليد عالم الطبيعة والنشأة الدنيوية كما تشير إليه الآية الشريفة ﴿فَأَمَّهُ هَآوِيَةً﴾^٢ فلو تربى من مبدأ الخلق في غلاف الطبيعة وحجب عن الروحانية والفطرة وأحاطت به

١ . الجهاد الأكبر، ص ٤٦.

٢ . سورة القارة: ٩.

٣ . طرح هذه النقطة على سبيل الاحتمال، وجاء بكلمة «ربما»؛ وذلك لأن المشهور بين المفسرين أنهم اخذوا كلمة الهاوية بمعنى جهنم، بينما اخذها هو بمعنى عالم الطبيعة. يمكن الاطلاع على تفصيل هذا البحث في تفسير هذه الآية في سورة القارة، حيث ورد هناك في الهامش.

أحكام الطبيعة شيئاً فشيئاً، وانغمس في عالمها ونمت غريزته، لتغلبت عليه أحكام الطبيعة فإذا مرتبة الطفولة يجاور ثلاث قوى - وهي القوة الشيطانية، وهي وليدة الواهمة والقوة الغضبية والشهوية، وكلما نمت حيوانيته تكمل فيه هذه القوى وتنمو، وتغلب عليه أحكام الطبيعة والحيوانية، ولعل الآية الكريمة الشريفة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾^١ إشارة إلى نور الفطرة الأصلي الذي خمر بيد قدرة الحق تعالى، وهو أحسن تقويم لأنه صور طبقاً للكمال المطلق والجمال التام.^٢

والرد إلى أسفل سافلين إشارة إلى الإحتجاب بالطبيعة، التي هي أسفل سافلين، فإذا غلبت هذه الإحتجابات والظلمات والكدورات على النفس فقلما ينجو منها أحد بنفسه، ويسير في عالمه الأصلي بفطرته الأصلية، ويصل إلى مطلق الكمال والنور والجمال والجلال.

إن الله تبارك وتعالى - بعنايته الأزلية ورحمته الواسعة - أرسل أنبياءه العظام لتربية البشر وأنزل الكتب السماوية لتعينهم من الخارج على فطرتهم الداخلية

١. سورة التين: ٤ - ٥.

٢. ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، بالمعنى الأعم الذي يتبادر إلى الذهن هو اشتغال التقويم عليه في جميع شؤونه وجهات وجوده (الميزان، ج ٢٠، ص ٣١٩). ويمكن أيضاً بيان مرتبة أخرى لهذا التفسير وهي مصداق لهذا المعنى؛ وهي التطابق مع الفطرة، مثلما فعل هو حين طبق ذلك على نور الفطرة ولكن على سبيل الاحتمال وباستعمال كلمة «ربما» لأن الله عز وجل قد قسم الناس في هذه الآية إلى قسمين: المؤمنون وغير المؤمنين. فالذين لم يبقوا منهم على الفطرة خرجوا من دائرة التقويم الأحسن، وانضموا إلى فئة أسفل سافلين. وأما الذين بقوا على أحسن تقويم، فهؤلاء لهم اجر غير ممنون.

وتنجو النفس من هذا الغلاف الغليظ.^١

[بيان آخر لمعنى احسن تقويم]

يجب طبعاً فهم معنى الآية الشريفة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾.^٢ أن معنى ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ليس هو هذا الهيكل المستقيم القائمة؛ لأن هذا ليس هو أحسن تقويم؛ بل إن أحسن تقويم عبارة عن ذلك التقويم الفطري الذي يبقى عليه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، مثلما يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.^٣ ومن المسلم به طبعاً أنه ليس الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقط على هذا القدر من القدر والقامة، وإن كان المراد هذا الهيكل فقط، فهو لا يختص بهم. إذا فالمراد هو تلك الفطرة.^٤

[المعنى الصحيح للتنزل من احسن تقويم، برؤية فلسفية]

السير التكاملي شيء لا بد منه. ولا يمكن أن ينحدر الإنسان من الكمال إلى النقص، بل يسير على الدوام بحركة جوهرية من النقص نحو الأعلى ونحو

١. المقصود هو بعض القوانين الأوربية التي تتعارض صراحة مع احكام القرآن، والا في الحالات التي سكتت عنها احكام الاسلام او ما يُسمى بمنطقة الفراغ، او لا تتعارض معها، او التي توضع توجيهاً للمصلحة وبقرها اهل الاختصاص من الملتزمين باحكام الاسلام، لا تدخل في اطار هذا البحث.

٢. التين (٩٠): ٤ - ٥.

٣. التين (٩٠): ٤ - ٦.

٤. تفريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ١١٣ - ١١٤.

الكمال. ان الموجود الطبيعي يسير، الا انه عندما يصل الى أي حدًا من حدود التكامل قد يتجاوزها، ويبلغ في رقبه مرتبة الانسان الكامل. ولكن لو لم يحالفه الحظ فانه يكتسب أيضاً الرقي والتكامل الوجودي الجوهرى التجردى. ولكن من الممكن في مرتبة الحيوانية ان يصل تجرّده الى النهاية. والانسان منذ البداية انسان حقيقي وتجرّده ليس بذلك التجرد الانساني الممكن حتى نقول انه تنزّل من الانسانية، وإنما لديه في المادة الانسانية قابلية الوصول الى الإنسان الحقيقي والتحقق الفعلية فيه. وإذا تعدى مرتبة النبات وتوقف في مرتبة الحيوانية ووصل في تجرّده الى النهاية، فهو هنا لم يتنزّل وإنما ترقى، الا انه لم يبلغ غايته، وغايته هي ان يتجاوز ذلك وان لا يبلغ تجرّده في هذه المرحلة نهايته. ومن المتيقن ان الآية الشريفة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾^١ لا تعني اننا نعيده من مرتبة التجرد الانساني الى مرتبة أدنى منها واسفل، بل معناها انه يملك قابلية تجسيد أحسن تقويم انساني، ولكنه لم يفعل، بل انه صار أضل حتى من الحيوان. لأنه يتصف بالقابلية على ان يكون في الحيوانية حيواناً مجرداً وموجوداً مجرداً حسوداً وموجوداً مجرداً بخيلاً وموجوداً مجرداً بهيماً.^٢

تحقق بسط بساط الرحمة والرد إلى اسفل سافلين في عالم

(الطبيعة)

اعلم أن آدم عليه السلام كان في جنة اللقاء في حالة الجذبة ولم يكن متوجّهاً إلى شجرة الطبيعة ولو كان باقياً بتلك الحالة لسقط عن الآدمية ولم ينل سيره الكمال الذي لا بد له من نيله في القوس الصعودي، ولم ييسط بساط الرحمة في هذا

١. التين (٩٠): ٤ - ٥.

٢. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ١٨٣.

العالم فتعلقت الإرادة الأزلية ببسط بساط الرحمة والنعمة في هذه النشأة وفتح أبواب الخيرات والبركات وإخراج الجواهر المخزونة في عالم الملك والطبيعة من أرض الطبيعة، وإخراج أنقالها وهذا الأمر لم يحصل في سنة الله إلا بتوجه آدم إلى الطبيعة وخروجه من ذلك المحو إلى الصحو^١ وخروجه من جنة اللقاء والجذبة الإلهية الذي هو أصل الخطيئات، فسلبت عليه القوى الداخلية والشيطان الخارجي لتدعوه إلى هذه الشجرة التي كانت مبدأ لبسط الكمالات ومنشأ لفتح أبواب الفيوضات فأبعدت آدم عن بساط القرب قبل تنزله ودعته إلى التوجه للطبيعة ليرد الحجب الظلمانية لأن الحجاب لا يمكن خرقه قبل الورد فيه.^٢ قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾^٣ وهذا الرد إلى أسفل السافلين، أي إلى آخر الحجب الظلمانية من جهة جامعية هذه

١. بناءً على هذا التفسير كان هبوط آدم هبوطاً إلى عالم الطبيعة وعالم الناسوت. والمكان الذي كان فيه لم يكن من عالم المادة. واما الاقتراب من الشجرة والاكل منها فهو كناية عن عالم الطبيعة. ومن جانب آخر في ذلك العالم لم يكن آدم آدمياً، وهذا يعني ان عمله أيضاً لم يكن معصية. وقد جاء الى هذا العالم ليتمكن في ظل الارادة والاختيار وتعارض النور والظلمة الحصول على القوس الصعودي.

٢. المحو عبارة عن التطهير وازالة الظواهر وتبديد الغفلة، وهو يعني في اصطلاح السالكين العودة الى الأصل أيضاً. راجع: سجادي، فرهنگ اصطلاحات عرفاني، ص ٧٠٦.

٣. وهذا أيضاً واحد من عجائب عالم العرفان وهو يقول ان الانسان ما لم يأت الى الحجب الظلمانية ولم يدخل في عالم الطبيعة ويشتبك مع المسائل المادية، ويوضع على محك الاختبار ويتعلم التجارب لا يستطيع برادته واختياره ازاحة الاستار المادية، وان يكون في عالم آخر في ذات الوقت الذي يكون فيه في الم المادة.

الأعجوبة الإلهية ومن لوازم تعليم الأسماء والصفات في الحضرة العلمية.^١

الرد إلى اسفل سافلين أحد الحجب الظلمانية

ولتعلم أيها العزيز، بأن لكل موجود من الموجودات صراطاً خاصاً به ونوراً وهداية معينة، «والطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق»، ولما كان في كل تعين حجاب ظلماني، وفي كل وجود وإنية حجاب نوراني، ولما كان الانسان مجمع التعينات وجامع الوجودات، فهو أشد الموجودات محجوبة عن الحق تعالى، ولعل الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ تشير الى هذا المعنى. من هنا فإن الصراط الانساني أطول وأشد ظلمة من الطرق الاخرى.^٢

المقصود من اسفل سافلين الطبيعة والدنيا

الطبيعة فيه هي تلك الدنيا المذمومة بلسان الأنبياء كثيراً، فكلمة دنيا تعني تافهة جداً، و﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ الواردة في القرآن هو هذه الطبيعة. وآثارها والمراد الذي يجب بلوغه أعلى عليين.^٤

١. سر الصلاة، ص ٤٦ - ٤٧.

٢. منسوب الى النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله)، راجع: جامع الأسرار ومنبع الأنوار للسيد حيدر الأملي: ص ٨، ٩٥، ١٢١.

٣. آداب الصلاة، ص ٢٨٩.

٤. فُتِرَت كلمة الدنيا بمعنى الدني، وبهذا المعنى أيضاً فُتِرَت عبارة اسفل سافلين.

٥. صحيفة الامام، ج ٨، ص ٤١٥، من كلمة ألقاها في حشد من منتسبي حرس الثورة الاسلامية في آباده؛ صحيفة النور، ج ٧، ص ٢٨٥.

[الواسطة بين اعلى عليين واسفل سافلين]

والإنسان الكامل لكونه كوناً جامعاً ومرآة تاماً لجميع الأسماء والصفات الإلهية أتمُّ الكلمات الإلهية، بل هو الكتاب الإلهي الذي فيه كل الكتب الإلهية؛ كما قال مولانا أمير المؤمنين و سيد الموحدين، صلوات الله و سلامه عليه:

أتزعم انك جرم صغير و فيك انطوى العالم الاكبر
وانت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمراً
وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾.

و هذا بحسب القوس النزولي؛ و يدل على الكينونة السابقة قبل عالم الطبيعة، كما هو المحقق عندهم.

و الرد من اعلى عليين الى اسفل السافلين لا يمكن الا بالعبور على المنازل المتوسطة، فمن الحضرة الواحدية و العين الثابت في العلم الإلهي تنزل الى عالم المشيئة، و منه الى عالم العقول و الروحانيين من الملائكة المقربين، و منه إلى عالم الملكوت العليا من النفوس الكلية، و منه الى البرازخ و عالم المثال، و منها إلى عالم الطبيعة بمراتبه، إلى أسفل السافلين الذي هو عالم الهيمولى و هو الأرض الأولى؛ و باعتبار هو الأرض السابعة و الطبقة النازلة. و هذا غاية نزول الإنسان.

١ . الديوان المنسوب الى الإمام علي، ص ١٣٤. وفي شرح هذا الديوان لحسين بن معين الدين المييدي، ص ٢٩٦. وهذه الأشعار مستقاة من ديوان علي بن أبي طالب المنسوب الى الامام امير المؤمنين. راجع: الديوان المنسوب إليه، ص ١٣٤ . وكذلك في ما يخص اصل الديوان وصحة نسبه اليه، راجع: الحسيني الجلالى، السيد محمد حسين، پژوهش حول ديوان الامام علي، آينه پژوهش، شماره ٦٦، ص ١٤٨؛ حسن زاده الأملى، الإنسان الكامل في نهج البلاغة، ص ٣٠؛ دانشنامه امام علي (حسوسوعة الامام علي)، ج ١٢، مقالة الشيخ مهدي المهريزي، ص ٢٢٠.

ثمّ تدرج في السير من الهيولى التي هي مقبض القوس الى ان دنى فتدلى فكان
قاب قوسين أو أدنى.^١



سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ١ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٢ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ﴾ ٣ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ٤ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ٥

[أول آية قرأت على النبي]

إن أول آية نزلت على الرسول الأكرم (ص) بحسب الروايات والتواريخ كما ورد هي آية: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. فهذه الآية هي أول آية وبناء على ما نقل قرأها جبرائيل على الرسول الأكرم (ص) وقد دعي فيها منذ البداية إلى القراءة والتعلم: '﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾'.

١. في هذا المجال راجع: الطبرسي، جامع البيان، ج ١٥، ص ٣١٧ - ٣١٩، ح ٢٩١٥٢، ذيل سورة العلق، والحويزي، نور الثقلين، ج ٥، ص ٦٠٩، ح ٦، ٧ و ٨ ومصادر أخرى مثل: تفسير علي بن ابراهيم

موضوع دعوة الأنبياء الإنسان وتربيته]

إذا كان لكل علم موضوع مثلما تفضلون أيها السادة، فموضوع علم جميع الأنبياء، هو الإنسان. وإذا كان لكل حكومة برنامج، فبرنامج الرسول الأكرم - صلى الله عليه وآله وسلم - يمكن أن يقال: هو تلك السورة النازلة أولاً، ذلك هو برنامج رسول الله:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

كل الأنبياء موضوع بحثهم، موضوع تربيتهم، موضوع علمهم هو الإنسان. جاؤوا ليُربوا الإنسان، أتوا ليوصلوا هذا الموجود الطبيعي من مرتبة الطبيعة إلى المرتبة العليا، وهي ما فوق الطبيعة، ما فوق الجبروت. كل بحث الأنبياء هو في الإنسان. منذ البدء كل مبعوث من الأنبياء مبعوث للإنسان وتربيته.

وضع المنهج في أولى مراحل البعثة]

وهذه الآية الشريفة عيّنت البرنامج - على حسب الاعتبار والاحتمال - فهي خطاب للرسول الأكرم، لكنّ خطابات القرآن حتى التي للرسول الأكرم عامّة غالباً ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فعندما تبدأ القراءة تُعيّن كيف يجب أن تبدأ، يجب أن تبدأ باسم الرب.

كل قراءة لا تبدأ باسم الربّ، شيطانية. هناك جانبان: أحدهما رحماني، والآخر شيطاني، القراءة تبدأ باسم الربّ، والعلم باسم الربّ، القراءة باسم الربّ والنظر باسم الربّ، والسمع باسم الربّ، والقول باسم الربّ، والدرس باسم الربّ، كل شيء باسم الربّ.

[شروع العالم باسم الرب]

كل العالم بدأ باسم الربّ، فالله - تبارك وتعالى - بدأ العالم باسمه. فبناء العالم باسمه، والإنسان عالمٌ، عالمٌ صغير، وهو بحسب الواقع كبير، والقراءة أوّل شيء عَلَّمَهُ، وهي أوّل برنامج نزل على الرسول الأكرم، ونصّها: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾. لا تقرأ من دونه، ولا تدرس بلا ذكره، ولا تُرَوِّج بغيره، ولا تغفل المنبر من دون اسمه، ولا تبليغ غير بادئ به. اقرأ باسم الربّ، برنامج، بلّغوا باسم الربّ واعتلوا المنبر باسمه، واسمعوا باسمه، وتحدّثوا به، فإنهم إذا عزلوا الأشياء عن اسم الربّ لا يبقى لها معنى، وتغدو عدما، كل شيء باسم الربّ شيء، كل التراثيم من الله، باسم الربّ بدأ العالم، وباسم الربّ يُختم. وأنتم يجب أن تشرعوا باسم الربّ، وتختموا باسم الربّ. آية الله في كل شيء، ويجب أن نشعر باسم الله، وكل العالم اسم الله، وأنتم كلكم اسم الله. باسم الله يتحقّق كل شيء، والجميع اسم الله.

١. كما ذكرنا سابقاً، ان هذه الاشعار تشير الى الاشعار المنسوبة الى الامام علي عليه السلام، ويُحتمل ان تكون لعلي بن أبي طالب القيرواني، وانه استقى معانيها من كلمات امير المؤمنين عليه السلام الى حدّ انها نُسبت إليه، راجع: الديوان المنسوب اليه، ص ١٣٤. كذلك، دانشنامه الإمام علي، ج ١٢، ص ٢١٦.

٢. يعني اصبح ذا هوية.

[صيرورة الإنسان واقتران التربية باسم الرب]

يجب أن ندرك هذا المعنى، ونفهم أن الكل منه، والكل يرجعون إليه: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ نحن منه وله كل شيء، ولا وجود للآخرين، فهم عدم، كل ما هو موجود هو. يجب أن ندرك هذا المعنى. أتى الأنبياء ليصرونا ويربونا. أتى الأنبياء من أجل الإنسان ولصنعه، وكتب الأنبياء كتب صنع الإنسان. القرآن الكريم كتاب الإنسان. الإنسان موضوع علم الأنبياء، وما عداه كله كلام. الإنسان منشأ جميع الخيرات، وإذا لم يكن إنساناً، فهو منشأ كل الظلمات، فهذا الموجود في مفترق طريقين: أحدهما طريق الإنسان، والآخر الطريق المنحرف عن الإنسانية يُخرج رأسه من حيوان ما. فالتعليم وحده، والتعلم وحده، والفقه وحده، والفلسفة وحدها، وعلم التوحيد وحده لا فائدة منه حتى تقترن باسم الرب ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فكل الخلق يُنسب إلى اسم الرب. اسم الرب مبدأ جميع الخلق. الخلق: خلق مطلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. ادرسوا أيضاً باسم ربك الذي خلق، وتباحثوا أيضاً باسم الرب، لا أن تقولوا في البدء: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، بل افهموا ماهية القضية، لفهم ما القضية؟

[مجهولية حقيقة الإنسان]

أتى الأنبياء ليفهمونا ماهية القضايا، كلنا حيران وتائه. كل العالم تائه لا يدري ما القضايا. وهؤلاء الذين يدعون معرفة الإنسان والإسلام كل ما لديهم ادعاء. متى عرف الإنسان الإنسان؟ ومتى عرف الإسلام؟ عندما تتزاح له ستارة أو ورقة شفافة جداً عن الإنسان، أو تتجلى له ورقة مختصرة جداً عن الإسلام، أو يعرف

شيئاً عن أحد يتخيل أنه عرف الإنسان والإسلام. الإنسان بالمعنى الحقيقي للإنسان، بذلك المعنى الذي هو به إنسان لا يعرفه أحد إلا الذات المقدسة وأولئك الذين ألهمهم هو المعرفة.

قال الملائكة: لِمَ تَخْلُقُ هذا المفسد: الإنسان؟ فقال: أنتم لا تعلمون. وبعدها علّم الأسماء لم يستطع أحد حملها إلا الإنسان^١، ولم يحمل الأمانة إلا الإنسان^٢، وإذا علّمه الأسماء ثمّ عرضهم على الملائكة الذين اعترضوا على خلق الإنسان عجزوا جميعاً عن معرفتهم، كل الملائكة بقوا عاجزين أيضاً، الملائكة المقربون عاجزون أيضاً، وليس نحن، الإنسان، فنحن^٣ موجود في مفترق طريقين، فأولئك الطيبون منا هم الذين لم يسلكوا الطريق المعوج وإلّا فهم في الطريق لنرى ما يصيرون إليه.

وقال - تعالى - بعد تلك الآية: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ولعلّ المعنى هو اقرأ مع ربك، وهناك: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ والحديث بهذا طويل طبعاً. وقوله - تعالى -: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ أي: من هذا الماء خلق الله مثل هذه القوة التي هي ذلك الإنسان الذي هو جميع العالم.^٤

١. اشارة الى الآيات ٣٠ - ٣٣ من سورة البقرة.

٢. اشارة الى الآية ٧٢ من سورة الأحزاب: ﴿وَأَنَا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾.

٣. المقصود هو ان هذا الانسان هو من استطاع ان يُعلّم الاسماء ويعرضها، وليس نحن الذين نفتقر الى مثل هذا المقام والمكانة. الانسان بوصف الانسانية.

٤. صحيفة الامام، ج ٨، ص ٣٢٤، من كلمة ألقاها في حشد من طلاب المدرسة الفيضية و الخطباء؛

صحيفة النور، ج ٧، ص ٢٢٣؛ وأيضاً راجع: صحيفة النور، ج ٦، ص ١١.

[لماذا دعا الله إلى القراءة باسم الرب وليس باسم الله]

يقال أن أول سورة نزلت على الرسول ^١ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ لم تقل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، أو ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ النَّاسِ﴾، بل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ أي رب الرسول، أي الذي ربي الرسول الأكرم، أي الله تبارك وتعالى بكل الاسماء والصفات.

رب الرسول الأكرم الإنسان الكامل، الذات المقدسة للحق تعالى بكل الاسماء والصفات، واسماء الحق تعالى وصفاته محيطة بكل الموجودات، وبعبارة أخرى فإن كل الموجودات هي ظهور للاسماء والصفات الإلهية. والله تبارك وتعالى إذ يأمر: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ أي اقرأ بهذا الاسم الذي يحتوي كل الاسماء والصفات، والمربي بكل معنى التربية في عالم الطبيعة، وفي عالم ما وراء الطبيعة، التربية المناسبة لعالم المجردات وعالم الجيروت وكل العوالم، هذا هو رب الرسول. والرسول مكلف بان يقرأ، فأول ما أمر به حسب هذه الرواية هو القراءة والتعليم والتربية.



[التأكيد على الرب ناظر إلى مسؤولية النبي]

وكانه يريد القول أن هذا الرب الذي هو ربك والمحيط بكل الموجودات، يأمرك ان تقرأ وتربي الناس على هذا الطريق، رب الرسول، رب الرسول الخاتم، الرسول مكلف بدعوة الناس إلى رب الرسول، إلى رب الرسول الأكرم ورب الرسول الخاتم. ولأجل هذا نزل القرآن، ولأجل هذا جاء الإسلام، من أجل أن

١. اشير الى مصادر هذا الكلام في ما سبق.

يتربى الناس، فلولا التربية لكانوا أشد افتراساً وايداءً من كل الحيوانات. الإنسان موجود إذا لم يخضع للتربية، فلن يجاربه حيوان ولا موجود في العالم خطورةً وايداءً. كل الأنبياء بعثوا التربية هذا الموجود الذي لو ترك لحاله لأفسد العالم. وللأسف فإن الأنبياء بدورهم لم ينجحوا في تحقيق مهمتهم.^{١ ٢}

لوازم التوجه إلى الرب وشرع الاسم به

يجب أن يقترن تعليم الناس مع تربيتهم. تلك التربية الإنسانية التي تعود على الإنسان بالنفع والفائدة، وذلك التعليم الموجه، الحاضر فيه اسم الرب والتوجه إلى الله... فإن كان هكذا علم إلهياً وإنساني الوجهة، جعله الله تبارك وتعالى من أعظم العبادات هذه الوجهة متمثلة في ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾... فاعملوا على أن تعلموا وتربوا في تعليمكم.

فقوله تعالى: ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، واستعماله لإسم الرب بالخصوص فيه تنبيه للناس إلى أهمية وضرورة التربية، وأن عليهم أن يقرأوا ويتعلموا بإسم الرب، فتكون قراءتهم وتعلمهم لأجل تربية البشر، وتكون أفعالهم مسخرة لتربية البشر، فإن البشرية لم تنتفع من شيء بقدر إنتفاعها من الأقلام الصالحة، ولم تتضرر من شيء بقدر تضررها من الأقلام الفاسدة، فإنما غذاء العقول ما تنتجه الأقلام

١. المقصود هو ان الانبياء لم يتمكنوا من انجاز رسالتهم بكل معنى الكلمة، لانهم قد اخفقوا في هداية الناس والدعوة الى الحق؛ وذلك ان الوصول الى الحق له درجات ومراتب؛ وقد استطاع الانبياء في مراتب منها القضاء الى حد ما على عبادة الأصنام، والشرك، وعبادة المادة وذلك من بعدما جاءت الأديان المختلفة. ولكن لم يتحقق ذلك الكمال المطلق والاتصال بالمعبود بدرجة عليا.

٢. صحيفة الامام، ج ١٢، ص ٤٢٢ - ٤٢٣، من كلمة ألقاها في حشد من مدرء مؤسسات القروض الحسنة المالية؛ صحيفة النور، ج ١٢، ص ١٧٠.

والألْسنة، وجميع أنواع المعرفة والعلوم وطرق التعليم لو تحركت وفق الخط والمسار الإلهي، لربّت وأنتجت عقولاً إلهية...^١

[توجّهات الأعمال في ضوء الربوبية الإلهية]

إنما المقصود ذلك العلم النافع الذي يكون في جهة خير البشرية وسعادتها، ويكون بإسم الرب وذي وجهة إلهية، وغير غافل عن اسم الله، ليكون هذا العلم وتلك القراءة وكل ما يتمخض عنهما لخدمة الإنسان وصلاحه.

فعمدة القول، إن المعيار في تقييم أفعال الإنسان في كل ما ينتجه من علم ومعرفة وصناعات وفنون، الغرض والدافع الكامن وراء إيجاد هذه الأشياء، بندقية كانت أو قلماً، دبابة كانت أو كتاباً علمياً فإن كان الغرض منها غرضاً إلهياً إنسانياً، يعود على البشرية بالخير والصلاح، أخذت قيمتها الإلهية والإنسانية، وإن كانت خلاف ذلك، سلبت منها هذه القيمة، وتحولت إلى وسائل خطيرة خصوصاً ما يخطه القلم ويفصح عنه اللسان من البيان، فإن القلم الفاسد أشد فتكاً من البندقية الرشاشة، وإن اللسان المغرض الزلق أخطر من المدفع والدبابة، وأمّا خطر العلم فهو أكثر من الجميع. ولكن إذا ما سخرنا كل ذلك لخدمة الإنسان ولخير البشرية وصلاحها، ووفق ما يملية علينا الوجدان والدين، أصبحت لهذه الأعمال قيمة، وأصبح القلم بندقية، وأصبحت البندقية قلماً.

١. صحيفة الامام، ج ١٣، ص ٤٥٠، من كلمة ألقاها في حشد من مسؤولي حركة محو الامية؛

[ضرورة توجيه المسائل التعليمية]

على البشرية أن تفكر بجدية في مسألة إعطاء مراكز التعليم والتربية وجهتها الحقيقية. فالجامعات ما لم تعطى وجهتها الحقيقية، ستتحول إلى مراكز وبؤر لتربية وتخريج عناصر وقوى الفساد والتخريب، كما هو الحال في عالمنا اليوم، وأما لو أعطيت وجهتها السليمة، فستقدم للبشرية خدمات لا يمكن لأي جهة أخرى أن تقدم مثلها، فالأساس هو الوجهة التي يسار فيها. وقد عبر القرآن عن ذلك بأبلغ بيان بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ولكن ليس مطلق القراءة، تعلم ولكن ليس مطلق التعلم، حصل العلم، ولكن ليس مطلق العلم والتحصيل، وإنما العلم والتعلم ذو الوجهة السليمة، الذي وجهته اسم الرب، والتوجه إلى الله، والذي يكون لأجل الله وخدمة خلق الله.

فإن الأقلام إذا ما سُخِّرَتْ لأجل الله ولخدمة خلق الله، تنحَّت البنادق جانباً، وأما لو لم تكن كذلك، كانت صانعة للبنادق، فأدوات القتل والدماء إنما أوجدتها تلك الأيدي الحاملة للأقلام، أيدي العلماء المتواجدين في جميع الجامعات، كما أن رقي البشرية وتقدمها صنعتها أيدي العلماء وأقلامها أيضاً.^١

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

[طرح قضية القراءة في بداية البعثة دال على أهمية العلم]

وفي أول سورة أنزلها الله تعالى على رسوله ﷺ قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا

١. صحيفة الامام، ج ١٣، ص ٤٤٨، من كلمة ألقاها في حشد من مسؤولي حركة محو الامية؛ صحيفة النور،

ج ١٣، ص ٢٢٨؛ وأيضاً راجع: صحيفة النور، ج ٨، ص ١١٨ وصحيفة الامام، ج ٩، ص ٧٥ - ٧٤.

لَمْ يَعْلَمْ ﴿١﴾ وجعل العلماء هذه الآيات الشريفة دليلاً على تقدم العلم على جميع الفضائل بوجوه:

الأول: أنه ذكر لرسوله في بدء نزول الوحي ومفتح كتابه الكريم، بعد نعمة الخلق نعمة العلم. فلو كانت فضيلة متصورة أعلى من العلم لكان من المناسب ذكرها.

الثاني: أن وجه التناسب بين الآيات الشريفة في هذه السورة المباركة حيث قال في الآية: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ وبعدها ذكر مقام التعليم بالقلم وتعليم ما لم يعلم، أن الحق تعالى يريد أن يذكر مقام قدرته حيث خلق من المادة الوسخة المتعفنة التي هي أخس موجود، موجوداً شريفاً عالماً، هو أشرف الكائنات، فلو لم يكن العلم هو أشرف الفضائل الإنسانية لم يكن مناسباً في هذا المقام.

الثالث: أن ترتب الحكم على الوصف مشعر بالعلية، والحق تعالى وصف نفسه في هذه الآيات بالأكرمية، ورتب عليه التعليم.

فيعلم أن أكرمية الحق تعالى علة لتعليم العلم، فلو كان شيء أفضل من العلم كان الأنسب أن يذكر في هذا المقام بصيغة «أفعل التفضيل»^٢.

الرابع: ما خطر بالي في هذا الحال وهو من أفضال الكريم، حيث يعلم الإنسان ما لم يعلم، وذاك الوجه، أن الله تعالى نسب خلقه الإنسان وتعليمه إلى رب محمد، ورب محمد ﷺ كما قرر في علم الأسماء هو الاسم الجامع الأعظم، وهذا الاسم الأعظم مبدأ لخلق الإنسان الكامل، وليس لبقية الموجودات لياقة مبدئية هذا الاسم، والله تعالى لتشريفه للعلم، وتعظيمه له، نسب خلقته أيضاً إلى

١. سورة العلق: ١ - ٥.

٢. التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، ج ٢، ص ١٨٦ - ١٨٩.

ربّ محمد، كما ذكر ربّ محمد ﷺ في موارد كانت له فيها عناية خاصة بأمر ما كما يعلم من مطالعة القرآن الكريم، والرجوع إلى الآيات الشريفة ضمن هذا السياق.^١

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ ٦ ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى﴾ ٧

[الاستغناء موجب للطغيان، والتزكية رافعة للاستغناء]

في أول نزول للوحي وردت هذه الآية في هذه السورة، ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾، ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى﴾.

فيعلم من ذلك أن وجود الطغيان والطاغوت من الأمور التي هي على رأس الأمور ومن أجل سحق الطاغوت يجب تعليم الكتاب والحكمة وتعلم الكتاب والحكمة والتزكية. فالإنسان بهذا الشكل، والوضع الروحي لكل الناس بهذا الشكل فبمجرد أن يستغني أحد ما يطغى. فلو استغنى مالياً يطغى بهذا المقدار، ولو استغنى علمياً يطغى بهذا المقدار، ولو حصل على مقام يطغى بهذا المقدار. ففرعون الذي يسميه الله تبارك وتعالى طاغية؛ لأنه حصل على المقام ولم يكن فيه غاية إلهية جرّه هذا المقام إلى الطغيان. الأشخاص الذين يحصلون على أشياء مرتبطة بالدنيا بدون تزكية النفس، ومهما حصلوا فإن طغيانهم سوف يزداد وإن وبال هذا المال وهذا المنال وهذا المقام وهذا الجاه وهذا المنصب من الأشياء

التي تؤدي إلى تعرض الإنسان للمتاعب والصعوبات في الدنيا وهي في الآخرة أكثر... هذه الغاية موجودة في الجميع لا في فرعون وحده. فلو وضعوا الإنسان فوق رؤوسهم فسوف يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ...﴾

إن كل الخلافات الموجودة في البشر هي لأن النفوس لم تزك... فالشخص الذي زكى نفسه، لا يعتبر نفسه مستغنياً أبداً و: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾، عندما يرى نفسه ويعتبر لنفسه مقاماً ويقول بعظمة نفسه، فإن هذه الرؤية لنفسه هي سبب الطغيان. إن أساس كل الخلافات التي بين كل البشر، الخلافات التي في كل الدنيا بين البشر هو الطغيان الموجود في النفس وهذه المشاكل التي تواجه الإنسان هي تقيده بنفسه وبالأهواء النفسانية. لو تزكى الإنسان وترتبت نفسه سوف تنتهي هذه الخلافات.

فلو اجتمع كل الأنبياء العظام في مدينة ما وفي بلد ما لن يختلفوا مع بعضهم أبداً، لأنهم تزكوا، فهم يملكون العلم والحكمة بعد التزكية في النفس. فكل مشاكلنا جميعاً لأننا لم نُزك، لم نرب. أصبحوا علماء ولكن لم يتربوا، تفكرهم عميق ولكنهم لم يتربوا.^٢ وإن الخطر الناشئ عن العالم الذي لم يرب ولم يزك على البشر أكبر من خطر المغول.^٣

١. النزاعات (٧٩): ٢٤.

٢. يقصد هنا الإشارة إلى ما بينه عند تقديم التزكية على التعليم في ذيل الآية ١٦٤ من سورة آل عمران، وللمزيد من التوضيح ورفع الشبهة، راجع: هامش تلك الآية والآية الثانية من سورة الجمعة.

٣. صحيفة الامام، ج ١٤، ص ٣٨٩، من كلمة ألقاها في حشد من مختلف شرائح أهالي تبريز؛

﴿إِن إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعَىٰ﴾ ٨



[دلالة آيات الرجوع على التجرد الوجودي]

إذا كانت بعض الآيات يستفاد منها بالمعاد الروحاني، وآيات أخرى يُستفاد منها المعاد الروحاني، فلا تنافي بين الآيات؛ لأن كل طائفة منها ناظرة الى جانب. هناك طائفة من الآيات مثل آيات الرجوع ومنها: ﴿وإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^١، ﴿تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^٢، ﴿إِن إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعَىٰ﴾^٣، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^٤، ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾^٥، كل هذه الآيات تدل ظاهراً على النشأة أعلاه وعلى التجرد الوجودي، وان النشأة الاخرى الرجوع الى الله والعودة من سفر الطبيعة والذهاب

صحيفة النور، ج ١٤، ص ٢٥٥.

١. آل عمران (٣): ٨٣

٢. البقرة (٢): ٢٨١.

٣. الملق (٩٦): ٨

٤. البقرة (٢): ١٥٦.

٥. المقصود هو بعض القوانين الاوربية التي تتعارض صراحة مع احكام القرآن، والا في الحالات التي سكت عنها احكام الاسلام او ما يُسمى بمنطقة الفراغ، او لا تتعارض معها، او التي توضع توخيّاً للمصلحة ويقرّها اهل الاختصاص من الملتزمين باحكام الاسلام، لا تدخل في اطار هذا البحث.

الى قرب الله، والاقتراب الى ظل الحق. ان عالم الطبيعة هذا بعيد عن التجرد، وفي ذلك العالم يكون هناك كلام وتواصل بين الاشخاص وملائكة الله، مثل التواصل الذي نعيشه حالياً مع بعضنا.

هناك اخبار وأحاديث تدلّ على ان ملائكة الله تسحب الانسان النار وتكلمه،^١ وهناك أيضاً احاديث تدل على كلام أهل الجنة مع ملائكة الله واطاعة الملائكة لأوامر المؤمنين،^٢ مع ان الملائكة لا تستطيع معايشة هذا الوجود الطبيعي الذي نحن عليه.^٣



١. بحار الأنوار، ج ٨ ص ٢٨١ - ٢٨٢، ح ٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٨ ص ١٢٦ - ١٣٠، وص ١٥٣، ح ٩١.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥٤٣.

سورة القدر

٩٧

مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ١ ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ٢ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ٣ ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا يُأْذِنُ رَبُّهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ٤ ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ ٥

[نسبة التنزيل إلى الله ووجهها]

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ مطالب سامية لا تخلو الإشارة الى بعضها من فائدة.

المطلب الأول: حول ما ورد في هذه الآية الكريمة، وفي العديد من الآيات الشريفة التي ينسب فيها الله تعالى تنزيل القرآن الى ذاته المقدسة، كقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾^١ و﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^٢ الى غير

١ . الدخان (٤٤): ٣

٢ . الحجر (١٥): ٩.

ذلك من الآيات الكريمة.

في حين ينسب تعالى أمر التنزيل في آيات كريمة اخرى الى الروح الأمين جبرئيل كقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينَ﴾^١. يقول علماء الظاهر حول هذا الموضوع أنه من قبيل قوله تعالى: ﴿يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحَانًا﴾^٢، أي إنه قول مجازي^٣، فنسبة التنزيل الى الحق تعالى هي من باب أنه تقدست أسماؤه هو سبب التنزيل وهو الأمر به، او أن نسبة التنزيل الى الحق هي حقيقة، في حين انه مجازي^٤ بالنسبة للروح الأمين على اعتبار أنه واسطة التنزيل. وهذا التفسير يعتمد على اعتبار هؤلاء العلماء لنسبة فعل الحق الى الخلق كنسبة فعل الخلق الى الخلق.

فمأمورية جبرئيل وعزرائيل من الحق تعالى هي كمأمورية هامان من فرعون وكمأمورية البنائين والمعمارين من هامان. وهذا قياس باطل وقياس مع الفارق. ان فهم نسبة الخلق الى الحق^٥ وفعل الخلق والخالق من امهات المعارف

١. الشعراء (٢٦): ١٩٣.

٢. غافر (٤٠): ٣٦.

٣. لمزيد من المعلومات في هذا المجال وللاطلاع على الاحتمالات التي جاءت حول هذه الآية:

راجع: الألويسي، روح المعاني، ج ١١، ص ١٨٢ - ١٨٣، ذيل الآية ١٩٣ من سورة الشعراء.

٤. أي ان ما يفهم من نسبة ومكانة الخلق الى الحق، وما يتضح من نسبة أفعال الخلق والخالق، يُمد من أهم المعارف الالهية وامهات المسائل الفلسفية المتعلقة بالجبر والتفويض . وعندما يتضح هذا الموضوع الكالمي المهم (الجبر والتفويض) تتضح في ضوئه هذه المباحث؛ وذلك لأن افعال الانسان تقع في طول افعال الله . أي في الوقت الذي تقوم فيه بالأفعال وتُنسب اليها، فهي تُنسب إلى الله بمعنى الكلمة. ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال (٨): ١٧)، على خلاف فعل الانسان وفعل الخلق الى الخلق، وهو ان احدهم اذا قام بفعل فان الآخر لم يفعله . ولا

الإلهية، ومن المسائل الفلسفية التي يعتمد عليها حلُّ كثير من المعضلات كمسألة الجبر والتفويض التي يعتبر موضوعنا هذا شعبة من شعبها.

اعلم أن من الثابت في العلوم العالية أن دار التحقق بأسرها ومراتب الوجود هي صورة الفيض المقدس وهو التجلّي الإشراقي للحق تعالى^١.

ولما كانت «الإضافة الإشراقية» هي محض الربط وصرف الفقر، فإن تعييناتها وصورها هي محض الربط ايضاً، فلا حيثية ولا استقلال لها بذاتها.

وبعبارة اخرى، فإن تمام دار التحقق فان في الحق - ذاتاً وصفة وفعلاً - اذ لو كان لموجود من الموجودات استقلالاً في أحد الشؤون الذاتية - سواء في الهوية الوجودية أو في شؤونها - لخرج بذلك من حدود الامكان وتحول الى الوجود الذاتي، وهذا أمرٌ واضح البطلان. فإذا ترسخت هذه اللطيفة الإلهية في القلب وتذوقها الفؤاد بما يكفي، انكشف له سرٌّ من اسرار القدر، وظهرت له لطيفةٌ من حقيقة «الأمر بين الأمرين»^٢.

يمكن نسبه الى كليهما في وقت واحد، الا اذا اختلفت حيثيته.

بيّن المرحوم الامام الخميني هذا البحث بالتفصيل في ذيل الآية ١٧ من سورة الأنفال. وكذا جاء في رسالته المعروفة برسالة الطلب والارادة وخاصة في الصفحات ٨٣ - ٨٥ من الترجمة العربية لهذا الكتاب التي انجزها السيد احمد الفهري.

١. لما كان في هذا الفيض الذي هو مرحلة تجلّي الأسماء ويوجب ظهور وبروز مقتضيات الاعيان في الخارج، بينما في الفيض الاقدس يكون فقط تجلّي الحق حسب اولوية ذاته وباطنيته، واذا اريد للاسماء الالهية ان يكون لها ظهور في الخارج، فهي تتحقق بواسطة الفيض المقدس.

٢. اشارة الى ما ورد في الاحاديث الشريفة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لا جبر ولا تفويض ولكن أمرٌ بين أمرين، الحديث. راجع: اصول الكافي: كتاب التوحيد - باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين.

[الجمع بين النسبة إلى الحق والخلق]

فالآثار والافعال الكمالية اذن يمكن نسبها الى الحق بنفس النسبة التي تنسب بها الى الخلق دون ان يكون في الأمر مجازاً البتة، وهذا يتحقق في فكرة الوحدة والكثرة والجمع بين الأمرين.

نعم، اذا كان الشخص واقعاً في الكثرة المحضة محجوباً عن الوحدة، نسب الفعل الى الخلق وغفل عن الحق - كما هو حالنا نحن المحجوبين - اما اذا تجلّت الوحدة في قلبه وحُجِب

عن الخلق، نسب جميع الافعال الى الحق تعالى^١.

اما العارف المحقق فيجمع بين الوحدة والكثرة، فهو في نفس الوقت الذي ينسب فيه الفعل الى الحق دون شائبة مجاز، ينسبه الى الخلق دون شائبة مجاز

١ . أي ان كل ما يراه، وكل فعل يصدر من العبد، لا يرى فيه الا الله . وحسب تعبير الشاعر العرفاني بابا طاهر العريان باللغة الفارسية:

به دريا بنگرم دريا تو بينم به صحرا بنگرم صحرا تو بينم

به هر جا بنگرم كوه و در و دشت نشان از قامت رعنا تو وينم

انظر الى البحر فأراك أنت وانظر الى الصحراء فأراك أنت

وحينما انظر الى الجبل والسهل والوادي أرى معالم قامتك الهفاء

وفي هذه الحالة تتجلى الوحدة في قلبه ويحجب عن الخلق . ولهذا فهو ينسب الافعال كلها الى الله، بل ويرى في كل شيء تجلياً له سبحانه وتعالى.

ايضاً، والآية الكريمة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^١ تنفي الرمي ضمن إثباتها له، وتثبته ضمن نفيها له، وفي ذلك إشارة الى المشرب العرفاني الاحلى والمسلك الإيماني الدقيق.

وما قلناه حول «الافعال والآثار الكمالية» وما قلناه من اخراج النقائص، انما هو لأن النقائص ترجع الى الإعدام، وهذا من تعينات الوجود، فهو غير منسوب الى الحق اللهم إلا على نحو عرضي. ولا يتسع المقام للتوسع في شرح هذا المبحث.

على آية حال، اذا اتضح هذه المقدمة، تتضح نسبة التنزيل الى الحق تعالى والى جبرئيل، ونسبة الإحياء الى اسرافيل والى الحق تعالى، والإماتة الى عزرائيل والملائكة الموكلة بالنفوس والى الحق تعالى.

والإشارة الى هذا الموضوع مستفيضة في القرآن الكريم^٢، فهو أحد المعارف الخاصة بالقرآن الكريم، لا عين له ولا أثر في آثار الحكماء والفلاسفة قبل نزول هذا الكتاب المجيد، فالأسرة البشرية مدينة - في هذه اللطيفة - لعطية هذه

١ . الانفال(٨): ١٧.

٢ . على سبيل المثال جاء في الآيتين ٩٧ و ٩٨ من سورة البقرة، ذكر جبرائيل وميكائيل، وجاء ما يخص عزرائيل في الآية ١١ من سورة السجدة. واما ما ورد في شأن الإحياء فقد نسه الى نفسه مباشرة، ولم ترد في اي موضع من القرآن نسبة الإحياء الى أحد سواء . على سبيل المثال، راجع: الأنعام (٦): ٧٣، الكهف (١٨): ٩٩، طه (٢٠): ١٠٢، المؤمنون (٢٣): ١٠١، النمل (٢٧): ٨٧، يس (٣٦): ٥١، الزمر (٣٩): ٦٨، ق (٥٠): ٢٠، الحاقة (٦٩): ١٣، النبأ (٧٨): ١٨ . ومن هنا يمكن الاستناد الى القرآن بشكل صريح ومباشر في ما يخص دور جبرائيل (روح القدس) وميكائيل وملك الموت. واما بالنسبة الى ما جاء في الروايات في هذا الخصوص فهو يتطلب بحثاً مستقلاً . وبما انه لم يُشر إليه، لذلك لا ندخل في بحثه.

الصحيفة الالهية، كما هو الحال مع سائر المعارف الالهية القرآنية.



[وجه نسبة النزول إلى نفسه بصيغة الجمع]

المطلب الثاني: الإشارة الى السرّ في قوله: ﴿إِنَّا﴾ و﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ بصيغة الجمع. اعلم ان السرّ في ذلك هو تفخيم مقام الحق تعالى بمبدئية تنزيل هذا الكتاب الكريم. ولعلّ صيغة الجمع هذه من أجل الجمعية الأسمائية، وللإشارة الى أن الحق تعالى - وبجميع شؤونه الأسمائية والصفاتية - هو مبدأ هذا الكتاب الكريم، ولهذا كان هذا الكتاب الشريف صورةً أحادية جمع لجميع الاسماء والصفات ومعرفاً للمقام المقدس للحق بكافة الشؤون والتجليات^١.

بعبارة اخرى، إن هذه الصحيفة النورانية هي صورة «الاسم الاعظم» مثلما أن الانسان الكامل صورة الاسم الاعظم ايضاً، بل لعلّ حقيقتهما - في حضرة الغيب - واحدة وإنهما مفترقان عن بعضهما في عالم التفرقة بحسب الظاهر لكنهما - بحسب المعنى - لا يفترقان. وهذا هو أحد معاني «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^٢. تماماً كما أن الحق تعالى قد خمر طينة آدم الأول والانسان الكامل بيدي الجمال والجلال، وكما انزل الكتاب الكامل والقرآن الجامع بيدي الجمال والجلال ايضاً. ولعلّ هذه هي العلة في تسمية هذا الكتاب بـ«القرآن»، فمقام

١ . الكتاب الشريف لصورة الأحادية جمع لجميع الاسماء والصفات؛ لأنه كما ان كتاب التكوين

مظهر جامع لله، فان كتاب التدوين مظهر لله ومعرف للمقام المقدس لله.

٢ . اشارة الى حديث الثقلين المتواتر، راجع: اصول الكافي، كتاب الحجّة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأنمة (عليهم السلام)، الحديث السادس.

الأحدية هو الجمع بين الوحدة والكثرة، لذا كان هذا الكتاب غير قابل للنسخ والانقطاع، فالاسم الأعظم ومظاهره أزلية وأبدية، وإن جميع الشرائع انما دعت لهذه الشريعة والولاية المحمدية.

ولعل الحكمة في ورود ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ بصيغة الجمع هي ذاتها العلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾، فالأمانة بحسب الباطن هي حقيقة الولاية، وبحسب الظاهر ظاهر الشريعة او دين الاسلام أو القرآن او الصلاة.

[نظرة اجمالية عن كيفية نزول القرآن]

المطلب الثالث: بيان اجمالي عن كيفية نزول القرآن.

وهذا من لطائف المعارف الالهية ومن أسرار الحقائق الدينية التي قل أن يستطيع أحد الاطلاع على نفحة منها بالطريق العلمي عدا الكمّل من الاولياء وعلى رأسهم الوجود المبارك للرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) ثم الاولياء واهل المعارف من بعده ويتسديده والذين يستطيعون وحدهم وعن طريق الكشف والشهود إدراك هذه اللطيفة الالهية، فمشاهدة الحقيقة لا تكون إلا عن طريق الوصول الى عالم الوحي والخروج من حدود العوالم الامكانية. وستوضح هذه الحقيقة هاهنا بطريق الرمز والاشارة.

[طوائف سالكي السير إلى الله]

اعلم ان القلوب السائرة الى الله بالسلوك المعنوي والسفر الباطني وبالمهاجرة من بيت النفس المظلم وبيت الآتية والأنانية، هي طائفتان عموماً:

الأولى: أولئك الذين يدركون موتهم بعد إتمام السفر الى الله فيبقون في حالة الجذبة والفناء والموت تلك، وأجر اصحاب هذه القلوب على الله، وهو تعالى أجرهم.

وهؤلاء هم المحبوبون الفانون تحت «قباب الله» لا أحد يعرفهم او يرتبط بهم، كما لا يعرفون هم كذلك أحداً سوى الحق تعالى: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»^١.

[قابلية الرجوع إلى الخلق بالنسبة إلى جماعة من السالكين]

الثانية: أولئك المؤهلون للرجوع الى أنفسهم وتحقق حالة الصحو لهم، بعد إتمام السير الى الله وفي الله.

وهؤلاء هم الذين تمّ تقدير استعدادهم - بحسب التجلي بالفيض الاقدس وهو «سرُّ القدر» - واختارهم الحق تعالى لتكميل العباد وإعمار البلاد.

وهؤلاء يكشفون - بعد الاتصال بالحضرة العلمية والرجوع الى حقائق الأعيان - سير الأعيان واتصالها بحضرة القدس وسفرها الى الله والى السعادة. وهم المكتسبون بكسوة النبوة، وهذا هو كشف الوحي الالهي قبل التنزل الى عالم الوحي الجبرئيلي. ثم إنهم يكشفون - بعد توجههم من هذا العالم الى العوالم النازلة - ما في الأقاليم العالية والألواح القدسية بمقدار إحاطتهم العلمية ونشأتهم الكمالية التابعة للحضرات الاسمائية، ومن هنا كان التفاوت بين الشرائع

١. لم نعثر في المصادر الحديثية المعتبرة على هذا الحديث الذي يبدو في الظاهر حديثاً قدسياً. راجع: السيد حيدر الأملي، أنوار الحقيقة وأطوار الطريقة وأسرار الشريعة، ص ١٩٧. وقد نقل نجم الدين دايه في مرصاد العباد، ص ١٢٧ هذه الجملة على انها رواية.

والنبوات، بل لعلّ هذا هو أصل جميع الفروقات.

وفي هذا المقام، قد يكون تنزل هذه الحقيقة الغيبية والسريرة القدسية المشهودة في الحضرة العلمية والأقلام والألواح العالية، عن طريق غيب نفوسهم وسرّ أرواحهم الشريفة بواسطة ملك الوحي حضرة جبرئيل الذي قد يتمثل لهم «تمثلاً مثالياً» في حضرة المثال، او بـ «تمثل ملكي»، فيظهر من مكمّن الغيب - بواسطة تلك الحقيقة - الى مشهد عالم الشهادة وينزل تلك اللطيفة الالهية، فيدركها صاحب الوحي ويشاهدها في كل نشأة من النشآت على نحو خاص:

ففي الحضرة العلميّة على نحو معين. وفي حضرة الأعيان على نحو آخر. وفي حضرات الأقلام على نحو ثالث. وفي حضرات الألواح على نحو مختلف. وفي حضرة المثال على نحو آخر. وفي الحسن المشترك على نحو ثان. وفي الشهادات المطلقة على نحو آخر.

وهي مراتب سبعة من التنزل، ولعلّ ما ورد بشأن نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف^١ هو هذا المعنى^٢، وهو - كما هو واضح - لا يتنافى مع قول المعصوم (عليه السلام): «قرآن واحد من عند واحد»^٣. وفي الموضوع تفصيل لا يناسب المقام.

١. راجع: بحار الانوار، ج ٨٩، ص ٨٣.

٢. جاءت أقوال كثيرة في بيان معنى هذا الحديث وفي معنى هذه الاحرف، وهل يُراد بها الاحرف ام القراءات، ام المراتب السبعة للتنزل. في هذا المجال، راجع: مؤدب، السيّد رضا، نزول قرآن و رؤياى هفت حرف، ص ١٣١ - ١٤٧ وكذلك في فصل ديدگاهها (= آراء)، ص ٢٥٣ - ٢٦٣.

٣. جاءت العبارة الصحيحة لهذه الجملة في الروايات بالشكل التالي: «ان القرآن واحدٌ نزل من عند واحد»، اصول الكافي، ج ٤، ص ٤٣٨، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح ١٢.

[سرّ "هاء" الغائب في أنزلناه]

المطلب الرابع: في سرّ «هاء» الغائب في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾.

اتضح مما مرّ معنا، أنّ للقرآن - قبل التنزيل الى هذه النشأة - مقامات وكيونات منها: كينونته العلمية في الحضرة الغيبية بالتكلم الذاتي والمقارعة الذاتية عن طريق أحدية الجمع^١. ولعلّ ضمير الغائب يشير الى هذا المقام، وإفادة هذا المعنى ذكر تعالى التنزيل مقترناً بضمير الغائب، فكأنه يقول: إن هذا القرآن المنزل في ليلة القدر هو نفس القرآن العلمي الموجود في السرّ المكنون والغيبّي في النشأة العلمية، حيث أنزلناه من تلك المراتب التي كان فيها متحداً مع الذات في مقام واحد والتي كان فيها من التجليات الاسمائية، وهذه الحقيقة هي ظاهر ذلك السرّ الالهي، وهذا الكتاب الذي ظهر في كسوة الالفاظ والعبارات، هو في مرتبة الذات على شكل تجليات ذاتية، وفي مرتبة الفعل عين التجلّي

١. المقصود مرتبة الفيض الاقدس التي هي اولية الذات وباطنته وليس في ذلك المقام فصل ولا تمايز.

٢. لعل المقصود من هذا الكلام هو ما يطرح من علوم القرآن من القول بأن القرآن كان له نزولان؛ نزول دفعي، ونزول تدريجي. ومقام وكيونة القرآن قبل هذا النزول كان وجوده في الحضرة الغيبية في التكلم الذاتي. وبناء على هذا المعنى يمكن تبرير حتى أقوال من قالوا بقدم القرآن، وذلك انهم يقصدون بقدّم القرآن ليس النزول التدريجي الذي جاء على مرّ الأيام واستجابة للوقائع والتساؤلات، وأنما المقصود تلك الحقيقة الكاملة والسر المكنون والغيبّي في النشأة العلمية، والسر الذي هو في مقام متحد مع الذات، وهو من التجليات الاسمائية لتلك الذات التي لا نظير لها. حول النزول الدفعي والتدريجي والتفسير العرفاني والتأويلي له، راجع: الطباطبائي، الميزان، ج ٢، ص ١٦-١٨؛ الدوزدوزاني، الميزا يد الله، دروس حول نزول القرآن؛ غازی عناية، هدی الفرقان، ج ١، ص ١٢؛ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٤٩.

الفعلية، كما يقول أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «إنما كلامه فعله»^١.

[بيان ليلة القدر]

المطلب الخامس: في بيان ليلة القدر، وفيه مباحث كثيرة ومعارف لا تحصى، وقد تطرّق العلماء الاعلام (رضوان الله عليهم) الى هذا الموضوع بالبحث والتحليل كل حسب مشربه ومسلكه. وسوف نشير هاهنا الى بعض تلك المباحث، كما نشير الى بعض ما لم يُذكر وذلك ضمن عدة أطر:

الأول: اختلف العلماء في وجه تسمية «لَيْلَةِ الْقَدْرِ» بهذا الاسم، بعضهم قال إنها سميت كذلك لأنها ليلة ذات منزلة ومكانة، وقد أنزل فيها القرآن الكريم ذو القدر والمنزلة بواسطة ملك ذي قدر وعلى رسول ذي قدر ولأمة ذات قدر.^٢ وبعض قالوا: إنها سميت «لَيْلَةِ الْقَدْرِ» لأن فيها تُقدّر أمور الناس وأرزاقهم وآجالهم.

وآخرون قالوا: إن سبب التسمية يعود الى أن الأرض تضيق نتيجة كثرة نزول الملائكة في تلك الليلة، فالتسمية اذن من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾^٣

هذه هي الأقوال الواردة في هذا المقام، في كل قول منها تحقيقات لا يخلو العرض المجمل لها من فائدة:

أما القول الأول: بأنها ليلة ذات منزلة وقدر، فاعلم أن ما يقال في هذا المقام

١. نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٢٨، ص ٣٣٧.

٢. راجع: الطوسي، التبيان، ج ١٠، ص ٣٨٥.

٣. الطلاق (٦٥): ٧.

هو:

[قيمة وعدم قيمة بعض الأزمنة والأمكنة]

إذا كان بعض مطلق الزمان ومطلق المكان شريفاً وبعضه الآخر غير شريف، بعضه سعيداً وبعضه نحس، فهل هذا من نفس الزمان ومن شخصاته الذاتية، أم الأزمنة والأماكن تكون ذات مزية بشكل عرضي وبفعل وقوع الأحداث والأمور الشريفة أو الخسيسة فيها؟! هذا الموضوع وإن لم يكن من المباحث الهامة أو الحيوية إلا أننا سنتعرض له على نحو الاختصار:

[منشأ شرف الأزمنة والامكنة وبحث احتمالاته]

إن الوجه في ترجيح الاحتمال الاول، هو أن ظاهر الأخبار والآيات التي تقول بشرف أو نحوسة لبعض الزمان أو المكان^١، يشير إلى أنها تعتبر ذلك صفة لتلك الأزمنة والأمكنة وليس صفة الحال المتعلقة بها، ولما لم يكن من مانع عقلي، فالمتعين حملها على ظاهرها.

أما وجه ترجيح الاحتمال الثاني، فهو أن حقيقة الزمان والمكان واحدة بل

١ . المقصود من الأخبار والآيات، تلك الآيات التي تتحدث عن يوم القيامة أو يشير إلى الأوصاف التي تبين ما يلقاه فيه الناس من السعادة، مثل: آل عمران (٣): ١٠٤، المائدة (٥): ٣، ١٠٩، ١١٩، الأعراف (٧): ٥٣، التوبة (٩): ٣، ٣٦، وغير ذلك من الآيات الكثيرة الأخرى التي تدل على أيام الفضيلة أو وضع معين. كما جاء في الروايات ذكر هذه الفضيلة لبعض الأيام كيوم الجمعة أو بعض الأشهر الأخرى. في هذا المجال، راجع: ابن طاووس، الاقبال بالأعمال الحسنة؛ الصدوق، فضائل الأشهر الثلاثة.

لعلّ شخصيتهما واحدة ايضاً، لذا لا يمكن أن يكون للشخص الواحد حكمً متجزئاً مختلف، وعليه فلا مناص من حمل ما ورد في النصوص بشأن الشرف والنحوسة على الوقائع والقضايا المقترنة بها.

وهذا الاستدلال ليس صحيحاً، لأن الزمان وإن كان ذا شخصية واحدة إلا أنه متدرج وممتد وهو حقيقة مقدارية، فلا مانع من تفاوت بعض أجزائه عن بعضها الآخر في الحكم والأثر، وليس من دليل يمنع من ان يكون للشخص الواحد - كيفما كان - حكمان وأثران، بل لعل الظاهر خلاف ذلك. فأفراد النوع الانساني مثلاً، رغم انهم جميعاً يشتركون في كونهم شخصاً واحداً، إلا ان هناك اختلافات كثيرة في صورهم الجسمية؛ فالجليدية^١ والقلب أسمى وأرق من سائر الاعضاء، كما هو الحال مع القوى الباطنة والظاهرة التي يكون بعضها اسمى من بعض، وسبب ذلك هو أن الانسان لا يظهر في هذا العالم بنعت الوحدة التامة، فهو وإن كان شخصاً واحداً، إلا أنه ولما كان ظاهراً بنعت الكثرة لزم أن تتفاوت أحكامه.

وأما وجه ترجيح الاحتمال الاول، فهو غير مستساغ ايضاً، ومردّد هذا القول هو «أصالة الظهور» و«أصالة الحقيقة» مثلاً، ومن المعلوم في علم الاصول أن أصالة الحقيقة وأصالة الظهور، انما يراد بها تعيين المراد في موارد الشك فيه، لا تثبيت الحقيقة بعد معلومية المراد، فتأمل!^٢

١. جزء من اجزاء العين البشرية.

٢. وجه التأمل هو انه من الممكن هنا تقرير هذا الادعاء من جانب آخر وهو ان الظاهر في نسبة المحمول على الموضوع هو ان ذلك الموضوع له ذلك الحكم، وهو تمام الموضوع. مثلما هو الحال في باب الاطلاق ايضاً، اذ يقول الشيخ استاذنا في العلوم التقليدية [ويعني هنا الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري] اثبت الاطلاق بهذا البيان وبلا حاجة الى مقدمات الاطلاق. [هذا الهامش

اذن فكلا التعليلين محتملان، ولكن يبدو أن الثاني أرجح من الأول، عليه لعل «ليلة القدر» أصبحت ذات قدر، لأنها ليلة وصال النبي الخاتم وليلة وصول العاشق الحقيقي الى محبوبه. وقد اتضح من المباحث السابقة أن تنزل الملائكة ونزول الوحي يكون بعد حصول الفناء والقرب الحقيقي^١. كما يستفاد من الاخبار الكثيرة والآيات الكريمة أن شرف الأزمنة والأمكنة ونحوستهما، إنما هو بسبب الوقائع الحاصلة فيها، ويتضح ذلك بجلاء من خلال المراجعة، وإن كان بعض الاخبار يفيد الشرف الذاتي لبعض تلك الأزمنة والامكنة أيضاً.

[معرفة حقيقة القضاء والقدر]

اما بشأن الاحتمال الآخر القائل بأن وجه التسمية يرجع الى تقدير أمور أيام السنة فيها، فاعلم أن حقيقة «القضاء» و«القدر» وكيفيتهما ومراتبهما، يعدُّ من أجلّ وأشرف العلوم الالهية، وقد ورد النهي لعامة الناس عن التعمق فيها بسبب دقتها وكمال حساسيتها، فهي تسبب الحيرة والضلال. وعليه يجب اعتبار هذه الحقيقة من اسرار الشريعة وودائع النبوة، كما يجب الانصراف عن البحث الدقيق فيها. وهنا سنحاول الإشارة الى أحد المباحث المتعلقة بها بما يناسب موضوعنا فنقول: لما كان تقدير الأمور قد تمَّ في علم الحق تعالى في أزل

يعود الى الامام الخميني نفسه.]

١. في بداية الكلام أشير الى قسمين من اقسام السالكين، وكانت الطائفة الثانية منهما هي المقصودة، وهو انهم بعد الاتصال بالحضرة العلمية يتوجهون الى العوالم النازلة، رغم ان الفناء والقرب الحقيقي قد تحقق لهم تماماً.

الآزال، ولما كان مقام العلم الربوبي منزهاً عن الامور التدريجية، فما معنى تقدير الامور في كل عام وبالتحديد في ليلة معينة؟

[مراتب القضاء والقدر]

اعلم ان للقضاء والقدر مراتب، تختلف الاحكام فيها بحسب تلك المراتب والنشآت: منها: مرتبة الحقائق التي تُقدّر في حضرة العلم بالتجلي بالفيض الاقدس، تبعاً لظهور الاسماء والصفات، ثم تقدّر وتثبت في الأقلام والألواح العالية بحسب الظهور بالتجلي الفعلي، ولا تحدث في هذه المراتب تغييرات وتبديلات. فالقضاء الحتمي الذي لا يُبدل هو الحقائق المجردة الواقعة في حضرات الأعيان والنشأة العلمية النازلة في الأقلام والألواح المجردة.^١

وبعد ذلك «الخيال المنفصل» و«خيال الكل» وهو الذي يسميه الحكماء الإشراقيون «عالم المثل المعلقة» وفي هذا العالم، تكون التغييرات والاختلافات ممكنة الوقوع في تلك الحقائق بل انها لا بد أن تقع.

وتلي ذلك، التقديرات والحسابات التي تجريها الملائكة الموكلة بعالم الطبيعة، فللقدر في هذا اللوح تغييرات دائمية وتبدلات مستمرة، بل إنه يكون عبارة عن صورة سيّالة وحقيقة متصرّمة ومتدرّجة. فالحقائق في هذا اللوح تتعرض للشدة والضعف، والحركات للسرعة والبطء والزيادة والنقصان.

١ . المقصود هو بما انه في العالم يكون ظهور الأسماء والصفات والعقول المجردة، وله صورة كلية، لذلك فان الصورة المعيّنة والمحددة لا يعترها التغيير، وهذا الترتيب غير خاضع للتغيير . والامر المهم هو التوجّه الى كلية وتجرد تلك الحقائق في حضرات الاعيان والعالم العلمي. أي بما ان نظم وتعيين الحوادث والوقائع له صورة كلية، فهو مهما كان يشير الى العالم النازل، الا ان له في الاقلام والالواح المجردة قضاء حتمي لا يُبدل ولا يُرد.

ومع ذلك فإن الوجهة الالهية^١ والجنبة الغيبية لنفس هذه الاشياء، والتي هي جهة التدلي الى الحق وصورة ظهور الفيض المنبسط والظل الممدود، وحقيقة العلم الفعلي للحق تكون ثابتة ولا مجال للتغيير والتبديل فيها أبداً.

وخلاصة القول، فالحكماء يعتقدون ان جميع التغييرات والتبديلات وزيادة الآجال وتقدير الأرزاق تقع في لوح «القدر العلمي» وهو «عالم المثال».

وفي رأيي انها تقع في لوح «القدر العيني» الذي يمثل محلاً لنفس التقديرات، وتم التغييرات والتبديلات بيد الملائكة الموكلة به.

واستناداً لما تقدم، فليس ما يمنع من وقوع تغييرات وتبديلات في عالم الطبع في مثل ليلة القدر، وهي ليلة التوجه التام للولي الكامل وظهور سلطته الملكوتية بواسطة النفس الشريفة للولي الكامل (صلى الله عليه وآله) والإمام في كل عصر والقطب في كل زمان (عليه السلام)، وهو اليوم حضرة بقية الله في الأرضين سيدنا ومولانا وإمامنا وهادينا الحجة بن الحسن العسكري (أرواحنا لمقدمه الفداء). فهم يجعلون أيأ شاءوا من أجزاء الطبيعة بطيء الحركة وأيأ شاءوا منها سريع الحركة، او يوسعون اي رزق أرادوا ويضيقون أي رزق شاءوا، فهذه الإرادة إرادة الحق وظلّ وشعاع الإرادة الأزلية وتابعة للأوامر الالهية، كما هو الحال مع ملائكة الله الذين لا يتصرفون من تلقاء انفسهم. فتصرفاتهم جميعاً بل وتصرفات ذرات الوجود كافة هي تصرفات الهية ومن هذه اللطيفة الالهية

١. اي في المرتبة الثالثة من مراتب التقدير، مع ان التقديرات تقع على يد الملائكة في عالم الطبيعة وتحصل تغييرات باستمرار وتسير الامور في تقلبات، ولكن هذا لا يعني انها فاقدة للوجهة الالهية ولا تصطبغ بصبغة غيبية، وإنما تنم هذه التغييرات عن نظم كلي وسنة إلهية، مثل الزلزال الذي يقع ويخلف وراءه آلاف العوادم ويدمر كل ما سبق من ترتيبات.

الغيبية: ﴿فَلَا تَسْتَمِعُ كَمَا أَمْرَتْ﴾^١.

[احتمال ثالث في معنى ليلة القدر]

اما بشأن ما قيل في الاحتمال الآخر من أن وجه تسمية ﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ هو اكتظاظ الارض بملائكة الله في تلك الليلة، فإن هذا الوجه وإن كان بعيداً، ومع أن أعجوبة الزمان الخليل بن أحمد^٢ (رضوان الله عليه) يقول: ان الأمر الذي يمكن أن يثور كتساؤل هنا هو: «ما معنى ضيق الأرض وملائكة الله ليسوا من سنخ عالم الطبيعة والمادية؟!... ولكن لتعلم أن نظائر هذا الأمر قد وردت في الاحاديث الشريفة كقضية تشيع سعد بن معاذ^٣.. او كقضية فرش الملائكة أجنتها لطالب العلم^٤.

فهذا إما أن يكون من باب تمثّل الملائكة بالصور المثالية وتنزّلها من عالم

١. هود(١١): ١١٢.

٢. إذاً فالاستقامة على النحو الذي أمر به، (هود: ١١٢) كناية عن التأمل في ما قيل والثبات عليه.

واستعمال هذا المقطع من الآية في هذا الموضع نوع من الاقتباس.

٣. الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم، المكنى بأبي عبد الرحمن الباهلي البصري النحوي العروضي،

ولد سنة ١٠٠ او ١٠٥ للهجرة في البصرة وتوفي سنة ١٦٠ او ١٧٥ للهجرة. أديب ولغوي معروف

أسس علم العروض، إمامي المذهب، وقيل أنه من أصحاب الصادق (عليه السلام) ومن رواة

أحاديثه. له مصنفات عديدة في مختلف الفنون، منها: زبدة العروض، العين، كتاب في الإمامة،

الإيقاع، النعم، الجمل، الشواهد، النقط والشكل، وكتاب حول معاني الأسماء والحروف، راجع:

أعيان الشيعة، ج ٣٠، ص ٥.

٤. راجع: الفروع من الكافي، كتاب الجنائز، باب المساءلة في القبر، الحديث السادس.

٥. راجع: معالم الاصول، ص ٧.

الغيب الى عالم المثال وتضييق ملكوت الارض، وإما من باب تمثّلها المُلكي في مُلك الارض، وإن كان هذا التمثّل لا تراه العيون الحيوانية الطبيعية ايضاً. وبصورة عامة فإن التضييق يكون باعتبار التمثلات «المثالية» او «الملكية».

[الامر الثاني في حقيقة ليلة القدر]

الامر الثاني: في حقيقة ليلة القدر.

اعلم أن لكل رقيقة حقيقة ولكل صورة ملكاً باطنياً ملكوتياً وغيباً. ويقول اهل المعرفة:

إن مراتب نزول حقيقة الوجود - على اساس احتجاب شمس الحقيقة في أفق التعينات - هي «الليال». أما مراتب الصعود - على أساس خروج شمس الحقيقة من آفاق التعينات - فهي «أيام».

وبذا يُمسي معنى شرافة ونحوسة «الايام» و«الليالي» أمراً واضحاً^١ فبناءً على اعتبار أن قوس النزول هو «ليلة القدر المحمدية» وقوس الصعود هو «يوم القيامة الأحمدية»، لأن هذين القوسين هما مدّ الفيض المنبسط الذي هو الحقيقة

١. قال ابن عربي: وجعل سبحانه إضافة الليل إلى القدر دون النهار لأن الليل شبيه بالغيب والتقدير لا يكون إلا غيباً لأنه في نفس الإنسان والنهار يعطي الظهور فلو كان بالنهار لظهر الحكم في غير محله ومناسبه فإن الفعل في الظاهر لا يظهر إلا على صورة ما هو في النفس فخرج من غيب إلى شهادة بالنسبة إلى الله ومن عدم إلى وجود بالنسبة إلى الخلق. راجع: الفتوحات المكية، ج ٤، ص ١٨٠.

٢. السالك الذي يسير على طريق المعرفة كلما أوغل في السير يتجنب ويزيح الحجاب والتعينات ويرتقي الى موضع يرى فيه شمس الحقيقة من وراء ستار الأيام والليالي.

المحمدية^١ ولأن جميع التعينات هي من التعين الأولي للاسم الاعظم، فإن العالم -وبالنظر اليه من زاوية الوحدة - هو ليلة القدر ويوم القيامة، وهو لا يعدو ليلة ويوم، هما ليلة القدر المحمدية التي تمثل تمام دار التحقق، ويوم القيامة الأحمدية.

ومن يتحقق بهذه الحقيقة يكون على الدوام في «ليلة القدر» و«يوم القيامة» فيجتمع هذان معاً.

اما بناءً على النظر من زاوية الكثرة، فتكون الليالي والأيام، وتكون بعض الليالي ذوات قدر وبعضها ليست كذلك، وبين جميع الليالي الأحمدية البنية والمحمدية التعين (صلوات الله على محمد وآله) - وهو نور حقيقة الوجود بجميع الشؤون والاسماء والصفات والذي غرب في أفقها بكمال النورية وتمام الحقيقة - تكون ليلة القدر المطلقة، كما يكون اليوم المحمدي هو يوم القيامة المطلق.

اما سائر الليالي والأيام فتكون ليالي وأياماً مقيدة، ونزول القرآن في هذه البنية الشريفة والقلب المطهر هو نزول في «ليلة القدر».

إذن، فالقرآن نزل جملةً في ليلة القدر بطريق الكشف الكلبي المطلق، كما أنه نزل «نجوماً» على مدى ثلاثة وعشرين عاماً في «ليلة القدر»^٢.

١ . المقصود الذات الاحدية باعتبار التعين الأول والوجود الذي هو مظهر للاسم الجامع الله، حتى ان الاسم الاعظم أيضاً يحتاج في ظهوره وبروزه الى هذه الحقيقة؛ وذلك لأن الأسماء الاخرى اجزاء لهذا الاسم وتفرعات لظهوره.

٢ . يستفاد من هذا الكلام بكل وضوح ان رايه في نزول القرآن انه كان نزولاً دفعياً مرةً ونزولاً تدريجياً مرةً اخرى . وقد ذكرنا سابقاً في هوامش هذه الآية توضيحات حول مصادر البحث.

[معنى ان الدورة المحمدية ليلة القدر]

يقول الشيخ العارف الشاه آبادي (دام ظلّه): إن الدورة المحمدية هي «ليلة القدر» وهذا القول هو: إما باعتبار أن جميع الأدوار الوجودية هي الدورة المحمدية، أو باعتبار أن الأقطاب المحمديين الكمل والأئمة المعصومين الهداة في هذه الدورة، يكونون هم «ليالي القدر».

ويدلُّ على ما احتملناه بشأن معنى حقيقة «ليلة القدر»، الحديث الشريف الطويل المروي في تفسير البرهان نقلاً عن الكافي، وفيه يسأل نصراني الإمام موسى بن جعفر عن تفسير باطن قوله تعالى: ﴿حَمَّ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^١ فيجيب (عليه السلام): وأما ﴿الليلة﴾ فاطمة (عليها السلام)^٢.

كما ورد في رواية تفسير: ﴿لَيْلٍ عَشْرٍ﴾ بالأئمة الطاهرين من «الحسن» الى «الحسن» (عليهم السلام)^٣.

وهذه إحدى مراتب «ليلة القدر» التي ذكرها الامام موسى بن جعفر (عليهما السلام).

ويشهد على أن ليلة القدر هي تمام الدورة المحمدية، الرواية المنقولة في

١. الدخان(٤٤): ١ - ٤.

٢. تفسير البرهان، ج ٤، ص ١٥٨ واصول الكافي، كتاب الحجة - باب مولد النبي (صلى الله عليه وآله)، الحديث الرابع.

٣. تفسير البرهان، ج ٤، ص ٤٥٧، ح ١. المقصود من الليالي العشرة الأئمة ابتداءً من الامام الحسن المجتبي الى الامام الحسن العسكري. وفي هذه الحالة ينطبق هؤلاء الاثمة العشرة على هذه الليالي العشرة.

تفسير البرهان عن الإمام الباقر (عليه السلام)، ونقل هنا نص الرواية تيمناً لما فيها من الإشارة الى معارف جمّة وما تكشفه من اسرار مهمة:

قال صاحب البرهان (رحمه الله): وعن الشيخ أبي جعفر الطوسي، عن رجاله، عن عبد الله بن عجلان السكوني، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: بيّتُ عليّ وفاطمة حُجْرَةَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وسقف بيّتهم عرشُ ربِّ العالمين. وفي قعر بيوتهم فُرْجَةٌ مكشوفةٌ الى العرش معراج الوحي، والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وكلّ ساعة وطرفة عين. والملائكة لا ينقطع فوجُهُمْ، فوج ينزلُ وفوج يصعد. وإنّ الله تبارك وتعالى، كشف لإبراهيم (عليه السلام) عن السماوات حتى أبصر العرش، وزاد الله في قوة ناظره، وإنّ الله زاد في قوة ناظر محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش، فبيوتهم مسقفة بعرش الرحمن ومعارج الملائكة والروح فيها يأذن ربهم من كلّ أمر سلام. قال: قلت: من كلّ أمر سلام؟ قال: «بكلّ أمر» فقلت: هذا التنزيل؟ قال: نعم^١.

والتدبر في هذا الحديث الشريف يفتح آفاقاً من المعرفة لأهلها، ويُضيء لهم قسماً من حقيقة الولاية ومن باطن «ليلة القدر».

١. تفسير البرهان: ج ٤، ص ٤٨٧ - سورة القدر، ح ٢٥. كذلك الاسترآبادي، تأويل آيات، ص ٧٩٢، ح ٤. لم يرد هذا الحديث في مصادر وكتب الشيخ الطوسي وخاصة في تفسير التبيان. والمقصود من التنزيل في هذه الرواية الشريفة ما يقابل التأويل. أي تفسير ما نزل. وكان هذا التعبير متداولاً في الروايات وفي مصطلحات ذلك العصر، وفي كتاب آداب الصلاة حُذِفَ قسم من هذه الرواية. وبدون هذه الجملة يبقى هذا ناقصاً بل حتى الرواية نفسها تبقى ناقصة أيضاً. راجع: البرهان، ج ٨، ص ٣٤٣، طبعة مؤسسة الأعلمي، بيروت.

[تعيين ليلة القدر]

الأمر الثالث: اعلم أنه وكما ان: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ حقيقة وباطناً - وقد تقدمت الإشارة اليهما - فإن لها صورةً ومظهراً - بل مظاهر - في عالم الطبيعة. ولما كان من المحتمل ان تتفاوت المظاهر في النقص والكمال، فإن من الممكن الجمع بين الأقوال والأخبار الواردة في باب تعيين «ليلة القدر» وذلك بالقول بكون جميع الليالي الشريفة المذكورة في الروايات هي من مظاهر «ليلة القدر» إلا أنها تختلف فيما بينها في الشرف وكمال المظهرية. وتلك الليلة الشريفة التي تمثل تمام ظهور ليلة القدر، وهي ليلة الوصل الختمي التام ووصول الكامل الخاتم، مخفيةً في عموم السنة او في شهر رمضان المبارك او في العشر الأواخر او الليالي الثلاث منها.

والاختلاف موجود في روايات العامة والخاصة^١، فقد ذكرت ليلة القدر في روايات الخاصة على نحو التردد بين الليلة التاسعة عشرة والحادية والعشرين والثالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك، او على نحو التردد بين الليلة الحادية والعشرين والثالثة والعشرين.

يقول شهاب بن عبد ربّه: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أخبرني بليلة القدر، قال: «هي ليلة إحدى وعشرين او ثلاث وعشرين»^٢.

ويقول عبد الواحد بن المختار الأنصاري: سألت أبا جعفر عن ليلة القدر، قال: «في ليلتين ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين». قال: فقلت: أفرد لي أحدهما،

١. في ما يخص روايات اهل السنة في هذا المجال راجع: السيوطي، تفسير الدر المنثور، ج ٨

ص ٥٩٥ - ٥٩٨.

٢. مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥١٩؛ نور الثقلين، ج ٥، ص ٦٢٨، سورة القدر، ح ١٧.

قال: «وما عليك أن تعمل في ليلتين هي إحداهما»^١.
وعن حسان بن أبي علي قال: سألت أبا عبد الله عن ليلة القدر فقال: «اطلبها في تسع عشر وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين»^٢.
وقال السيد العابد الزاهد ابن طاووس في «الإقبال»: «إعلم أن هذه الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان، وردت اخباراً صريحة بأنها ليلة القدر على الكشف والبيان. فمن ذلك ما رويناه بإسناده الى سفيان بن السبط □ السمط خ. ل □. قال: قلت لأبي عبد الله: افرد لي ليلة القدر؟ قال: ليلة ثلاث وعشرين.
ومن ذلك ما رويناه بإسناده الى زرارة عن عبد الواحد بن المختار الأنصاري، قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن ليلة القدر، فقال: أخبرك والله ثم لا أعمي عليك، هي أول ليلة من السبع الأخر. ثم يروي عن زرارة أنه قال: كان ذلك الشهر تسعة وعشرين»^٣.
ثم يروي روايات أخر في أن ليلة القدر هي ليلة ثلاث وعشرين منها رواية قضية الجهني المعروفة^٤.



[تنبيه عرفاني إلى حقيقة بسم الله في سورة القدر]

الأظهر وكما ذكر عند الحديث حول تفسير السورتين المباركتين المتقدمتين

١ . بحار الانوار، ج ٩٥، ص ١٤٩.

٢ . مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥١٩؛ وسائل الشيعة، كتاب الصوم، الباب ٣٢، ح ٢١.

٣ . إقبال الأعمال، ص ٢٠٦.

٤ . المصدر السابق، ص ٢٠٧.

أن البسملة في كلِّ سورة متعلقة بالسورة ذاتها.^١

وبناءً على هذا يكون المعنى المراد من سورة القدر المباركة هو الآتي: أننا أنزلنا الحقيقة القرآنية الشريفة واللطيفة الإلهية المقدَّسة باسم الله، وهو الحقيقة الجمعية الأسمائية والإسم الربوبي الأعظم المتعین بالرحمة المطلقة «الرحمانية» و«الرحيمية» في ليلة القدر المحمدية (صلى الله على صاحبها وعلى آله).

يعني أن ظهور القرآن تابع للظهور الجمعي لـ «الإلهية» ولقبض وبسط «الرحيمية» و«الرحمانية»، بل إن حقيقة القرآن هي مقام ظهور حضرة اسم الله الأعظم بظهور الرحمانية والرحيمية وجامع الجمع والتفصيل، لذا فإن هذا الكتاب الشريف هو «قرآن» وهو «فرقان» مثلما أن روحانية الرسول الخاتم والمقام المقدس لولاية ذاك السيد (صلى الله عليه وآله) هما «قرآن» و«فرقان» ومقام أحدية الجمع والتفصيل.^٢

وحسب هذا الاحتمال، كأن الحق تعالى يقول: «إننا أنزلنا القرآن في ليلة القدر المحمدي بالتجلي بمقام الإسم الأعظم، وهو مقام أحدية الجمع والتفصيل بظهور الرحمة «الرحمانية» و«الرحيمية»... ولما كانت هناك في عالم الفرق بل فرق الفرق، «فرقانية» قد حصلت بين «قرآنيين»، القرآن المكتوب المنزل، وقرآن المنزل عليه - يعني الكتاب الإلهي والحقيقة المحمدية - لذا وصلنا في ليلة

١. طرح الامام الخميني هذا الكلام مرات عديدة وخاصة في سورة الحمد، ويبيّن جوانب من معنى «البسملة» التي تختلف هنا عن غيرها من البسملات الأخرى. ويبدو ان أول من اشار الى هذه المسألة هو عبد الكريم القشيري (م ٤٦٥) في تفسير لطائف الاشارات. (راجع: لطائف الاشارات، ج ١، ص ٢٩).

٢. اي كما ان هذا الكتاب الجامع للمعارف هو القرآن، ويُسمى أيضاً بالفرقان من حيث ما فيه من التفصيل، كذلك مقام ولاية النبي جامع وفيه بفرق بين الحق والباطل.

الوصال بين القرآنيين، وجمعنا بين الفرقانيين».

وبهذا الاعتبار فهذه الليلة هي «ليلة القدر» ولكن «قدرها» بصورة قد لا يعرفها سوى حضرة خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله)، وهو صاحب ليلة القدر بالأصالة، والأوصياء المعصومين بالتبعية.

[في ذكر بعض الروايات الواردة في فضل ليلة القدر]

بعض الروايات في فضل «ليلة القدر». يقول العارف بالله السيد ابن طاووس (رضي الله عنه) في كتاب «الإقبال»: «... وجدت في كتاب «كنز اليواقيت»، تأليف أبي الفضل بن محمد الهروي^١ أخباراً في فضل ليلة القدر... إلى أن قال: عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «قال موسى: إلهي أريدُ قُربك. قال: قربي لمن استيقظَ ليلةَ القدر. قال: إلهي أريدُ رحمتك. قال: رحمتي لمنرحم المساكين ليلةَ القدر. قال: إلهي أريدُ الجواز على الصراط. قال: ذاك لمن تصدق في ليلة القدر. قال: أريد من أشجار الجنة وثمارها. قال: ذاك لمن سبَّح تسيبحةً في ليلة القدر. قال: إلهي أريد النجاة. قال: النجاة من النار؟ قال: نعم. قال: ذلك لمن استغفر في ليلة القدر. قال: إلهي أريدُ رضاك. قال: رضائي لمن صلى ركعتين في ليلة القدر».^٢

وفي الكتاب المذكور أيضاً عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال: «تفتح

١. أبو الفضل بن محمد الهروي، مؤلف كتاب كنز اليواقيت في الأدعية والأعمال؛ السيد بن طاووس، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج ١، ص ٣٤٤، وهو ينقل من هذا الكتاب روايات عن الإمام الباقر خاصة في ثواب احياء ليلة القدر، راجع: الذريعة، ج ١٨، ص ١٧٠.

٢. ابن طاووس، السيد رضى الدين علي بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج ١، ص ٣٤٤.

أبواب السماء في ليلة القدر، فما من عبد يصلي فيها إلا كتب الله تعالى له بكل سجدة شجرة في الجنة لو سير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، وبكل ركعة بيتاً في الجنة من دُرّ وياقوت وزبرجد ولؤلؤ، وبكل آية تاجاً من تيجان الجنة وبكل تسيحة طائراً من العجب، وبكل جلسة دَرَجَةً من درجات الجنة، وبكل تشهد غرفة من غرفات الجنة، وبكل تسليم حلة من حلال الجنة، فإذا انفجر عمود الصبح أعطاه الله من الكواعب المؤلفات والغلمان المخلدن والنجائب المطيرات والرياحين المعطرات والأنهار الجاريات والنعم الراضيات والتحف والهديات والخلع والكرامات ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون»^١.

وفيه أيضاً عن الإمام الباقر (عليه السلام)، قال: «مَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ عِدَدَ نَجُومِ السَّمَاءِ وَمِثَاقِيلِ الْجِبَالِ وَمِكَائِيلِ الْبِحَارِ»^٢.
والأخبار في فضل هذه الليلة أكثر من أن تستوعب في هذه الصفحات^٣.

﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ٢

[سبب السؤال عن ليلة القدر]

ان هذا التركيب لتفخيم المطلب وتعظيمه والإشعار بعظمة الحقيقة المطروحة، خصوصاً إذا أخذ بنظر الاعتبار منزلة المتكلم والمخاطب.

١. إشارة الى ما جاء في الآية الشريفة في وصف أحوال أهل الجنة: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ

الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. الزخرف (٤٣)، ٧١.

٢. بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٦٨.

٣. آداب الصلاة، ص ٣١٨ - ٣٣٥.

فمع ان الحق تعالى هو المتكلم والرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) هو المخاطب، إلا أن الموضوع يكون أحياناً على درجة من العظمة بحيث يتعذر إظهارها في نسيج الألفاظ وتركيب الحروف والكلمات، فكأن الحق تعالى يقول: «لا تدري بأية عظمة هي حقيقة ليلة القدر، فحقيقتها لا يمكن بيانها ولا يسمها نسيج الحروف والكلمات ونظمها».

ولهذا ترى أنه ومع كون كلمة «ما» لبيان الحقيقة، إلا أن الآية صرفت النظر عن البيان فقال تعالى: «ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر» فعرّفها بخواصها وآثارها لتعذر بيان الحقيقة. ومن هنا يمكن الحدس بقوة بأن حقيقة ليلة القدر وباطنها هي غير هذه الصورة والظاهر، وإن كان الظاهر مهماً عظيماً أيضاً، ولكنه ليس بمنزلة النسبة لرسول الله وهو الوليُّ المطلق والمحيط بكلِّ العوالم، ولذا ورد التعبير بهذا النحو. فإن قلت: إن الاحتمال المذكور - بأن باطن «ليلة القدر» هو حقيقة وبنية الرسول الأكرم نفسه والتي تحتجب فيها شمس الحقيقة بكافة شؤونها - يؤدي الى إشكال أشدّ إذ لا يمكن القول لذلك السيد (صلى الله عليه وآله): إنك لا تدري ما هي ليلة القدر التي هي صورتك الملكية.

قلت: إن لهذا الاحتمال سرّاً، وإن لهذه اللطيفة باطناً، وذلك ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

إعلم يا عزيزي، أنه لما كان في الباطن الحقيقي ليلية القدر - وهو البنية والصورة الملكية او العين الثابتة المحمدية - مظهر الاسم الاعظم والتجليّ الأحدي الجمعي الإلهي، فإن العبد السالك الى الله - اي الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) -

١. اشارة الى الآية الشريفة: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، واقتباس منها وكتابة عن ان فهم هذا المعنى ميسر لكل من كان له قلب ويسمع الحق ويشهد.

ما دام في حجاب ذاته لا يستطيع ان يشاهد ذلك الباطن وتلك الحقيقة، كما هو الحال مع موسى بن عمران (على نبينا وآله وعليه السلام) اذ ورد في القرآن الشريف: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾^١ يا موسى. رغم ان التجلي الذاتي او الصفاتي قد تحقق لذلك السيد، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعْقًا﴾^٢.

وبدليل فقرات دعاء «السمات»^٣ الشريف العظيم المنزلة ايضاً، كما هو جلي. والمعنى والسُرُّ في ذلك هو: «إنك يا موسى لا تستطيع المشاهدة مادمت في الحجاب الموسوي وفي احتجاب ذاتك، إذ إن مشاهدة جمال الجميل، لا تتحقق إلا لمن خرج من ذاته، فإذا خرج منها أصبح يرى بعين الحق، وسوف تكون عين الحق مشاهدة للحق».

وعليه فمظهر الاسم الاعظم - وهو الصورة الكمالية لليلة القدر - لا يمكن رؤيته مع الاحتجاب بالذات، لذا - وبناءً على هذا التحقيق - فهذا التعبير صحيح وفي محله.

فإن قلت: إن ليلة القدر هي نفس البنية الأحمديّة، باعتبار احتجاب شمس

١. الاعراف (٧): ١٤٣.

٢. الاعراف (٧): ١٤٣.

٣. جاء في دعاء السمات: «وَبُنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعْقًا» وذلك لأنه قد ورد في مقاطع اخرى من هذا الدعاء ان الله عز وجل قد كلّم عبده ورسوله موسى بن عمران عليه السلام في مقام فوق ادراك الملائكة الكرويين وفوق الغمام، ويُقسم في موضع آخر على الله الذي تجلّى فوق طور سيناء لموسى فخر صَعْقًا. وكل هذه التعابير وما جاء في الآية الشريفة دليل على ان موسى بما كان له من مقام ومكانة لم يكن قادراً على المشاهدة في مرحلة ما، والتجلي هو هو، والصعق هو هو.

الحقيقة فيها، وليست هي نفس الشمس لكي يكون هذا التفسير صحيحاً. قلتُ: إن شئية الشيء تكمن - كما يقول أهل النظر - في الصورة الكمالية لذلك الشيء، والأشياء ذات الأسباب - خصوصاً السبب الالهي - لا تُعرف على نحو الحقيقة إلا بمعرفة أسبابها. كذلك فإن أهل المعرفة يقولون: إن نسبة الظاهر والباطن والتجلي والمتجلي ليست نسبةً بين أمرين مختلفين، بل حقيقة واحدة تتجلي ظهوراً تارةً وبطوناً تارةً أخرى، كما يقول العارف المعروف: «نحن عدم بظاهر الوجود... أنت الوجود المطلق وأنت وجودنا»^١.

وهذا الحديث - كما يقول العارف الروحي - لا ينتهي، لذا فصرف النظر عنه أولى.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ٣

[كيفية كَوْن لَيْلَةِ الْقَدْرِ خَيْراً مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ]

إذا لاحظنا الصورة الظاهرية الملكية لليلة القدر، فسيكون المعنى: «إن ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر لا تكون فيها ليلة القدر» أو «إنها والعبادة والطاعة التي تكون فيها خيرٌ من ألف شهر كان بنو إسرائيل يحملون السلاح فيها ويجاهدون في سبيل الله» أو «إنها ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ من سلطة بني أمية (لعنهم الله)» كما أشارت إلى ذلك الروايات الشريفة^٢.

وإذا لوحظت حقيقة «ليلة القدر»، فيمكن أن يكون «ألف شهر» كنايةً عن

١. ترجمة نثرية لأبيات الشاعر الإيراني العارف جلال الدين الرومي.

٢. راجع: بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ٩٨ تفسير علي بن إبراهيم القمي، ص ٧٣٢؛ تفسير البرهان، ج ٤،

ص ٤٨٦؛ الروضة من الكافي، ص ٢٢٢، ح ٢٨٠.

جميع الموجودات باعتبار أن الألف هو عدد كامل والمراد من «الشهر» الأنواع، بمعنى أن البنية المحمدية الشريفة - وهي الانسان الكامل - أفضل من ألف نوع - وهي جميع الموجودات - كما قال بذلك بعض أهل المعرفة.^١

وفي ذهني احتمال آخر، وهو أن «ليلة القدر» إشارة الى الاسم الاعظم، يعني المرأة المحمدية التامة، والألف شهر عبارة عن مظهر الاسماء الاخرى.

ولما كان للحق تعالى ألف اسم واسم، واسم «مستأثر» في عالم الغيب، فإن ليلة القدر «مستأثرة» ايضاً، وليلة قدر البنية المحمدية هي اسم مستأثر ايضاً، لذا فلا يطلع على الاسم المستأثر سوى الذات المقدسة للرسول الخاتم(ص).^٢



[تنبيه عرفاني] : في قدرية يوم القيامة

اعلم أنه مثلما أن الولي الكامل والنبى الخاتم(صلى الله عليه وآله) هو «ليلة القدر» باعتبار بطون الاسم الاعظم فيه واحتجاب الحق بجميع شؤونه فيه. كذلك فإن «يوم القدر» - وبلحاظ ظهور شمس الحقيقة و بروز الاسم الجامع من أفق تعينه - هو ذلك السيد الأكرم(صلى الله عليه وآله) ايضاً. وعموماً فإن تلك الذات المقدسة هي ليلة ويوم القدر، كما أن يوم القيامة هو يوم القدر.

١ . راجع: رحمة من الرحمن في إشارات القرآن، ج ٤، ص ٥٢٦.

٢ . بمعنى ان ليلة القدر كما جاء في بعض الروايات هي النبي (البرهان، ج ١٠، ص ٣٤٢) او المصداق الأعلى والاكمل له، أو انه ناظر الى المرأة التامة المحمدية. والليالي الاخرى مظاهر اخرى للأسماء الالهية.

وعلى هذا، لعلَّ السرَّ في التعبير عن سائر المظاهر بالشهر وعن هذا المظهر التام المقدَّس بالليلة، يكمن في أن مبدأ الشهور والسنين هما اليوم والليلة مثلما أن المبدأ في الأعداد هو «الواحد» وكما أن ذلك السيد (صلوات الله عليه وعلى آله) - وهو باطن الحقيقة المتمثلة في الاسم الأعظم - هو مبدأ سائر الأسماء، وأنه بتعيُّنه وعينه الثابتة يمثل أصل الشجرة الطيبة ومبدأ التعينات.

تدبَّر تعرف واغتم.

[أصناف الملائكة وحقيقتهم]

في الآية الكريمة مطالب عدة، نذكر بعضاً منها على نحو الإجمال: المطلب الأول: في ذكر صنوف ملائكة الله تعالى والإشارة إلى حقيقتهم إجمالاً. اعلم، أن بين المحدثين والمحققين اختلافاً في تجسُّم الملائكة. فجميع الحكماء والمحققين وكثير من الفقهاء المحققين يقولون بتجرد الملائكة وتجرد النفس الناطقة، ويقيِّمون على ذلك براهين متينة فضلاً عن أن التجرد يُستفاد من كثير من الروايات والآيات الشريفة.

يقول المحدث المدقق مولانا محمد تقي المجلسي «الوالد المعظم للمرحوم محمد باقر المجلسي صاحب كتاب البحار» في شرحه لكتاب «من لا يحضره الفقيه» وفي ذيل بعض الروايات: إنها تدلُّ على تجرد النفس الناطقة.

١. آداب الصلاة، ص ٣٣٥ - ٣٣٨.

٢. من جملة ذلك ما جاء في ذيل رواية عن الإمام صادق عليه السلام: إذا قبضت الروح فهي مُطَلَّةٌ فوق الجسد. حيث كتب ما يلي: أي مشرفة على البدن. وهذا الخير والخير الذي يجيء بعده وما مثلهما من الأخبار الكثيرة وغيرها بالفحة حدِّ التواتر وظواهر الآيات تدلُّ على المعاد

[نقد قائلين به عدم تجرد روح]

إلا أن بعض كبار المحدثين يقول بعدم التجرد، وغاية ما يستدلون به هو أن القول بالتجرد يعارض الشريعة، فهم يقولون بأن لا مجرد سوى الذات المقدسة للحق تعالى^١ وهو رأي ضعيف للغاية فمعاد هذا الرأي في أمرين:

الاول: قضية الحدوث الزماني للعالم، إذ إنهم توهموا بأن القول بتجرد موجود ما يناقض ذلك.

الثاني: كون الحق تعالى فاعلاً مختاراً، وقد توهموا بأن ذلك ينفي تجرد عالم العقل وعالم ملائكة الله.

وكلتا هاتين القضيتين مبحثان في العلوم العالية بحثاً أدى الى إثبات عدم تعارض امثالها مع وجود الموجود المجرد، بل إن القول بعدم تجرد النفوس الناطقة وعالم العقل وملائكة الله يناقض الكثير من المسائل الالهية والعقائد الحقّة، وهذا ما لا يتسع المجال لبيانه.

فالحدوث الزماني للعالم - بالنحو الذي تصوّره أفراد هذه الفئة - ينافي أصل قضية الحدوث الزماني علاوة على منافاته للكثير من القواعد الالهية الاخرى.

[تجرد الكثير من اصناف الملائكة]

وفي رأيي، فإن الحق الموافق للعقل والنقل، هو أنّ لملائكة الله أصنافاً

الروحاني. ثم قال بعد ذكر خصائص من أوصاف التجرد: هذه الروح المجردة جسم لطيف في غاية اللطافة كالملائكة. راجع: روضة المتقين، ج ١، ص ٤٩٢.

١. راجع: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ٢٠٢ طبعة بيروت.

كثيرة، كثير منها مجرد، وكثير منها جسماني برزخي: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^١.

وعلى ما يذكر فإنها تصنف بحسب التقسيم العام وكموجودات ملكوتية الى قسمين:

القسم الاول: ما لا تعلق له بعالم الاجسام منها، سواء كان تعلقاً حلوياً او تعلقاً تدبيرياً.

القسم الثاني: ما له تعلق على أحد نحوي التعلق المذكورين.
والطائفة الاولى على قسمين:

الاول: ما يسمى منهم بـ «الملائكة المهيمنة» وهم المستغرقون في جمال الجميل المتحيرين في ذات الجليل الغافلون عن سائر الخلائق الساهون عن الموجودات الأخرى.

وهناك بين أولياء الله من هم على شاكله هذه الطائفة من الملائكة ايضاً، فكما أننا مستغرقون في بحر الطبيعة الظلماني غافلون عن عالم الغيب وعن ذات ذي الجلال تماماً - رغم أنه هو الظاهر بالذات وأن كل ظهور هو ظلٌ لظهوره - فهم غافلون عن العالم وكل ما فيه، مشغولون بالحق وجماله الجميل.

ورد في الحديث الشريف: «إن لله مخلوقات تجهل بأن الله خلق آدم وإبليس»^٢.

الثاني: أولئك الذين جعلهم الله تعالى وسائط رحمة وجوده، فهم مبادئ سلسلة الوجود وغاية أشواقها، وتسمى هذه الطائفة بـ «أهل الجبروت» ورئيسها

١. المدثر (٧٤): ٣١.

٢. راجع: علم اليقين، ج ١، ص ٢٥٠؛ الروضة من الكافي، ص ٢٣١، ح ٣٠١.

ورأسها «الروح الاعظم» ولعل في الآية الكريمة: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ إشارة الى هذه الطائفة من الملائكة. وتخصيص «الروح» بالذكر مع أنه من الملائكة إنما هو لعظمته، كما أشارت الى ذلك الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾^١.

كذلك وبناءً على اعتبار آخر فإن البعض يسمي «الروح» بـ «القلم الاعلى» ايضاً، كما في قوله (عليه السلام): «أول ما خلق الله القلم»^٢.

في حين يسمون «الروح» وبناءً على اعتبار آخر «العقل الاول» كما في قوله (عليه السلام): «أول ما خلق الله العقل»^٣.

وقد اعتبر بعض أن «الروح» هو جبرئيل، والفلاسفة يعتبرون جبرئيل آخر الملائكة «الكروبيين» وأنه «روح القدس» وأن «الروح» هو أول الملائكة الكروبيين.

وقد ذكرت بعض الروايات أن «الروح» هو خلقٌ أعظم من جبرئيل. فعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. قال: «خلقٌ أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله وهو من الأئمة وهو من الملكوت»^٤.

ولعل القرآن والأخبار قد استخدمتا نوعين من الإطلاق المفردة «الروح» كما أن أهل الاصطلاح ايضاً استخدموها في عدة إطلاقات، منها:

١. النبأ (٧٨): ٣٨.

٢. تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٣٨٩، الحديث التاسع؛ علم اليقين، ج ١، ص ١٥٤.

٣. بحار الانوار، ج ١، ص ٩٧.

٤. اصول الكافي، كتاب الحجّة، باب الروح التي يسدّد بها الأئمة، الحديث الثالث والآية هي ٨٥ من

الروح: صنف من صنوف الملائكة كما في قول الصادق (عليه السلام) الذي مرّ معنا حينما قال: وهو من الملكوت.

الروح: روح نفس حضرات الاولياء، وهي ليست من الملائكة، بل أعظم منهم. وبناءً على ما تقدم ومع الأخذ بنظر الاعتبار التنزّل في ليلة القدر، يمكن أن تكون «الروح» الوارد ذكرها في سورة القدر الكريمة، تعبيراً عن «الروح الأمين» او «الروح الأعظم»، ولعلها في الآية الكريمة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ تعبير عن «الروح الانسانية» التي تفوق في مرتبة كمالها جبرئيل وسائر الملائكة عظيمة، وهي «عالم الأمر» بل لعلها تتحد مع «المشيئة» التي تمثل «الأمر المطلق».

القسم آخر من الملائكة، الموكلون بتدبير الموجودات الجسمانية

القسم الآخر من ملائكة الله يتمثل في أولئك الموكّلين بالموجودات الجسمانية المدبّرين لشؤونها. ولهذا القسم صنوف كثيرة وطوائف لا تحصى، إذ إن لكلّ موجود علويّ او سفلي فلكي او عنصري، وجهة ملكوتية يتّصل من خلالها بعالم ملائكة الله ويرتبط بجنود الحق، كما تدلّ عليه الإشارة الواردة من قبل الحق تعالى في الآية الكريمة: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾!

يقول الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) عن كثرة الملائكة: «أطت السماء وحق لها أن تثنى، ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملكٌ ساجدٌ او راعع»^١. وفي

١. يس (٣٦): ٨٣.

٢. علم اليقين، ج ١، ص ٢٥٩.

الروايات الشريفة إشارات كثيرة حول كثرة الملائكة وصفوفهم^١.



[في بيان كيفية تنزل ملائكة الله على ولي الأمر]

المطلب الثاني: في بيان كيفية تنزل الملائكة على ولي الأمر.

اعلم ان «الروح الاعظم» - وهو خلق أعظم من ملائكة الله - يعني أنه واقع في المرتبة الأولى ضمن ملائكة الله وأنه اشرف وأعظم منها جميعاً، فملائكة الله مجردون و«قطان» عالم الجبروت وهم لا يتجافون عن مقامهم، والنزول والصعود بالمعنى الموجود للأجسام مستحيلان بالنسبة لهم؛ لأن المجرد مبرأ ومنزه عن لوازم الأجسام، وعلى هذا فتنزل الملائكة - سواءً على قلب الولي او صدره او حسه المشترك او في بقاع الارض والكعبة وحول قبر الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) او في البيت المعمور - أما يتم على نحو التمثيل الملكوتي او الملكي، نظير ما يذكره الله تعالى في باب تنزل «الروح الامين» على مريم (عليها السلام): ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^٢، كما يمكن أن يكون للأولياء والأكمل ايضاً تمثّل ملكوتي و«ترواح» جبروتي.

فلملائكة الله قوة وقدرة على الدخول في المسلك والملكوت على نحو «التمثيل»، ولكمّل الاولياء قدرة على الدخول في الملكوت والجبروت على نحو «الترواح» والرجوع من الظاهر الى الباطن.

١. راجع: بحار الانوار، ج ٥٦، ص ١٤٤ وما بعدها، ابواب الملائكة.

٢. مريم (١٩): ١٧.

وتصديق هذا المعنى سهلٌ على من فهم حقائق المجردات - سواءً المجرد الملكوتي او الجبروتي او النفوس الناطقة، وهي من المجردات الجبروتية او الملكوتية ايضاً - وتصوّرَ مراحل الوجود ومظاهرها ونسبة الظاهر الى الباطن والباطن الى الظاهر.

ويجب أن لا يخفى، أن من غير الممكن تمثّل «الجبروتيين» و«الملكوتين» في قلب الانسان وصدرة وحسّه الا بعد خروجه من جلباب انسانيته وتناسبه مع تلك العوالم، وإلا فما دامت النفس مشتغلةً بالتدبيرات الملكية غافلة عن تلك العوالم، لا يمكن أن تحصل لها تلك المشاهدات او التمثلات.

نعم، قد يحصل أحياناً أن تنصرف النفس - بإشارة من أحد الاولياء - عن هذا العالم فتدرك شيئاً من عوالم الغيب ويقدر لياقتها - إدراكاً معنوياً او صورياً - وقد يحدث أحياناً أن تنصرف النفس عن الطبيعة فتدرك نموذجاً لعالم الغيب وذلك بسبب وقوع بعض الأمور الخطيرة؛ نظير ما حصل لذلك الرجل البسيط الذي حصل على وثيقة البراءة من نار جهنم عندما كان حاجباً لبيت الله الحرام، والتي ينقلها الشيخ الرئيس كما ينقل الشيخ العارف محيي الدين شببها ما يقرب منها. فحصول ذلك انما يتم بفعل انصراف النفوس عن عالم الملك وتوجهها نحو عالم الملكوت.

وقد يحدث أحياناً أن تصحو نفوس الاولياء الكمل - نتيجة لقوتها - بعد انسلاخها من العوالم ومشاهدتها «الروح الاعظم» او سائر الملائكة، ثم تحفظ حضرات الغيب والشهادة، ففي هذه الحالة تشاهد حقائق الجبروتيين في كافة النشآت في آن واحد.

وقد يحدث أحياناً أخرى أن يكون تنزل الملائكة نتيجةً لقدرة نفس الولي الكامل. والله العالم.



[الامر الثالث: ظهور اعمال الملائكة في ليلة القدر]

المطلب الثالث: اعلم، أنه ولما كانت ليلة القدر هي ليلة مكاشفة رسول الله وأئمة الهدى (صلوات الله عليهم أجمعين) فإن جميع الامور الملكية يتحقق كشفها لهم من غيب الملكوت، وتظهر لهم - وفي نشأة الغيب وعالم القلب - الملائكة الموكلة بكل أمر من الأمور، فتتضح لهم جميع الامور التي تم تقديرها للخلائق وكُتبت في الألواح العالية والسافلة بطريقة الكتب الملكوتية و«الإستجنان» الوجودي^١.

وهذه المكاشفة الملكوتية محيطة بجميع ذرات عالم الطبيعة، فلا يخفى على ولي الأمر - والحال هذه - أي أمر من أمور الرعية.

وليس من تعارض في انكشاف أمور سنة كاملة لهم في ليلة واحدة، او حتى انكشاف امور الدهر لهم في لحظة واحدة، او انكشاف جميع المقدرات الملكية والملكوتية، او انكشاف جميع الامور اليومية على مدى ايام السنة وعلى نحو الاجمال والتفصيل.

ورد في الحديث الشريف مثلاً ما يشير الى كيفية نزول القرآن، فتارة أشير

١. المقصود من الاستجنان وهي مشتقة من الجذر «جن» الامور الخفية في هذا العالم والمستورة عن النظر.

الى نزوله جملة واحدة في «البيت المعمور» وتارة أشير الى نزوله على رسول الله (صلى الله عليه وآله) على مدى ثلاثة وعشرين عاماً. فالنزول في «البيت المعمور» هو نزول على رسول الله أيضاً.

عموماً، يحدث أحياناً أن يكون ولي الأمر متصلاً بالملا الأعلى والأقلام العالية والألواح المجردة فتحصل له المكاشفة التامة على جميع الموجودات أزلاً وابدأً، وقد يحدث أحياناً أخرى أن يكون الاتصال بالألواح السافلة فيكشف له مدّة مقدرة وتكون صفحة الكون بكاملها حاضرة في محضر قطب الولاية أيضاً، فيرى (عليه السلام) كل ما يجري من امور.

وقد اشارت الروايات الى قضية عرض الاعمال على ولي الامر، فذكر أنها تُعرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى أئمة الهدى (عليهم السلام) كل خمسين واثنين.

كما ورد في روايات أخرى أنها تعرض عليهم كل صباح، او كل صباح ومساءً.

وهذا الاختلاف أيضاً يستند الى الإجمال والتفصيل والجمع والتفريق. وبمراجعة كتب التفاسير كالبرهان والصابي تظهر كثرة الاحاديث الشريفة الواردة في هذا الباب.^{٢،٣}

﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا يَأْذِنُ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ٤

١. راجع: اصول الكافي، كتاب فضل القرآن - باب النوادر، الحديث السادس.

٢. راجع: أيضاً بحار الانوار، ج ٢٣، ص ٣٣٨ وص ٣٤٦ وص ٣٤٧.

٣. آداب الصلاة، ص ٣٣٨ - ٣٤٤.

[سلام وبركة ليلة القدر]

قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ يعني أن هذه الليلة المباركة هي في سلامة من الشرور والبليات والآفات الشيطانية الى مطلع الفجر.
 أو أن السلام هو لأولياء الله وأهل الطاعة.
 أو أن ملائكة الله الذين يلاقون أولياء الله وأهل الطاعة، يسلمون عليهم نيابة عن الحق تعالى الى طلوع الفجر.

تنبيه عرفاني

[التعبير بالليل كناية عن الغيب واحتجاب شمس الحقيقة]

ذكرنا في بيان حقيقة ﴿لَيْلَةَ الْقَدْرِ﴾ بأن التعبير عن مراتب الوجود وتعينات الغيب والشهود يكون بـ «الليل»، باعتبار احتجاب شمس الحقيقة في أفق هذه المراتب والتعينات، وعليه فإن «ليلة القدر» هي الليلة التي يكون الحق تعالى فيها محتجباً بحسب جميع شؤون واحدية جمع الأسماء والصفات، والتي تمثل حقيقة الاسم الاعظم. وهذا تعين وبنية الولي الكامل، وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله) في زمانه، وأئمة الهدى (عليهم السلام) واحداً بعد واحد من بعده.

وبناء على هذا، فإن «فجر» ليلة القدر هو الوقت الذي تظهر فيه آثار شمس الحقيقة من خلف حجب التعينات. وطلوع الشمس من أفق التعينات هو «فجر» يوم القيامة ايضاً.

ولما كانت تلك الليلة الفضيلة، هي المدة ما بين غروب واحتجاب شمس الحقيقة في أفق التعينات لهؤلاء الاولياء الكامل الى حين مطلع الفجر - وهي مدة ليلة القدر - فهي ليلة سالمة من الكدورات ومن التصرفات الشيطانية مطلقاً.

ولما كانت الشمس التي احتجبت، تطلع دون كدورة ودون تصرفات شيطانية أيضاً، وبنفس الطريقة، قال تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾. واما سائر الليالي، فهي إما فاقدة للسلامة أصلاً - وهي ليالي بني أمية وأمثالهم - أو انها لا تضمّ جميع معاني السلامة - وهي ليالي سائر الناس -^١.

[خاتمة، في فضيلة هذه السورة]

يتضح من البيانات العرفانية والمكاشفات الإيمانية التي ظهرت بمعونة الأولياء العظام (عليه السلام) للقلوب المنيرة لأهل المعرفة، أن سورة القدر الشريفة هي نسبة اهل البيت العظام (عليهم السلام)، مثلما أن سورة التوحيد الشريفة هي نسبة الذات المقدسة للحق جلّ وعلا، كما اشارت الى ذلك احاديث المعراج: في حديث الاسراء، عن محمد بن يعقوب المسند الى أبي عبد الله (عليه السلام)، عن صلاة النبي (صلى الله عليه وآله) في السماء، قال: «... ثم أوحى الله عز وجلّ إليه: اقرأ يا محمدُ نسبةَ ربِّك تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وهذا في الركعة الأولى. ثم أوحى الله (عز وجلّ) إليه: اقرأ بـ «الحمد لله». فقرأها مثل ما قرأ أولاً. ثم أوحى الله: اقرأ «إنا أنزلناه» فإنها نسبتك ونسبة أهل بيتك يوم القيامة»^٢.

١. اشارة الى الرواية التي تصف ليلة القدر بأنها ليلة أئمة الهدى، وسائر الليالي لبني أمية ولغيرهم من الناس. راجع: البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٣٤٢، ح ٢٦ و ٢٠؛ وكذلك الكافي، ج ٤، ص ١٥٩، ح ١٠.

٢. تفسير البرهان، ج ٤، ص ٤٨٧ - سورة القدر، ح ٢٢.

وكثيرةً هي الروايات الشريفة الواردة في فضل سورة القدر المباركة، منها الرواية المنقولة عن الإمام (عليه السلام): «مَنْ قرأ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ يجهر بها صوته كان كالشاهر سيفه في سبيل الله، ومن قرأها سرّاً كان كالمشحط بدمه في سبيل الله ومن قرأها عشرَ مرّات غفرت له على نحو ألف من ذنوبه»^١.

وفي «خواصّ القرآن» رُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «مَنْ قرأ سورة القدر أعطِيَ من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر، وكان له أجر من قاتل في سبيل الله»^٢. والحمد لله أولاً وآخراً^٣.



[كيفية الوحي الإلهي ونزوله في ليلة القدر]

هذه الخلافة هي روح الخلافة المحمّديّة (ص)، وربّها وأصلها ومبدؤها؛ منها بدأ أصل الخلافة في العوالم كلّها؛ بل أصل الخلافة والخليفة والمستخلف إليه. وهذه ظهرت، تمام الظهور، في حضرة اسم «الله» الأعظم، ربّ الحقيقة المطلقة المحمّديّة (ص)، أصل الحقائق الكلّية الإلهيّة. فهي أصل الخلافة، و الخلافة ظهورها؛ بل هي الظاهرة في هذه الحضرة، لاتّحاد الظاهر والمظهر؛ كما أشار إليه في الوحي الإلهي، إشارة لطيفة، بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وقال شيخنا وأستاذنا في المعارف الإلهيّة، العارف الكامل، الميرزا محمد

١. اصول الكافي، كتاب فضل القرآن، باب فضل القرآن، الحديث السادس.

٢. تفسير البرهان، ج ٤، ص ٤٨٠، سورة القدر، الحديث الاول.

٣. آداب الصلاة، ص ٣٤٤ - ٣٤٦. وأيضاً راجع: صحيفة الامام، ج ١٧، ص ٤٨٩ - ٤٩٠.

على الشاه آبادي الأصفهاني، أدام الله أيام بركاته، في أول مجلس تشرّفت بحضوره و سألته عن كيفية الوحي الإلهي، في ضمن بياناته إن «هاء» في قوله تبارك و تعالي:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ إشارة إلى الحقيقة الغيبية النازلة في بنية المحمّدية التي هي حقيقة «ليلة القدر»^١.

[أهمية معرفة سر ليلة القدر]

لو أننا نعلم سرّ ليلة القدر وسرّ نزول الملائكة فيها وهو علم ينفرد به وليّ الله الأعظم حضرة صاحب الزمان (عج) لسهلت كل مشاكلنا، فكل مشاكلنا ناشئة عن كوننا محجوبين عن مشاهدة الحقيقة كما هي ونظام الوجود كما هو. إننا تصوّر أنّ الحياة هنا شيء وعدمها نقص، في حين أنّ الحياة هي خلاصة تلك الحقيقة الآتية من عالم الغيب، وأنّ الموت - إن كان موتاً انسانياً - هو الرجوع إلى المرتبة الأولى، والمراتب والشؤون مختلفة بالطبع.^٢

[فضيلة ليلة القدر]

ينقل المفسرون عن ابن العباس قوله بأنه قيل في محضر النبي عن بني إسرائيل بأنهم عملوا ألف شهر في سبيل الله، فتعجب النبي، وسأل الله أن يجعل في امته مثل هذه الفضيلة، وقال: ربي! أجعلت عمر أمّتي قصيراً وعملهم أقل

١ . مصباح الهداية، ص ٢٧.

٢ . صحيفة الامام، ج ١٩، ص ٢٨٥، من كلمة القاها في حشد من المسؤولين العسكريين والمدنيين ورئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء؛ صحيفة النور، ج ١٩، ص ١٧٢.

شأناً. فأعطى الله له ولأمته ليلة القدر، التي قال القرآن فيها:

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^١

[السلامة المطلقة للولي المطلق في عالم الحجب]

ان الفهم من لوازم الفطرة السليمة ومن جنود العقل. وضده الحمق وهو من لوازم الفطرة المحجوبة ون جنود الجهل.

وإذا كان المراد من الفهم توقّد الذكاء وسرعة الانتقال أو صفاء الباطن - الذي يستلزم سرعة الفطنة والانتقال - فان فطرية هذا الفهم لكي تكون افاضة نعمة الوجود وكمال الوجود من الذات المقدسة، وما يكون منه يأتي طاهراً ومطهراً وصافياً ويتّصف بالتمام والكمال، كما هو مقرر ومبرهن عليه في موضعه.^٢ واما القدارة والكدورة والنقص وامثال ذلك فهي تأتي بالعرض وتحصل من اختلاط الامور الغريبة واحتجاب الفطرة.

وإن كان المراد من الفهم صفاء الباطن لإدراك جمال الجميل، والروحانيات فهو واضح، لأن فطرة الذات متوجهة إلى الكمال المطلق وعاشقة للجمال الكامل. ولو لم تكن احتجابات الطبيعة لما توجه بالعرض إلى موجود غير جمال المطلق بالذات، وكل ما يرتبط بالذات المقدسة، ولما انفتحت عين قلبه على

١ . بحثنا كثيراً في مصادر الشيعة وأهل السنّة ولم نجد مثل هذا التعبير ولكن ورد ما يقارب هذا المضمون عن مجاهد: كان في بنى اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك الف شهر فانزل الله... راجع: السيوطي، الدر المنثور، ج ٨، ص ٥٦٨ . وقد وردت روايات اخرى قريبة من هذا المضمون.

٢ . كشف الاسرار، ص ١٧١.

٣ . الاسفار الاربعة، ج ٧، ص ١٠٦، الموقف ٨، الفصل ٩.

وجه أحد من الكائنات ولا ارتسمت في مرآة باطن روحه الصافية صورة موجود غير الحق جلّ وعلا وأسمائه وصفاته وآثاره، بما أنها آثاره. وهذا معنى سلامة القلب. ولعل الآية الشريفة: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾^١ إشارة أيضاً إلى هذا المعنى. لأن هذه السورة الشريفة إشارة إلى مقام النبوة والولاية، وهي سورة أهل البيت - كما في الرواية - فيمكن أن تكون تلك الآية إشارة إلى السلامة المطلقة للولي المطلق من أول الورود في ليلة الاحتجاب الخلقية التي هي ليلة القدر للولي المطلق حتى مطلع الفجر المطلق،^٢ وهو رجوع الولي الكامل إلى مقام: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ وهو ترك الحجب.^٣

[مفهوم السلام، السلامة في السير التكاملي]

نعم يجب السير بشكل طبيعي لأجل الوصول إلى الكمال الذي ينتهي إليه السير الطبيعي للإنسان.

ان السير الطبيعي للإنسان - إذا لم يقع له موت اخترامي - ينتهي به إلى الكمال العالي وهو الخروج من عالم الطبيعة، غير ان الانتهاء إليه يكون فيما إذا سار الشخص على هذا الطريق المستقيم وكان يتحلّى بالسلامة من الاعوجاج. ولهذا جاء في القرآن الكريم: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾،^٤ وقال المعصوم:

١ . سورة القدر: ٥.

٢ . المقصود بليلة الاحتجابات الخلقية، عالم الناسوت والحياة في عالم الطبيعة، اذ ان الولي المطلق حينما يكون في هذا العالم؛ لأنه ليس في سريره سوى الله واسماء الله وصفاته، فهو يتصف بالسلامة القلبية والصحة العملية (وهي المصمة).

٣ . شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٧٤ - ٢٧٥؛ وأيضاً راجع: آداب الصلاة، ص ١٦٢.

٤ . القدر (٩٧): ٥.

جزناها وهي خامدة^١.

وهذا طبعاً في حالة إذا لم يحرف الشيطان الطريق؛ فإن حَرَفَهُ سيكون سير الإنسان حينذاك على طريق الشيطنة ولا يستطيع الوصول إلى ما ينبغي له الوصول إليه. ويقع لنوعنا موت اخترامي وليس موتاً طبيعياً. والموت الطبيعي للمعصوم هو السلامة ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾. وبالجملة: فإن ما يتحرك في الخارج نحو الفعلية، بمجرد أن يصل إلى المقام المنظور، يتحد مع تلك الفعلية^٢.

المراد من السير المستقيم والطبيعي السلامة من نقطة المشرق إلى نقطة المغرب في حركة السالك^٣

وهناك طبعاً إشارة إلى هذا المعنى وهو ان الله سبحانه قال: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^٤ وقال المعصوم: "جزنا وهي خامدة"^٥ وهو ان ثوب كبريائهم لم يتدنس بأدناس الطبيعة ولم يحصل قسر. نعم، إنَّ هذا الأجل المحتوم هو الذي لا يتغير ولا يتبدل، ولا يبقى في هذا المسير موت اخترامي ولا يجيز العقل حتى وجود نقطة تقدم أو تأخر واحدة في هذا المسار.

ولكن إذا لم يسر على هذا النحو، وقيل أن يضع قدمه في أفق التجرد حصل موت في حالة عدم الوصول، فهذا الموت موت انخرامي. وهذا طبعاً بالنسبة إلى البيان الذي سبق ذكره، وإلا فهذا الموت يُعتبر بالنسبة إلى النظام الأتم، موتاً

١. علم اليقين، ج ٢، ص ٩٧١.

٢. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٢١٣ - ٢١٤.

٣. القدر (٩٧): ٥.

٤. علم اليقين، ج ٢، ص ٩٧١.

طبيعياً أيضاً؛ بمعنى ان هناك عللاً وأسباباً تضافرت قهراً وانتجت هذا الموت. كما ان الحوادث الطارئة والأمراض والحوادث والتقلبات، كلها تؤدي بالنتيجة إلى منع هذه الفاكهة غير الناضجة من اكمال سيرها الطبيعي والنفسي وان تنفصل قبل موسمها عن شجرة الاستكمال، ولا تكمل في حركتها الجوهرية طعمها ولونها وحقيقتها. وهذا الموت حتى وإن كان بالنسبة إلى هذا الفرد موتاً انخرامياً وأجلاً معلقاً، الا انه لم يكن من غير سبب، بل له علله وأسبابه التي تبدأ من المصدر الأزلي لسلسلة العلل، وتضافرت هذه العوامل وأدت إلى وقوع هذه الحادثة. وهذه العلل والأسباب ليست حتمية كالموت الطبيعي الذي يبدو للعقل انه يستحيل فيه التغيير والتبديل، بل من الممكن ان تكون هناك أسباب اخرى مزاحمة، لهذه الأسباب المؤدية للموت الانخرامي وتحول دون تأثيرها. نذكر من ذلك على سبيل المثال ان المرض الذي يهدد البدن والنفس من خلال مجموعة عاصفة من العلل والأسباب، إذا أتاحت علاجات وادوية تزيل مفعول هذا السم، فمعنى ذلك ان العلاج يبطل عاصفة الريح ويمنعها من التأثير. ولهذا فنحن نؤمن بالاستشفاء، ونعتبر الصدقة دافعة للبلاء، ونرى ان صلة الرحم توجب البقاء.

وهذا طبعاً على خلاف الموت الطبيعي الأولي الذي لا تُعقل فيه مثل هذه الامور؛ لأن ثمرة الموجود في عالم الطبيعة قد ذاقت حرارة صيفها ونضجت، ولم تعد في ذات هذه الثمرة قدرة على حفظها.^١



[طلوع الفجر وانطواء الطبيعة بالدخول في عالم الغيب]

ورد خبر عن رسول الله ﷺ انه قال في بيان الركعتين اللتين صلاهما في ليلة المعراج: أمرت أن اقرأ في الركعة الأولى بعد الحمد سورة التوحيد حيث قال الله: أنها نسبي، وأمرني ان اقرأ في الركعة الثانية بعد الحمد ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ وقال لي انها سورتك وفي آخر هذه السورة يقول: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^١ وبعدهما قضى الرسول الاكرم هذه الليلة [ليلة القدر] الى طلوع الفجر وزوال هذه الطبيعة وطلوع الغيب، كانت كلها سلاماً، وكان الليل هو الذي انقضى وليس ليلة القدر التي كانت في مدة نبوته، وإنما تلك الليلة التي كانت للنبي ابراهيم: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾^٢.

[درجات السلامة والسلام في عالم الحجب]

في الرواية "إن النار تقول للمؤمن يوم القيامة جُز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي". وانطفأ للهب للمؤمن يرجع إلى أن له نصيباً في نورانية العقل، وبمقدار نصيبه وسهمه، يكون تغلبه على لهيب النار التي تمثلها في الدنيا نار الشهوة والغضب. وبما أن المؤمن ليس صاحباً للعقل الكلي وملتوث بالدنيا ودار الطبيعة فغاية الأمر أن نور العقل يغلب للهب بمقدار سلوكه ورياضته ولذلك عبر بهذا التعبير. أما بالنسبة إلى أصحاب العقل الكلي والسادة الأولياء الكُمَّل (عليهم صلوات الله

١. القدر (٩٧): ٥.

٢. الأنعام (٦): ٧٦.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥٧٠.

فقد ورد "جزنا وهي خامدة" لأن ليس لدار الطبيعة تصرف في النفوس الكالمة على أي وجه وهم مأمونون من لهيب جهنم الطبيعة بالكامل لأنهم جعلوا الطبيعة أيضاً إلهية وشيطانهم أمن على يدهم^١.

فتجلي نور العقل الكلي لهم جعل الطبيعة بكاملها خاضعة لحكمهم وليلة عالم الطبيعة من مبدئها إلى مطلع فجر يوم القيامة هي بمثابة ليلة القدر لهم، وفي كل هذه الليلة هم في سلام من يد إبليس وشباكه التي هي الطبيعة وشؤونها ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^٢ ومن هنا ورد في حقهم "جزنا وهي خامدة" وفي حق المؤمن "فقد أطفأ نورك لهي"^٣.



[تلخيص لمعنى السلامة في آية: «سلام هي»]

اذن لعلَّ حصيلة معنى الآية الكريمة: أن من خرج من بيت النفس ومنزل الأنانية بالهجرة المعنوية والسفر القلبي العرفاني، وهاجر الى الله دون الاكتراث بذاته ونفسانيته واعتبارها، فإن أجره على الحق تعالى. اما اذا كان السالك ساعياً في سلوكه الى الله لتحقيق أحد الاهداف النفسانية - وإن كان المطلوب هو بلوغ المقامات، بل إن كان سعيه في الوصول الى قرب الحق هو من أجل إيصال ذاته

١. هذا إشارة إلى الحديث النبوي ما منكم إلا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم على يدي. عوالي اللاكي، ج الرابع، ص ٩٧، ح ١٣؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٢٧٥، مع اختلاف في النقل.

٢. سورة القدر (٩٧): ٥.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٤٦ - ٤٧.

الى قرب الحق - فإن هذا ليس سلوكاً الى الله، بل إن السالك لم يغادر البيت بعد، وهو ما يزال في جوف البيت ينتقل من جانب الى آخر ومن زاوية لأخرى فيه. إذن فالسفر ضمن مراتب النفس ولأجل بلوغ الكمالات النفسانية ليس سفراً الى الله، بل من النفس الى النفس، غير أن على السالك أن يقوم بهذا السفر كمقدمة للسفر الى الله، فليس بإمكان احد - سوى كُمل الأولياء (عليهم السلام) القيام بالسفر الرباني دون السفر النفساني، فهو شأن مختص بالكُمل ولعل في الآية الكريمة: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ إشارة الى هذه السلامة من التصرفات الشيطانية والنفسانية في جميع مراحل السير في ليالي الطبيعة المظلمة - التي تمثل للكُمل ليلة القدر - الى مطلع فجر القيامة الذي هو - عندهم - رؤية جمال الأحدية. واما من عداهم فليسوا بسلامة من سيرهم في جميع المراتب، بل إن أي سالك لا ينجو من التصرفات الشيطانية في اوائل السير.

وعليه، يتضح أن هذه المرتبة من الاخلاص - المشفوعة بالسلامة منذ اول مرحلة في السير الى الله الى آخر مرحلة منه، حيث حصول الموت الحقيقي بل لما بعد «الحياة الحقايقية الثانية» حيث الصحو بعد المحو^١ - لا تتحقق لأهل السلوك واصحاب المعرفة والرياضة المتعارفة.^٢

١ . بمعنى انه يرى الحق في جميع الموجودات والمخلوقات، بعد ان يكون قد ذاب في الله؛ وهذا المقام يسمونه أيضاً مقام الفرق بعد الجمع؛ لأنه من بعد الوحدة الصرفة التي هي الجمع والمحو تنزّل الى مقام الفرق والصحو . في هذا المجال راجع: سجادي، فرهنگ اصطلاحات عرفاني، ص ٥٢٧.



بسم الله الرحمن الرحيم

[مراتب الاخلاص ومكاته في الدين]

أدب «الإخلاص» وحقيقته: تنقية العمل من كل ما يشوبه مما هو لغير الله، وتصفية السر من رؤية غير الحق تعالى في جميع الاعمال الصورية واللبية والظاهرية والباطنية. وكماله: ترك الغير مطلقاً ونكران الإنية والأنانية والغير والغيرية تماماً. قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾^١، فقد اختار الله تعالى الدين الخالص لنفسه، وما ينطوي من الدين على سهم من النفسانية والشيطنانية فلن يكون خالصاً لله، وهو ما لا يريدُه الحق تعالى. فما خالطته شائبة من الغيرية

١ . جاء هذا البحث في ذيل سورة الزمر، الآية ٣؛ سورة الشورى، الآية ٢٠، ص ٨٢ و ٨٣؛ سورة

الشعراء، الآية ٨٩ .

٢ . الزمر (٣٩): ٣ .

والنفسانية، خارج عن حدود الدين الحق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾... وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^١.

ولعل في الآية الكريمة بيان جميع مراتب الاخلاص، فأحداها: الهجرة الصورية، وهي هجرة بالبدن، لا تكون الى الله ورسوله اذا لم تكن خالصة من المخلفات النفسانية، ومرتبة الاخلاص المتحقق في هذه الهجرة، هي مرتبة الاخلاص الفقهي الصوري.

والاخرى، هي الهجرة المعنوية، والسفر الباطني الذي يبدأ من بيت النفس المظلم وينتهي الى الله تعالى ورسوله الذي يرجع بالنتيجة الى الحق ايضاً^٢.



١ . النساء (٤): ١٠٠.

٢ . آداب الصلاة، ص ١٦٠ - ١٦٢.

سورة الزلزلة

مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ١ ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾ ٢ ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ٣ ﴿يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ٤ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ ٥ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ٦ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٨

[تجسد الصورة الغيبية لأعمال الإنسان وقابليتها للمشاهدة]

لا بد أن يعلم أن لكل من الأعمال سواء الخيرة أو الشريرة صورة غيبية ملكوتية، في نشأة الملكوت وعالم الغيب، وقد عبر عنها - على لسان أولي القلوب وأصحاب المعارف الإلهية وإشارات الكتاب الإلهي الشريف وتصريحاته والصحيفة النورانية السماوية والروايات الواردة عن أهل بيت الوحي الإلهي - بجنة الأعمال وجهنم الأعمال.^١ وأرض الملكوت كانت في بداية الأمر

١. بحار الأنوار، ج ٨، ص ٧١، كتاب العدل والمعاد، باب الجنة ونعيمها.

خالية وقيعان^١ ويعمرها عمل بني آدم.

وفي القرآن كشف الستر عن هذه الحقيقة الغيبية بتعابير مختلفة كما في الآية ٣٠ من سورة آل عمران يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْتَهَا وَبَيْتَهَا أَمَدًا بَعِيدًا﴾ وهذه الآية الشريفة تصریح بأن الإنسان يرى أعماله في ذلك اليوم،^٢ الصالح منها والسيئ ويؤيد هذا المطلب قوله في ذيل الآية أنه يتمنى أن يكون بينه وبين أعماله السيئة بوناً بعيداً وفي السورة المباركة الزلزلة يقول: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْتَاتًا يُرَوِّاْ أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^٣ وظاهر الآية بل صريحها أن الناس يرون أعمالهم كيفما كانت في تلك النشأة، وهذا المطلب أي تمثل الأعمال وصورتها الغيبية من المسلمات عند أهل المعرفة.^٤

١. اشارة الى الحديث النبوي: الجنة قيعان وان غراسها سبحان الله، راجع: علم اليقين، ج ١، ص

٦٧٩ وج ٢، ص ١٠٧٩.

٢. بدلاً من ان يذكر هنا كلمة صريح، قال: كالصريح؛ وذلك لوجود احتمالات اخرى في مفاد هذه

الآية. وعلى غرار الآية الشريفة: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾

(البقرة/١٦٥) حيث ان المقصود من الرؤية هنا رؤية العذاب وليس لمثل وتجسد الأعمال

ومشاهدة الصور الغيبية للأعمال، كما احتمل البعض. (في هذا المجال، راجع: الطوسي، التبيان،

ج ٢، ص ٤٣٧؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٣، ص ١٩٦). ولكن عند النظر الى الآيات

الكثيرة الموجودة في هذا المجال، مثل هذه الآية موضوع البحث، والآية: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَنَا

يَخْفَى﴾ (المؤمن: ١٦) لا يبقى مجال للشك بأن المقصود هو ما ذكره الامام، وانه قد راعى

الاحتياط والدقة في التعبير.

٣. سورة الزلزلة (٩٩): ٦ - ٨.

٤. راجع: الأسفار الأربعة، ج ٩، ص ٢٩٦، الفصل ٢١، الباب ١١.

وكما أن للأعمال صورة ملكوتية، كذلك لكل منها أثر في قلب الإنسان، وقد عبر عنها في الروايات بالنكتة البيضاء أو السوداء، لأن لكل عمل صالح لو أتى به بالشرائط الصورية والمعنوية والقلبية والقالية، نورانية تحمل في باطن القلب، ويكون صفاءً باطنياً يقربه إلى معرفة الله والتوحيد، إلى أن تتمكن حقائق التوحيد وسرائره في القلب، ويسري منه في ملك البدن أيضاً، وتكون أرض الطبيعة نورانية، ومشرقة بالنور الإلهي، وهذه غاية السعادة الإنسانية،^١ وتفصيلها ومراتبها خارج عن نطاق هذه الأوراق.

وهكذا لكل عمل من الأعمال السيئة، كدورة تحمل في القلب، وظلمة تبعد الإنسان عن مقام القدس وقرب الحق جلّ وعلا وتحجره عن المعارف الإلهية، وتقربه إلى عالم الطبيعة والدنيا، الذي باطنه سجين والهاوية، إلى أن يفنى القلب وجميع شؤونه الغيبية في الدنيا والطبيعة، ويرتفع عنه حكم الروحانية والإنسانية.^٢

[وجه آخر لبيان تجسد الأعمال]

أيها الإنسان المسكين إن جهنم والعذاب المختلف في عالم الملكوت والقيامة هي صور أعمالك وأخلاقك. بيدك قدمت لنفسك هذه الذلة والمسكنة، وما زلت تسعى إلى جهنم برجلك، وتهينها بعملك، فليست جهنم إلا باطن أعمالك غير المرضية، والظلمات والوحشة في عالم البرزخ والقبر والقيامة ليست

١. في الحقيقة ان بيان كيفية بداية ومراحل هذ التمثيل وكيفية تجسدها عينياً، يتضح من خلال شرحه وخاصة شرحه للرواية، وهو ان الانسان يشاهد الصورة العملية والنتيجة العينية لأفعاله في القلب بيضاء أو سوداء . وهذا البياض أو السواد يتبدل الى نور أو ظلمة، وضياء أو كدورة، ويفقدو مبدءاً لاتجاه الأعمال اللاحقة.

٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٨١ - ٢٨٣.

إلا ظلاً ظلماتياً لأخلاق الإنسان الفاسدة وعقائده الباطلة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿١﴾. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «هذه الآية أحكم آية»^١ وظاهر هذه الآية الشريفة أنها تنظر إلى العمل الحسن والسيء.

وفي الآية (٣٠) من سورة آل عمران يقول تعالى ﴿يَوْمَ نَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾. ولو لم تكن أعمال الإنسان ولم تكن صورتها الغيبية القبيحة لما كانت جهنم ولكان كل عالم الغيب برداً وسلاماً.^٢



(رؤية الأعمال نفسها في القيامة)

ان ما يحدث هنا تظهر لنا صورته الغيبية في الآخرة. فاننا نحاسب على أعمالنا في الآخرة ولا نحصل على شيء غير ذلك. فاننا نحن الذين نبنى أساس الآخرة. فالأعمال ترد الى أصحابها فانها هي أعمالكم ترد اليكم^٣ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وليس فقط انه يحصل على نتيجته بل يرى عمله أيضاً ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ

١. سورة الزلزلة (٩٩): ٧-٨.

٢. نسبت هذه العبارة في التفسير الى ابن مسعود. راجع: مجمع البيان، ذيل السورة المذكورة؛ نور الثقلين، ج ٥، ص ٦٥٠. ونُقل عن رسول الله كلام مقارب لهذا التعبير، وهو: «ما نزل علي فيها إلا هذه الآية الجامعة الفاعدة». السيوطي، الدر المنثور، ج ٨ ص ٥٩٨.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١٤١-١٤٣.

٤. نقلت هذه الرواية عن رسول الله. واستناداً الى ما نقله المجلسي انها جاءت ضمن رواية نقلها المفضل عن الامام جعفر الصادق عليه السلام. راجع: بحار الأنوار، ج ٣، ص ٩٠، كذلك ج ١٠، ص ٤٥٤.

مِقَالٌ ذَرَّةٌ شَرًّا يَرَهُ ﴿١﴾ فهو يرى الشر بعينه ويرى العمل نفسه، حيث ان أعمالنا وعقائدنا وأخلاقنا كلها تنعكس أمامنا.^١

[وجود صورتين لأعمال الإنسان]

كل عمل نقوم به في هذه الدنيا له مقابل في عالم الآخرة وسوف نراه: ﴿فَمَنْ يَفْعَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾، فكل ذرة خير تقومون بها وكل عمل إنساني يصدر عنكم، مكتوب في ذلك العالم الآخر وسوف ترونه وتجزون عليه. أما إذا قمنا - لا قدر الله - بعمل غير إنساني وضد مصلحة الإسلام وضد مصلحة الدولة الإسلامية فهو أيضاً مسجل لنا في العالم الآخر وسوف نرى نتيجته أيضاً. اعملوا أعمالاً تبيض وجوهكم إذا ماوقفتم في حضرة الله تبارك وتعالى ولا تعملوا - لا قدر الله - عملاً يسود وجوهكم يوم القيامة.^٢



[رؤية صورة الأعمال في القيامة]

إن الإنسان لا يرى في العوالم الأخرى من العذاب والعقاب، إلا ما وقره وهياه في هذه الدنيا، ولا يشاهد في العالم الآخر إلا صورة ما أنجزه في هذا العالم من

١. صحيفة الامام، ج ١٦، ص ١٤٠، من كلمة ألقاها في حشد من المسؤولين العسكريين والمدنيين ومختلف الشرائح من أبناء الشعب؛ صحيفة النور، ج ١٦، ص ٩٤؛ وأيضاً راجع: صحيفة الامام، ج ٥، ص ٥٠٦.

٢. صحيفة الامام، ج ٩، ص ٤٤١، من كلمة ألقاها في حشد من أفراد اتصالات الجيش؛ صحيفة النور، ج ٩، ص ٣٤.

الأعمال الصالحة والخلق الحسن، والعقائد الصحيحة، مع رؤيته لما يتفضل عليه الحق المتعالي بلطفه من الكرامات الأخرى. يروي صاحب كتاب تفسير (الصافي) عن (مجمع البيان) في ذيل الآية المباركة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ - الخ﴾ حديثاً عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وفيه «هي - هذه الآية - أحكم آية في القرآن وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يُسمِّيها الجامعة».^{٣١}

[في عدم اعتبار الاخلاص التام في العبادات]

فلو كان الإخلاص التام معتبراً لسقط التكليف عن عامة الناس، لعجزهم عنه. مع أنه لو كان الامتثال والعبادية لا يحصل إلا بالخلوص الكذائي كان على الله - تعالى - وأوليائه - عليهم السلام - بيانه وإرشاد الناس إليه وتكليفهم به، لا الترغيب فيما يصاده وينافيه.^٤

مضافاً إلى أن في الآيات والروايات ما تدلّ على أن للأعمال الحسنة آثاراً ولوازم في النشأة الآخرة، كظاهر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ...﴾.

وقد ورد حديث عن أمير المؤمنين - عليه السلام - : أن هذه الآية أحكم آية

١ . السيوطي، الدر المنثور، ج ٨، ص ٥٩٨ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميها الجامعة الفاظة.

٢ . تفسير الصافي في تفسير الآية ٧ من سورة الزلزلة، وأسد الحديث به قيل، وفي المجمع نقله عن عبد الله بن مسعود.

٣ . الاربعون حديثاً، ص ٤٦٢.

٤ . راجع: وسائل الشيعة، ج ١، ص ٣٣ - ٤٦، كتاب الطهارة، الأبواب ٥ - ٩ من أبواب مقدّمة العبادات.

في كتاب الله ' فعليه يكون ظاهرها مراداً بلا تأوّل. والظاهر منها أن عمل الخير بنفسه مورد الرؤية.

ويؤكدّه قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْنُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾.

فيظهر منها أن الأعمال نفسها متجسّدة مرثية فيها والناس ملتذّ بها.

فلو فرض أن الآتي بالصلاة لله - تعالى - والمجيب لدعوة أقم الصلاة إنما يأتي بها ويطيعه - تعالى - طمعاً للوصول إلى الصورة البهية اللازمة لعمله، فهل يمكن أن يقال: عمله باطل، أو يقال: للجنة خصوصية؟
فلو قيل: إن أمثال ذلك خارج بدليل.

قلنا: مرجع هذا إلى عدم اعتبار الخلوّص فيها، وأن تلك الأفعال ليست بعبادة، وهو خلاف الضرورة، فإنّ الإجماع بل الضرورة على اعتبار الخلوّص في العبادات وقصد غير الله مضرّ بها، فيكشف منهما ومما ذكرناه عقلاً ونقلاً أنه لا يعتبر في العبادية إلا الخلوّص في نفس العمل، أي كونه امتثالاً له - تعالى - من غير تشريك في هذه الرتبة ولا ينظر إلى مبادئ التحريك.^٢

[الدقّة في محكمة الجزاء الإلهية المطلقة]

القرآن كتاب دعوة وهو يدعو الإنسان الى النظر في أصل الحقائق. والغاية التي يسعى إليها كتاب الدعوة هي ايجاد العقائد التي يتطلع إليها بالنسبة الى المدّعوين، والصورة الجوهرية وعماد وجود المدّعين هي تلك العقائد التي يروم الكتاب تبليغها ونشرها وغرسها في النفوس. ومن المعتقدات الدينية المؤثّرة في

١. راجع: مجمع البيان، ج ٩ - ١٠، ص ٦٨٠٠ وعنه في الصافي، ج ٥، ص ٣٥٨.

٢. المكاسب المحرمة، ج ٢، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

اصلاح الناس وبسط الاستقرار والارتقاء بدرجات الوجود وسعادة الآخرة، وترغيب عامّة الناس فيها، هو الاعتقاد بالوقوف في محكمة الجزاء الإلهية المطلقة لتلقي الثواب والعقاب على الأعمال، بالنحو الذي بيّنه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^١، والاعتقاد بوجود حياة اخرى سيعيشها كلّ الناس بعد هذه الحياة.^٢



١. الزلزلة (٩٩): ٧-٨.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥٩٠.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَأَمَّهُ هَاوِيَةً﴾ ٩

[الإنسان محاط بغلاف الطبيعة ومحجوب في النشأة الدنيا]

بما أن الإنسان هو وليد عالم الطبيعة والنشأة الدنيوية كما تشير إليه الآية الشريفة^١ ﴿فَأَمَّهُ هَاوِيَةً﴾^٢ فلو تربى من مبدأ الخلقة في غلاف الطبيعة وحجب عن

١ . يبدو ان المراد بالهاوية كما قال المفسرون (على سبيل المثال، راجع محيي الدين بن عربي، رحمة من الرحمن، ج ٤، ص ٥٣٧؛ الطباطبائي، الميزان، ج ٢٠، ص ٣٤٩) هو جهنم، ويعود سبب هذه التسمية لأن أهل النار يسقطون فيها . ولذلك جاء في تنمة الآية: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ . الا انه اخذ هذا المعنى على سبيل الاحتمال وعبر عن ذلك بكلمة «ربّما»، وذهب الى احتمال ان تكون «الهاوية» بمعنى عالم الطبيعة وقال ان الانسان وليد عالم الطبيعة وابن النشأة الدنيوية . وام هذا الانسان هي الدنيا وعالم الطبيعة . ويبدو ان هذا الاحتمال جاء على خلاف السياق والقرائن الظاهرية للآيات السابقة، غير ان بعض المفسرين اخذوا كلمة «ام» بمعنى المسكن والخدام . وقالوا ان مسكن الانسان الطبيعة ودار الدنيا، وان هذه الدنيا هي مصدر النار اللاهية وهي التي تأخذها الى اسفل سافلين . (بيان بيان السعادة، ج ٤، ص ٢٧١) ومع كل ذلك فان هذا النوع من الفهم للمعنى يبيّن مرتبة من المعنى والتأويل؛ لأن الكناية مستقاة من كون امه الدنيا، وهو كمعنى حبّ الطفل لأُمّه . وهذا المعنى تؤيده بعض الروايات، كما جاء في رواية أبي ايوب: «ذهب به إلى أمه الهاوية» . راجع: السيوطي، الدر المنثور، ج ٨، ص ٦٠٦ .

الروحانية والفطرة وأحاطت به أحكام الطبيعة شيئاً فشيئاً، وانغمس في عالمها ونمت غريزته، لتغلبت عليه أحكام الطبيعة فإذا مرتبة الطفولة يجاور ثلاث قوى - وهي القوة الشيطانية، وهي وليدة الواهمة والقوة الغضبية والشهوية، وكلما نمت حيوانيته تكمل فيه هذه القوى وتنمو، وتغلب عليه أحكام الطبيعة والحيوانية.^١



[أوصاف جهنم والسير إلى الهاوية]

من هياً الله تبارك وتعالى له سبل الترقيات والتكاملات المعنوية والوصول إلى السعادات سواء منها الباطنية - وهي العقل والقدرة على التمييز والإستعداد للوصول إلى الغايات والعشق الفطري للجمال والكمال - أو الظاهرية - وهي العمر والأجل والمحيط المناسب والأعضاء السالمة - وعمدتها هداة طريق الحق والكتب السماوية والذساتير الإلهية ومفسروها، ولكنه مع ذلك كله كفر النعمة الإلهية اللامتناهية بل وخان الأمانات وترك إتباع العقل والشريعة، ورجح إتباع الأهواء النفسانية وشياطين الجن والإنس على إتباع الله تعالى، وهو ولي النعم. فينتبه من النوم الثقيل في عالم الطبيعة والغفلة اللامتناهية والسكر والنشورة في وقت فاتته جميع الفرص والنعم الإلهية وعضواً من أن يحصل بها السعادات الأبدية ويعيش في الروح والراحة وجنات النعيم مع الأنبياء العظام والأولياء الكرام فقد أعد لنفسه أن يخلد في الشقاء ويكون قرين الجن والشياطين

وأصحاب الجحيم فيحشر في الظلمات والضغطات النيران والأغلال والسلاسل الثقيلة والحيات والعقارب، ويصير منتهى سيره إلى الهاوية: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا هَيْئَةٌ تَارًّا حَامِيَةً﴾^١ فتصور حال هذا المسكين في أية حشرات هو حينما يرى رفقاءه وزملاءه ومواطنيه قد وصلوا إلى السعادات والغايات الكمالية وتأخر هو عن قافلة الكاملين ولحق بالناقصين والأشقياء وليس له طريق للعلاج ولا لتقائه جبران.^{٢٢}



١. سورة القارعة (١٠١): ١٠ - ١١.

٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٥٣ - ٥٤.

٣. في ما يخص خصائص حشرات عالم الآخرة واختلافها عن حشرات عالم الدنيا، راجع: ذيل آية ٥٦ من سورة الزمر.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾

[مفهوم الالهاء ودور عمل الشيطان]

وفي اعتقادي فإن ما ذكره بعض الاعلام من اهل المعرفة من أن «حقيقة الشيطان، هي عبارة عن جميع العالم بجنته السوء»^١ تعريف غير تام؛ لأن جنبه السوء - وهي الصورة الوهمية العاربية عن الحقيقة والمتجردة من التحقق والواقعية - هي من حبائل إبليس التي يشغل بها الانسان، ولعل قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ إشارة الى هذا المعنى، في حين إن إبليس نفسه حقيقة، لها تجردٌ مثالي، والحقيقة الابليسية الكلية هي رأس الأبالسة

١. راجع: الفنوحات المكية، ج ١، ص ٢٨١، الباب ٥٥ في معرفة الخواطر الشيطانية.

وإبليس الكل، تماماً؛ كما ان الحقيقة العقلية الكلية المجردة - وهي آدم الأول - هي عقل الكل.

كذلك فإن مختلف اشكال الواهمة الجزئية الملكية هي من مظاهر وشؤون تلك الحقيقة الابليسية، تماماً كما أن العقول الجزئية هي من شؤون ومظاهر العقل الكلي^٢.

﴿ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ٨



[مصداق للنعم التي يُسأل عنها]

تفكر قليلاً في حالة علي بن الحسين (عليهما السلام) وأدعيته الرقيقة التي تعلم عباد الله آداب العبودية، ولست اقصد من قولي هذا أن مناجاة هؤلاء العظام كانت تهدف تعليم العباد، فهذا كلام فارغ وقول باطل لا ينتج إلا عن الجهل بمقام الربوبية ومعارف اهل البيت، فقد كانوا (عليهم السلام) أكثر الجميع خوفاً وخشية من الحق تعالى، إذ إن عظمة الحق وجلاله تجلت في قلوبهم بما يفوق ما يتجلى منهما على أي قلب. إنما أقول: إن على عباد الله أن يتعلموا منهم العبودية والسلوك الى الله، وأن لا تقتصر قراءتهم للأدعية والمناجاة المأثورة عنهم (عليهم السلام) على لقلقة اللسان، بل يجب إقران ذلك بالتفكر من خلال جعل الدعاء

١ . وخلاصة رأيه في هذا المجال ان النظر الى غير الله الحق، ليس حقيقة، وانما هو فخر ينصبه إبليس لكي يصرف الانسان عن ربه، مثلما ان التكاثر له حالة العزل والفصل ويصرف الشخص عن حقيقة الله . وقول القرآن: ﴿أَلِهَاتِكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ اشارة الى هذا المعنى، وهو ان الوهم يملأ ذهن الانسان بدلاً من الواقع.

والمناجاة مبنية على اساس اساليب تعاملهم مع الحق، واطهارهم للتذلل والعجز والافتقار وكيفية تفرغهم للذات المقدسة.

ولعمر الحبيب، فحضرة علي بن الحسين (عليه السلام) من اعظم النعم التي انعمت الذات المقدسة للحق بوجوده على عباد الله، فانزل الحق تعالى ذلك السيدالجليل من عالم القرب والقدس من اجل تفهيم عباده طرق العبودية، و﴿لَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النِّعَمِ﴾، ونحن اذا سُئِلْنَا عن سبب جهلنا قدر هذه النعمة العظيمة، وعن علة عدم الانتفاع من وجود هذا العظيم، فما هو جوابنا؟ أليس هو الاكتواء بنار الندم والأسف؟ ولات حين مندم!

إبهأ عزيزي، شمر عن سواعد الهمة وتمنطق بالعزيمة، مادامت الفرصة سانحة، وما دام العمر - ثروتك الغالية - أمامك وطريق السلوك ممهدة لك وأبواب رحمة الحق مشرعة بوجهك، والأعضاء سالمة والقوى موفورة، ومزرعة عالم الملك لم يَنْ جني محصولها بعد، ولتعرف قدر هذه النعم الإلهية ولتستفد منها، واسع لتحصيل الكمالات الروحية والسعادات الأزلية الأبدية، ولتنتفع من كل تلك المعارف التي قدّمتها لك القرآن السماوي المجيد واهل بيت العصمة (عليهم السلام) على بساط ارض الطبيعة المظلمة فأناروا العالم بالانوار الإلهية الساطعة.^٢

١. هذا المضمون اشارة الى قول الامام الرضا عليه السلام الذي جاء في كتاب عيون اخبار الرضا في انه اعتبر موالة اهل البيت مصداقاً للسؤال؛ اذ قال في ذيل هذه الآية الشريفة: أن الله عزوجل لا يسأل عباده عما تفضل عليهم به ولا يمن بذلك عليهم، والامتان بالإنعام مستقيح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عزوجل ما لا يرضى المخلوقين به، ولكن النعيم حُبنا أهل البيت و موالاتنا. راجع: نور الثقلين، ج ٥، ص ٦٦٤. وهذا الاستدلال صحيح لأن المحبة والموالاة تعود بالفائدة علينا، والتمسك بهم يوصلنا الى طريق الهداية والنجاة.

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ ٢

[معنى خسارة الإنسان في هذا العالم]

والإنسان العاقل لا بد أن يقيس مقدار عيشه في الدنيا وحاجته فيها مع مقدار عيشه في الآخرة وحاجته فيها، ثم يجد في تقصي وسائل المعيشة في هذه الحياة وتلك، ولينظر كم يحتاج لو عاش مائة عام فرضاً، وكم يحتاج لعيشه الأبدي الذي لا نهاية له. ثم لينظر كم سيواجه في ذلك العالم من الحسرات والندامات ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ 'قسماً بالله! لو اطلع الإنسان على مقدار خسارته اطلاعاً حقيقياً لسلب منه الهدوء والراحة، حيث يرى أن كل ما في يده من راس مال السعادة، قد خرج من يده، بل أكثر من ذلك إذا صرفه في تحصيل الشقاء فهياً لنفسه جهنم ونارها، بعرق الجبين وكد اليمين، ولحاجته إلى بعض سنوات

من الحياة الدنيا صرف جميع أوقاته التي كان ينبغي أن يصرّفها في تحصيل العيش الأبدي، وتعلق قلبه بمكان يتركه بعد أيام، ولا يحصل إلا على الندامة والحسرة:

فكالخليل اطلب علم اليقين وناد لا أحب الآفلين
ولو تفكر الإنسان قليلاً في حال الأولياء عليهم السلام، الذين هم معلمو البشر العمليون
فسيجد خسارة نفسه.^١



[تحقّق الخسران بكيد الشيطان وغرور الإنسان]

لقد خسرنا رأس مال شبابنا بلا عوض، وبغرور النفس والشيطان أفلتنا من أيدينا الشباب الذي لا بد أن نهيم به السعادات في الدارين. وحتى الآن لسنا في صدد الإصلاح، إلى أن يخرج رأس مال حياتنا من اليد بالكامل وننتقل عن هذه الدنيا بالخسران التام والشقاوة الكاملة.

إن أيام الشباب أولى بإصلاح النفس لأن الإرادة فيها تكون أقوى، كما أن كدورة النفس وظلمتها تكون أقل. ونحن فيها أقرب إلى الفطرة ولم نثقل بالمعاصي حتى يكون جيرانها صعباً.

أيها الشباب اغتموا أيام الشباب ولا تفلتوا هذه النعمة العظيمة بغفلتكم فإن إصلاح النفس في أيام الشيخوخة صعب جداً.

إن للإنسان في سن الهرم مشكلات كثيرة ليست موجودة في أيام الشباب،

ولكن الشيطان والنفس الأمارة يفران الإنسان، ولا يتركانه في ذلك الوقت يبدأ بالإصلاح إلى أن يتلى بوهن الشيخوخة وضعفها، وتكون المعاصي متراكمة، وكدورات النفس كثيرة، ومن ثم يقضي أيامه بالتسوية والتعويق، إلى أن يفنى أصل رأس المال، ويرد إلى دار الانتقام مع الخذلان والخسران ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ أي خسران أعلى من أن يصرف الإنسان رأس مال السعادة الأبدية بالشقاوة الأبدية، وما به الحياة والنجاة يصرفه في هلاك نفسه وفنائها، ولا يتنبه إلى آخر عمره من سكره وغفلته^١

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ ٣

[احتمالات في معنى العصر وسبب استثناء المؤمنين]

من المحتمل أن يكون العصر في زماننا هذا الامام المهدي - سلام الله عليه - أو الإنسان الكامل ومصادقه الأكبر هو الرسول الأكرم وائمة الهدى والإمام المهدي - سلام الله عليه - في عصرنا هذا.

قسم بعصارة موجودات العصر، خلاصة الموجودات، خلاصة كل العوالم، ووصفة هي وصفة كل العالم. العالم كله يتلخص في هذا الموجود، في هذا الإنسان الكامل، والله يقسم بهذه العصارة ويقول: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ الإنسان خسران، الإنسان شقي ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي الا أولئك الذين حظوا بالتربية. ليس الذين اسلموا، بل الذين آمنوا، المؤمنون. ما عدا الذين خضعوا لتربية الأنبياء العظام ولتربية الرسول الأكرم في هذا الزمان، فإن الجميع في خسر واخلق. المؤمنون هم المستنون فقط. وطبعاً فإن المؤمنين هم الذين يتحلون

بهذه الصفات أيضاً ﴿وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ هذا هو الاستثناء، والبقية كلهم في خسران. وقد جاء الإسلام ليضمَّ كل هؤلاء الخاسرين الناقصين إلى جماعة المؤمنين.

[هدف النبي الخروج من الخسران]

لم يأت الإسلام ليحارب. لم يأت الإسلام ليحتل البلدان ويفتحها. جاء الإسلام وسائر الأديان الحقّة لاخراج الناس من هذا الخسران وادخالهم في حدود الإيمان ولكن هذه الأديان لم توفق للأسف. بذلت جهودها ولكنها لم توفق الا بمقدار.^١

وهذا المقدار من الكمال الموجود لدى البشر في العالم مصدره الأنبياء. لو لم يأت الأنبياء، لكان كل الناس، الا القلة منهم، ينهشون بعضهم كحيوانات الغابة

١. المقصود هو ان الأنبياء لم ينجحوا في تغيير اتجاه الانسان من مسير الخسران في كل الحالات بشكل كامل، والا فانهم بشكل عام نجحوا في تغيير مسير الانسانية من الشرك وعبادة الأصنام وأوجدوا تحولاً في تنامي القيم المعنوية. وكلامه هنا يشير الى الآيات التي اكرتية الناس بعدم الايمان (البقرة (٢): ٧٨)، فاسق (آل عمران (٣): ١١٠)، وانهم لا يعقلون (المائدة (٥): ١٠٣) واكثرهم لا يعلمون (الأنعام (٦): ٣٧)، وجاهلون (الأنعام (٦): ١١١) وغير شاكرين (الأعراف (٧): ١٧) وغير ذلك من التعابير المشابهة؛ اذ تنمّ كل هذه التعابير عن عدم نجاح الأنبياء في اصال كل بني الانسان الى درجة الكمال النهائي، بيد انهم قد نجحوا في دفع الناس الى الايمان بالله واصلاح أنفسهم نسبياً وافشال جانب كبير من مكائد الشيطان. وكل هذه التعابير تفصح عن هذا المعنى ولا تدلّ على اخفاق مهمة الأنبياء. ولهذا السبب نراه يصرّح في المقاطع التالية الى ان ما ينعم به المجتمع من الكمال واتساع رقعة القيم الانسانية وتغيير الاتجاه العام لمسار البشرية يُعزى الى حركة وجهود الأنبياء.

بل وأسوأ. والآن أيضاً ترون أن من هم اقرب إلى حدود الإيمان هم الأبعد عن هذه الجرائم.^١

[الدعوة إلى الحق والصبر احدى واجبات المسلمين]

ما أحوجنا في هذه المرحلة للتكاتف والتلاحم وللعمل بما وصّانا به الله في كتابه العزيز في سورة العصر: «والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر»، ما أحوجنا اليوم لأن نوصي بعضنا بعضاً بالصبر والصمود والثبات. ما أحوجنا اليوم لأن ندعو إخواننا وأصدقاءنا إلى الحق، إلى الإسلام، إلى الجمهورية الإسلامية، فلو كان الإنسان يريد الحق وإقامة دولة الحق في بلاده وتطبيق الإسلام، فعليه أن يصبر كما صبر الأنبياء والأولياء (ع) فطريق الحق طريق مليء بالعقبات والصعوبات.^٢

[الجمع بين كونه اشرف المخلوقات وكونه في خسر]

هل حقاً إن هذا الإنسان الصلف هو أشرف المخلوقات، أم هو في الحقيقة أشر المخلوقات؟ ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

-
١. صحيفة الامام، ج ١٢، ص ٤٢٣ - ٤٢٤، من كلمة ألقاها في حشد من مدراء مؤسسات القروض الحسنة المالية؛ صحيفة النور، ج ١٢، ص ١٧٠؛ وأيضاً راجع: صحيفة الامام، ج ٨، ص ٣٢٧.
 ٢. صحيفة الامام، ج ١٣، ص ٤٦٧ - ٤٦٨، من كلمة ألقاها في حشد من طلاب كلية التربية في تبريز، وأفراد قوات التعبئة في مشهد و تنكابن؛ صحيفة النور، ج ١٣، ص ٢٤٣؛ وأيضاً راجع: صحيفة الامام، ج ١٣، ص ٥٠٦ - ٥٠٧.

إن المستثنى في هذه السورة هم « المؤمنون » الذين عملوا الصالحات فحسب^١. و « العمل الصالح » هو الذي ينسجم مع الروح . ولكن كثيراً من أعمال الإنسان - كما ترون - تنسجم مع الجسم دون أن يوجد من التواصي المذكور في السورة المباركة عين أو أثر .

فإذا كان الأساس أن يسيطر عليكم حب الدنيا وحب النفس ويحول دون درككم للحقائق والواقعات، ودون أن يكون عملكم خالصاً لوجه الله تعالى، ويمنعكم عن التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وسدّ طريق الهداية أمامكم؛ فإذا كان هذا الأساس فستبوؤون بالخسران المبين وتكونون ممن خسر الدنيا والآخرة^٢. لأنكم قد أضعتم شبابكم وحرمتهم من نعم الجنة ونعيم الآخرة، وأضعتم دنياكم وآخرتكم.^٣



[لمفهوم الخسران جانب معنوي ونفسي]

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾.

جميع الناس في خسران الا تلك الفئة التي آمنت وعملت عملاً صالحاً ودعت

١. ورد هذا المعنى أكثر صراحة في آيات اخرى، مثل: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

(الأنعام (٦): ١٢) ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام

(٦): ٢٠) حيث يعتبر فيها الخاسرين هم من غير المؤمنين.

٢. الحج (٢٢): ١١. ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

٣. الجهاد الأكبر، ص ٥٣.

الناس والشعب، إلى الصبر وإلى الحق، لا يوجد في هذا استثناء، الجميع في خسران إلا الذين آمنوا. وأساساً فليس للجسم أهمية في الإسلام المهم هو الروح والإيمان فلا تأخذكم، وأنتم مثل أولادي، الحسرة على فقدان عضو من أبدانكم، إن معيار الإنسانية بحسب هذه الآية التي قرأتوها، ومعيار السعادة، هو ان يكون الانسان مؤمناً وصابراً ويدعو الآخرين للصبر ويقول الحق ويدعو الآخرين لقول الحق. عندما تكونون مؤمنين وصابرين وتدعون الآخرين إلى الصبر وقول الحق، فأنتم سعداء. ان أولئك الذين يملكون ما في الدنيا فأبدانهم سليمة وأمورهم المادية مضمونة، ولكنهم غير مؤمنين، فإنهم غارقون في الخسران، الخسارات المعنوية بل الخسارت المادية.^١



[احد معاني العصر برؤية فلسفية]

الهيولى الأولى التي تقع في صف نعال الوجود، وهي ليست أكثر من شيء موجود بالقوة، أوصاف الكمال ضعيفة فيها الى حد أنها ليست فيها أكثر من قوة الأوصاف الكمالية.

وعندما ترتقي قليلاً وتصعد درجة، كأن تصل الى مرتبة الجسم المطلق، ينزل فيه وصف الجسمية الى حيز الفعلية وتصبح متصفةً بكمال الجسمية وحاملةً للقوة العنصرية. وعندما تصبح عنصراً وتصير في المرتبة الثالثة تكون حاملةً لوصف

١. صحيفة الامام، ج ٧، ص ٣٠١ - ٣٠٢، من كلمة ألقاها في حشد من اعضاء جمعية المعاقين؛

الجسمية ولكمال الجسمية بالفعل. وكذلك حائزةً على كمال العنصرية وحاملةً لقوة المعدن. وفي المعدن يكون كمال ووصف الجسمية والعنصرية والمعدنية بقوة النبات. وفي النبات توجد اضافة الى الأوصاف الثلاثة المذكورة قوة حس ونمو. وإذا صار في مرتبة الحيوان تكون له - اضافة الى الاسم والجسم والمعدن والعنصر - كمالات اخرى وأوصاف كمالية؛ فيكون له حس، ويكون مريداً وعالمًا ومتحركاً وحيًا، ويكون أكمل من النبات والمعدن، ويكون له كل ما لها. وفي الوقت ذاته يكون أبسط منها وأكثر جامعية. وعندما يصير انساناً، تكون تلك المرتبة من الروح البشرية أكثر جامعية من كل موجودات عالم الطبيعة، بل وتكون خلاصة لها كلها. ولعل احد معاني العصر في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾^١ هو هذا المعنى، وان كانت الروايات تشير الى انه قد يكون عصر إمام الزمان عليه السلام.^٢

والخلاصة هي ان روح الانسان أكمل من جميع موجودات عالم الطبيعة، وتحلّى بالكمال الجسمي والنباتي والحيواني والمعدني والعنصري بكماله الوجودي. وهي روح مريدة ومدركة وسميعة وبصيرة وقديرة وعالمة ونسخة عالم الطبيعة. ولو تفحصتها لوجدت عالم الكون والكون الكبير منظوياً فيها.

اتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر^٣



١. العصر (١٠٣): ١ - ٢.

٢. راجع، كمال الدين، ج ٢، ص ٦٥٦، ح ١؛ تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٦٦٦.

٣. ديوان أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٥٧.

٤. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٢٦٠.

سورة الهزرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ١ ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ ٢ ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ ٣ ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْأُخْطَمَةِ﴾ ٤ ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْأُخْطَمَةُ﴾ ٥ ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ﴾ ٦ ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ ٧ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّزْصَدَةٌ﴾ ٨ ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ ٩

[معنى النار القلبية والباطنية]

وفي الوسائل عن الخصال بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال الحواريون لعيسى عليه السلام أي الأشياء أشد؟ قال: أشد الأشياء غضب الله عز وجلّ وقالوا بما نتقي غضب الله، قال أن لا تغضبوا، قالوا: وما بدء الغضب قال: الكبر والتعجب ومحقرة الناس.»^١

هذا الحديث الشريف يفهمنا بطريق الإشارة أن باطن الغضب هو صورة نار

الغضب الإلهية.

نعم هذه النائرة المحرقة تبرز من باطن القلب كما أن: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾^١ لعلها صورة هذه النار التي تبرز من باطن القلب، وتشرف على الفؤاد، ونحن الآن نسمع عن الغضب خبراً ولا يمكن بيان شكله على حقيقته كما هو. فلغة الدنيا وقاموس الطبيعة أعجز عن بيان حقائق عالم الغيب، وما وراء الطبيعة كما هو.

وكل ما نسمعه بخصوص السعادة والشقاوة نفهمه بالقياس إلى هذه الدنيا ومأنوساتنا وعاداتنا، فلا يوضع عالم الآخرة والملكوت في ميزان الدنيا والملك. وكل ما رأيناه من النار فهي نار ملاصقة للبدن وسطحه وما وجدنا أعلى وأكثر من هذا.

فلو اجتمعت النار كلها في عالم الدنيا بعضها فوق البعض فلا تقدر على إحراق فؤاد الإنسان لأن الفؤاد من مراتب الملكوت، ولا تصل النار الملكية إليه، فالنار الملكية لا تخرج عن حد البدن الملكي الدنيوي ما يحرق الباطن والظاهر والروح والقلب، والفؤاد، والبدن هو النار الملكوتية الإلهية، وتبرز من باطن القلب، وتنفذ إلى الظاهر من مجرى الحواس.

يقول عيسى عليه السلام: «من اراد أن يحفظ من نار الغضب الإلهي، ولا يتلى بنار

١ . سورة الهمزة (١٠٧): ٦-٧.

٢ . اخذ هذا المعنى على الاحتمال و اشار الى النار بكلمة «ربما»؛ وذلك لأن البعض قالوا ان اطلاق النار على الافئدة يعني اثر النار وليس النار نفسها (طنطاوي محمد سيد، الوسيط، ج ١٥، ص ٥٠٦) الا ان جماعة آخرين مثل محي الدين بن عربي بين ان النار تُقسم الى نوعين: نوع يؤثر في ظاهر جسم الانسان مثل: ﴿فَإِنَّ لَئِن نَّارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ ونوع آخر يؤثر في الباطن، كهذا الذي بينته هذه الآية. راجع: تفسير رحمة من الرحمن في تفسير و اشارات القرآن، ج ٤، ص ٥٤٤.

الله الموقدة فعليه أن يحفظ نفسه من نار الغضب الملتهبة...
وعن الباقر عليه السلام: «من كف غضبه عن الناس كف الله عنه عذاب يوم
القيامة»^١.

[شواهد على كَوْن النار باطنية ومفهوم احاطتها]

وفي الحديث الشريف في الكافي قال الباقر عليه السلام: «إن هذا الغضب حمرة من
الشیطان توقد في قلب ابن آدم...»^٢.

ولعل هذه النار المشتعلة في هذا الإنسان والتي اشتعلت بيد الشيطان، صورة
﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾^٣ في ذلك العالم أي عالم بروز السرائر
وكشف الحقائق، ولعل باطنها حقيقة نار الغضب الإلهي، التي هي أشد النيران
وأكثرها إحراقاً، وتبرز من باطن القلب إلى ظاهر البدن كما أن نار الأعمال التي
هي من جهنم الأعمال، تسري من الظاهر إلى الباطن، والإنسان بين هاتين النارين
الباطنية والظاهرية في ضغوطات لا تطيق جبال هذا العالم لحظة منها.

إن إحاطة نار جهنم بالإنسان ليست كالأحاطة التي تصورها في هذا العالم،
لأن الإحاطة هنا سطحية، أي تحيط السطوح بالسطوح فليس بين البواطن تماس.
والنار الإلهية تحيط بالظاهر والباطن والعمق والسطح، وإحاطتها ظهور للإحاطة
القيومية، المحيطة، بشكل ما، بجميع الموجودات.

١ . اصول الكافي، ج ٢، ص ٢٣١، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح ١٥.

٢ . شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٤٨.

٣ . اصول الكافي، ج ٢، ص ٢٣١، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح ١٢.

٤ . سورة الهمزة (١٠٧): ٦-٧.

إن ﴿نَارُ اللَّهِ﴾ كما تحرق الجسم بظاهره وباطنه كذلك تحرق الروح والقلب، ونار كهذه غير متصورة في هذا العالم، فجميع نيران هذا العالم لا تعدو عن حد الظاهر ولا تصل إلى باطن الإنسان، ولكن هناك تحرق الباطن أشد مما تحرق الظاهر، وهي محيطة بالباطن أكثر من إحاطتها بالظاهر.^١



[ارتباط النار الدنيوية بالنار الاخروية]

يجب على الإنسان أن يقوي في قلبه صورة الندامة كي «يحترق» القلب إن شاء الله تعالى. وذلك بأن يفكر في الآثار الموحشة للمعاصي وعواقبها. ويعمل على تقوية الندامة في قلبه ويضرم النار في قلبه على غرار ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةِ﴾ ويحرق قلبه في نار الندامة حتى تحترق مع نار الندامة جميع المعاصي وتزول الكدورة عن القلب وصدئه. وليعلم أنه إذا لم يضرم بنفسه هذه النار - الندامة - ولم يفتح في وجهه باب جهنم هذه التي تكون بذاتها الباب الرئيسي لأبواب الجنة، فعندما ينتقل من هذا العالم تهيأت له لامحالة في ذلك العالم نار عاتية، وتفتح في وجهه أبواب جهنم وتوصل في وجهه أبواب الجنة والرحمة.^٢

١. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣٧٢ - ٣٧٣؛ وأيضاً راجع: الاربعون حديثاً، ص ٣٩.

٢. النار في تحليله على نوعين: النار الارادية التي يضرمها الشخص في نفسه بسبب الاقبال على الذنب وتكون مدعاة لاحراق الذنوب، ونار قهرية تُضرم في ذلك العالم وتكون أعمال الناس حطها (البقرة: ٢٤) وهو يستشهد بالآية لكلا الجانبين.

٣. الاربعون حديثاً، ص ٢٧٦.

[نار التوبة والندم طريق لمنع النار الباطنية للعذاب]

فيا أيها العزيز! أشدد عزيمتك، ومزق عن نفسك سجف الجهل، وانج بنفسك من هذه الورطة المهلكة!...

فإذا كنت من أهل الإيمان الناقص والصوري، فعليك أن تطهر نفسك من هذا الغش حتى تنضم إلى زمرة السعداء والصالحين. والغش يزول بنار التوبة والندم، ويادخال النفس في أتون العذاب واللوم، وصهرها في حرارة الندامة والعودة إلى الله. عليك أن تعمل في هذا العالم، وإلا فإن ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطْلُعُ عَلَيَّ الْأَفْنِدَةِ﴾ سوف تذيب قلبك. والله أعلم كم قرن من قرون الآخرة يستغرق إصلاحك هذا! إن التطهر في هذه الدنيا سهل يسير، فالتغيرات والتصورات سريعة الوقوع فيها، أما في العالم الآخر فالتغير يكون بشكل آخر، فزوال صفة من صفات النفس قد يستغرق قروناً عديدة.^١



[نار الله عذاب الله في الدنيا]

يقول أمير المؤمنين في دعاء كميل: «فهني يا إلهي وسيدي ومولاي وربّي صيرت على عذابك فكيف أصبر على لراقك». وأنا بقلي الأعمى لم أتمكن من قراءة هذه الفقرة وسائر فقرات هذا الدعاء بشكل جاد بل أقرأها دوماً على لسان علي عليه السلام ولأدري ما الذي يكون الصبر عليه أصعب من تحمل عذاب الله في جهنم إن ذلك العذاب الذي قيل عنه ﴿تَطْلُعُ عَلَيَّ الْأَفْنِدَةَ﴾. ويبدو أن القصد من عذابك في

الدعاء هو ﴿نَارُ اللَّهِ﴾ تحرق الافئدة فقد يكون هذا العذاب فوق عذاب جهنم.^١



[الوقاية من النار القلبية، نار الندامة وسعير الكدورة القلبية]

إلهي ألهمنا صدرأ محترقاً واقدف في قلوبنا جذوة من نار الندامة واحرقه مع هذه النار «الندامة» الدنيوية، وأزل عن قلوبنا الكدر والغبرة، واخرجنا من هذا العالم من دون مضاعفات المعاصي إنك وليّ النعم وعلى كل شيء قدير.^٢



[التصاق النار بالبدن، ظهورها على الافئدة]

وأما في ما يخص لصوق النار بالبدن، فيكفي في هذا قول الله عز وجل: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفئِدَةِ﴾^٣ وظهورها على عالم الأفئدة الذي يظهر من عالم الغيب، وتضطرم من باطن النفس الانسانية الى ظاهرها ومن الظاهر الى الباطن؛ ابتداءً من ام الدماغ وتسري الى كلّ العظام وتمتلئ كلّ الأوردة ناراً. وبما انها نار من الغيب ومن عالم الباطن فهي تطلع من الغيب والباطن وتحرق الظاهر أيضاً وتضطرم الى الباطن من كلّ الجوانب، وهي نار تتوجه عن شعور وعن

١. صحيفة الامام، ج ١٨، ص ٤٥٢؛ رسالة وجهها الى فاطمة الطباطبائي؛ ناصح اخلاقية - وعرفانية.

٢. الاربعون حديثاً، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

٣. الهمزة (١٠٤): ٦ - ٧.

[صعوبة فهم حقيقة جهنم]

إن الانسان في هذه الحياة الموجودة بالعرض والموت بالذات، يعيش حالة يكتنفها الغموض. فهذه الأيام المعدودة غامضة عنده ولا يدري هل سيعيش ثلاثة أيام اخرى، أم عشرة أيام، أم خمسة أيام، أو ساعة، أم عشر سنوات، أم عشر دقائق؟ وهذه الحالة من الغموض لا يمكن لأحد فهمها، بل حتى جمعنا الأولين والآخرين لما استطاعوا أن يخرجوا عمر أحدٍ من حالة الغموض والغيب ويقولون مثلاً فلاتاً من الناس سيعيش كذا من الأيام أو كذا من السنين. اذاً فيالها من غفلة تجعل الانسان يكتفي بهذه الايام المعدودة ويرى ان سعاده تنحصر في

١ . الملاحظة الجديرة بالانتباه في الاستشهاد بهذه الآية، تعيين منشأ هذه النار؛ لأن هذه النار تنشق من أعمال الانسان وتطلع على القلب. وهي تندلع من عالم الغيب وتصل من باطن النفس الانسانية الى الظاهر . وهذه النار لا تحرق عضواً واحداً فحسب وانما هي واسعة النطاق بحيث تمتد من الأعلى الأسفل ومن العظام حتى اللحم والجلد . وهذا يعني انها تتصف بخصائص النار الالهية، وهي:

أولاً: تتصف بكل جوانب النار؛

ثانياً: تنشق من شعور الانسان وارادته وتعاطى مع مشاعر الانسان ووجدانه؛

ثالثاً: انها نار شاملة وواسعة النطاق؛

رابعاً: الأهم من كل ذلك جانبها المعنوي والقيمي، يتألف هذا التفسير في كيفية التصاق هذه النار بالبدن.

وبهذه التوضيحات يمكن النظر الى التحليلات الفلسفية والعرفانية للمقاطع الاخرى المتعلقة بهذه الآية، ومعرفة علاقة ذلك ببحث المعاد والمعرفة الصحيحة لحقيقته الوجودية.

هذه الدار الدنيا.

اننا لا نرى الآخرة ولا نعلم شيئاً عنها بل ولا يخطر على بالنا ما هو موجود في الآخرة. وأما الأنبياء فقد رأوا ذلك، ولهذا فهم يتحرقون حرصاً علينا وقالوا لنا ما كان يمكن قوله. وحكوا لنا قضية الآخرة كما هي. ولو كان يمكن ان يقولوا لنا أكثر من ذلك لقالوه، أو لو كانت لدينا مقدرة على فهمه لقالوه.

ان القرآن بكلّ جلالته وعظمته، وهو القادر على ان يبيّن أفضل من كلّ الكلمات ما يريد من المعاني بأسهل الألفاظ وأكثرها ايجازاً، لا يستطيع ان يبيّن حال الآخرة كما هو. ان حقيقة الحلوى أنّها حلوة المذاق. فان نطقت بالكلمة تدرك الصورة ولكن لا تتذوق طعم الحلاوة. وعند سماع اسم جهنم تتكون في ذهنك صورة عنها، ولكنك لا ترى حقيقة كيفية احراقها: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ﴾. فالأنبياء قد رأوا ويعملون حقيقة الأمر ويعرفون ما فيه سعادة الانسان. كما ان سول الله (ص) لم يبق شيئاً يقربنا الى الجنة ولا شيئاً يبعدنا عن النار الا أخبرنا به^٢.



[كيفية النار الإلهية بعد الانتقال إلى عالم الآخرة]

إذا دخلت الاعتقادات الى قلب أحد بنحو منحرف، ويكون الشخص مقصراً في هذا الجانب بالاستكبار على الله - والعياذ بالله - ويحاول على الدوام اختلاق

١. الهمزة (١٠٧): ٧-٨.

٢. تحف العقول، ص ٤٠.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٤٥٧.

الادلة من باب العناد ليبتل بها المطالب الحقّة، ويشير الشبهات ضد القرآن والانباء عناداً، فمثل هذا الشخص يحمل كل الشقاوة التي تقع في مقابل السعادة العقلية، ومثل هذه الشقاوة نعوذ بالله تحصل في مرتبة العقلانية؛ لأنه مادام في هذه الدنيا فهو لا يفهم علّة هذه الصور العقلية غير الواقعية على نحو الجهل المركّب. وحينما ينتقل من هذا العالم حيث تكون المرتبة العقلانية في اقوى وأشد المراتب، يتّضح له ان صور هذه العقائد خلاف الواقع وضيق وظلمة.

وهذه الانتقاشات تكون مبدءاً للحيات والسموم والعقارب ومنشأً للنار العقلانية وربما تكون مثل: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْجُودَةُ * الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْسَدَةِ﴾، ولكن يكون هناك مجال لنجاة مثل هذا الشخص؛ لأن البذر بقي بالنسبة إليه في حدّ البذرية وتولّدت الصورة العقلانية للأباطيل. ولا بد طبعاً ان تكون مثل هذه الفعلية في مرتبة التجردّ التام مبدءاً للحيات والعقارب والنيران؛ وكثيراً ما تكون مبدءاً للنار العقلية أيضاً. اذاً فالسير في هذه المراحل والدخول في السباحة العقلية للمعاد لا يخلو من نيل كلّ السعادة أو كلّ الشقاوة. ولكن غير المطلعين على هذه المعاني أو الذين لا يعلمون عن المبدأ والمعاد الا اموراً جزئية، مثل الكثير من عوام الناس الذين سمعوا من آباؤهم وامهاتهم مفهوماً يفيد ان هذا العالم لا بد ان يكون له موجد، فافتقروا بهذا المقدار وهم منشغلون على الدوام في امورهم المعاشية وافكارهم الدنيوية، وليسوا بالضرورة طبعاً ان يكون هؤلاء الاشخاص من العوام، لأنهم قد يكونون ذوي اختصاص وخبرة في علوم اخرى؛ أي لو وضعت بين يديه علماً اجمالياً لاستطاع التعامل معه بجدارة، أو قد تكون لديه في صناعات اخرى مهارة لا تضاهيها مهارة، ولكن في مجال المعارف يكتفي بهذه

المرتبة الدنيا منها. ومثل هؤلاء الاشخاص لن يحصل لهم المعاد الروحاني؛ لأنهم لم يلجوا في خط ادراك المعاني العقلية، أو إن كانوا قد ولجوه فقد ولجوه بكثير من التفسير والتسامح، ولهذا لم يتمكنوا من الاطلاع على كيفية قدرة وكيفية علم الله بجميع موجودات العالم بالشكل الذي لا يشذ عن حيطه علمه شيء، ويكون له في مرتبة الذات علم بجميع الموجودات.^١



سورة الماعون

١٠٧

مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَ رَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾ ١ ﴿لَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ ٢ ﴿وَأَن يَحْضُرَ﴾
 ﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ ٣ ﴿لَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ٤ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ٥
 ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ﴾ ٦ ﴿وَمَا يَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ ٧

[نتائج الغفلة في الصلاة]

إن الإنسان إذا أفهم القلب أهمية العبادات والمناسك ينصرف عن هذه الغفلة والتساهل ويتنبه عن هذا النوم الثقيل.

فيا أيها العزيز تفكر قليلاً في حالاتك وراجع أخبار أهل بيت العصمة وشمس ذيل الهمة عن سابقك وفهم النفس بالتفكير والتدبر أن هذه المناسك وخصوصاً الصلاة وبالأخص الفرائض منها سبب للسعادة والحياة في عالم الآخرة، ومنبع الكمالات ورأس مال الحياة في تلك النشأة. وبحسب الروايات الكثيرة في

الأبواب المتفرقة^١ وضرب من البرهان ومشاهدة أصحاب الكشف والعيان، إن لكل من العبادات المقبولة صوراً غيبية بهية وتمثالاً ملكوتياً أخروبياً يصاحب الإنسان ويرافقه في جميع النشآت الغيبية ويساعده في جميع الشدائد.^٢ بل الجنة الجسمانية في الحقيقة هي الصور الغيبية الملكوتية للأعمال ومسألة تجسّم الأعمال من الأمور التي لا بدّ أن تعد من الواضحات. والعقل والنقل يتوافقان فيها.^٣ وتلك الصور الغيبية تابعة لحضور القلب وإقباله والعبادة التي لا يؤتى بها بتوجه من القلب وإقباله ساقطة عن درجة الاعتبار، وغير مقبولة لجناب الحق. ونحن نكتفي في هذا المقام بآية وآيتين وقليل من الأحاديث تكفي للإنسان الخبير اليقظان.



١. من باب المثال، راجع: فروع الكافي، ج ٥، ص ٣٢١؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٩٠، كتاب الصلاة، ابواب المواقيت، الباب ٣، ح ١٧؛ اصول الكافي، ج ٢، ص ١٤٣، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر، ح ٨.
٢. جاء في رواية عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: إذا دخل المؤمن في قبره، كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر مظل عليه، ويتحنى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يبيان مسأله قال الصبر للصلاة والزكاة والبر: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه. راجع أيضاً: آداب الصلاة، ص ٤.
٣. في ما يخص تجسّم الأعمال راجع ما جاء في هذا التفسير في ذيل الآيات ٦ و ٧ من سورة التكاثر، والآية ٦ من سورة الزلزلة. وفي كتاب شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٨١ - ٢٨٢ و ١٤١ - ١٤٢، والاربعون حديثاً، ص ٤٦٢.

[غاية التحذير بتعبير ويل]

قال الله تعالى: ﴿لَقَوْلِ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^١ وقال ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^٢ ففاقد الخشوع في صلاته ليس من أهل الإيمان والفلاح، وتكفي لأهل التفكير والتدبر هاتان الآيتان فالويل لمن قال الله تعالى في حقه الويل له وإن شيئاً يذكره العظيم المطلق بهذه العظمة والأهمية فمعلوم ما يتبعه من الظلمة والوحشة والنقمة.

وَعَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَعْبَدَ اللهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^٣ وهذا الحديث الشريف يشير الى مرتبتين كاملتين من حضور القلب: احدهما حضور القلب في التجلي الذاتي او الاسمائي؛ والآخر، حضور القلب في التجلي الفعلية مرتبة منه، وهو ان يرى العابد ذاته حاضراً في محضر الربوبية؛ وهو في هذه الحالة يؤدي طبعاً أدب الحضور وآداب المخاطبة مع ربه فطرياً.^٤ وعنه صَلَّى اللهُ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ مِنَ الصَّلَاةِ لَمَا يُقْبَلُ نَصْفُهَا وَثُلُثُهَا وَرَبْعُهَا وَخُمْسُهَا إِلَى الْعُشْرِ؛ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا تُلْفُ، كَمَا يُلْفُ الثُّوبُ الْخَلْقُ، فَيَضْرَبُ بِهَا وَجْهَ صَاحِبِهَا؛ وَأَنْ مَالِكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ»^٥.

١ . الماعون (١٠٧): ٤ - ٥ .

٢ . المؤمنون (٢٣): ١ - ٢ .

٣ . بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٧٤، كتاب الروضة، مواظ النبي، الباب ٤، ح ٣؛ مكارم الاخلاق، ص ٤٥٩ .

٤ . في ما يخص أهمية الخشوع، راجع: آداب الصلاة، ص ١٣، الفصل الثالث .

٥ . قال النبي صلى الله عليه وآله: «أن من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العشر، وإن منها لما يلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها، وإنما لك من صلاتك ما

وجاءت روايات اخرى بهذا المضمون.^١

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا قام العبد المؤمن في صلاته نظر الله إليه - أو قال: أقبل الله عليه - حتى ينصرف وأظلمت الرحمة من فوق رأسه إلى أفق السماء والملائكة تحفه من حوله إلى أفق السماء وكل الله به ملكا قائما على رأسه يقول له: أيها المصلي لو تعلم من ينظر إليك ومن تناجي ما التفت ولا زلت من موضعك أبدا».^٢

ويكفي اهل المعرفة هذا الحديث الشريف. والله يعلم ان في هذا الاقبال من جانب الله تبارك وتعالى، عليّ حصلت لي كرامات وانوار لا تدركها عقول البشر، ولا تخطر على بال أحد.

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «طوبى لمن اخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما تراه عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره بما أعطي غيره».^{٣، ٤}



أقبلت عليه بقلبك». بحار الأنوار، ج ٨١، ص ٢٦٠، كتاب الصلاة، الباب ٣٨، ح ٥٩.

١. من باب المثال، راجع: الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٤، الباب ٩ من ابواب اعداد الفرائض، ص ٣٥.

٢. الكافي، ج ٣، ص ٢٦٥، باب فضل الصلاة، ح ٥٥ مستدرک وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، الباب ٢، ح ٢٢؛ ابن طاووس، فلاح السائل؛ ص ١٦٠.

٣. وسائل الشيعة، ج ١، ص ٤٣، كتاب الطهارة، ابواب مقدمة العبادات، الباب ٨، ح ٣.

٤. سر الصلاة، ص ٢٥ - ٢٧.

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ١ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ ٢ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ٣

في معنى النحر والاستدلال به في ضرورة القيام في الصلاة

صحیحة ابن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ قال: «هو رفع يديك حذاء وجهك»، وقريب منها غيرها^١. ثم على فرض ثبوت اعتبار القيام بالكتاب وكونه من فرائض الله، ففي كون مطلق ذلك ناقصاً للفريضة إشكال ومنع؛ لأن ما ثبت من ذيل «الاتعاد» هو أن

١. تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٦٦ / ٢٣٧؛ وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٢٧، كتاب الصلاة، أبواب تكبير الإحرام، الباب ٩، ح ٤.
٢. راجع: وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٣٠، كتاب الصلاة، أبواب تكبير الإحرام، الباب ٩، ح ١٥ - ١٧.

السُّنة لاتنقض الفريضة، وأما أنّ كلّ فريضة ناقضة لها فلا دلالة فيه، نعم
يثبت منه أنّ الفريضة في الجملة صالحة لنقضها أو ناقضة لها^١.

سورة النصر

مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ١

أقسام الفتح العرفاني، والمراد من الفتح المطلق في آية: «إذا

جاء»]

مادام الإنسان في البيت المظلم للنفس، وأنه مشدود بالتعلقات والرغبات النفسية، تكون أبواب المعارف والمكاشفات عليه مسدودة، وعندما يغادر هذا البيت المظلم ببركة ترويض النفس، وأنوار الهداية، وإجتياز منازل النفس، تفتح أبواب قلبه عليها - العلوم والمكاشفات - وتلقى المعارف في قلبه، ويصبح من ذوي مقام «القلب» ويدعى هذا الفتح «بالفتح القريب»، لأنه أول الفتوحات وأقربها. ويقال بأن الآية المباركة ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾^١ تشير

إلى هذا الفتح.

ومن الواضح أن هذا الفتح وكافة الفتوحات تتم بعون الله وإمداده ونور الهداية وجاذبية الذات المقدسة سبحانه عز وجل.

ومادام السالك يكون في عالم القلب، وتكون النقوش والتعينات مستحوذة عليه، كانت أبواب الأسماء والصفات مغلقة ومسدودة عليه فإذا تلاشت تلك الرسوم من عالم القلب، بواسطة تجليات الأسماء والصفات، وأنت تلك التجليات، صفات القلب وتعيناته وكمالاته، تحقق «الفتح المبين» وانفتحت عليه باب الأسماء والصفات... ويقال بأن قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُفْهَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^١ تلويح إلى هذا الفتح...

وحيثما تتم التجليات الذاتية الأحادية عليه، وتباد النقوش الخلقية والأمرية بأسرها من قلبه، ويغرق العبد في عين الجمع يكون «الفتح المطلق» وغفران الذنب المطلق واستر بواسطة التجلي الأحدي على الذنب الذاتي الذي يكون مصدراً لكل الذنوب «وَجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبٌ»^٢. ويقال بأن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إشارة إلى هذا الفتح... ولا بد من معرفة أن «الفتح القريب» و«الفتح المبين» يتيسران للأنبياء والأولياء والعرفاء. وأما «الفتح المطلق» فهو من المقامات الخاصة بالمرتبة الختمية - خاتم النبيين - وإذا حصل ذلك لشخص، فإنما هو بالتبع وبسبب شفاعة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله).^٣



١. الفتح (٤٨): ١.

٢. راجع: الفاري، مصباح الانس، ص ٦٩٣.

٣. الاربعون حديثاً، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

[الاستغفار لزوال هموم الحياة اليومية]

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «كثيران - أو كئبان - على قلبي، وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة»^١ وهذا الرين - الغبرة - هو الالتفات إلى عالم الكثرة ولكنه سرعان ما يزول. وفي الحديث «أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يقوم من مجلس وإن خف، حتى يستغفر الله خمساً وعشرين مرة»^٢.

فيظهر من هذه الأحاديث بأن «الاستغفار» لا يختص فقط بالذنوب التي تتنافى مع العصمة، وأن «المغفرة» و«الذنب» في الآية لا تكونا من المغفرة والذنب المصطلح عليهما عرفاً لدى عامة من الناس...

إن كل موجود في هذا العالم نتاج هذه النشأة الملكية والمادة الجسمية، وله كافة الشؤون الملكية الحيوانية والبشرية والإنسانية المتوفرة بعضها بالفعل وبعضها بالقوة.

فإذا أراد السفر من هذا العالم إلى عالم آخر، ومنه إلى مقام القرب المطلق، لابد من اجتياز هذه المدارج، والعبور من المنازل الواقعة في الطريق، وعندما يصل إلى مرتبة، تغفر له ذنوب المرتبة السابقة وهكذا حتى تغفر له جميع الذنوب في ظلّ التجليات الذاتية الأحدية، ويستتر الذنب الوجودي الذي هو منشأ كافة الذنوب في ظل الكبرياء الأحدي. وهذه هي غاية عروج كمال الوجود. ويحدث في هذا المقام الموت والفناء التام. ولهذا عندما نزلت الآية

١. مستدرک وسائل الشیعة، ج ٥ ص ٣٢٠، کتاب الصلاة، أبواب الذکر، الباب ٢٢، ح ٢.

٢. مکارم الأخلاق، ص ٣١٣، الباب العاشر، الفصل الثالث في الاستغفار والبكاء.

الشريفة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إن هذه السورة تنبأ بموتي^١ والله العالم^٢.

١. مجمع البيان، ذيل تفسير سورة مباركة النصر، ج ١٠، ص ٥٥٤. ان ما جاء هنا مروى عن عباس وابن عباس وليس عن النبي. ولكن جاء في رواية اخرى نقلها علي بن ابراهيم عن النبي. راجع: البحراني، تفسير البرهان، ج ٨، ص ٤١٢، ح ٤؛ تفسير المصفي، ج ٢، ص ٤٤٩، غير ان الاخبار جاءت هنا مقتضبة وعلى سبيل الاشارة: «نعمي علي نفسي».

٢. الاربعون حديثاً، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

سورة الاخلاص^١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ٢ ﴿لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ﴾ ٣ ﴿وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ
كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ٤

[فضيلة السورة]

لما كانت سورة التوحيد تمثل «نسب» الحق تعالى، كما اشارت الى ذلك الاحاديث الشريفة، فقد روي عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «إن اليهود سألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا: انسب لنا ربك! فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثم نزلت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ...﴾ الى آخرها»^٢.

١. الاسم الآخر لهذه السورة هو التوحيد، وان كانت معروفة باسم الاخلاص . وجاء في بعض الروايات انها اشتهرت باسم سورة التوحيد لأنه سُئِلَ عن التوحيد و اشار الى هذه السورة. راجع: الصدوق، كتاب التوحيد، ص ٩٤، ح ٩ و ١٤.

٢. اصول الكافي، كتاب التوحيد - باب النسبة، الحديث الأول

لذا فإن العقول البشرية عاجزة عن فهم حقائقها ودقائقها وأسرارها، ولكن مع ذلك فإن ما يناله اهل المعرفة، وما تستفيده قلوب اهل الله منها مما لا يسعه ميزان العقل المجرد.

ولعمر الحبيب، فإن هذه السورة الشريفة من الأمانات التي تعجز عن حملها سماوات الارواح وأراضي الأشباح وجبال الإنيات، فليس من أهل لحملها سوى الإنسان الكامل (صلى الله عليه وآله) الذي عبر الحدود الإمكانية وتجرد عن ذاته. غير ان هناك بشارة تقرؤها أعين أهل آخر الزمان وتطمئن لها قلوب أهل المعرفة، وهي البشارة التي يزفها الحديث المروي في الكافي. يقول: «سئل الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) عن «التوحيد» فقال: إن الله عزَّ وجلَّ علم أنه يكون في آخر الزمان أقوامٌ متعمقون فأنزل الله تعالى «قل هو الله أحد...» والآيات من سورة الحديد الى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فمن رام وراء ذلك فقد هلك». يتضح من هذا الحديث الشريف، أن فهم هذه الآيات الشريفة وهذه السورة المباركة، هو من حق المتعمقين واصحاب الانظار الدقيقة، وأن دقائق التوحيد وأسراره مطوية فيها، وأن الحق تعالى قد أرسل لطائف العلوم الإلهية لأهلها، فلا يحق لمن ليس له نصيب من أسرار التوحيد والمعارف الالهية

١. هذه التعابير مستقاة من اسلوب القرآن في سورة الاحزاب، الآية ٧٢ التي تتحدث عن الامانة الالهية وتقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ﴾. وهنا أيضاً يقول هو: ان سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ من الأمانات التي عجزت سماء الأرواح وارض الاشباح وجبال الوجود عن حملها، والكَمَل من الناس فقط يستطيعون ادراك عمق هذه السورة، وبيانها تبعث الطمأنينة في قلوب اهل المعرفة. وكان أحد مصاديق الأمانة عرض القرآن وخاصة سورة الاخلاص على الموجودات.

٢. اصول الكافي، كتاب التوحيد - باب النهي عن الكلام في الكيفية، الحديث الرابع.

إبداء رأيه في هذه الآيات، كما لا يحق له حملها وقصرها على المعاني العامة السياقية التي يفهمها هو^١...

في حين إن المتعمقين واصحاب الفكر والمعرفة يدركون آية أسرار تنطوي عليها هذه الآيات، ويعرفون بأي كلام كريم وسرٍ عظيم كرم الله تعالى اهل آخر الزمان ومنَّ عليهم.

إن من يطالع كلَّ ما يتعلق بالمبدأ والمعاد في ضوء المعارف التي تعرضها الأديان الرائجة في العالم والمعارف التي يطرحها كبار فلاسفتها، ويقارنها بالمعارف الموجودة في الدين الاسلامي الحنيف وبما يطرحه حكماء الاسلام العظماء وعرفاء هذه الأمة الأجلاء، يدرك تماماً أن هذه المعارف هي من نور معارف القرآن الكريم واحاديث النبي الخاتم وأهل بيته (صلى الله عليهم) والتي استفادوها وأخذوها من ينبوع النور القرآني المغدق^٢، وعندها سيفهم أن الحكمة والعرفان الاسلامي ليسا من اليونان واليونانيين، لا بل إنه لا وجه للمقارنة بينهما اصلاً.

نعم! قد يكون بعض حكماء الاسلام - كالشيخ الرئيس - قد نحى منحى الحكمة اليونانية، غير أن حكمة الشيخ الرئيس لا تعدُّ من البضائع الرائجة في سوق اهل المعرفة وفي باب معرفة الربوبية والمبدأ والمعاد، فهي مما لا قيمة له

١ . ليس المقصود عدم تفسير السورة ابدأ حسب ظاهرها، بل كما يصرِّح انه لا ينبغي ان لا ينحصر ذلك التفسير أو يقتصر على المعاني الظاهرية وتفسير الالفاظ مع التفاضلي عمًا فيها من عمق.

٢ . في كتاب «آداب الصلاة»، ص ٣٠٤ وردت هذه الكلمة بهذا الشكل «اصطلام»، وهذه الكلمة لا وجود لها ولا لجذرها في اللغة. ولا بد ان يكون المراد هو الاصطلاح أو الاصطيد . واذا كانت «اصطلام» فهي بمعنى الاجتاث، واما اذا كانت «اصطياد» فتعني الانتزاع والاستخراج، والمعنى الاخير أوجه .

عند اهل المعرفة.

واجملاً، فإن نَسَبَ الفلسفة الحالية لحكماء الاسلام والمعارف الجليلة لاهل المعرفة، الى الحكمة اليونانية انما يدلل على عدم الاطلاع على كتب القوم ومصنفاتهم، مثل كتب الفيلسوف الاسلامي العظيم صدر المتألهين (قدس سره) وأستاذه العظيم المحقق الداماد (قدس سره)¹ وتلميذه الجليل الفيض الكاشاني (قدس سره) والتلميذ العظيم للفيض، العارف الإيماني الجليل القاضي سعيد القمي (قدس سره)². إن عدم الاطلاع على المعارف الالهية وما روي عن المعصومين (عليهم السلام) هو الذي أدى الى نَسَبَ كل فلسفة الى اليونان وعتدَّ الحكماء الاسلاميين تابعين للحكمة اليونانية.

لقد اوضحنا جانباً من الامور الدقيقة في سورة «التوحيد» الكريمة واشرنا الى بعض الاشارات التي تعكسها تلك الآيات الشريفة في كتاب «شرح الاربعون حديثاً حديثاً»³، كما اوردنا تفسيراً مختصراً لهذه السورة الشريفة في كتاب «سرّ الصلاة»⁴، وسنعرض هاهنا تفسيراً اجمالياً لها وعلى الله تنوكل.

١. الداماد، المير محمد باقر بن شمس الدين محمد، (م ١٠٣١هـ)، من علماء الامامية وفيلسوف كبير، جمع العلوم العقلية والنقلية. من كتبه: القبسات، التقييدات، سدرة المنتهى و حاشية على كتاب من لا يحضره الفقيه.

٢. محمد سعيد بن محمد مفيد القمي (وفاته ١١٠٣هـ) كان من علماء الحديث والحكمة والفنون الأدبية ولديه ميل شديد الى العرفان. من كتبه: الاربعون حديثاً، اسرار الصلاة، حاشية اثولوجيا، حاشية على الاشارات، حقيقة الصلاة، شرح توحيد الصدوق.

٣. راجع: الاربعون حديثاً، ص ٦٥٠ - ٦٥٤.

٤. راجع: سرّ الصلاة، ص ٩٣ - ٩٤.

[معنى بسم الله في هذه السورة]

اعلم انه اذا كانت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ المتصورة لهذه السورة متعلقة بها ذاتها - كما ألمحنا الى احتمال ذلك عند الحديث عن تفسير سورة «الحمد» المباركة - فقد يكون في ذلك اشارة الى عدم امكانية توضيح نَسَبِ الحق وبيان أسرار التوحيد بأنانية نفس السالك ولسانه. فالسالك ما لم يخرج من حجاب نفسه وما لم يتحقق بمقام المشيئة المطلقة وحضرة الفيض المقدس وما لم يفنى في الهوية المطلقة، فإنه لن يُدرك اسرار التوحيد.^١

﴿قُلْ﴾: أمرٌ من حضرة احدىة الجمع الى مقام البرزخية الكبرى ومرآة الجمع والتفصيل، بمعنى: قُلْ يا محمد - يا مرآة ظهور احدىة الجمع في مقام التدلي الذاتي أو المقام المقدس: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ «ولعل ذلك اشارة الى مقام «الفيض المقدس» - قل باللسان الفاني منك والباقي بقاء الله: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

اعلم ايها السالك لسبيل المعرفة والتوحيد والعارج في معارج التنزيه والتجريد، أنَّ الذات المقدسة للحق تعالى - من حيث هي - منزهة عن التجليات الظاهرة والباطنة ومبرأة من الاشارة والرسم والصفة والاسم، وأن آمال أهل المعرفة قاصرة عن بلوغ أذبال كبرياء تلك الذات المقدسة، وأن خُطى سلوك

-
- ١ . المقصود بالخروج من الأنانية هو الخروج من النزعة الذاتية وحب الأنا؛ لأن الإنية تعني العنور على الذات بالنفس، وهو اهتمام يؤدي عادة الى الغفلة عن الله . ولهذا ينبغي على السالك ازاحة هذا الحجاب والتسليم لمقام المشيئة المطلقة والفيض المقدس لكي يدرك التوحيد وراء البتار.
 - ٢ . لأنه في مقام الذات وهو مقام غيب الغيوب وقبل التجليات الأسمائية، وليس في ذلك العالم موضع يتسنى فيه للسالك الفهم والوصول. وهذه المسألة بينها سماحة الامام الخميني مرآت ومرآت في مناسبات مختلفة عند الكلام عن آيات سورتي الحشر والحديد . وهو يرى ان «هو» اشارة الى ذلك المقام، ويوضح هذا المعنى اكثر في الصفحات التالية.

أصحاب القلوب عاجزة عن الوصول الى حضرة قدسها، فغاية معرفة الاولياء الكَمَل هي «ما عرفناك» ومنتهى سير اصحاب الاسرار هو «ما عبدناك»^١. يقول امام اهل المعرفة وأمير اصحاب التوحيد عن هذا المقام الرفيع: «كمال الإخلاص نفى الصفات عنه»^٢. ويقول زعيم أهل السلوك وسيد الساجدين والعارفين بشأن هذه الحضرة المنيعة: «ضَلَّتْ فيك الصفات، وتفسخت دونك النعوت»^٣.

اما اصحاب السلوك العلمي والمصطلحات فيقولون عن الذات المقدسة: «الغيب المصون» و«السّر المكنون» و«العنقاء المُغْرِب» (بضم الميم وكسر الراء) و«المجهول المطلق». ويقولون: إن الذات - ودون حجاب الاسماء والصفات - لا تتجلى في أية مرآة وليس لها ظهور في أية نشأة من نشآت الوجود وعوالم الغيب والشهود، ولكن وبحسب: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^٤، فإن لذاته المقدسة أسماء وصفات وشؤوناً جمالية وجلالية، وله تعالى اسماء ذاتية في مقام الأحدية الذي يمثل مقام الغيب. ولا بد من القول بأن تلك الاسماء هي الاسماء الذاتية، فهو تعالى يتجلى بالفيض الاقدس ويتعین تلك الاسماء الذاتية، ومن هذا التجلي في كسوة الاسماء الذاتية يظهر ويتعين مقام «الواحدية» وحضرة «الاسماء والصفات» ومقام «الالوهية». يتضح اذن، أن بعد الذات المقدسة - من حيث هي - ثلاثة مقامات ومشاهد اخرى هي:

١ . اشارة الى الحديث المروي عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، «ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك». راجع: مرآة العقول، ج ٨، ص ١٤٦، كتاب الايمان والكفر، باب الشكر.

٢ . نهج البلاغة: الخطبة الاولى.

٣ . الصحيفة السجادية، الدعاء ٣٢.

٤ . الرحمن (٥٥): ٢٩.

- مقام الغيب «الأحدي».

- مقام التجلي «بالفيض الأقدس»، ولعل كلمة «عماء» الواردة في الحديث

النبوي

الشريف^١ تشير الى هذا المعنى.

- ومقام «الواحدية» وهو مقام الاسم الاعظم بأحدية الجمع، ومقام الاسماء

والصفات بالكثرة التفصيلية.

والحديث عن هذه المقامات يستلزم تفصيلاً لا يُدرك في هذه العجالة.

[الضمير هو في قل هو والاحتمالات العرفانية فيها]

والآن، وبعد اتضاح هذه المقدمة نقول: من الممكن ان تكون «هو» إشارة الى

مقام «الفيض الأقدس» وهو تجلي الذات بتعين الاسماء الذاتية، و«الله» إشارة الى

مقام «أحدية الجمع الاسمائي» وهو حضرة الأسم الاعظم. و«أحد» إشارة الى

«مقام الاحدية». وعليه، فالآية في صدد اثبات أن هذه المقامات الثلاثة ورغم أن

لها كثرة في مقام التكنير الاسمائي، هي في الحقيقة في منتهى الوحدة، وأن

التجلي بالفيض الأقدس هو ﴿الله﴾ بحسب مقام الظهور و«أحد» بحسب مقام

البطون.

١. راجع: عوالي اللئالي، ج ١، ص ٥٤، الفصل الرابع، ح ٧٩. جاء في رواية ان رسول الله حين سُئل:

أين كان ربنا قبل خلق السموات والأرض؟ قال: «كان في عماء». لمزيد من الاطلاع في ما

يخص هذا الموضوع ورأي الامام الخميني في هذا المجال، راجع: غفوريان، مجموعة آثار ٤،

من مقالات مؤتمر الأفكار الأخلاقية والعرفانية للامام الخميني، ج ٤، ص ٤٧٣. وفي مؤلفات ابن

عربي: الفتوحات المكية، ج ١، ص ١٤٨. وفي تراث الإمام، شرح دعاء السحر، ص ١١٥ وحاشية

على شرح الفصوص، ص ١٩-١٨.

وقد تكون ﴿هُوَ﴾ إشارة الى مقام الذات، وحيث انها إشارة غيبية فهي في الحقيقة إشارة الى مجهول.

و﴿الله﴾ و﴿أَحَدٌ﴾ إشارة الى مقامي «الواحدية» و«الاحدية»، وعليه فالآية الكريمة تعرف الذات - وهي المجهول المطلق - بالاسماء الذاتية والاسماء الواحدية الصفاتية.

وهي في الحقيقة اشارة الى ان الذات غيبٌ فلا تبلغها الآمال وأن صرف العمر في التفكير في الذات المقدسة يؤدي الى الضلالة.

اما معرفة أهل الله وعلم العلماء بالله فيقتصر على مقام «الواحدية» ومقام «الاحدية» و«الواحدية» لعام اهل الله، و«الاحدية» للخلص من اهل الله.



تنبيه حكيم

[الصفات الثبوتية والسلبية للحق تعالى ونقدها]

اعلم ان الحكماء يرون أن للحق تعالى صفات ثبوتية وصفات سلبية فيقولون: إن الصفات السلبية تعني سلب النقص.

ويقول بعضٌ منهم: ان الصفات الثبوتية هي صفات الجمال، والصفات السلبية هي صفات الجلال، وإن «ذا الجلال والإكرام» جامع لجميع الصفات السلبية والثبوتية.

وهذا الكلام بشقيهِ يخالف التحقيق.

فأما في القول الأول؛ فلائه اذا كان كما قالوا فسوف لا تكون الصفات السلبية

صفاتاً على التحقيق، إذ لا سلب في ذات الحق تعالى ولا سلب السلب. فالحق تعالى ليس متصفاً بالاوصاف السلبية، لأن الاتصاف بالسلب انما يكون في القضايا «المعدولة»، والقضية المعدولة لا يجوز عقدها مع الحق تعالى، لأن ذلك يصحح الجهات الامكانية ويستلزم التركيب في الذات المقدسة^١، في حين إن الاوصاف السلبية تثبت بطريق سلب الصفة، لا بإثبات صفة سلب السلب.

وبعبارة اخرى، أن النقائص مسلوقة عن الحق تعالى بالسلب البسيط، لأن سلب النقائص ثابت له عن طريق الإيجاب العدولي. وفي الحقيقة إن صفات التنزيه ليست صفاتاً، والحق تعالى متصف بالصفات الثبوتية فقط.

أما القول الثاني، فغير ثابت على التحقيق ايضاً؛ لأن صفات الجمال - عند أهل المعرفة - هي الصفات التي تجلب الأنس والتعلق، وصفات الجلال هي الصفات التي تجلب الرهبة والحيرة والهيمنان.

وعليه فإن ما يتعلق باللطف والرحمة هو من صفات الجمال، كالرحمن والرحيم واللطيف والعطوف والرب ونظائرها. اما المتعلق بالقهر والكبرياء، فهو من صفات الجلال، كالمالك والملك والقهار والمنتمق وامثالها وإن كان في سرّ كلّ جمال، جلال؛ لأن لكل جمال حيرة وهيماناً في باطنه، وهو يظهر على القلب بسرّ العظمة والقدرة. كما ان لكلّ جلال رحمة في باطنه، يأنس القلب بها أنساً

١. كل قضية اذا كانت فيها اداة السلب جزءاً من الموضوع أو المحمول أو كليهما، او بتعبير آخر: كل قضية يكون فيها الاسم غير المحصل جزءاً تسمى بالمعدولة. نذكر من ذلك مثلاً أن لفظ الأعمى والضرب والمكفوف يعتبر في اللغة العربية اسماً غير محصل، والقضية التي تتألف منه تسمى بالمعدولة. فعندما يُقال ان الله القدير ليس اعمى، كأنما حصل تركيب في الذات المقدسة، في حين ان الله بسيط، ولو كان مركباً لكان ممكن الوجود ويحتاج الى التركيب الذي جاء تفصيله في كتب الفلسفة، وهو ما لا يتماشى مع وجوده وقدرته.

باطنياً، فمثلما أن القلب مجذوب بالفطرة للجمال والجميل، كذلك فهو مجذوب للقدره والعظمة والقادر والعظيم.

فهذان النوعان من الصفات ثبوتيان، وليسا سلبيين.

فإذا اتضح لك هذا المطلوب، فاعلم ان «الله» وإن كان هو «الاسم الاعظم» الشامل لصفات الجمال والجلال والمحيط بها، لكنه يُطلقُ أحياناً على صفات الجمال في مقابل صفات الجلال، كما هي الحال في اعتبار أن الإلهية والألوهية ترتبط بصفات الجمال عموماً، خصوصاً إذا وقعت في مقابل صفة الجلال.

وعليه يمكن ان يكون «أحد» في الآية الشريفة: ﴿هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ إشارةً الى إحدى أمهات صفات الجلال، وهو مقام كمال بساطة الذات المقدسة، و«الله» إشارةً الى إسم الجمال.

إذن، فنسبة الحق تعالى في الآية الكريمة قد عُرِّفت بحسب المقامات - الأحدية والواحدية والتجلي بالفيض الاقدس - الثلاثة التي تمثل تمام الشؤون الالهية.

اما بناءً على الاحتمال الاول الذي ذكرناه قبل هذا التنبيه، فإن تعريف نسبة الحق تعالى يكون بحسب مقام الاسماء الجمالية والجلالية المحيطة بجميع الاسماء. والله العالم^١.

تنبيه عرفاني

[في مقام ظهور كلام المتكلم تجلي ذاته]

اعلم ان كلام ايّ متكلم هو تجلٍ لذاته بحسب مقام الظهور، وبروز لملكاته

الباطنية في مرآة الالفاظ بمقدار استعداد نسيج الالفاظ. فإذا كان القلب نورانياً نقياً من أدران عالم الطبيعة وكدوراته، يكون كلامه نورانياً؛ بل نوراً ايضاً، فنورانية القلب تلك تتجلى في رداء الالفاظ وقد ورد في شأن أئمة الهدى (عليهم السلام): «كلامكم نور»^١. وورد ايضاً: «لقد تجلّى الله في كلامه لعباده»^٢. وفي نهج البلاغة ورد قوله (عليه السلام): «إنما كلامه فعله»^٣. فالفعلُ تجلي ذات الفاعل دون كلام.

اما اذا كان القلب ظلمانياً كدرأ، كان فعله وقوله ظلمانياً كدرأ ايضاً فمثل ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾^٤ و: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾^٥. ولما كانت الذات المقدسة تتجلى واستناداً الى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ لِي شَأْنٌ﴾^٦ في رداء الاسماء والصفات على قلوب الانبياء والاولياء، وتختلف تجلياتها بحسب اختلاف قلوبهم، فتختلف الكتب السماوية النازلة على قلوبهم بواسطة ملك الوحي حضرة جبرائيل بحسب اختلاف تلك التجليات وبحسب اختلاف الاسماء التي تكون مبدأ لتلك الكتب، كذلك فإن اختلاف الانبياء وشرائعهم انما هو باختلاف درجة إحاطة وشمول الاسماء.



١. مقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة، راجع: عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٧٧.

٢. راجع: بحار الانوار، ج ٨٩، ص ١٠٧.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٨، ص ٧٣٧.

٤. ابراهيم (١٤): ٢٤.

٥. ابراهيم (١٤): ٢٦.

٦. الرحمن (٥٥): ٢٩.

[احاطة كل اسم بقدر سعته الوجودية ومظهريته يتناسب معه

أيضاً]

اذن، فالاسم الاكثر إحاطة وجامعية تكون الشريعة التابعة له اكثر إحاطة واكثر دواماً.

ولما كانت النبوة الخاتمة والقرآن الكريم وشريعة ذلك القائد العظيم (صلى الله عليه وآله) من مظاهر ومجالي او تجليات وظهورات المقام الأحدي الجامع وحضرة الاسم الاعظم، لذا كانت اكثر النبوات والكتب والشرائع احاطة وجامعية، فلا يتصور وجود نبوة او شريعة أكمل وأشرف منها، ولن يتنزل من عالم الغيب الى بسطة الطبيعة اسمى منها او شبيهاً لها. فهي آخر ظهور كمالي علمي فيما يتعلق بالشرائع، وليس من امكانية لنزول اسمى منها الى عالم الملك. فالرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) هو أشرف الموجودات والمظهر التام للاسم الاعظم، كما ان نبوته أتم النبوات الممكنة وهو بعدُ صورة هيمنة الاسم الاعظم الأزلية الأبدية.

كما أن الكتاب المنزل اليه (صلى الله عليه وآله)، نزل من مرتبة الغيب بتجلي الاسم الاعظم، ولهذا كان لهذا الكتاب الشريف أحدية الجمع والتفصيل وكان من «جوامع الكلم»^١، كما هو حال كلام ذلك السيد العظيم (صلى الله عليه وآله). وليس المراد من القول بأن القرآن الكريم او كلام الرسول الاكرم (صلى الله

١ . اشارة الى الحديث النبوي الشريف: «وأعطيت جوامع الكلم». راجع: الخصال، الباب الخامس،

عليه وآله) هو من «جوامع الكلم»، أنه يبين الكليات والضوابط الجامعة^١ - وإن كانت أحاديثه (صلى الله عليه وآله) وفق هذا المعنى هي من الجوامع والضوابط كما هو معلوم في علم الفقه - إنما المراد بجامعيته هو المعنى الآتي:

[درجات الفهم والادراك في القرآن]

لما كان القرآن الكريم قد أنزل من أجل جميع طبقات البشر، في جميع أدوار العمر البشري وليبتي جميع احتياجات بني الانسان؛ ولما كانت حقيقة النوع الانساني حقيقة جامعةً وواحدةً لكافة المنازل، بدءاً من المنزل الملكي الأسفل حتى أعلى مراتب الروحانية والملكوت والجبروت؛ ثم لما كان أفراد هذا النوع - بناءً على ما تقدم - مختلفين تماماً في هذا العالم الملكي الأسفل الى درجة يتمتع وجود مثلها بين أفراد أي من انواع الموجودات الاخرى، إذ يوجد بين بني الانسان الشقي منتهى الشقاء، والسعيد غاية السعادة، ومن هو أضل من البهائم، ومن هو أشرف من جميع الملائكة المقربين عموماً، حيث إن أفراد النوع الانساني مختلفون في الادراكات والمعارف، فإن القرآن الكريم قد أنزل بصورة تحقق الفائدة لجميع هؤلاء وكل حسب كمال إدراكه ومعارفه وبحسب درجته من العلم. فالآية الكريمة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^٢ مثلاً، يفهم اهل العرف واللغة منها جانباً يختلف عما يستفيده منها علماء الكلام وعما يستفيده

١. اشارة الى بحث حول شمولية ومفاد تعابير مثل: ﴿بَيْنَنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل (١٨): ٨٩)، وهو ما نوع هذه الشمولية التي يصرح بها . والمقصود هو بيان الكليات وذكر الضوابط الجامعة، وليس ذكر الجزئيات والامور القابلة للتفسير . وللإطلاع على المزيد من التوضيح حول هذا المعنى، راجع: جامعيت در قرآن (= الشمولية في القرآن) من تأليف محقق وكاتب هوامش هذا الكتاب.

الفلاسفة والحكماء او العرفاء والاولياء، فكلٌ يفهم منها أمراً معيناً.
 اهل العرف يفهمون منها - بحسب ذوقهم - بياناً خطائياً، فيقولون مثلاً: إن
 المملكة الواحدة لا تتسع لسلاطين أو إن وجود رئيسين في طائفة واحدة يؤدي
 الى الفساد، كما أن وجود عمدتين في قرية واحدة يؤدي الى الاختلاف
 والقوضى والتزاع.

وعليه لو كان في العالم إلهان، لأدى ذلك الى التنازع والاختلاف والتخاصم،
 ولما كان هذا الاختلاف غير موجود فعلاً في العالم، وإن نظام السماوات
 والارض محفوظ، فلا بد أن يكون مدبرُ العالم واحداً لا شريك له.

أما الكلاميون فيستفيدون من هذه الآية الكريمة برهان «التمانع»^١، فيما يقيم
 الفلاسفة والحكماء برهاناً حكماً متيناً استناداً الى هذه الآية الشريفة، فيقولون: إن
 «الواحد لا يصدرُ منه إلا الواحد، والواحد لا يصدر إلا من الواحد»^٢. في حين
 يستفيد اهل المعرفة من الآية الشريفة «الوحدانية» وذلك بناءً على أن العالم هو

-
١. مفاد برهان التمانع هو: لو كان في هذا العالم عدة الهة كما يزعم عبدة الأصنام، لكان كل واحدٍ منهم يدبر شؤون جزء من هذا العالم على حدة، ولكان لكل من الارض والسماء والبحار والغابات إله خاص بها. ونظراً الى اختلاف الالهة فلا بد ان يكون لكل بقعة من العالم نظماً الخاص بها، وفي هذه الحالة لا مناص من انحطار شؤون هذا العالم نحو الفساد والاضطراب، مع اننا نلاحظ كل اجزاء العالم مترابطة مع بعضها في تناسق وانسجام تام. وقد نقل صدر المتألهين تقريرات مختلفة لهذا البرهان ابتداءً من المعلم الأول والى غيره من الفلاسفة والمتكلمين، وفي النهاية ربط هذا الموضوع بهذا البيان القرآني. راجع: الأسفار الأربعة، ج ٦، ص ٩٢-٩٩، الفصل ٨.
 ٢. تشير هذه الجملة الى قاعدة في الفلسفة وهي ان الواحد لا يصدر منه الا الواحد، ولا يصدر عن الواحد الا الواحد. في هذا المجال، راجع: الإشارات والتنبيهات، ج ٣، ص ١٢٢ والاسفار الاربعة، ج ٢، ص ٢٠٤، الفصل ١٣.

مرآة ظهور الحق ومجلى تجليه! وهلمّ جراً من الاستفادات التي يطول ذكر كل واحدة منها.



[سورة التوحيد من جوامع كلم القرآن]

فإذا اتضحت لك هذه المقدمة، فاعلم ان سورة التوحيد، ولكونها كسائر ما في القرآن الكريم، هي من جوامع الكلم، فكلُّ فرد يستفيد منها على نحو معين. فعلماء اللغة وعلماء الظاهر يرون أن الضمير ﴿هُوَ﴾: ضمير شأن، و﴿الله﴾: علم الذات، و﴿أحد﴾: بمعنى «واحد» او بمعنى المبالغة في الوحدة. اي أنّ الله واحد او لا شريك له في الإلهية، او بمعنى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، او أنّه لا شريك له في الإلهية والقدم الذاتي، أو أن أفعاله واحدة، أي انها تكون إصلاحاً وإحساناً فلا تجر نفعاً اليه تعالى. و﴿الله الصَّمَدُ﴾: يعني السيد العظيم الذي يرجع اليه الناس في حوائجهم، أو أن «الصمد» هو الذي لا جوف له، وبذا فلا يتولد منه شيء، كما انه لم يتولد من شيء، فلا نظير له ولا شبهه، وهذا التفسير تفسير عرفي في مقابل ما كان للكفار من آلهة متعددة، موصوفة جميعها بالصفات الامكانية، لذا فقد أمر الرسول الأكرم بأن يقول لهم: إن إلهنا ليس كآلهتكم، فإلهنا صفاته كذا وكذا. وهذا تفسير للسورة وفقاً للطريقة العرفية المعتادة، وهو تفسير طائفة ما، وهو لا يتنافى مع المعنى أو المعاني

الأدق لهذه السورة، والتي ذكرنا بعضاً منها فيما تقدم.

تفسير حكيم [سورة قل هو الله]

يمكن تفسير سورة التوحيد المباركة والواردة لمتعمقي آخر الزمان، تفسيراً حكيمياً يوافق الموازين الحكيمة والبراهين الفلسفية كما يلي «علماً بأنني قد استغثته من الشيخ الجليل العارف الشاه آبادي»:

هو: اشارة الى صرف الوجود والهوية المطلقة، وفيه برهان على ستة امور حكمية سامية أثبتتها السورة المباركة للحق تعالى بعد ذلك.

الاول: مقام «الالوهية»، وهو مقام تمركز جميع الكمالات، ومقام احدية جمع الجمال والجلال. فمن الثابت المبرهن عليه - في مظانه من مصنفات الحكماء - أن صرف الوجود والهوية المطلقة هو صرف الكمال وإلا لزم انتفاء صرف الوجود.^١ ونكتفي هنا بالاشارة الى هذه الموضوعات، فبيانها مما يطول ويحتاج الى مقدمات.

الثاني: مقام «الاحدية»، وهو إشارة الى البساطة «أي: غير المركبة» النامة، العقلية، او الخارجية والماهوية الوجودية، والتنزه عن مطلق التركيبات العقلية سواء كانت جنساً أو فصلاً أو مادة وصورة عقلية، وعن التركيبات الخارجية

١. صرف الوجود هو الوجود البسيط الذي ليس فيه أي نوع من التركيب الخارجي أو الذهني، ومثل هذا الموجود في عالم الوجود واحد وهو واجب الوجود بالذات وهو ذاتي من كل جوانب وجوده. ومثل هذا الموجود واجب من كل جهة وحتى في الكمال. ولهذا فقد وضع صدر المتألهين قاعدة قال فيها: ان بسيط الحقيقة كل الاشياء، وبسيط الحقيقة كل الكمالات. في هذا المجال، راجع: سجادي، السيد جعفر، مصطلحات فلسفي صدر المتألهين الشيرازي، ص ٤٧.

سواء المادة والصورة الخارجية او الأجزاء المقدارية.

والبرهان على هذا المطلب هو نفس برهان صرف الوجود والهوية المطلقة، فلو لم يكن «الصرف» أحديّ الذات لاستلزم خروجه من الصرفية وانسلاخه من ذاتيته.

الثالث: مقام «الصمدية»، وهو اشارة الى نفي الماهية وانعدام الجوف، وهذا اشارة ايضاً الى عدم الماهية والنقص الإمكاناني فيه، لأن جميع الممكنات تنطوي على مرتبة من الذات هي بمنزلة وسطها وجوفها وهي فارغة، ولما كانت الذات المقدسة هي صرف الوجود والهوية المطلقة لذا فليس فيها إمكاناً - والذي تكون الماهية أصله - لأن الماهية منتزعة من الحدود الوجودية، واعتبارها انما هو من تعين الوجود، في حين ان صرف الوجود منزّه ومبرأ من الحدّ والتعین، لأن كل محدود هو هوية مقيدة ووجود مركب وليس مطلقاً وصرفاً.

الرابع: عدم انفصال شيء منه، لأن انفصال شيء من شيء يستلزم «الهولوجية»^٢ بل يستلزم الأجزاء المقدارية، وهذا يتنافى مع الهوية المطلقة وصرف الوجود. اما وجود المعلولات من العلة فلا يتم عن طريق الانفصال، وانما عن طريق التجلي والظهور والشأنية والصدور، بحيث لا يؤدي ذلك الصدور الى نقصان شيء من العلة، ولا يضيف اليها شيئاً برجوعه.

الخامس: عدم انفصاله هو عن شيء، فهذا إضافة الى ترتب المفسدة السابقة عليه - اذا افترض - فإنه ينافي صرف الوجود وإطلاق الهوية، فهو يستلزم وجود

١. الخلو والفراغ كناية عن ارتباط الممكنات وحاجتها؛ اي انها مرتبطة من الداخل وان لم يكن في

الخارج ما يدل على ذلك.

٢. الهولوجية تعني المادة التي تتصور على الدوام بصور شتى وتقلب الى احوال واشكال وهيئات

مختلفة. ومثل هذا الموجود له اجزاء، وبقاء وجوده مرتبط بوجود آخر.

شيء مقدّم على صرف الوجود، في حين ثبت في الفلسفة العالية أن صرف الوجود هو أقدم الأشياء وأن المتعين متأخر عن المطلق.

السادس: عدم وجود الكفؤ والنظير له، ونفي المثل والشبيه. وهذا ثابت ايضاً ببرهان «صرف الوجود»، اذ لا يُتصور وجود هويتين مطلقتين، كما أن «المطلق» و«المقيد» ليسا متشابهين ولا متناظرين.

ولكلٍ من هذه الموضوعات مقدمات وأسس لا يتسع المجال لعرضها.

[الحكمة المشرقية تفسير اشراقي لسورة الاخلاص]

اعلم ان هذه السورة المباركة مع كمال الاختصار الذي هي عليه، تشتمل على جميع الشؤون الالهية في مراتب التسبيح والتنزيه، وهي في الحقيقة نسبة للحق تعالى بما أمكن أن يرد في قالب الالفاظ ونسيج العبارات.

﴿هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ تنطوي على جميع حقائق صفات الكمال وتشتمل على كافة الصفات الثبوتية، وأما ﴿الله الصَّمَدُ﴾ حتى آخر السورة فهي «الصفات التنزيهية» والاشارة الى سلب النقائص، كما أن في السورة الشريفة إثبات الخروج من حدي «التعطيل» و«التشبيه» وكلاهما خروج عن حد الاعتدال وحقيقة التوحيد. فالآية الشريفة الاولى تشير الى نفي «التعطيل»، وبقية السورة تشير الى نفي «التشبيه»^٢، كما انها تشتمل على الذات - من حيث هي - وعلى مقام

١. ان كان الوجود واحداً، وفي كل موضع من الوجود وحدة وان كانت ذات مراتب من الشدة والضعف، الا ان ذلك الوجود الصرف الذي هو تمام الكمال، فذلك لا يقبل التكرار، والا لما كان بسيطاً.

٢. المقصود من نفي التعطيل ﴿قُلْ هُوَ اللهُ﴾ التي تشير الى الجانب الوجودي. وبقية الآيات تشير الى

الاحدية وهو التجلي بالاسماء الذاتية، ومقام «الواحدية» وهو التجلي بالاسماء والصفات، وكما مرَّ معنا تفصيله بالقدر المناسب.

تتمة [تفسير سورة بالاستعانة بمعارف اهل البيت]

روى الشيخ الصدوق^١ - رضوان الله عليه - عن أبي البخترى، وهب بن وهب القرشي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال: ﴿قُلْ﴾: أي أظهر ما أوحينا إليك ونبأناك به بتأليف الحروف قرآنًا لك ليتهدي بها من ألقى السمع وهو شهيد.

و ﴿هُوَ﴾: اسمٌ مكنى يشارُ به الى الغائب، فالهاء تنبيهٌ عن معنى ثابت، والواو إشارة الى الغائب عن الحواس كما أن قولك «هذا» إشارة الى الشاهد عند الحواس.

وهذه الإشارةُ إلى الغائب، لأنَّ الكفَّارَ تبهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك، فقالوا: هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار، فأشَرْتَ أنتَ يا محمدُ إلى إلهك الذي تدعو إليه، حتى نراه وندركه ولا نتألَّه فيه فأنزل الله «سبحانه وتعالى»: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: فالهاء تثبتُ الثابت، والواو تشير إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواس وإنه تعالى عن ذلك، بل هو مدركُ الأبصار ومبدعُ

الصفات التنزيهية ولسبب النفاض . وتعبير الصمد يشير الى عدم الخلو والخواء والى مسائل اخرى.

١ . محمد بن علي بن موسى بن بابويه القمي (٣٨١هـ) من كبار علماء الامامية ومشايخ الحديث والفقهاء . ذُكر له من المؤلفات ما يناهز الثلاثمائة، منها: من لا يحضره الفقيه، اكمال الدين واتمام النعمة، الخصال، التوحيد، عيون أخبار الرضا، الأمالي، معاني الأخبار، علل الشرايع، الهداية و...

الحواس.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «معناه [الله] المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيته والإحاطة بكيفيته، ويقول العرب: أله الرجل إذا تحير في الشيء فلم يحط به علماً، و«وله» إذا فزع الى شيء مما يحذره أو يخافه؛ فالإله هو المستور عن الحواس».

وقال الباقر (عليه السلام): «الأحد»: الفرد المتفرّد والأحدُ والواحدُ بمعنى واحد، وهو المتفرد الذي لا نظير له.

والتوحيد: الإقرار بالوحدة، وهو الانفراد، والواحد: المتباين الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء، ومن ثم قالوا: إن بناء العدد من الواحد، وليس الواحد من العدد، لأن العدد لا يقع على الواحد، بل يقع على الاثنين فمعنى قوله «الله أحد»: أي المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته، فرّد بألّهيته متعال عن صفة خلقه.

وقال الباقر (عليه السلام): «وحدثني أبي زين العابدين (عليه السلام) عن أبيه الحسن بن علي (عليهما السلام) أنه قال: ﴿الصَّمْدُ﴾ الذي لا جوف له، و﴿الصَّمْدُ﴾ الذي انتهى سؤدده، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب، والصمد الذي لا ينأم، والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال».

قال الباقر (عليه السلام): «كان محمد بن الحنفية يقول: الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره» وقال غيره: «الصمد المتعالي عن الكون والفساد، والصمد الذي لا يوصف بالتغاير».

قال الباقر (عليه السلام): «الصمدُ السَيِّدُ المطاع الذي ليس فوقه أمرٌ وناه».

وقال: «سُئِلَ علي بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام) عن الصمد فقال: «الذي لا شريك له ولا يؤوده حفظُ شيء ولا يعزبُ عنه شيء».

قال وهب بن وهب القرشي: قال زيد بن علي (عليه السلام) «الصمد الذي: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾»، والصمد الذي أبداع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً وتفرد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند». وقد نقل وهب بن وهب أيضاً كلاماً للإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) في تفسير الصمد، وكلاماً عن الباقر (عليه السلام) في أسرار حروف الصمد، ثم قال: قال الباقر (عليه السلام): «لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله (عزَّ وجلَّ) حملةً لنشرتُ التوحيد والإسلام والايمان والدين والشرائع من الصمد، وكيف لي بذلك؟! ولم يجد جدي أمير المؤمنين حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين الجوانح مني علماً جمّاً، هاهاه، ألا لا أجد من يحمله؟».

خاتمة فضل السورة من وجهة نظر الروايات

نختتم هذا المبحث بذكر بعض الأحاديث الشريفة الواردة في فضل هذه السورة المباركة، وإن كانت الاحاديث في فضلها أكثر من أن تدرج في هذا المختصر.

في الكافي مسنداً إلى باقر العلوم (عليه السلام): «مَنْ قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ مرّةً بورك عليه؛ ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله؛ ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جيرانه؛ ومن قرأها اثنتي عشرة مرّة بنى الله له اثني عشر قصرًا في الجنة، فيقولُ الحفظةُ: اذهبوا بنا إلى قصور أخينا فلان، فننظر إليها؛ ومن قرأها

١ . اشارة الى الآية الشريفة: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، يس (٣٦): ٨٢ .

٢ . التوحيد: ص ٨٨، باب تفسير ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾.

مئة مرة غفرت له ذنوبُ خمس وعشرين سنة ما خلا الدماء والأموال؛ ومن قرأها أربع مئة مرة كان له أجر أربع مئة شهيد كلهم قد عُقر جواده وأريق دمه، ومن قرأها ألف مرة في يوم وليلة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة أو يرى له^١.

وفي الكافي أيضاً مسنداً إلى الإمام الباقر (عليه السلام) الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) «مَنْ قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ مئة مرة حين يأخذُ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة»^٢.

وفيه عن الإمام الصادق (عليه السلام): «كان أبي صلوات الله عليه يقول: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ربع القرآن»^٣.

وفيه عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إن النبي (صلى الله عليه وآله) صلى على سعد بن معاذ فقال: لقد وافى من الملائكة سبعون ألفاً وفيهم جبرئيل (عليه السلام) يصلون عليه، فقلت له: يا جبرئيل بما يستحق صلاتكم عليه؟ فقال: بقرائه ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً»^٤.

وفي الوسائل نقلاً عن المجالس ومعاني الأخبار بإسناده الى الإمام الصادق (عليه السلام) - عن آبائه العظام ضمن حديث عن سلمان (رضي الله عنه) - أنه قال: «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «مَنْ قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ مرّة، فقد قرأ ثلث القرآن، ومَنْ قرأها مرتين، فقد قرأ ثلثي القرآن، ومَنْ قرأها ثلاثاً، فقد ختم القرآن»^٥. وروي في ثواب الأعمال أنه: «مَنْ مضت

١. اصول الكافي، ج ٤، ص ٢٥٥، كتاب فضل القرآن، الحديث الأول.

٢. المصدر السابق، ح ٤.

٣. المصدر السابق، ح ٧.

٤. المصدر السابق ح ١٣.

٥. وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، ابواب قراءة القرآن، الباب ٣١، الحديث الخامس؛ معاني الأخبار: ص ٢٣٤.

له جمعة ولم يقرأ فيها ب﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم مات، مات على دين أبي لهب^١.

وقد نقل صاحب المستدرک أحاديث طويلة وكثيرة في فضل هذه السورة المباركة، فليراجع من أراد، كتابي المستدرک والوسائل^٢ والحمد لله^٣.

[بيان آخر للاحتتمالات العرفانية في بسم الله السورة]

اعلم أن الاحتمالات الموجودة في بسم الله من سورة الحمد ومتعلقة موجودة في هذه السورة أيضاً ولكن هنا بمناسبة تعلقه ب﴿قُلْ هُوَ﴾ وهو ترجمان مقام الذات المقدس من حيث هي أو مقام غيب الهوية أو مقام الأسماء الذاتية فلا بد لسالك أن يكون في حالة الاستهلاك في كل من هذه المقامات. ويكون قائلاً بالكلمة الشريفة ﴿هُوَ﴾ برفض التعينات الأسمائية والصفاتية مطلقاً فالاسم في هذا المقام يمكن أن يكون التجلي الغيبي بالفيض الأقدس الرابط بين الذات والأسماء والصفات الذاتية أو الغيب والأسماء الصفاتية. فكأنه قال يا محمد ﷺ المنسلخ عن أفق الكثرة والتعين الرافض غبار كثرة الأسماء والصفات والتعينات بقدم العشق والمحبة بمقام التجلي بالفيض الأقدس في مقام غيب الهوية والوحدة الصرفة: قل هو، وهو إشارة إلى مقام الذات أو غيب الهوية أو للأسماء

١. ثواب الأعمال، ص ١٥٦.

٢. راجع: الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٨٦٦، كتاب الصلاة، ابواب قراءة القرآن، الباب ٣١

و ٣٣، الثوري، الميرزا حسين، مستدرک وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، ابواب قراءة القرآن، الباب

٢٤ و ٢٦.

٣. آداب الصلاة، ص ٣٠١ - ٣١٨.

الذاتية، وهو مع أنه الغيب المطلق هو الله مقام جمع الأسماء وحضرة الواحدية ولا تنافي هذه الكثرة الأسمائية الوحدة والبساطة المطلقة فهو أحدٌ. ومع أن الكثرة الكمالية تنطرق فيه بل هي مبدأ تلك الكثرة فهو الصمد والمنزّه عن مطلق النقائص فليس له ماهية وإمكان وجوف فلا يفصل منه شيء ولا يفصل هو من شيء وإليه ينتهي جميع دار التحقق ظهوراً وتجلياً وهي فانية في ذاته وأسمائه وصفاته وجوداً وصفةً وفعلاً وليس له مثل ومثال وكفو وشريك، فهو إشارة إلى مقام الغيب كما ورد في الحديث^١ أيضاً والله إشارة إلى مقام الأسماء الكمالية والواحدية وهو مقام الاسم الأعظم ومن أحد إلى آخر السورة الأسماء التزيهية، فالسورة الشريفة هي نسبة الحق بجميع المقامات، ويمكن أن يكون هو إشارة إلى الذات من حيث هي ﴿أَحَدٌ﴾ إشارة إلى الأسماء الذاتية للحق جل وعلا والعلم عنده.^٢



[اظهار العجز عن فهم حقيقة السورة]

إعلم أن تفسير هذه السورة المباركة - سورة التوحيد - والآيات الأولى من سورة «الحديد» أكبر من طاقة استيعاب أمثالنا، وأعظم من قدراتنا الفكرية والعقلية. والتطرق إلى ذلك يكون خارجاً عن وظيفتنا. وعليه فهل الإنصاف يسمح لأمثالي اللولج في تفسير ما أنزله الحق المتعالي على أشخاص متعمقين

١ . الصدوق، التوحيد، ص ٨٨

٢ . سر الصلاة، ص ٩٤ - ٩٣.

وعلماء محققين؟

ففي «تفسير البرهان» عن الإمام باقر العلوم (عليه السلام) بعد عرضه صلوات الله عليه نبذة من أسرار حروف الصمد المباركة أنه قال: «لَوْ وَجَدْتُ لِعَلْمِي الَّذِي آتَانِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَمَلَةً لَنَشَرْتُ التَّوْحِيدَ وَالْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَالذِّينَ وَالشَّرَائِعَ مِنَ الصَّمَدِ» ...

وملخص القول: أن أمثال الكاتب ليس من فرسان هذا الميدان،^١ ولكن العقل يحكم بأن الميسور لا يسقط بالمعسور^٢، فلا بد من عرض نبذة يسيرة ومختصرة مما تلقينته من العلماء العظام، وكتب أرباب المعرفة، ومصايح أنوار الهداية، أهل بيت العصمة (عليهم السلام) ومن الله الهداية.

معنى بسم الله في ما يتعلق بهذه السورة

لنعلم أن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ من كل سورة، تتعلق على مذهب أهل العرفان بنفس السورة المبدوءة بها، ولا تكون متعلقة بـ«أَسْتَعِينُ» أو أمثاله. لأن اسم ﴿اللَّهُ﴾ يكون تمام المشيئة حسب مقام الظهور، ويكون مقام الفيض الأقدس، حسب تجلي الأحد، ومقام جمع أسماء الأُحد، حسب مقام الواحد.^٣ ويكون جميع العالم، حسب اعتبار أحدية الجمع الذي هو الكون الجامع. وهو مراتب الوجود في

١. تفسير البرهان، ج ٤ ص ٥٢٦.

٢. الفارس هنا كناية عن يتسابق على الخيل ويصول ويجول في الميدان.

٣. إشارة الى قاعدة التي تقول: الميسور لا يسقط بالمعسور.

٤. كما اشار عدة مرات، هناك فارق بين مقام الواحدية والأحدية. ففي مقام الفيض الأقدس بحسب تجلي الله باسم الذات، لا بالاعتبار والنسب والاضافات، بينما في مقام الواحدية تجلي الحق باعتبار الأسماء والصفات.

السلسلة الطولية: الصعودية والزولية، وأنه كل واحد من الهويات العينية في السلسلة العرضية. وبناءً على ذلك يختلف معنى ﴿الله﴾ حسب اختلاف الاعتبارات في الاسم، لأن ﴿الله﴾ يكون المسمى لتلك الأسماء فعند اختلاف الاعتبارات، يختلف المفهوم من ﴿الله﴾ وعليه، يختلف معنى ﴿بِسْمِ الله﴾ في كل سورة لاختلاف متعلقه من سورة لأخرى من السور القرآنية التي هي متعلقه في اللفظ ومظهره في المعنى. بل يختلف معناه، على ضوء اختلاف الأفعال والأعمال التي تصدر من الإنسان والتي تبتدىء «ببسم الله» لأنه يتعلق ويرتبط بذلك العمل الخاص والفعل المعين الذي أبتدأ ببسم الله. والعارف بالمظاهر، وظهور الأسماء الإلهية، يرى ويشاهد بأن جميع الأفعال والأعمال والأعيان والأعراض ظاهرة ومتحققة بالاسم الشريف الأعظم، وبمقام المشيئة المطلقة. وعند إنجازها وإيجاده لفعل وعمل يتذكر بقلبه العارف، هذا المعنى، ويسرى به متنازلاً حتى مرتبة ملكه وطبيعته ثم يقول بسم الله أي بسبب مقام المشيئة المطلقة، لصاحب مقام الرحمانية الذي هو بسط الوجود، ومقام الرحيمية الذي هو بسط مقام كمال الوجود. أو بسبب مقام المشيئة المطلقة لصاحب مقام الرحمانية الذي هو مقام التجلي بالظهور وبسط الوجود، ومقام الرحيمية الذي هو مقام التجلي بالباطن وقبض الوجود، آكُلُ وَأَشْرَبُ وَأَكْتَبُ، وَأَفْعَلُ كَذَا وكذا...

فالسالك إلى الله والعارف بالله يرى من جهة، ظهور المشيئة المطلقة في جميع الأفعال والموجودات وفناء تلك المشيئة فيها، ويرى من خلال هذا المنظار هيمنة سلطان الوحدة، ويكون لديه معنى ﴿بِسْمِ الله﴾ في جميع السور القرآنية والأعمال والأفعال بمعنى واحد. ومن جهة أخرى عندما يلتفت إلى عالم الفرق - الكثرة والاختلاف - وفرق الفرق، يرى لكل واحد من ﴿بِسْمِ الله﴾ في أول كل

سورة وبدء كل عمل، معنى يفاير المعنى الآخر.^١

[بيان آخر لبسم الله في السورة]

وفي هذا المقام الذي نحن بصدد تفسير سورة «التوحيد» المباركة، نستطيع أن نجعل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، متعلقة بـ«قل» هذه الكلمة الشريفة، وعليه يكون المقصود من «بِسْمِ اللَّهِ» عند كسوة التجريد، وغلبة التوحيد، مقام المشيئة المطلقة. وعند كسوة التكثير يكون مقام المقصود الانتباه إلى كثرات التعينات. وفي مقام الجمع بين المقامين الذي هو مقام البرزخية الكبرى، يكون المقصود «المشيئة» في مقام الوحدة والكثرة، ومقام الظهور والبطون ومقام «الرحمانية» و«الرحيمية» على المعنى الثاني - المتقدم قبل أسطر.. - وحيث أن الآية الشريفة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تجمع بين الأحدية الغيبية، والألوهية الأسمائية، كان المقصود من «اسم الله»، المقام الثالث وهو مقام البرزخية الكبرى.

ثم يأتي الخطاب بعد مقام الغيب الأحدي، متوجهاً إلى القلب التقى النقي الأحدي الأحدي المحمدي، قائلا: ﴿قُلْ﴾، ويكون هذا الخطاب حسب هذه النشأة البرزخية الكبرى التي هي مظهر اسم الله، الذي هو مقام المشيئة المطلقة وصاحب التعين وظهور الرحمانية في عين الرحيمية، وصاحب البسط في نفس الوقت الذي هو صاحب القبض.

١. وبعبارة أخرى يمكن التلطف بعبارة بسم الله من زاويتين؛ من زاوية العارف الذي طوى جميع المقامات ووصل إلى ظهور المشيئة المطلقة وفنى في الله. وفي هذه الحالة يكون معنى كل واحدة من البسمات في أي من السور واحداً، ولا فارق بينها من حيث المعنى. ولكن إذا وصل إلى مقام ادنى ووضع قدمه في مرتبة الفرق بين الأسماء، فعند ذلك يبدأ كل عمل بذكر اسم الله وبما يتناسب مع ذلك العمل، وتتخذ البسملة معناها بما يتناسب مع ذلك المقام.

«هو»: وهذه الكلمة الشريفة، إشارة إلى مقام «الهوية المطلقة» من حيث هي هي من دون أن تتعين بتعين الصفات أو تتجلى بتجلي الأسماء، حتى الأسماء الذاتية التي تعتبر في مقام الأحدية، ولا يمكن أن تكون هذه الإشارة من غير صاحب ذلك القلب التقى النقي الأحدي الأحدي ومن غير صاحب هذا المقام العظيم. وإن لم يكن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) مأموراً بإظهار نسب الحق المتعالي، لما تفوه بهذه الكلمة الشريفة في الأزل والأبد. ولكن جرى في قضاء الله سبحانه أن ينطق النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله)، بهذه الإشارة - ﴿هُوَ﴾ - ولما لم يستمر (صلى الله عليه وآله) في الجذبة المطلقة، وحاز على مقام البرزخية وقال صلوات الله عليه: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

و﴿الله﴾ هو الاسم، الجامع الأعظم، للرب المطلق، للخاتم. وإن ما ترى العين البرزخية، من كثرة الأسماء في مقام ظهور الواحدية، هي نفس التجلي الغيبي الخفي في مقام الأحدية، فلاغلبة، في قلب مثل هذا السالك لمقام الأحدية على مقام الواحدية، ولاغلبة لمقام الواحدية على مقام الأحدية.

ولعل السبب في تقديم «الله» على «أحد» مع أن الأسماء الذاتية - الله - متقدمة اعتباراً على الأسماء الصفاتية - أحد - إنما هو لأجل الإشارة إلى مقام التجلي في قلب السالك، حيث أن التجليات الذاتية على قلوب الأولياء تبتدىء أولاً بتجلي الأسماء الصفاتية الموجودة لدى حضرة الواحد - الأسماء الصفاتية الواحدية - ثم يتم التجلي بالأسماء الذاتية الأحدية.^١

١. لأن مراتب سلوك ومعرفة السالك تبدأ من الأسفل إلى الأعلى ومن أسماء الأفعال، ثم أسماء الصفات، وبعدها اسم الذات وتجلي الأسماء الذاتية مهما كان مقدماً في الاعتبار، غير أنه متأخر في ترتيب وصول السالك.

والسرّ في انتقاء اسم «الله» من مجموع أسمائه سبحانه - مع أن قلب السالك حسب كيفية السلوك، وكيفية التجلي، يتجلى أولاً بكافة الأسماء على ضوء مناسبات قلب السالك، هذه الأسماء التي تكون مظاهر لاسم الله سبحانه ثم يتجلى القلب في نهاية السلوك في الأسماء الصفاتية باسم الله - والسرّ في اصطفاة هذا الاسم المبارك يمكن أن يعود إلى أحد أمرين: إما إشارة إلى أن التجلي بأي اسم من أسماء الله، هو تجلي باسم «الله» من باب اتحاد الظاهر والمظهر، خصوصاً لدى الحضرة الإلهية. وإما إشارة إلى نهاية سلوك «الواحد» حيث أنه لو لم تتحقق لما ابتدأ بالسلوك «الأحد».

وملخص الكلام: أنه بناء على البيان المذكور يكون ضمير «هو» إشارة إلى مقام إنقطعت عنه آمال العارفين وإيماءاتهم، ويتقدّس عن كل اسم ورسم ويتنزّه عن كل تجلٍ وظهور. و«أحد» إشارة إلى تجلي الأسماء الباطنية الغيبية. و﴿الله﴾ إشارة إلى تجلي الأسماء الظاهرية. وبهذه الأمور الثلاثة: - هو - الله - أحد - تحصل الاعتبارات الأولية لحضرة الربوبية. وأن الأسماء الأربعة الأخرى - الصمد - لم يلد - لم يولد - لم يكن له كفواً - التي يكون «الصمد» جامعاً لها، من الأسماء السلبية التنزيهية، التي تعتبر تبعاً للأسماء الثبوتية الجمالية، كما أشير إليه في نهاية حديث من الأحاديث المتقدمة^١.

١. قال الإمام الباقر (ع) فقال: الله أحد، الله الصمد. ثم فسره فقال: لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. توحيد الصدوق، ص ٩١، الباب ٤ ح ٣ ص ٥٢٥.

٢. أصول الكافي، ج ١، ص ١٢٤، كتاب التوحيد، باب تأويل الصمد، ح ٢. في هذا الحديث جاء الصمد مصمود إليه؛ أي مقصود إليه. ووفقاً لهذا المعنى رغم انه عز وجل يقول: ﴿ليس كمثلته شيء﴾ (الأسماء السلبية التنزيهية) الا انها باعتبار ثبوتية؛ وذلك لأن «السيد الصمد الذي جميع الخلق من الجن و الانس اليه يصمدون في الحوائج، و اليه يلجأون عند الشدائد» فهو عز وجل

هذا كله على القول بأن ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ متعلق بالكلمة الشريفة: ﴿قُلْ﴾.

ونستطيع أن نجعل ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ متعلقاً بكل واحد من كلمات هذه السورة المباركة وعليه يختلف تفسير هذه السورة وتفسير بسم الله من متعلق إلى آخر. وحيث أن عرض ذلك يسبب التفصيل والتطويل، غرضنا الطرف عنه.

يقول شيخنا العارف الكامل الشاه آبادي روعي فداه: إِنَّ ﴿هُوَ﴾ برهان على الأسماء والكمالات الستة المذكورة عقيب هذه الكلمة المباركة - هو - في سورة «التوحيد» الشريفة. لأن الذات المقدسة حيث أنه يكون مطلقاً مثل ﴿هُوَ﴾ الذي يعتبر إشارة إلى صرف الوجود يكون مستجعماً لجميع كمالات الأسماء. فيكون ﴿الله﴾. وحيث أن صرف الوجود، ببساطة حقيقته يكون جامعاً لكل الأوصاف والأسماء، من دون أن تتلم هذه الكثرات الأسمائية لوحدة الذات المقدسة، كان أحداً^١ وحيث أنه لاماهية لصرف الوجود كان صمداً. وحيث أن صرف الوجود

السيد المقصود والمطلوب الذي توجه إليه المخلوقات كلها وتطلب منه قضاء حوائجها، وتلجأ إليه عند الشدائد والمللمات وترجوه لحل مشاكلها ودوام نزول النعمة عليها. ووفقاً لهذا التفسير لمعنى الصمد، فهو تعالى ليس له شبيه ولا نظير يشابهه. وفي هذه الحالة وصفه ثبوتي.

١. اتلام وحدة الذات المقدسة تكون حينما تنتهي كثرة الأسماء هذه الى تركيب وتنوع الذات ولكن اذا كانت هذه الحقيقة بسيطة ووجوداً شاملاً ومنبسطاً، فهذه الأسماء كلها تعود الى حقيقة واحدة وتنبئ عن حقيقة واحدة. ويمكن الاطلاع على تفصيل هذا الموضوع في قاعدة بسيط الحقيقة كل الأشياء وكل الكمال وأصل الوحدة في الكثرة في العرفرفان. في هذا المجال،

لا ينتقص. ولا يحصل من الغير ولا يتكرر «لم يكن والداً ولا مولوداً وليس له كفوءاً» انتهى.



[معنى الصمد في أخبار أهل البيت]

ولابد من معرفة أنه قد ورد في الأحاديث الشريفة معاني وأسرار كثيرة لـ ﴿الصَّمَدُ﴾ لو أردنا عرضها وبيانها، لخرجنا عن نطاق حجم الكتاب، ولافتقرنا إلى وضع رسالة أخرى من ذلك. ولكننا نشير إلى أمر واحد هو: أن ﴿الصَّمَدُ﴾ لو كان إشارة إلى نفس الماهية، حسب بعض الاعتبارات ومعاني «الله» في: ﴿الله الصَّمَدُ﴾ لكان - الصمد - من اعتبارات مقام الواحدية ومقام أحدية جمع الأسماء. وإن كان إشارة إلى صفة إضافية - كما يستفاد من بعض الروايات^١ - لكان - الصمد - إشارة إلى أحدية جمع الأسماء لدى التجلي بالفيض المقدس، وكان

راجع: صدر المتألهين، شواهد الربوبية، ص ٣٣.

١. المقصود من هذه الروايات، الأخبار التي بينت وصفاً خاصاً لله، مثل: «إن الرحمن اسم خاص لصفة عامة و الرحيم اسم عام لصفة خاصة، أو الرحمن بجميع خلقه و الرحيم بالمؤمنين خاصة» راجع: راجع: الصدوق، معاني الأخبار، ص ٣، بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٢٩.

معناه موافقاً مع قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ﴾^١.



١ . النور: ٣٠. وفقاً لمعنى هذه الآية، «الله» مقام الظهور بالفيض المقدس. وإن كان المراد بالاسم التعيّنات الوجودية واطلاق الله عليها من حيث اتحاد الظاهر والمظهر وفناء الاسم في المسمى، ولا اشكال في ذلك من حيث هذا الجانب. ولكن هناك أيضاً احتمالات اخرى يمكن الاطلاع عليها في ذيل الآية في كتاب الاربعون حديثاً، ص ١٨٤ و ٤١٨ وكذلك كتاب آداب الصلاة، ص ٢٤٥.

٢ . الاربعون حديثاً، ص ٦٥٠ - ٦٥٤.

سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ١ ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ٢ ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ٣
﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ ٤ ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ٥

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ١ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ٢ ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ ٣ ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ
الْخَنَّاسِ﴾ ٤ ﴿الَّذِي يُوسَسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ٥ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

[الإنسان مظهر جامع لجميع المراتب]

واعلم ان الإنسان هو الكون الجامع لجميع المراتب العقلية و المثالية و الحسية، منظر فيه العوالم الغيبية و الشهادية و ما فيها؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^١. و قال مولانا و مولى الموحدين، صلوات الله عليه:
أ تزعم أنك جرمٌ صغير و فيك انطوى العالمُ الأكبر^٢
فهو مع الملك ملك، و مع الملكوت ملكوت، و مع الجبروت جبروت...
فهو خليفة الله على خلقه، مخلوق على صورته، متصرف في بلاده، مخلّع

١. البقرة (٢): ٣١

٢. يُنسب الى الإمام علي (ع)، ص ١٣٤ وشرحه حسين بن معين الدين المييدي، ص ٢٦٩، (باختلاف ضئيل) كما اشرنا من قبل الى ان هذا الأشعار من الأبيات التي تُنسب الى امير المؤمنين، وهي في الواقع لعلي بن ابي طالب القيرواني. حول صحة انتساب هذه الأشعار الى الامام علي، وما طرح في هذا المجال من آراء و قضايا، راجع: مقدمة هذا الشرح، وكذا دانشنامه امام علي (موسوعة الامام علي)، ج ١٢، ص ٢٢٠.

بخلع اسمائه وصفاته، نافذ في خزائن ملكه وملكوته، منفوخ فيه الروح من الحضرة الالهية، ظاهره نسخة الملك و الملكوت و باطنه خزانة الحي الذي لا يموت. و لما كان جامعاً لجميع الصور الكونية و الالهية، كان مربى بالاسم الاعظم المحيط بجميع الاسماء و الصفات، الحاكم على جميع الرسوم و التعينات.

[لزوم رعاية ما بين الاسم والمقام اثناء قراءة الاسم]

فالحضرة الالهية ربّ الانسان الجامع الكامل؛ فينبغي له ان يدعو ربه بالاسم المناسب لمقامه و الحافظ له من منافراته. ولهذا استعيد بالله من الشيطان الرجيم دون سائر الأسماء، و صار مأموراً بالاستعاذة برب الناس في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ من شرّ الذي ينافر مرتبته و كمالاته، و هو الوسوسة في صدره من الموسوس القاطع لطريقه في سلوك المعرفة....

فالمتكفل لعوده من اسفل السافلين، و استرجاعه من الهاوية المظلمة إلى دار كرامته و امانه، و اخراجه من الظلمات الى النور، و حفظه من قطاع طريقه في السلوك هو الله؛ كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

فالسالك في سلوكه بقدم المعرفة الى الله، بمنزلة مسافر يسافر في الطريق الموحش المظلم الى حبيبه. و الشيطان قاطع الطريق في هذا المسلك، و الله تعالى هو الحافظ باسمه الجامع المحيط. فلا بد للداعي و السالك من التوسل و التضرع الى حافظه و مربيه بقوله: «اللهم» أو «يا الله». و هذا سرّ تصدر اكثر

الادعية به. وان كان التمسك بسائر الاسماء الالهية ايضاً حسناً بنظر آخر، و هو استهلاك التعينات الأسمائية و الصفاتية في احدية الجمع.^١



[كيفية الاستعاذة قبل السير والسلوك]

ونستعينك - ياربنا - ونعوذ بك من شر الوسواس الخناس، القاطع لطريق الانسانية السالك بأوليائه الى جهنم مهوى الطبيعة الظلمانية.^٢

[شرط تأثير الاستعاذة]

إن الانسان مادام مقيماً في بيت النفس والطبيعة، غير مبادر الى القيام بالسفر الروحاني والسلوك الى الله، ومادام خاضعاً للسلطة الشيطانية بكافة شؤونها ومراتبها، فهو ما يزال غير متلبس بحقيقة الاستعاذة بعد، ولقلقة لسانه لا فائدة ترتجى منها، اللهم في تثبيت وترسيخ السلطة الشيطانية، إلا اذا شملته الألفاظ والأفضال الإلهية.

اما اذا تأهب للسير والسلوك الى الله وشرع بالسفر الروحاني، فإن ما يعترض طريقه مادام في هذا السير والسلوك هو شيطانه، سواء كان من قوى الروح الشيطانية او من الجن والإنس، ذلك لأن الجن والإنس لا يصبحان عقبة في الطريق وسدّاً أمام السلوك الى الله، إلا بدفع من الشيطان ونتيجة لسلطته عليهما،

١. شرح دعاء السحر، ص ٧-٩.

٢. صحيفة الامام، ج ١، ص ٤، رسالة وجهها الى الميزا جواد الهمداني؛ الوصايا العرفانية - الأخلاقية.

والإشارة الى هذا المعنى واضحة في سورة الناس المباركة، اذ يقول جل وعلا: ﴿... شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، حيث يستفاد من الآيات الكريمة أن الشيطان اذا كان من الجن، فإن الوسواس الخناس - وهو الشيطان - جني بالأصالة وإنسي بالتبعية. اما اذا كان الشيطان حقيقة اخرى شبيهة بالجن، يكون المستفاد من الآيات الكريمة أن هذين النوعين - اي الجن والإنس - انما هي مظاهر وتمثلات شيطانية، وهناك اشارة اخرى الى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿شَیَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^١. والاشارة جلية في سورة الناس الى اركان الاستعاذة التي قدمنا ذكرها في بداية الحديث.

على أية حال، فإن الانسان لا يعدُّ مستعيذاً في حالتين: الأولى قبل شروعه بالسلوك والسير الى الله، والثانية بعد أن يكتمل السير وتنتفي آثار العبودية تماماً، ويفوز الانسان بالفناء الذاتي المطلق، فحينئذ لن يظلُّ أثرٌ للاستعاذة ولا للمستعاذ منه ولا للمستعيد، اذ ان قلب العارف سيخلو تماماً من كل ما سوى الحق والسلطة الإلهية، بل ان العارف ذاته يُصبح في هذا المقام جاهلاً بحال قلبه ونفسه، وتختفي هنا حتى «أعوذ بك منك»^٢.

ثم، ما أن تحصل حالة الصحو والأنس والرجوع^٣، إلا وتعود الاستعاذة لتصبح حقيقة من جديد، غير أنها هذه المرة تختلف عن استعاذة السالك، لذا أمر

١. الأنعام(٦): ١١٢.

٢. من دعاء الرسول في السجود، راجع: الفروع من الكافي، كتاب الصلاة، باب السجود والتسبيح والدعاء فيه...، ج ١٢.

٣. الصحو هي حالة الانتباه من الغفلة وما يحصل من التوجه والأنس؛ اي التذاذ الباطن والتوجه الى الكمال المطلوب. وكلمتا الصحو والأنس كلاهما من الاصطلاحات العرفانية وتُستعملان في غير معناهما اللغوي. في هذا المجال، راجع: سجادي، فرهنگ اصطلاحات عرفاني، ص ١٤٦ و ٥٢٧.

الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) هو الآخر بالاستعاذة، وذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ﴿قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾....

على العموم، فإن ما يصدك عن الحق ويحجيك عن الجمال الجميل للمحبوب جل جلاله، هو شيطانك، سواء كان بصورة إنس أو جان، كذلك فإن كل ما يُعدُّ وسيلة لصدك عن هذا المقصد والمقصود هو من شبك الشيطان، وسواء في ذلك أكان من سنخ المقامات والمدارج أم العلوم والكمالات أم الحرف والصنائع أم اللهو والراحة أم المشقة والذكة أم غيرها.

فهذه جميعاً عبارة عن الدنيا المذمومة، وهي فحُّ الشيطان، ومما يجب الاستعاذة منها، ولعل هذا المعنى هو المراد من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله، التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر، من شرِّ ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وشرِّ ما ينزل من الأرض وما يخرج منها، ومن شرِّ فتن الليل والنهار، ومن شرِّ طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير»^١. فالاستعاذة «بوجه الله» و«كلمات الله» هي استغراق في بحر الجمال والجلال، ولما كان ما يصدُّ الإنسان عنها هو الشرور المرتبطة بعالم الشيطان ومكائده، لذا وجبت الاستعاذة بوجه الله منها...

... إن الاستعاذة مختصةً بالسالك في مراتب السلوك.

اذن، فحقيقة الاستعاذة والمستعذ منه والمستعذ به تختلف تبعاً لمقامات

١. المؤمنون (٢٣): ٩٧ و٩٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٢١٥.

ومراتب السائرين وتبعاً لمدارج ومنازل السالكين.^١ ولعلّ في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ إشارة الى هذا المعنى، فهي إشارة الى الاستعاذة بمقام الربوبية بدءاً ببدايات السلوك وانتهاءً بحدود مقام القلب، ويمكن ان تكون هذه الربوبية المشار اليها في مطلع السورة، هي الربوبية الالهيّة فتطابق حينها: «اعوذ بكلمات الله التامات»^٢.

اما اذا بلغ سلوك السالك مقام القلب، فإن مقام السلطة الالهية سيظهر في قلبه وحينئذ فإنه سيستعيد بمقام ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ من شرّ تصرفات إبليس القلبية وسلطته الباطنية الجائرة، مثلما استعاذ في المقام الاول من شرّ تصرفاته «الصدرية»، ولعلّ قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ مُخصّصاً الوسوسة بالصدور بالخناس، مع أن الوسوسة التي تقع في القلوب والارواح هي من الخناس ايضاً، إنما هو، لأن التعريف بالشأن العمومي والصفة الظاهرة مما يناسب الجميع.

اما اذا جاوز السالك مقام القلب الى مقام الروح التي هي من النفحة الالهية والتي يكون اتصالها بالحق تعالى أشدّ من اتصال شعاع الشمس بها، فسوف تبدأ بالظهور في هذا المقام الحيرة والهيام والجذبة والعشق والشوق، وهنا ستكون استعاذة السالك بمقام: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾. أما اذا ترقى عن هذا المقام، فسيشاهد الذات دون مرآة الشؤون، بمعنى أنه وصل مقام السرّ، فسيكون مناسباً له حينئذ «اعوذ بك منك»^٣...

١ . المقصود من حقيقة الاستعاذة، التعوذ الذي ينهك في سفر روعي ولا يكون مجرّه لقلقة لسان، الى ان يجد الحقيقة ويستعيد بما لاذ به . والمستعاذ به هو ما ينبغي اللجوء الى الله والملاذ به منه . والمستعاذ به هو الشيء الذي يلاذ به ويُلبجأ اليه.

٢ . دعاء اليوم الأوّل من شهر رجب، راجع: إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ص ٦٤٠.

٣ . إشارة الى دعاء سجدة النبي ﷺ، راجع: الكليني، فروع الكافي، ج ٣، ص ٣٢٤.

... على آية حال، فإن الغاية الحقيقية للسالك في كلِّ مقام، هي الحصول على كمال وسعادة بذاتهما، ولما كانت السعادة والكمالات مقترنة في كل مقام بشيطان قرين وفتح من فحاحه يحول دون تحقيقها، لذا لزم السالك أن يستعيز بالحق تعالى من الشيطان وشروره وجبائله لكي يصل مقصوده الاصلي ومطلوبه الذاتي.

اذن، غاية الاستعاذة في الحقيقة - بالنسبة للسالك - هي الحصول على الكمال المرتقب والسعادة المطلوبة. ولما كانت غاية الغايات ومنتهى المطالب هو الحق تعالى جلت عظمته كانت الاستعاذة - تبعاً لذلك - من الشيطان.^١ والحمد لله أولاً وآخراً.^٢



ولكن لماذا جاء في دعاء النبي الاستعاذة بالله من الله، فلأنه يرتقي الى مقام يشاهد فيه كل شيء في الجمال الالهي. وفي ذلك الحال يحس كل شيء سواء. وفي هذه الحالة لا يبقى وجود للشيطان، وهناك ينبغي في حالة الصحو الاستعاذة به؛ اذ لا شيء سواء.

١. سبق شرح مصطلحي الصحو والمحو في ما مر من الصفحات.

٢. آداب الصلاة، ص ٢٢٨ - ٢٣٤.

دليل المصادر والمراجع

(أ)

- ابن تيمية والقراءات. صبحي عبد الحميد محمد عبد الكريم. القاهرة، مطبعة الامانة، الطبعة الاولى، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م، ٢٠٦ ص، ٢٤ سم.
- ابن جُزَي ومنهجه في التفسير. علي محمد الزبيري - دمشق، دار القلم، مجلدين، ١٠٤١ ص، الطبعة الاولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٢٤ سم.
- ابن القيم من آثاره العلمية. الدكتور أحمد ماهر محمود البقري. القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة. الطبعة الرابعة، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ٤١٢ ص، الحجم ٢٤ سم.
- الإتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة. الدكتور نصر حامد أبو زيد. بيروت، دار التنوير، الطبعة الاولى، ١٩٨٢ م.
- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم. محمد إبراهيم شريف، القاهرة: دار التراث، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٨٢ م، ٣٣٢ ص.
- اتجاهات التفسير في العصر الراهن. الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحاسب، مكتبة النهضة الاسلامية، عمان - اردن، الطبعة الثالثة والمنقحة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ٣٣٥ ص، ٢٤ سم.

- اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر. الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرّومى، الطبعة الاولى، الرياض، المؤلف، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م، ثلاث مجلدات، ١٢٣٨ ص، حجم: ٢٤ سم.
- اتجاهات التفسير فى مصر فى العصر الحديث. الدكتور عفت محمد الشراوى، القاهرة: رسالة ماجستير من كلية الآداب بجامعة عين شمس، ١٣٨٣ هـ ٤٦٤ ص.
- الاسرائيليات وأثرها فى كتب التفسير. الدكتور رمزى نعاىة، الطبعة الاولى، نشر وتوزيع دار العلم بدمشق ودار البيضاء ببيروت، ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م، ٤٩٤ ص، حجم ٢٤ سم.
- إعجاز القرآن فى دراسات السابقين. عبد الكريم خطيب، قاهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الاولى، ١٩٧٤ م، حجم: ٢٤ سم.
- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. خير الدين الزركلى. بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠ م، ٧ مجلد، ٢٨ سم.
- اعتقادات الإمامية، الصدوق، مصنفات الشيخ المفيد، ج ٥، الاعتقادات مع تصحيح الإعتقاد. ص ٨٤، قم، مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ.
- اعيان الشيعة. الإمام السيد محسن الأمين، المستدركات ابنه حسن الأمين. بيروت، دار التعارف، ١١ مجلد مع الفهرس، ٥ مجلد المستدركات، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، حجم: ٣٥ سم.
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع. ادوارد فنديك، قم، مكتبة آية الله العظمى المرعى النجفى، ١٤٠٩ هـ الطبعة الثانية بطريقة الافست من طبعة مصر سنة ١٣١٣ هـ ٦٨٠ ص، ٢٤ سم.
- الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل. الدكتور محمد السيد الجليند. القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، ٤٥١ ص، ٢٤ سم.

- الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير. الدكتور عبدالغفار عبدالرحيم. القاهرة، المركز العربي للثقافة والعلوم، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ٤٢٣ ص، ٢٤ سم.
- انوار الحقيقة واطوار الطريقة واسرار الشريعة، آمل، سيد حيدر، تحقيق السيد محسن الموسوي التبريزي، المعهد الثقافي نور على نور، ط ١، ١٣٢٧ش.
- الايرانيون والادب العربي، رجال علوم القرآن. قيس آل قيس، تهران، مؤسسة البحوث والتحقيقات الثقافية، مجلدين، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م، ٥٥٧ ص، ٢٤ سم.

(ب)

- بحار الانوار. محمد باقر المجلسي، بيروت، دارالوفاء، ١٤٠١ هـ ١١٠ ج.
- البرهان في تفسير القرآن، البحراني، السيدهاشم، قم، مؤسسه الاعلمي للمطبوعات، ١٤٢٥، ١٠ ج.
- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار. الدكتور عبد الفتاح لاشين. القاهرة، دار الفكر العربي، مطبعة دار القرآن، ١٩٧٨ م، ٨٣٢ ص، ٢٤ سم.
- بهجة الامال في شرح زبدة المقال. ملا علي العلياري التبريزي (م ١٣٢٧ هـ) طهران، بنياد فرهنگ اسلامي، ٧ ج، ١٣٥٤ ش، ٢٤ سم.
- بين الشيعة والسنة دراسة مقارنة في التفسير واصولة. تفسير الرسول والصحابة وما نسب لأئمة الإثنى عشرية. الدكتور علي السالوس. القاهرة، مكتبة ابن تيمية ودار الاعتصام، ١٩٨٩ م، ٣١٦ ص، ٢٤ سم.

(ت)

- تاريخ التفسير. قاسم القيسي، بغداد: مكتبة المجمع العراقي، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م، ١٧٩ ص.
- تاريخ القرآن والتفسير. عبدالله محمود شحاته، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م، ١٩٨ ص.
- التحقيق في نفى التحريف عن القرآن الشريف. السيد علي الحسيني الميلاني. قم. دار القرآن الكريم، الطبعة الاولى، ١٤١٠ هـ ٣٧١ ص، ٢٤ سم.

- تطور تفسير القرآن، قراءة جديدة. الدكتور محسن عبد الحميد، بغداد. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٨٩ م، ٢٤٨ ص، ٢٤ سم.
- التعبير الفني في القرآن الكريم. الدكتور بكرى الشيخ. بيروت، بيروت، دارالعلم للملايين، ط ١، ١٩٩٤ م.
- تعلية رشيقة على شرح المنظومة السبزواري، الأشتياني، مهدي (ت ١٣٧٢ هـ - ق)، الجزء الاول، في المنطق، قم، مركز النشر- مكتب الاعلام الاسلامي، ط ٢، ١٤٠٤ اق
- التفسير العلمي للقرآن فى الميزان. الدكتور أحمد عمر أبو حجر. دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ٥٦٣ ص، حجم ٢٤ سم.
- تفسير القرآن بالقرآن عند العلامة الطباطبائي. الدكتور خضير جعفر، قم: دار القرآن الكريم، ١٤١١ هـ الطبعة الاولى، ٤٠٠ ص، حجم: ٢٤ سم.
- تفسير الصافي. فيض كاشاني، ملامحسن. محمد بن شاه مرتضى. بيروت، موسسه الاعلمى المطبوعات، ط ١، ١٣٩٩ اق / ١٩٧٩ م.
- التفسير ورجاله. محمد الفاضل ابن عاشور، تونس: دار الكتب الشرقية، ١٩٦٦ م، ١٩٨ ص.
- التفسير والمفسرون. الدكتور محمد حسين الذهبي، مجلدين، الطبعة الاولى: دار الكتب الحديثة بالقاهرة، وطبعة الاخرى: دار احياء التراث العربي، ١٣٩٦ - ١٩٧٦ م. ج ١، ٤٩٢ ص، ج ٢، ٦٤٠ ص، الحجم: ٢٤ سم.
- التفسير والمفسرون في توبه القشيب. الشيخ محمد هادي معرفة، مشهد الرضوى، الجامعة الرضوية، الطبعة الاولى، ١٤١٨ هـ ج ١، ٦٢٧ ص، ج ٢، ٦٥٧.
- التوحيد، الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، تحقيق على اكبر غفارى، قم، انتشارات اسلامى.
- تفسير القمى، القمى، على بن ابراهيم، بيروت، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات،

١٤١٢ق، ج٢ .

(ج)

- جامع البيان، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق صدقي محمد جميل العطار، بيروت، دارالفكر، ط ١، ١٤١٥ق، ج١٥.
- جامع الرواة. محمد بن علي الاردبيلي الغروي الحائري، طهران، انتشارات جهان، مجلدين، ج ١، ٦٦٠ ص، ج ٢، ٥٥٢، ١٣٣١ ش.
- الجامع لاحكام القرآن، القرطبي، محمد بن احمد، بيروت، دارالاحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٦ق.
- الجامع للرسائل والأطاريح في الجامعات العراقية، ابتسام مرهون الصفار. وليد بن احمد الحسين. ليدن، مجلة الحكمة، ١٤٢٤ هـ.

(ح)

- الحاكم الجُشْمِي ومنهجه في تفسير القرآن. الدكتور عدنان زر زور، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، ٥١٠ ص، ٢٤ سم.
- حقائق التفسير، السُّلْمِي، محمد بن الحسين، تحقيق سيد عمران، بيروت، دارالكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١ق.
- حقايق التفسير، السلمي، ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين. اعداد: نصر الله پور جوادي، طهران، نشر دانشگاهي، ١٣٧٢ش.
- الحُجْب، ابن عربي، محيي الدين، ضمن رسائل منها الأحديّة، القرية، ترجمته الدكتور گل بابا سعیدی، باسم: حجاب هستي، ص ٦٨. طهران، انتشارات شفيعی، ١٣٧٩ش.

(د)

- دراسات في التفسير والمفسرين. عبد القهار داود العاني. بغداد، مطبعة اسعد، ١٩٨٧ م، حجم ٢٤ سم، ص.
- دراسات قرآنية: تاريخ القرآن، المبادي العامة لتفسير القرآن الكريم، المستشرقون والدراسات القرآنية. الدكتور محمد حسين علي الصغير، قم:

مرکز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ٥٤٤ ص.
- دراسات وبحوث في الفكر الاسلامي المعاصر. الدكتور فتحى الدرینى.
مجلدين، بیروت، دار قتیبة للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨

٤.
- الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي، جلال الدين، بیروت، دارالفکر،
١٩٩٣م / ١٤١٤ق
(ر)

- الرازی مفسراً. الدكتور محسن عبد الحمید. بغداد، دار الحرية للطباعة،
بمساعدة جامعة بغداد علی طبعه، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، ٣٤٨ ص، ٢٤ سم.
رسائل اخوان الصفا وعلان الوفاء، اخوان الصفا، قم، مرکز النشر، مكتب الاعلام
الاسلامي، ١٤٠٥.

- الرسائل الجامعية في الدراسات الجامعية. عبدالله محمد الجيوسي. دمشق، دار
العوثاني للدراسات القرآنية، ط ١، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م.

- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات. الميرزا محمد باقر الموسوي
الخوانساري الاصفهاني، بیروت، الدار الاسلامية، الطبعة الاولى، ١٤١١ هـ -
١٩٩١ م، ٨ مجلد، ٢٤ سم. الطبعة المنقحة مصححة.

(س)

- سفیان الثوري واثره في التفسير. هاشم عبد ياسين المشهداني. بغداد، دار
الكتاب للطباعة، بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر
الهجري في الجمهورية العراقية، الطبعة الاولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨١ م، ٥٩٠
ص، ٢٤ سم.

- سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق ابراهيم عطوة عوض،
١٣٨١ق.

(ش)

- الشيخ الطوسي ومنهجه في تفسير القرآن. سعيد احمد اكبر آبادي. مجموعة

مقالات مؤتمر الألفى للشيخ الطوسي، المجلد الثاني، مشهد الرضوي، ١٣٥٠ ش - ١٣٩١ هـ - ٢٤ سم.

(ص)

- صيانة القرآن من التحريف. محمد هادي معرفة، قم، دار القرآن الكريم، الطبعة الاولى، ١٤١٠ هـ ٢٤ سم، ٢٤٤ ص. وأيضاً قم، مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين، ط ١، ١٤١٣ هـ.

- صوفيسم وتائوئيسم، توشيهيكو ايزوتسو، ترجمه محمد جواد گوهری. طهران، انتشارات

(ط)

- الطباطبائى ومنهجه فى تفسير الميزان. على الأوسى. تهران، منظمة الاعلام الاسلامى، الطبعة الاولى، ١٤٥٠ هـ ٣١٦ ص، حجم: ٢٤ سم.

- طبقات اعلام الشيعة . آغا بزرك الطهراني، قم، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، الطبعة الثانية، تحقيق ولده على نقى منزوى، بلا تاريخ.

- طبقات المفسرين. جلال الدين عبد الرحمن السيوطى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٦٠ م، مجلدين، حجم ٢٤ سم.

- طبقات المفسرين . الحافظ شمس الدين محمد بن على الداودي. مكة المكرمة، دار الباز للنشر والتوزيع، مجلدين، ودار الكتب العلمية في بيروت، ٢٤ سم.

- طبقات المفسرين. احمد بن محمد الاذنه وي، بيروت، مؤسسة الرسالة، تحقيق سليمان بن صلاح الخزي، الطبعة الاولى، ١٤١٧ هـ.

(ع)

- علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه. الدكتور عدنان محمد زرزور. بيروت، المكتب الاسلامى، الطبعة الاولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨١ م، ٤٦٠ ص، ٢٤ سم.

- عيون اخبار الرضا، الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، تصحيح السيد مهدي

حسيني لاجوردي، طهران، انتشارات جهان، بي تا.

(ف)

- الفرقان والقرآن. خالد عبدالرحمن العك، دمشق، الحكمة للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، ١٤١٤ هـ / ط ١٩٩٤ م.

- فقه پژوهی قرآنی، السيد محمد علي ايازي، قم، بوستان كتاب، ط ١، ١٣٨٠ ش.
- فصوص الحكم، مع تعليقات على فصوص الحكم، عفيفي، ابوالعلاء، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤٠٠ هـ / ق ١٩٨٠ م

- فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق. نعيم الحمصي. بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، حجم: ٢٤ سم، ٤٨٠ ص.

- الفكر السياسي عند الاباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش. عدون جهلان، السيب (سلطنة عمان) مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١١ ق.

- في التفسير الصوفي للقرآن الكريم، عبدالهادي سيد عبد التواب، القايره، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

- في علوم القرآن، دراسات ومحاضرات. محمد عبد السلام كفافى، عبد الله الشريف، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٢ م.

(ق)

- القاسمى ومنهجه في التفسير. الدكتور محمد بكر إسماعيل. القاهرة، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ٨٩ ص، ٢٤ ص.
- قانون تفسير. السيد علي الكمالي الدزفولي، طهران، مكتبة صدر، ١٣٩٦ هـ - ١٤٥٤، بالفارسية، الطبعة الاولى، ٢٤ سم.

- القرآن المجيد. محمد عزة دروزة. صيدا وبيروت، المكتبة العصرية، ٣٠٢ ص، الحجم ٢٠ سم.

- قرآن وتفسير عصري، ايازى، السيد محمد علي، تهران، دفتر نشر فرهنگ

- اسلامى، طبع ٢، ١٣٧٥ ش.
- القصص القرآني في منظوقه ومفهومه. عبدالكريم خطيب، بيروت، دارالمعرفة، الطبعة الاولى، بدون تاريخ.
- قضية الإعجاز القرآني واثراها في تدوين البلاغة العربية. الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة. بيروت، عالم الكتب، الطبعة الاولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ٨٢٢ ص، ٢٤ سم.
- القرطبي ومنهجه في التفسير. القصبى محمود زلط، كويت: دار القلم، ١٤١٠ هـ - ١٩٨١ م، ٤٨٦ ص.
- القياس في التشريع الاسلامي. نادية محمد شريف العمري. جيزه، هجر للطباعة والتوزيع والاعلان، الطبعة الاولى، ١٤٠٧ هـ
- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير. محمد الصباغ، بيروت، المكتب الاسلامي، ١٣٩٤ هـ حجم: ٢٤ سم، ٢٤٠ ص.
- (ك)

- الكافي. ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي (م ٣٢٨)، تصحيح على اكبر الغفارى، بيروت، دارصعب، دارالتعارف، ٧ ج، ٢٤ سم.
- كتابنامه بزرگ قرآن (مكتبة الكبيرة للقرآن الكريم). الشيخ محمد حسن البكائى، طهران، ١٣٧٤ ش، ١٧ مجلد، ٢٤ سم، نشر قبله، ١٣٧٤ ش.
- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. مصطفى بن عبدالله افندى المشهور بحاجي خليفة وكاتب چلبى، بيروت، دار احياء التراث العربى، ١٣٨٠ هـ.
- كشاف الفهارس ووصاف المخطوطات العربية في مكتبات فارسي. الدكتور السيد محمد باقر الحجتى، طهران، سروش، ١٣٧٥ ش، ثلاثة مجلدات.
- كنز العمال، المتقى هندي، بيروت، دارالاحياء التراث العربى، ١٣٩٩ هـ.
- (م)

مجمع البيان، الطبرسي، ابو علي، فضل بن الحسن، تحقيق السيدهاشم الرسولي، بيروت، دار احياء التراث، ١٣٧٩ ق

- مجموعه آثار ابو عبدالرحمن سلمى، پور جوادی، نصرالله. تهران، مركز نشر دانشگاهی. ۱۳۷۳ش.

محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم. فريد مصطفى سليمان، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الاولى، ۱۴۱۴ هـ

- مدخل الى ظلال القرآن. صلاح عبد الفتاح الخالدي، جدة، دار المنارة، الطبعة الاولى، ۱۴۰۶ هـ = ۱۹۸۶ م.

- مذاهب التفسير الإسلامي. دجتس جولد تسيهر. ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار. القاهرة، مكتبة الخانجي، وبغداد مكتبة المثني، مطبعة السنة المحمدية (القاهرة)، ۱۳۷۴ هـ ۱۹۵۵ م، ۴۱۸ ص، ۲۴ سم.

- مستدرک الوسائل . النوري، ميرزا حسين. قم مؤسسة آل البيت، ط ۲، ۱۴۱۳ق. ۲۷ مجلد.

- مسند الإمام احمد بن حنبل. احمد بن محمد بن محمد بن حنبل (م ۲۴۱). بيروت، دار صادر، بی تا، ج ۴، ۲۸ سم.

- مصباح الأنس، طهران، ابن فناری، (ت ۷۵۱هـ) محمد بن حمزه: تحقيق محمد خواجوي، انتشارات مولى، تهران، ط الاولى، ۱۳۷۴ هجرى شمسی .

- مُعترك الاقران فى اعجاز القرآن. جلال الدين السيوطي، بيروت، دارالكتب العلمية، الطبعة الاولى، ۱۴۰۸ هـ ۱۹۸۸ م.

- معانى الأخبار، الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (م ۳۸۱) تصحيح على اكبر غفاري، بيروت، مؤسسة دارالمعرفة، الطبعة الاولى، ۱۳۹۹ق - ۱۹۷۹ق.

- معجم الدراسات القرآنية. الدكتورة ابتسام مرهون الصفار. بغداد، جامعة بغداد، ۱۹۸۴ م، ۳۵۴ ص، ۲۴ سم.

- معجم المفسرين من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر. عادل نويهض. مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر. الطبعة الاولى. ۱۴۴۰ هـ = ۱۹۸۴ م،

مجلدان، ۱۰۳۲ ص، ۲۴ سم.

- مكتب تفسير اشارى، سليمان آتش. ترجمه توفيق سبجانی. طهران، انتشارات

علمي فرهنگي، ١٣٨٠ش.

- المفسرون بين التأويل والاثبات فى آيات الصفات. محمد بن عبد الرحمن المغراوي. الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع. مجلدين، الطبعة الاولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ٢٤ سم، ٤٦٨ ص و ٤٠٤ ص.

- مكّي بن أبى طالب وتفسير القرآن. الدكتور أحمد حسن فرحات، اردن، عمان، دار الفرقان، الطبعة الأولى، ١٤٤٠ هـ ١٩٨٣ م، ٦٢٨ ص، ٢٤ سم.

- مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب. امين الخولي، القاهرة، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٩١٦ م، ٣٦٤ ص.

- مناهج في تحليل النظم القرآنى. الدكتور منير سلطان، الاسكندرية، منشأة المعارف، ٢٤ سم، ٢٤٨ ص.

- مناهج المفسرين. مساعد مسلم آل جعفر، محى هلال السرحان، بيروت: دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م، ٢٧٨ ص.

- مناهج المفسرين. الدكتور منيع عبد الحلیم محمود، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٧٨ م، ٣٨٨ ص.

- مناهج المفسرين من العصر الأول الى العصر الحديث. محمود النقراشي السيد على، الرياض: مكتبة النهضة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ ٢١٩ ص.

- مناهل العرفان في علوم القرآن. محمد عبد العظيم الزرقاني. القاهرة، دار احياء الكتب العربية، فيصل عيسى البايي الحلبي، مجلدين، ١٩٨٠ م، ٢٤ سم.

مصباح الأنس في شرح مفتاح غيب الجمع والوجود. ابن فنارى، (ت ٧٥١هـ) محمد بن حمزه: الشارح: صدرالدين محمد بن اسحاق القونوي، مع تعليقات ميرزا هاشم بن حسن الكيلاني، الاشكوري. طهران، فجر، ١٣٦٣.

- منهج الاثري في تفسير القرآن الكريم. هدى جاسم محمد ابوطبره، قم، مركز النشر، مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الاولى، ١٤١٤ هـ ط ١٩٩٤ م.

- منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم. الدكتور عبد الله محمود شحاته. القاهرة، نشر الرسائل الجامعية، ١٣٨٠ هـ ٢٦٥ ص، ٢٤ سم.

- المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم. كامل علي سعفان. قاهره، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الاولى، ١٩٨١ م، ٥٠٤ ص، حجم: ٢٤ سم.
- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه. الدكتور مصطفى الصاوي الجويني. القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٥ م، ٣٠٩ ص، ٢٤ سم.
- منهج الطوسي في تفسير القرآن. مجموعة مقالات مؤتمر الالفى للشيخ الطوسي. الشيخ محمد حسين آل ياسين. المجلد الثاني، مشهد الرضوي، ١٣٥٠ ش - ١٣٩١ هـ ٢٤ سم.
- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير. الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ ٨٨٦ ص، الحجم ٢٤ سم.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر. ابوالحسن على بن الحسين بن علي المسعودي (م ٣٤٦)، بيروت، دارالاندلس، تصحيح يوسف اسعد داغر، الطبعة الاولى، ١٣٨٥ هـ ط ١٩٦٥ م.
- المغني في ابواب التوحيد، ج ١٦، الأسدآبادي، عبدالجبار. تصحيح امين الخولي، القاهرة، مؤسسة الشؤون الاسلامية.
- مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، حسين بن محمد بن مفضل، تحقيق صفوان عدنان داودي، بيروت، دارالشامية، ط ١، ١٤١٢ هـ ق - ١٩٩٢ م.
- المفسرون، حياتهم ومنهجهم. السيد محمد علي ايازي. طهران، دار الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، طبع في عام ١٩٩٤م. وطبع مرة ثانية مع المجلد الثاني والثالث في عام ٢٠٠٨م.
- مقدمة جامع التفاسير، الراغب الاصفهاني، حسين بن محمد بن مفضل، تحقيق، مقدمه احمد حسين فرحات، كويت، دارالدعوة، ط ١، ١٩٨٤ م / ١٤٠٥ هـ.
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٣٩٣ هـ

(ن)

- نوبيا، بل، تفسير قرآني وزبان عرفاني، الترجمة بالفارسية: اسماعيل سعادت، طهران، مركز نشر دانشگاهي (مركز نشر الجامعة) ط ١، ١٣٧٣ ش .
- نور الثقلين. عبد علي بن جمعة العروسي الحوزي، صححه وعلق عليه السيد هاشم الرسولي المحلاتي، قم مطبعة الحكمة، ١٣٨٢ هـ ٥ ج.
- نهج البلاغة. هو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام امير المؤمنين ابي الحسن علي بن ابي طالب. ضبط نصه وابتكر فهارسه الدكتور صبحي الصالح، بيروت، الطبعة الاولى، ١٣٨٧ هـ ط ١٩٦٧ م.

(و)

- وسائل الشيعة، الحر العاملي، محمد بن حسن، تحقيق مؤسسة آل البيت، قم، مؤسسة آل البيت، ١٤١٥ق، ٣٠ ج.

المجلات

- ١- مجلة «پژوهشهای قرآنی» (بالفارسية) تنشر في مدينة مشهد المختصة بالدراسات القرآنية، تصدر من مكتب الإعلام الاسلامي.
- ٢- «رسالة القرآن» نشرة فصلية تعنى بالشؤون القرآنية، تصدر من مدينة قم، مؤسسة دار القرآن الكريم.
- ٣- «كيهان انديشه» نشرة نشرت في خلال شهرين تعنى بالدراسات الاسلامية. صدرت من مدينة قم، مؤسسة كيهان.
- ٤- «بينات» مجلة (بالفارسية) تُنشر في مدينة قم المختصة بالدراسات القرآنية، مؤسسة معارف الاسلامي امام رضا.
- ٥- «صحيفة مبین» مجلة (بالفارسية) تنشر في مدينة اراك المختصة بالدراسات القرآنية الجامعة الحر.
- ٦- پژوهشهای قرآنی (بحوث قرآنية) مجلة قرآنية تصدر من مكتب الاعلام الاسلامي بمدينة قم بالفارسية.
- ٧- مجلة القضايا الاسلامية. مجلة فصلية فكرية اسلامية تصدرها مؤسسة الرسول الأعظم. قم، ١٤١٦ق.

المحتويات

- ١١.....سورة الزمر.....
- ١١.....حقيقة الاخلاص
- ١٢.....درجة من الخلوص، الخلوص من خوف العتاب
- ١٢.....مصاديق الاخلاص
- ١٣.....معنى الاخلاص من رؤية العرفاء
- ١٥.....تحقق الشرك بالاعتقاد بتأثير الافراد إلى جانب الله
- ١٧.....اجر الصابرين على طاعة الله
- ١٧.....معنى القسوة
- ٢٠.....كل مخلوق موضع رحمة الله
- ٢٠.....رجاء رحمة الله مع كثرة الذنوب
- ٢١.....عدم تنافي مغفرة الله مع عدله
- ٢٢.....بسط بساط رحمة الله في عالم الكرامة وموضع الرحمة
- ٢٣.....غفران الذنوب مع حفظ الدين والتدين

- ٢٤..... خصائص حسرات عالم الآخرة
- ٢٥..... التوجه إلى كيفية الحسرة في القيامة
- ٢٥..... مثال من حالات ايجاد الحسرة وسببها
- ٢٦..... معنى الحسرة في الآخرة وسعيها
- ٢٧..... عدم امكانية تقديم وصف وتعظيم يليق بالله
- ٣٠..... معاني مختلفة للدهشة قبل نفخ الصور
- ٣٢..... تجلّي الله بلا حجاب وبنور الربوبية
- ٣٣..... نور الربوبية على يمين الاشياء
- ٣٣..... الاوصاف الكاملة لله
- ٣٥..... تفسير ارض الظلمة بالنفس الإنسانية
- ٣٦..... تأويل الارض بقلب الإنسان وانارته
- ٣٨..... سورة غافر
- ٣٨..... تأويل الحروف المقطعة حم بالكواكب
- ٣٩..... السؤال في محضر الله في عالم الاتصال يتعارض مع عالم الغيب والشهادة
- ٤٠..... معنى علم الله
- ٤١..... الدليل على سعة واطلاق علم الباري تعالى
- ٤٢..... هلاك جميع الموجودات يوم تجلّي الله وعدم جواب اي شخص
- ٤٤..... يوم التسلّط التام اثناء الرجوع من قبل الإنسان الكامل
- ٤٤..... سير الدرجات الوجودية وكشف الحقائق للموجودات
- ٤٦..... تقرير تأويلي عن نهاية تلقي السالك
- ٤٨..... سورة فصلت
- ٤٨..... استقامة بوجود الإيمان ممكنة

٤٩	خلود احكام الإسلام
٥٢	القرآن هدىّ وشفاء
٥٣	كتاب التكوين والتدوين الإلهي
٥٥	افضل البراهين في نفس الوجود الإنساني
٥٧	سورة الشورى
٥٧	القيامة يوم سقوط الحجب
٥٨	الاستقامة من لوازم عمل الأنبياء
٥٩	عودة معطيات مودة ذوي القربى علينا
٦٠	سير الآداب والسلوك
٦٢	سبب استثناء تظلم المظلوم من حرمة الغيبة
٦٤	رجوع الجميع إليه
٦٦	سورة الزخرف
٦٦	عدم استبعاد تفضل الجواد المطلق في القيامة
٦٧	بناء الله على التفضل وبسط الرحمة
٦٩	كيفية قدرة الإنسان على ايجاد الجنة
٧٠	مراتب و درجات الوصول بالحق
٧١	حضور و سريان و انتشار الحق
٧٣	سورة الدخان
٧٣	استدلال القائلين بالتناسخ بين التعذيب والحياة الدنيوية
٧٥	تفنيد استدلال القائلين بالتناسخ
٧٧	سورة الجاثية
٧٧	تعقيد وتنوع الاهواء النفسية

- ٧٩..... عقائد الدهريين
- ٨١..... سورة الاحقاف
- ٨١..... احد معاني اذهاب الطيِّبات فقدان نور الفطرة
- ٨٣..... سورة محمد
- ٨٣..... توقف النصر على مبادرة الناس
- ٨٥..... ضرورة استمرار العمل
- ٨٦..... نصر الله يتوقف على تحرك الناس
- ٨٦..... نصر الله يعقب نصره الناس
- ٨٦..... استمرار النصر بالارتباط بالله
- ٨٧..... المراد بنصر الناس واستغناء الله عن نصرتهم
- ٨٧..... بداية تحقّق نصر الله من الذات
- ٨٩..... خلاصة اجمالية في موضوع نصر الله
- ٩٠..... نقد طلاب الرفاه و المادية
- ٩١..... معيار الحيوانية لدى الناس
- ٩١..... عدم تساوي المؤمنين وغير المؤمنين في المقام المعنوي
- ٩٢..... وحشية ذوي الصفات الحيوانية لا يضر عشاق طريق الحق
- ٩٣..... تفاوت سبيل الأنبياء مع توجهات النظم الفاسدة
- ٩٤..... كَوْن حَبِّ الدنْيا حجاباً
- ٩٥..... ضرورة التدبّر في آيات الله
- ٩٥..... التفاوت بين التدبّر في الآيات والتفسير بالرأي
- ٩٦..... نظرة الى تفسير الآية وقضية التفسير بالرأي
- ٩٨..... سورة الفتح

- ٩٨.....الفتوحات المعنوية الثلاثة
- ١٠٠.....رد على شبهة عدم عصمة النبي
- ١٠٦.....معنى الفتح العرفاني
- ١١٠.....ادراك النصر الإلهي
- ١١٢.....معنى مبايعة الله
- ١١٣.....الحكومة يجب ان تكون بالشكل الذي تكون فيه بيعة الناس للحاكم
- ١١٤.....وحدة الامة وحدة إلهية واليد الواحدة يد إلهية
- ١١٥.....تحليل للأسماء والصفات الإلهية لمناسبة يدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
- ١١٦.....العلامة الاجتماعية للإيمان
- ١١٧.....الاتزان في التعاليم الإسلامية
- ١١٨.....دور الرحمة في المجتمع الإسلامي
- ١١٩.....المعيار في سلوك القوات المسلحة وقوى الامن
- ١٢٠.....ضرورة الاعتدال في المواقف
- ١٢٠.....السكوت في مقابل الجائزين ليس حلمًا، وانما خمول
- ١٢٢.....سورة الحجرات
- ١٢٢.....الاستدلال بآية النبأ على شرط العدالة في خبر الواحد
- ١٢٤.....عدم نظر الآية إلى خبر الواحد
- ١٢٥.....تقرير آخر عن دلالة الآية على شرط العدالة
- ١٢٦.....نقد لتقرير الميرزا الثاني على اشتراط العدالة في الخبر
- ١٢٨.....شرط العدالة في الولي
- ١٣٠.....الاستدلال بآية النبأ على شرط العدالة في واجد السلعة
- ١٣٠.....نقد لدلالة الآية على شرط العدالة في الأفعال

- ١٣١..... لزوم مقابلة الباغي
- ١٣٢..... شروط المصالحة والصلح
- ١٣٣..... علامة الاخوة في تحقق الإيمان
- ١٣٣..... الاخوة بين المسلمين
- ١٣٣..... انحصار الاخوة بين المسلمين
- ١٣٤..... وجوب الاخوة
- ١٣٤..... خوف الاعداء من تحقق الاخوة
- ١٣٥..... الصبغة الاجتماعية للاحكام الاخلاقية
- ١٣٦..... الشأن الانحصاري للاخوة بين المؤمنين
- ١٣٦..... وجوب تحقق الاخوة في المجتمع
- ١٣٧..... امتحان المؤمنين برعاية الاخوة
- ١٣٧..... شمول الاخوة لكل الشعوب الإسلامية
- ١٣٨..... الاخوة بدلاً من القيادة
- ١٣٨..... أهمية الاخوة في المجتمع
- ١٤١..... خلاصة اجمالية لآية الاخوة
- ١٤٢..... حرمة الغيبة
- ١٤٤..... حرمة الغيبة وكونها كبيرة
- ١٤٦..... مناقشة لبعض الاستدلالات في اعتبار الغيبة كبيرة
- ١٤٧..... مجال الغيبة وانطباق حكمها على التهمة
- ١٤٩..... ضرورة النظر إلى كيان الإسلام والاستثناء من حكم حرمة التجسس
- ١٤٩..... شبهة التزاحم بين حرمة التجسس والإخبار عن مؤامرة
- ١٥٠..... التقوى هي الإنسانية

- أحد المعايير في سنّ القوانين الاهتمام برعاية التقوى ١٥١
- ذم التمييز العنصري ١٥١
- طرح التقوى لنفي التمييز العنصري ١٥٢
- معيّار الأفضلية ١٥٣
- اعلان الإسلام معيار لكوّن الشخص مسلماً حتى بالنسبة إلى المنافقين..... ١٥٤
- ذم المنّ على الله ١٥٦
- سورة ق ١٥٨
- مفهوم القرب الإلهي ١٥٨
- لوازم التوجّه إلى كوّن الله رقيباً ١٥٩
- سبب نقصان نور الإيمان ١٦٠
- سورة الذاريات ١٦٢
- لوازم ادراك الهدفية في الخلق ١٦٢
- الرازقية المطلقة لله ١٦٣
- سورة النجم ١٦٦
- استحكام علوم أهل البيت بسبب الاتصال بمقام الوحي ١٦٦
- المراد بشديد القوى ١٦٧
- معنى قاب قوسين ١٦٨
- كوّن نفس النبي ذات مراتب ١٦٨
- العناية الازلية لازمة في سير الوصول إلى الإنسان الكامل ١٦٩
- صعوبة ادراك الاقتراب من قرب الله ١٧٢
- ادراك اعتبارات ذات الحق تعالى ومراتبها ١٧٣
- عدم التنافي بين ادلة قرب النبي إلى مقام قاب قوسين ١٧٤

- ١٧٥..... في التجليات الخلقية وكيفية فعليتها
- ١٧٥..... في مفهوم التدلي وارتباطه بفاتحة الكتاب التكويني
- ١٧٦..... مقام التدلي مقام المشيئة المطلقة
- ١٧٨..... في معنى الامانة وزمان قبولها
- ١٧٨..... آثار التجلي والقرب من الحق
- ١٧٩..... التفاوت بين مقامات الناس ولغة الدين
- ١٨١..... مفهوم القرب والدنو في حق النبي
- ١٨٢..... علاقة الوجود الإلهي بالموجودات من وجهة نظر العرفاء
- ١٨٣..... الحدود الاسمي ذو منشأ قرآني
- ١٨٤..... عدم تنافي حرمة العمل بالظن مع حجية خبر الواحد
- ١٨٥..... النهي عن العمل بالظن لا يمنع السيرة المتداولة
- ١٨٧..... سورة القمر
- ١٨٧..... معجزات الانبياء آثار القدرة الإلهية
- ١٨٨..... الموعدة والتذكير هما الغاية من نزول القرآن
- ١٨٨..... التكرار لأجل الهداية، وذكره لمزيد من التدبر
- ١٩٠..... المصادر الأول عن الحق تعالى
- ١٩٢..... سورة الرحمن
- ١٩٢..... رحمة الإنسان من الله
- ١٩٤..... أهمية التكلم
- ١٩٤..... أهمية البيان والقلم
- ١٩٥..... سجود الموجودات
- ١٩٦..... كيفية تعلق علم الله بنظام الوجود

- ١٩٦..... حالات السالك
- ١٩٧..... عدم امكان تجلّي جميع الشؤون الا للإنسان الكامل
- ١٩٧..... مراتب نزول الوجود
- ١٩٩..... مفهوم التبدلات الوجودية والجوهرية في حركة الشأنية الإلهية
- ٢٠١..... المراد من الطبيعة، حافظ الزمان في الخلق الجديد
- ٢٠٢..... انسداد منافذ الافلات من السلطة القاهرة
- ٢٠٤..... سورة الواقعة
- ٢٠٤..... معيار واسوة المقربين والسابقين
- ٢٠٥..... المعلول شأن من العلة وعين الربط وظل الحق
- ٢٠٧..... اثبات المعاد بنمو البذر
- ٢٠٨..... فضيلة اسم العلي والعظيم
- ٢٠٩..... ومن دلائل على تجرد النفس
- ٢١١..... استواء كتابي التكوين والتدوين
- ٢١١..... استواء كتابي التكوين والتدوين من حيث مالهما من بطون
- ٢١٢..... اشتراط تلقي المعارف بالطهارة القلبية
- ٢١٣..... مراتب تلقّي القرآن
- ٢١٤..... تحصيل الاخلاص نوع من تطهير القلب
- ٢١٥..... بحث فقهي في حرمة تنجيس المصحف
- ٢١٦..... ارتباط الموجودات مع الله
- ٢١٧..... ملكية الحق تعالى ملكية ذاتية حقيقية
- ٢١٩..... سورة الحديد
- ٢١٩..... فضيلة السورة

- ٢٢٠..... رأي صدر المتألهين
- ٢٢١..... المكانة الرفيعة للسورة
- ٢٢٣..... عمق طائفة من الآيات
- ٢٢٤..... لا جدوى من البحث في ما وراء هذه المعارف
- ٢٢٥..... التسبيح المنطقي لجميع الموجودات
- ٢٢٩..... ملكية واحاطة سلطة نفوذ قدرة الله
- ٢٣٠..... مشكلة فهم معنى هو الظاهر والباطن
- ٢٣١..... أهمية وجلالة الآية الثالثة من سورة الحديد
- ٢٣٢..... عدم مانعية الأعيان الثابتة في الظهور الذاتي
- ٢٣٣..... الأول والآخر من الأسماء الإلهية الجامعة
- ٢٣٤..... حصرية امهات الاسماء الإلهية
- ٢٣٥..... اشارة إلى المعاني الستة في اوصاف الله
- ٢٣٦..... للقرآن ثلاث مجموعات من المخاطبين، والآية قاصدة اهل الاسرار
- ٢٣٩..... تحليل آخر للاولية والآخريه والظاهرية والباطنية
- ٢٤٠..... خلاصة اجمالية في موضوع تفسير الظاهر و الباطن
- ٢٤١..... المراد من خلق السماء والارض في ستة أيام
- ٢٤٤..... علم الله بجزئيات مراتب الوجود
- ٢٤٥..... ملكية الله ورجوع الموجودات إليه
- ٢٤٥..... حكمة اختلاف الليل والنهار
- ٢٤٥..... المقام الذاتي والفعلي للأسماء
- ٢٤٦..... اشارة الآية إلى المقام الذاتي والفعلي
- ٢٤٧..... محدودية الإنسان تبعث على المحدودية في تعريف الخالق

- ٢٤٨..... انتزاع المفاهيم الكمالية من الوجود المنبسط لله تعالى
- ٢٤٩..... الله حاضر في كل مكان
- ٢٤٩..... غموض مفهوم المعية والقرب
- ٢٥٠..... نقد رأي الفلاسفة في المعية
- ٢٥٠..... الآيات الأولى من سورة الحديد ناظرة إلى وحدة العالم
- ٢٥١..... المعية، الوجود في محضر الله
- ٢٥٢..... تلخيص للآيات الأولى من سورة الحديد
- ٢٥٦..... سبب امر أهل الإيمان بالخشوع
- ٢٥٧..... المعنى والتفسير الفلسفي لكَوْن الدنيا لهواً ولعباً
- ٢٥٨..... معنى كَوْن الدنيا عريضة وطويلة
- ٢٥٩..... الله يعامل الناس بفضله لا بعدله
- ٢٦٠..... مكانة التوبة
- ٢٦٠..... علامة الزهد وآثاره
- ٢٦١..... تعليم الزهد
- ٢٦٢..... اقامة النظام العادل اهم وظائف الانبياء
- ٢٦٢..... سعى النبي الدائم لبسط العدالة
- ٢٦٣..... الغاية من ارسال الرسل
- ٢٦٣..... الكي آخر الدواء، والمرحلة الأولى الموعدة
- ٢٦٤..... اتجاه الاستفادة من الحديد
- ٢٦٥..... الإيمان بالنبي جزء من الدين
- ٢٦٦..... سورة الحشر
- ٢٦٦..... فضيلة السورة

- ٢٦٧..... طاعة النبي ونسبتها مع التفويض
- ٢٦٧..... معنى تفويض الأمر إلى رسول الله
- ٢٦٩..... الوجوه والاحتمالات التي قبلت حول تفويض الأمر إلى النبي
- ٢٧٠..... نقد رأي العلماء في باب تفويض الأمر
- ٢٧١..... الجمع بين التفويض وقيومية الله
- ٢٧٢..... نفي استقلال العباد وعدم وجود فارق بين الامور الكبرى والصغرى
- ٢٧٣..... آثار قراءة هذه الآيات في تعقيب الصلوات
- ٢٧٣..... ايضاً في فضيلة القراءة
- ٢٧٤..... المراد من الأمر بالتقوى في مخاطبة المؤمنين
- ٢٧٤..... مخاطبة اصحاب المرتبة الأولى
- ٢٧٥..... مخاطبة الثابتين من أهل الإيمان
- ٢٧٧..... مخاطبة اصحاب الإيمان وخواص أهل المعرفة
- ٢٧٨..... مخاطبة الخُص من الأولياء
- ٢٧٩..... لهذه الالفاظ معنى اطلاقى
- ٢٨١..... نسيان النفس
- ٢٨١..... ضرورة معرفة النفس للوقاية من النسيان
- ٢٨٤..... نزول القرآن مقروناً بالحجب
- ٢٨٦..... جامعية اسم الله على سائر الأسماء
- ٢٨٨..... تقسيم الأسماء الإلهية
- ٢٩٠..... الله، من الأسماء الإلهية الجامعة
- ٢٩٢..... محدودية الإنسان تؤدى إلى المحدودية في التعريف بالخالق ومعرفته
- ٢٩٣..... سورة الصف

- ٢٩٣.....مقام المجاهد في سبيل الله مقام الحب
- ٢٩٤.....معنى الفتح القريب
- ٢٩٥.....في نظر العرفاء فتح ابواب المعارف فتح قريب
- ٢٩٧.....سورة الجمعة
- ٢٩٧.....المراد من تسبيح جميع الموجودات
- ٣٠٠.....الغاية من بعث النبي ومعنى كَوْنُهُ اَمِيًّا
- ٣٠٠.....المغزى من تقدّم التزكية على التعليم
- ٣٠١.....التزكية عمل الأنبياء
- ٣٠٢.....تقدّم التزكية على التعليم
- ٣٠٢.....عاقبة عدم الاهتمام بالتزكية
- ٣٠٣.....المعرفة وحدها لا تؤدّي إلى التزكية
- ٣٠٤.....يجب اقتران العلم ببناء الذات
- ٣٠٥.....تمثيل لمعرفة علماء السوء
- ٣٠٥.....ذم العالم بلا عمل
- ٣٠٦.....شرط حملة القرآن الحقيقيين
- ٣٠٧.....الحكمة من التمثيل للعلماء بلا عمل بحملة الكتاب
- ٣٠٧.....خطر الغرور على التطوّر العلمي باستثناء التهذيب
- ٣٠٩.....سورة المنافقون
- ٣٠٩.....شهادة المنافقين لا تتطابق مع ما في قلوبهم
- ٣١٠.....سورة الطلاق
- ٣١٠.....الأمر بكسب العيش لا يتنافى مع تقدير الرزق
- ٣١٢.....مفهوم التوكل على الله

- ٣١٣..... معاني التوكل ودرجاته
- ٣١٦..... العمل بالتوكل بدون الإيمان به
- ٣١٨..... الفرق بين التوكل والرضا
- ٣١٩..... الفرق بين التفويض والتوكل والثقة
- ٣٢١..... جريان أصل البراءة على الأمور التي لا يعلم الشخص حكمها
- ٣٢٣..... تأمل في ارادة المعنى الجامع للتكليف
- ٣٢٤..... ادلة الآخرين على عدم التمسك باطلاق الآية ونقدها
- ٣٢٥..... نطاق دلالة الآية محدودية التكليف في حدود استطاعة الإنسان
- ٣٢٦..... معنى خلق مثل للسماوات والارض
- ٣٢٨..... سورة التحريم
- ٣٢٨..... إخبار النبي بالغيب
- ٣٢٩..... نتيجة اجتناب الاثم والاستعاذة من الشيطان
- ٣٣٠..... من الممكن ان يصير الإنسان مثل الملائكة
- ٣٣٠..... التوبة النصوح ومفهومها
- ٣٣٢..... سورة الملك
- ٣٣٢..... سبب الوقوع في فخ الرياء
- ٣٣٤..... مفهوم العمل الاحسن
- ٣٣٦..... نظرة اخرى إلى مسألة الموت والحياة
- ٣٣٦..... في معنى الاختيار والامتحان والابتلاء، وتوجيه نسبة ذلك إلى الله
- ٣٣٨..... كونه عليمًا وخبيراً دليل على كونه بسيطاً ومجرداً
- ٣٣٩..... لسير الإنسان الكامل اتجاه مستقيم
- ٣٤٠..... في معنى الصراط و مصاديقه

٣٤٣ لسير المشترك اتجاه منكوس
٣٤٤ مصداق الصراط المستقيم
٣٤٦ سورة القلم
٣٤٦ المراد من كلمة: ن والقلم
٣٤٧ النسبة بين «ن» والقلم ومقام: أو ادنى
٣٤٨ لا بد من خُلق عظيم لمقصد عظيم كالرسالة
٣٤٨ العلاقة الوثيقة بين الروح والظاهر
٣٥٠ سُنَّة الامهال والاستدراج
٣٥٢ سورة المعارج
٣٥٢ شأن نزول آية سؤال السائل
٣٥٤ مفهوم الحرص
٣٥٧ سورة نوح
٣٥٧ حتمية قتل المفسدين
٣٥٩ سورة الجن
٣٥٩ المراد من المساجد الاعضاء السبعة اللازمة للسجود
٣٦١ إخبار الأنبياء بالغيب
٣٦١ التفاوت بين العلم الربوبي و علم الأنبياء
٣٦٣ سورة المزمل
٣٦٣ الترتيل من آداب القراءة
٣٦٥ سورة المدثر
٣٦٥ الوحدة في بداية البعثة
٣٦٦ المفهوم العرفاني للقيام في آية: "قم فانذر"

- ٣٦٧..... شرط الطهارة في الصلاة من الفرائض القرآنية
- ٣٦٨..... الأمر باجتنب الرجز لا يشمل جميع الموارد
- ٣٦٩..... عدم دلالة الآية على حرمة الانتفاع من النجس
- ٣٧٠..... معنى عرفاني لهجر الرُجز
- ٣٧١..... تجسيد شفاعة الشافعين
- ٣٧٢..... المعنى الواقعي للشفاعة
- ٣٧٣..... سورة القيامة
- ٣٧٣..... علاقة رأي الحكماء حول خروج المني واثبات المعاد
- ٣٧٤..... سير مراحل خلق الإنسان دليل على المعاد
- ٣٧٥..... سورة الإنسان
- ٣٧٥..... النظر إلى ماضي الإنسان
- ٣٧٦..... المراد بالنظفة الأمشاج
- ٣٧٦..... هل كان المني في كل أجزاء البدن ويتسرب من كل الأعضاء
- ٣٧٧..... سبب اطلاق السميع والبصير على الله على خلاف سائر الحواس
- ٣٧٨..... دخول عالم التجرد قهري لكل طوائف الناس
- ٣٧٨..... التفاوت بين الناس في اكتساب الفضائل
- ٣٧٩..... دور المحبة والاخلاص في الأعمال
- ٣٨٠..... القصد الإلهي والباطني للعمل
- ٣٨٢..... سورة النبأ
- ٣٨٢..... مصداق النبأ العظيم
- ٣٨٣..... درجات المكوث في جهنم
- ٣٨٣..... كيفية يوم الحساب

- سورة عبس ٣٨٥
- اللجاج وانكار الله مع وجود الأدلة الواضحة عليه وسببه ٣٨٥
- المنكر بلجاج جدير باللعن ٣٨٦
- معنى آخر للطعام ٣٨٧
- سورة التكوير ٣٨٨
- عدم تنافي تعلق ارادة الله مع كَوْن الإنسان فاعلاً ومختاراً ٣٨٨
- في معنى الأمر بين الأمرين ٣٨٩
- سورة الانفطار ٣٩١
- المعيار في احوال الافراد، كَوْنهم في النعيم والجحيم ٣٩١
- سورة المطففين ٣٩٣
- الاستفادة من ظاهر الآية ان الكيل يقع في مقابل الوزن ٣٩٣
- معنى الرين وصدأ القلب وتأثير صفائه في العبادة ٣٩٤
- معنى حجاب الله على قلوب جماعة من الناس ٣٩٥
- سورة البروج ٣٩٨
- الإنسان غير محيط بالله ولكن الله محيط بالانسان ٣٩٨
- سورة الطارق ٤٠٠
- فهم وتصوير كشف السرائر في القيامة ٤٠٠
- كيفية كشف السرائر ٤٠١
- سورة الأعلى ٤٠٣
- آثار التزكية في السلوك الفردي والاجتماعي ٤٠٣
- سورة الفاشية ٤٠٥
- التوجه إلى الجمل قهراً نوعاً من الهبوط بالحقائق ٤٠٥

- ٤٠٦..... محدودية الانسان تؤدي إلى المحدودية في التعريف بالخالق
- ٤٠٧..... التوجّه إلى الجمل نظر طبيعي وتوغل في الاحتجاجات مع الخيال
- ٤١٠..... الملاحظة في جمع تفسير آيات النظر الى الابل
- ٤١١..... غاية سير الإنسان الوصول والفناء في الله
- ٤١١..... رجوع الإنسان إلى الله وتجليات منه
- ٤١٣..... سورة الفجر
- ٤١٣..... الطمأنينة ثم مقام الرضا
- ٤١٤..... ذو النفس المطمئنة جدير بالرجوع إلى الرب
- ٤١٥..... شرف الشهداء وضيافتهم لقاء الله
- ٤١٦..... عشق القدرة المطلقة أسمى من كل انواع العشق
- ٤١٧..... نيل ذكر الله والكمال المطلق غاية الآمال
- ٤١٨..... فطرية طلب القدرة
- ٤٢٠..... الاطمئنان، القضية الأساسية للعاشق
- ٤٢١..... العلاقة بين الاطمئنان وذكر الله
- ٤٢٢..... لا بد من العناية الازلية في سير الوصول إلى الإنسان الكامل
- ٤٢٤..... تبويب مطالب الناس حتى أهل الجنة
- ٤٢٥..... رجوع النفس المطمئنة، رجوع إلى الله ونوع من التجرد
- ٤٢٦..... تلخيص لآية: يا ايها النفس المطمئنة
- ٤٢٩..... سورة الشمس
- ٤٢٩..... حساسية التركية وكونها شيئاً أساسياً
- ٤٣١..... سورة الضحى
- ٤٣١..... حديث نعمة الرب

٤٣٣	سورة الانشراح.....
٤٣٣	معنى عرفاني لشرح الصدر عند الأنبياء
٤٣٥	سورة التين
٤٣٥	الحجاب الظلماني اسفل السافلين بسبب التوجه إلى غير الله
٤٣٦	نور الفطرة تفسير لأحسن تقويم
٤٣٨	بيان آخر لمعنى احسن تقويم
٤٣٨	المعنى الصحيح للتنزل من احسن تقويم، برؤية فلسفية
٤٣٩	تحقق بسط بساط الرحمة والرد إلى اسفل سافلين في عالم الطبيعة
٤٤١	الرد إلى اسفل سافلين أحد الحجب الظلمانية
٤٤١	المقصود من اسفل سافلين الطبيعة والدنيا
٤٤٢	الواسطة بين اعلى عليين واسفل سافلين
٤٤٤	سورة العلق
٤٤٤	أول آية قرأت على النبي
٤٤٥	موضوع دعوة الأنبياء الإنسان وتربيته
٤٤٥	وضع المنهج في اولى مراحل البعثة
٤٤٦	شروع العالم باسم الرب
٤٤٧	صيورة الإنسان واقتان التربية باسم الرب
٤٤٧	مجهولية حقيقة الإنسان
٤٤٩	لماذا دعا الله إلى القراءة باسم الرب وليس باسم الله
٤٤٩	التأكيد على الرب ناظر إلى مسؤولية النبي
٤٥٠	لوازم التوجه إلى الرب وشروع الاسم به
٤٥١	توجهات الأعمال في ضوء الربوبية الإلهية

- ٤٥٢..... ضرورة توجيه المسائل التعليمية
- ١٢..... طرح قضية القراءة في بداية البعثة دال على أهمية العلم
- ٤٥٤..... الاستغناء موجب للطغيان، والتزكية رافعة للاستغناء
- ٤٥٦..... دلالة آيات الرجوع على التجرد الوجودي
- ٤٥٨..... سورة القدر
- ٤٥٨..... نسبة التنزيل إلى الله ووجهها
- ٤٦١..... الجمع بين النسبة إلى الحق والخلق
- ٤٦٣..... وجه نسبة النزول إلى نفسه بصيغة الجمع
- ٤٦٤..... نظرة اجمالية عن كيفية نزول القرآن
- ٤٦٤..... طوائف سالكي السير إلى الله
- ٤٦٥..... قابلية الرجوع إلى الخلق بالنسبة إلى جماعة من السالكين
- ٤٦٧..... سرّ هاء الغائب في انزلناه
- ٤٦٨..... بيان ليلة القدر
- ٤٦٩..... قيمة وعدم قيمة بعض الازمنة والأمكنة
- ٤٦٩..... منشأ شرف الازمنة والامكنة وبحث احتمالاته
- ٤٧١..... معرفة حقيقة القضاء والقدر
- ٤٧٢..... مراتب القضاء والقدر
- ٤٧٤..... احتمال ثالث في معنى ليلة القدر
- ٤٧٥..... الامر الثاني في حقيقة ليلة القدر
- ٤٧٧..... معنى ان الدورة المحمدية ليلة القدر
- ٤٧٩..... تعيين ليلة القدر
- ٤٨٠..... تنبيه عرفاني إلى حقيقة بسم الله في سورة القدر

- ٤٨٢..... في ذكر بعض الروايات الواردة في فضل ليلة القدر
- ٤٨٣..... سبب السؤال عن ليلة القدر
- ٤٨٦..... كيفية كون ليلة القدر خيراً من ألف شهر
- ٤٨٧..... تنبيه عرفاني: في قدرية يوم القيامة
- ٤٨٨..... أصناف الملائكة وحقيقتهم
- ٤٨٩..... نقد قائلين به عدم تجرد روح
- ٤٨٩..... تجرد الكثير من اصناف الملائكة
- ٤٩٢..... قسم آخر من الملائكة، الموكلون بتدبير الموجودات الجسمانية
- ٤٩٣..... في بيان كيفية تنزل ملائكة الله على ولي الأمر
- ٤٩٥..... الامر الثالث: ظهور اعمال الملائكة في ليلة القدر
- ٤٩٧..... سلام وبركة ليلة القدر
- ٤٩٧..... تنبيه عرفاني
- ٤٩٧..... التعبير بالليل كناية عن الغيب واحتجاب شمس الحقيقة
- ٤٩٨..... خاتمة، في فضيلة هذه السورة
- ٤٩٩..... كيفية الوحي الإلهي ونزوله في ليلة القدر
- ٥٠٠..... أهمية معرفة سر ليلة القدر
- ٥٠٠..... فضيلة ليلة القدر
- ٥٠١..... السلامة المطلقة للولي المطلق في عالم الحجب
- ٥٠٢..... مفهوم السلام، السلامة في السير التكاملي
- ٥٠٣..... المراد من السير المستقيم والطبيعي السلامة
- ٥٠٥..... طلوع الفجر وانطواء الطبيعة بالدخول في عالم الغيب
- ٥٠٥..... درجات السلامة والسلام في عالم الحجب

- ٥٠٦..... تلخيص لمعنى السلامة في آية: «سلام هي»
- ٥٠٨..... سورة البينة
- ٥٠٨..... مراتب الاخلاص ومكانته في الدين
- ٥١٠..... سورة الزلزلة
- ٥١٠..... تجسد الصورة الغيبية لأعمال الإنسان وقابليتها للمشاهدة
- ٥١٢..... وجه آخر لبيان تجسد الأعمال
- ٥١٣..... رؤية الأعمال نفسها في القيامة
- ٥١٤..... وجود صورتين لأعمال الإنسان
- ٥١٤..... رؤية صورة الأعمال في القيامة
- ٥١٥..... فى عدم اعتبار الاخلاص التام فى العبادات
- ٥١٦..... الدقة فى محكمة الجزاء الإلهية المطلقة
- ٥١٨..... سورة القارعة
- ٥١٨..... الإنسان محاط بغلاف الطبيعة ومحجوب فى النشأة الدنيا
- ٥١٩..... أوصاف جهنم والسير إلى الهاوية
- ٥٢١..... سورة التكاثر
- ٥٢١..... مفهوم الالهاء ودور عمل الشيطان
- ٥٢٢..... مصداق للنعم التي يُسأل عنها
- ٥٢٤..... سورة العصر
- ٥٢٤..... معنى خسارة الإنسان فى هذا العالم
- ٥٢٥..... تحقق الخسران بكيد الشيطان وغرور الإنسان
- ٥٢٦..... احتمالات فى معنى العصر وسبب استثناء المؤمنين
- ٥٢٧..... هدف النبي الخروج من الخسران

٥٢٨	الدعوة إلى الحق والصبر احدى واجبات المسلمين
٥٢٨	الجمع بين كونه اشرف المخلوقات وكونه في خسر
٥٢٩	لمفهوم الخسران جانب معنوي ونفسي
٥٣٠	احد معاني العصر برؤية فلسفية
٥٣٢	سورة الهمزة
٥٣٢	معنى النار القلبية والباطنية
٥٣٤	شواهد على كونه النار باطنية ومفهوم احاطتها
٥٣٥	ارتباط النار الدنيوية بالنار الاخرية
٥٣٦	نار التوبة والندم طريق لمنع النار الباطنية للعذاب
٥٣٦	نار الله عذاب الله في الدنيا
٥٣٧	الوقاية من النار القلبية، نار الندامة وسعير الكدورة القلبية
٥٣٧	إلتصاق النار بالبدن، ظهورها على الافئدة
٥٣٨	صعوبة فهم حقيقة جهنم
٥٣٩	كيفية النار الالهية بعد الانتقال إلى عالم الآخرة
٥٤٢	سورة الماعون
٥٤٢	نتائج الغفلة في الصلاة
٥٤٤	غاية التحذير بتعبير ويل
٥٤٦	سورة الكوثر
٥٤٦	في معنى النحر والاستدلال به في ضرورة القيام في الصلاة
٥٤٨	سورة النصر
٥٤٨	اقسام الفتح العرفاني، والمراد من الفتح المطلق في آية: «إذا جاء»
٥٥٠	الاستغفار لزوال هموم الحياة اليومية

- ٥٥٢..... سورة الاخلاص
- ٥٥٢..... فضيلة السورة
- ٥٥٦..... معنى بسم الله في هذه السورة
- ٥٥٨..... الضمير هو في قل هو والاحتمالات العرفانية فيها
- ٥٥٩..... تنبيه حكيمي
- ٥٥٩..... الصفات الثبوتية والسلبية للحق تعالى ونقدها
- ٥٦١..... في مقام ظهور كلام المتكلم تجلي ذاته
- ٥٦٣..... احاطة كل اسم بقدر سعته الوجودية ومظهريته يتناسب معه أيضاً
- ٥٦٤..... درجات الفهم والادراك في القرآن
- ٥٦٦..... سورة التوحيد من جوامع كلم القرآن
- ٥٦٧..... تفسير حكيمي لسورة قل هو الله
- ٥٦٩..... الحكمة المشرقية تفسير اشراقي لسورة الاخلاص
- ٥٧٠..... تمتة تفسير سورة بالاستعانة بمعارف اهل البيت
- ٥٧٢..... خاتمة فضل السورة من وجهة نظر الروايات
- ٥٧٤..... بيان آخر للاحتتمالات العرفانية في بسم الله السورة
- ٥٧٥..... اظهار العجز عن فهم حقيقة السورة
- ٥٧٦..... معنى بسم الله في ما يتعلّق بهذه السورة
- ٥٧٨..... بيان آخر لبسم الله في السورة
- ٥٨٢..... معنى الصمد في أخبار أهل البيت
- ٥٨٤..... سورة الفلق
- ٥٨٥..... سورة الناس
- ٥٨٥..... الإنسان مظهر جامع لجميع المراتب

٥٨٦..... لزوم رعاية ما بين الاسم والمقام اثناء قراءة الاسم

٥٨٧..... كيفية الاستعاذة قبل السير والسلوك

٥٨٧..... شرط تأثير الاستعاذة

٥٩٢..... دليل المصادر والمراجع